www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

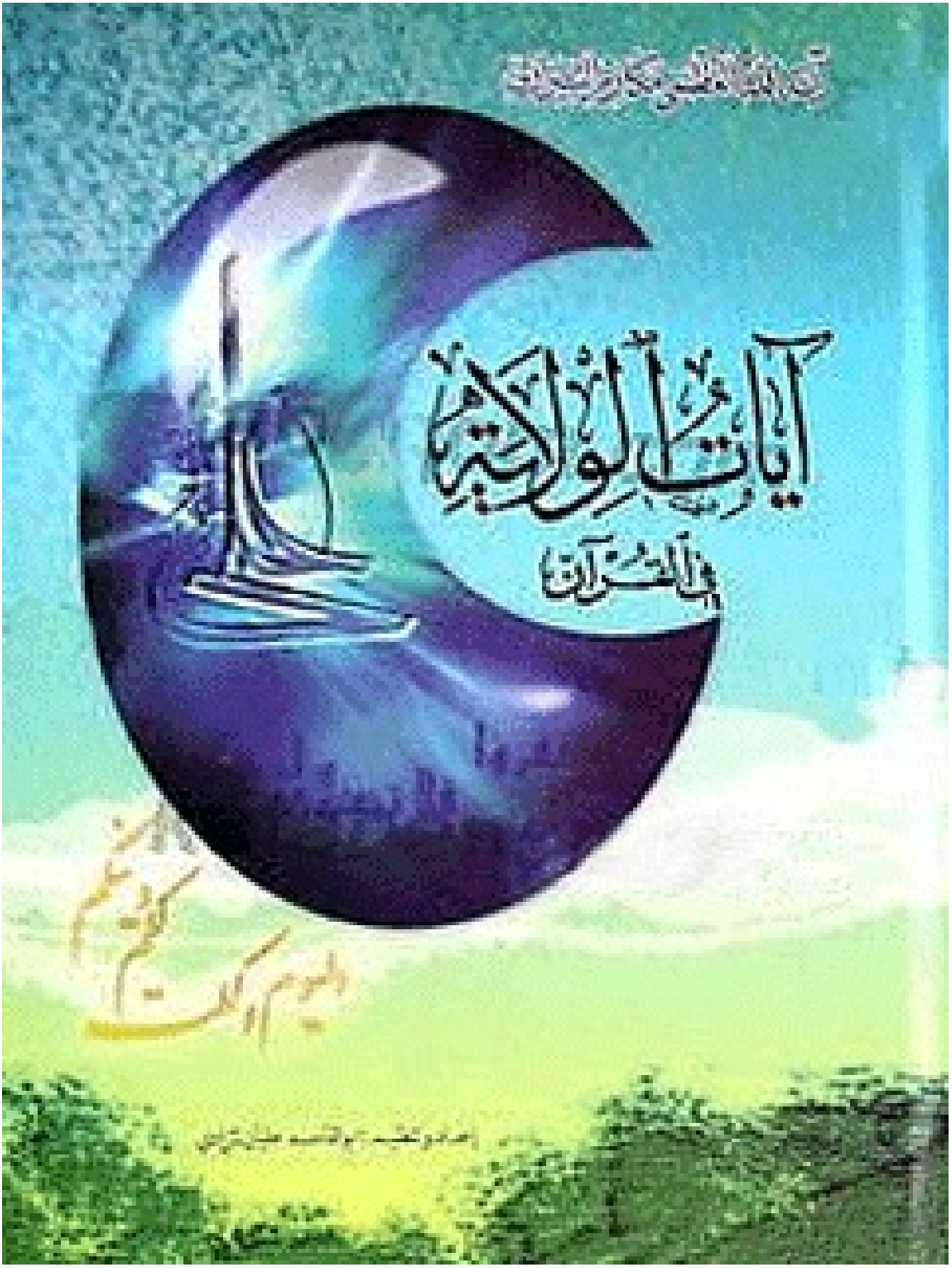
آيات الولاية
في القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

آيات الولايۀ فى القرآن

كاتب:

آيت الله العظمى ناصرمكارم شيرازى (دام ظله)

نشرت فى الطباعۀ:

مدرسه الامام على بن ابى طالب (ع)

رقمى الناشر:

مركز القائميۀ باصفهان للتحريات الكمبيوتريۀ

الفهرس

الفهرس ----- ۵
آیات الولایة فی القرآن ----- ۱۹
اشارة ----- ۱۹
المقدّمة ----- ۱۹
اشارة ----- ۱۹
الکتاب الحاضر ----- ۱۹
ملاحظات ----- ۱۹
الفصل الأول آیات الخلافة والولایة علی المسلمین ----- ۲۰
آیة التبلیغ ----- ۲۰
اشارة ----- ۲۰
أبعاد البحث ----- ۲۰
الشرح والتفسیر: إنتخاب الخلیفة مرحلة نهائیة للرسالة ----- ۲۰
اشارة ----- ۲۰
الطریق الأوّل: تفسیر الآیة بغض النظر عن الشواهد الأخری ----- ۲۱
اشارة ----- ۲۱
تطبیق العلامات الثلاث علی مسألة الولایة ----- ۲۲
الطریق الثانی: تفسیر آیة التبلیغ فی دائرة الروایات ----- ۲۳
توصیتان فی آیة التبلیغ ----- ۲۴
واقعة الغدیر ----- ۲۴
مضمون روایات الغدیر ----- ۲۵
توضیحات ----- ۲۶
۱- معنی الولایة والمولی فی حدیث الغدیر ----- ۲۶
۲- سورة المعارج تؤید حدیث الغدیر ----- ۲۷

۳- کیفیة ارتباط هذه الآیة بما قبلها وبعدها ۲۸
آیة إکمال الدین ۲ ۲۸
اشارة ۲۸
أبعاد البحث ۲۹
الشرح والتفسیر: یوم إکمال الدین والنعمة ۲۹
أیّ یوم هو ذلک الیوم؟ ۲۹
اشارة ۲۹
الطریق الأوّل: تفسیر الآیة بدون الاستعانة بالقرائن الخارجیة ۲۹
اشارة ۲۹
المراد من إکمال الدین ۳۱
اعتراف جذّاب من الفخر الرازی ۳۱
الطریق الثانی: تفسیر الآیة فی ضوء الروایات الشریفة ۳۳
کلام الآلوسی العجیب ۳۴
توصیة الآیة الشریفة ۳۴
۱- الولایة تبعث علی یأس الأعداء ۳۴
۲- إتمام الدین وإکمال النعمة فی ظلّ الولایة ۳۵
مباحث تکمیلیة ۳۵
۱- الولایة مسألة أساسیة فی الإسلام ۳۵
۲- الولایة ذات جهتین ۳۵
آیة الولایة ۳۶
أبعاد البحث ۳۶
الشرح والتفسیر: علائم الولی ۳۶
اشارة ۳۶
الطریق الأوّل: تفسیر الآیة مع غض النظر عن الروایات الشریفة ۳۷

اشارة ----- ۳۷
المراد من الولی فی الآیة محل البحث ----- ۳۷
مصداق «الّذین آمنوا» فی الآیة الشریفة ----- ۳۸
«ولی» فی استعمالات القرآن ----- ۳۸
الطریق الثانی: تفسیر الآیة بلحاظ الروایات الشریفة ----- ۳۹
ملاحظتان ----- ۴۰
شبهات واشکالات ----- ۴۰
اشارة ----- ۴۰
الإشکال الأوّل: کلمة إنّما لا تدلّ علی الحصر ----- ۴۰
الإشکال الثانی: إعطاء الخاتم فعل کثیر مبطل للصلاة ----- ۴۱
الإشکال الثالث: الخاتم الثمین ----- ۴۱
الإشکال الرابع: إنّ هذا العمل لا ینسجم مع حضور القلب ----- ۴۲
الإشکال الخامس: لماذا تعود الضمائر فی الآیة إلی الجمع؟ ----- ۴۲
الإشکال السادس: ماذا تعنی ولایة الإمام علیّ علیه السلام فی حیاة النبی صلی الله علیه و آله؟ ----- ۴۵
الإشکال السابع: ما هو المراد من الزکاة؟ ----- ۴۵
ملاحظة مهمة جداً ----- ۴۶
توصیة آیة الولایة ----- ۴۷
آیة اولی الأمر ----- ۴۷
اشارة ----- ۴۷
أبعاد البحث ----- ۴۸
الشرح والتفسیر: من هم اولی الأمر؟ ----- ۴۸
حدود إطاعة اولی الأمر ----- ۴۸
اختلاف النظریات حول معنی اولوا الأمر ----- ۴۹
تفسیر الآیة فی ظلال الروایات ----- ۵۰

أهمیة حدیث الثقلین ----- ۵۱
أسئلة وأجوبة ----- ۵۲
غزوة تبوک ----- ۵۳
توصیات الآیة ----- ۵۴
آیة الصادقین ----- ۵۵
اشارة ----- ۵۵
أبعاد البحث ----- ۵۶
معرفة إجمالیة لسورة التوبة ----- ۵۶
اشارة ----- ۵۶
ألف) أسماء السورة وعلة تسمیتها ----- ۵۶
ب) زمان نزول آیات سورة التوبة ----- ۵۷
الشرح والتفسیر ----- ۵۷
من هم الصادقین؟ ----- ۵۷
نظریة علماء أهل السنّة ----- ۵۸
تفسیر آیة الصادقین بضمیمة الآیات الاخری ----- ۵۸
الصادقین فی الروایات ----- ۶۱
توصیة آیة الصادقین ----- ۶۱
الفصل الثانی: آیات فضائل أهل البیت علیهم السلام ----- ۶۲
آیة التطهیر ----- ۶۲
اشارة ----- ۶۲
أبعاد البحث ----- ۶۲
مقدّمة ----- ۶۲
الشرح والتفسیر: آیة التطهیر، برهان واضح للعصمة ----- ۶۳
من هم أهل البیت؟ ----- ۶۵

الجواب على الأسئلة ----- ۶۷
آیة المودة ----- ۶۸
اشارة ----- ۶۸
أبعاد البحث ----- ۶۸
نظرة إلى الآیات السابقة ----- ۶۸
الشرح والتفسیر: مودّة أهل البیت، أجر الرسالة ----- ۶۹
من هم القربى؟ ----- ۶۹
تفسیر «القربى» فی نظر الشیعة ----- ۷۰
نظرات أهل السنّة فی معنى «القربى» ----- ۷۱
اعتراف مفروض ----- ۷۱
تفسیر المودّة فی کلمات الإمام الصادق علیه السلام ----- ۷۳
تفسیر آیة المودّة من خلال الروایات ----- ۷۳
ملاحظات مهمة ----- ۷۵
معطیات آیة المودّة ----- ۷۵
مراتب المحبّة ----- ۷۶
میثم التمّار، العاشق الخالص ----- ۷۶
آیة المباهلة ----- ۷۷
اشارة ----- ۷۷
أبعاد البحث ----- ۷۷
مقدّمة ----- ۷۷
اشارة ----- ۷۷
۱- المباهلة آخر الدواء ----- ۷۷
۲- ماذا تعنی المباهلة؟ ----- ۷۷
الشرح والتفسیر: الدعوة إلى المباهلة ----- ۷۸

هل تحققت المباهلة؟ ۷۸
من هم أبناءنا، نساءنا، أنفسنا؟ ۷۹
آیة سورة الدهر ۸۰
اشارة ۸۰
أبعاد البحث ۸۰
شأن النزول ۸۰
الشرح والتفسیر: الخصائص الخمسة لأهل البیت علیهم السلام ۸۱
آیات الأجر والثواب ۸۳
المقارنة بین الثواب الدنیوی والاخروی ۸۳
النعم الاثنا عشر فی الجنّة ۸۳
ماذا یعنی الشراب الطهور؟ ۸۵
شبهات وردود ۸۵
اشارة ۸۵
۱- سورة الإنسان مکّیة ۸۶
۲- التعارض بین الوجوب والإستحباب ۸۷
۳- آیات سورة الدهر عامة أو خاصّة؟ ۸۷
توصیات الآیة ۸۸
۱- أهمیّة إسداء المعونة إلی المحتاجین ۸۸
۲- المعیار فی العمل لیس کمیّته ۸۸
۳- إنعکاس آیات سورة الدهر فی الأشعار ۸۹
آیة التوبة لآدم ۸۹
اشارة ۸۹
أبعاد البحث ۸۹
الشرح والتفسیر: التوبة والإنابة إلی اللّه تعالی ۸۹

دروس من قصة آدم وحواء ۹۰
توسل النبی آدم ۹۰
ماذا کانت الکلمات؟ ۹۱
هل أن التوسل مشروع؟ ۹۲
أقسام التوسل ۹۲
مقام التوحید ومکانته السامیة ۹۲
أقسام التوحید ۹۳
الأشاعرة والتفسیر الخاطیء للتوحید الأفعالی ۹۴
هل ینسجم التوسل مع التوحید؟ ۹۴
التوسل فی القرآن ۹۵
التوسل بالعظماء والأولیاء بعد وفاتهم ۹۶
التوسل فی الروایات ۹۶
لا تجوز العبادة لغیر اللّه ۹۷
الفصل الثالث آیات الفضائل الخاصّة بالإمام علیّ علیه السلام ۹۸
آیة لیلة المبیت ۹۸
اشارة ۹۸
أبعاد البحث ۹۸
شأن النزول ۹۸
اعترافات علماء أهل السنّة ۹۹
الشرح والتفسیر: التجارة الرابحة ۹۹
المعاملة مع اللّه ۹۹
المقارنة بین المعاملات الثلاث ۱۰۰
مقارنة اخری ۱۰۰
جمال التعبیر فی آیة لیلة المبیت ۱۰۱

إرتباط آية ليلة المبيت مع الآيات التى قبلها ---- ۱۰۱
ارتباط آية ليلة المبيت بولاية أميرالمؤمنين عليه السلام ---- ۱۰۲
الجواب عن بعض الشبهات ---- ۱۰۲
اشارة ---- ۱۰۲
۱- آية ليلة المبيت تتعلق بالآمرين بالمعروف ---- ۱۰۲
۲- إنّ الآية مورد البحث واردة فى شأن أبى ذرّ ---- ۱۰۳
۳- إنّ الآية الشريفة تتعلّق بجميع المهاجرين والأنصار ---- ۱۰۳
۴- هل يعلم الإمام على عليه السلام بموته أو حياته؟ ---- ۱۰۳
۵- من هو المخاطب للنبى الأكرم صلى الله عليه و آله؟ ---- ۱۰۴
بقى هنا امور ---- ۱۰۴
۱- أشعار حسّان ابن ثابت فى وصف الواقعة ---- ۱۰۴
۲- مصير الإمام على عليه السلام فى تلك الليلة ---- ۱۰۴
۳- اللّه تعالى يباهى بإيثار أميرالمؤمنين عليه السلام ---- ۱۰۵
توصية الآية ---- ۱۰۵
كلّ شىء فى سبيل نيل رضا اللّه ---- ۱۰۵
آية سقاية الحاج ---- ۱۰۶
اشارة ---- ۱۰۶
أبعاد البحث ---- ۱۰۶
شأن النزول ---- ۱۰۶
ملاحظة مهمّة! ---- ۱۰۶
الشرح والتفسير: الإيمان باللّه، أفضل الامور! ---- ۱۰۷
إرتباط آية سقاية الحاج مع الإمامة ---- ۱۰۷
اعتراف أحد علماء السنّة ---- ۱۰۸
توصية الآية ---- ۱۰۸

اشارة ----- ۱۰۸
الإتّباع العملی لأولیاء الدین ----- ۱۰۹
بحثان ----- ۱۰۹
۱- لماذا لم یرد إسم الإمام علی علیه السلام فی القرآن؟ ----- ۱۰۹
۲- لماذا لم یقضِ النبی صلی الله علیه و آله علی المنافقین؟ ----- ۱۰۹
آیة النصرة ----- ۱۱۰
اشارة ----- ۱۱۰
أبعاد البحث ----- ۱۱۰
الشرح والتفسیر: التعبئة الکاملة والإستعداد التام ----- ۱۱۰
من هم المؤمنون؟ ----- ۱۱۱
توصیة الآیة ----- ۱۱۲
الدفاع عن الإسلام بکلّ القوی ----- ۱۱۲
آیة علم الکتاب ----- ۱۱۳
اشارة ----- ۱۱۳
أبعاد البحث ----- ۱۱۳
لا تقبلوا أمراً بدون دلیل ----- ۱۱۳
الشرح والتفسیر: الشهود علی النبوّة ----- ۱۱۴
کیفیة شهادة اللّه ----- ۱۱۴
من هو الذی «عنده علم الکتاب»؟ ----- ۱۱۴
کیف یشهد الإمام علی علیه السلام بالنبوّة؟ ----- ۱۱۵
المقارنة بین آصف بن برخیا وعلی بن أبی طالب علیه السلام ----- ۱۱۵
آیة المؤذّن وآیة الأذان ----- ۱۱۶
اشارة ----- ۱۱۶
أبعاد البحث ----- ۱۱۶

تفسير الآية ۴۲ من سورة الأعراف ۱۱۶
حوار أهل الجنّة وأهل النار ۱۱۶
من هو المؤذّن؟ ۱۱۸
هل أنّ مقام المؤذّن يعدّ فضيلة؟ ۱۱۸
تفسير الآية ۳ من سورة التوبة ۱۱۸
الإختلاف فى الجزئيات ۱۱۹
الشرح والتفسير: الإنذار الهام للمشركين ۱۲۰
هل تعدّ هذه المهمة فضيلة؟ ۱۲۰
ارتباط آية الأذان والمؤذّن ۱۲۱
الحكمة فى تغيير المأمور بإبلاغ آيات سورة البراءة ۱۲۱
آية المحسنين ۱۲۲
اشارة ۱۲۲
أبعاد البحث ۱۲۲
الشرح والتفسير: أظلم الناس! ۱۲۲
من هو «الذى جاء بالصدق» ومن «صدّق به»؟ ۱۲۳
الفخر الرازى المخالف الوحيد ۱۲۴
آية السابقون الأولون ۱۲۴
اشارة ۱۲۴
أبعاد البحث ۱۲۴
الشرح والتفسير: السابقون فى الإسلام ۱۲۴
أوّل رجل مسلم ۱۲۵
قيمة الإيمان قبل البلوغ ۱۲۶
أوّل المؤمنين، امتياز كبير ۱۲۸
توصية الآية ۱۲۹

معرفة الفضائل مقدّمة للعمل! ----- ۱۲۹
آیة المحبّة ----- ۱۲۹
اشارة ----- ۱۲۹
أبعاد البحث ----- ۱۲۹
التوغّل والنفوذ فی القلوب أهم رأس مال القادة ----- ۱۳۰
الشرح والتفسیر: إرتباط الإیمان والعمل الصالح بمسألة النفوذ فی القلوب ----- ۱۳۰
شأن نزول آیة المحبّة ----- ۱۳۱
التفاسیر الاخری للآیة مورد البحث ----- ۱۳۲
توصیة الآیة الشریفة ----- ۱۳۲
الشیعة بمثابة السراج المنیر ----- ۱۳۲
مباحث اخری ----- ۱۳۲
۱- نفوذ المحبّة فی قلوب الجمیع ----- ۱۳۲
۲- مفهوم العمل الصالح فی القرآن ----- ۱۳۳
آیة السابقون ----- ۱۳۳
اشارة ----- ۱۳۳
أبعاد البحث ----- ۱۳۳
مضمون سورة الواقعة ----- ۱۳۳
الشرح والتفسیر: من هم السابقون؟ ----- ۱۳۴
الإمام علی علیه السلام المصداق الأتم والأکمل للسابقین ----- ۱۳۴
تفسیر السابقین علی لسان النبی صلی الله علیه و آله ----- ۱۳۵
آیة اذُن واعیة ----- ۱۳۶
اشارة ----- ۱۳۶
أبعاد البحث ----- ۱۳۶
الشرح والتفسیر: قصة الأنبیاء ----- ۱۳۶

من هو صاحب الاذن الواعیة؟ ----- ۱۳۷
التناقض فی کلام الشیخ روزبهان ----- ۱۳۷
ملاحظة ظریفة من الفخر الرازی ----- ۱۳۸
علی مع الحقّ والحقّ مع علی ----- ۱۳۸
دعاء النبی صلی الله علیه و آله فی حقّ علی علیه السلام ----- ۱۳۸
علی علیه السلام أفضل القضاة! ----- ۱۳۸
آیة صالح المؤمنین ----- ۱۳۹
اشارة ----- ۱۳۹
أبعاد البحث ----- ۱۳۹
شأن النزول ----- ۱۳۹
الشرح والتفسیر: أصحاب وأنصار النبی صلی الله علیه و آله ----- ۱۴۰
من هو صالح المؤمنین؟ ----- ۱۴۱
توصیة الآیة ----- ۱۴۲
آیة الإنذار والهدایة ----- ۱۴۲
اشارة ----- ۱۴۲
أبعاد البحث ----- ۱۴۲
الشرح والتفسیر: ذرائع مختلفة ----- ۱۴۲
تناسب صدر الآیة وذیلها ----- ۱۴۲
من هو المنذر والهادی؟ ----- ۱۴۳
اشارة ----- ۱۴۳
الأوّل: تفسیر الآیة بدون ملاحظة الروایات ----- ۱۴۴
الطریق الثانی: تفسیر الآیة بملاحظة الروایات الشریفة ----- ۱۴۴
توصیات آیة الولایة والإنذار ----- ۱۴۵
اشارة ----- ۱۴۵

۱- التعصّب هو الحجاب والمانع! ----- ۱۴۵
۲- الإقتداء بالهادی ----- ۱۴۶
آیة خیر البریّة ----- ۱۴۷
اشارة ----- ۱۴۷
أبعاد البحث ----- ۱۴۸
الشرح والتفسیر: أفضل المخلوقات وشرّها ----- ۱۴۸
خیر البریّة فی الروایات ----- ۱۴۹
توصیات آیة خیر البریّة ----- ۱۵۰
اشارة ----- ۱۵۰
۱- نظام القیم فی الإسلام ----- ۱۵۱
۲- تاریخ ظهور الشیعة ----- ۱۵۲
(جدید ۳) ----- ۱۵۲
آیة الحکمة ----- ۱۵۳
اشارة ----- ۱۵۳
أبعاد البحث ----- ۱۵۳
الشرح والتفسیر: الحکمة هی الخیر الکثیر! ----- ۱۵۳
الإمام علی علیه السلام صاحب الحکمة ----- ۱۵۴
سعة علم الإمام علی علیه السلام وحکمته ----- ۱۵۴
۱- المرجعیة العلمیة للإمام علی علیه السلام ----- ۱۵۴
۲- الإمام علی علیه السلام باب مدینة العلم ----- ۱۵۵
۳- الإمام علی علیه السلام وتفسیر القرآن ----- ۱۵۵
۴- الإمام علی علیه السلام واضع علم النحو ----- ۱۵۵
۵- الإمام علی علیه السلام وعلم الکلام۵- الإمام علی علیه السلام وعلم الکلام ----- ۱۵۵
۶- الإمام علی علیه السلام وعلم الفقه ----- ۱۵۶

۷- الإمام علی علیه السلام وعلم الباطن ---------- ۱۵۶

۸- الإمام علی علیه السلام وخلافة النبی صلی الله علیه و آله ---------- ۱۵۶

تعریف المرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة ---------- ۱۵۷

آیات الولایهٔ فی القرآن

اشارهٔ

سرشناسه : مکارم شیرازی، ناصر، - ۱۳۰۵ عنوان و نام پدیدآور : آیات الولایه فی القرآن/ مکارم الشیرازی؛ اعداد و تنظیم ابوالقاسم علیان‌نژادی مشخصات نشر : قم: مدرسه الامام علی‌بن ابی طالب (ع)، ۱۳۸۳. مشخصات ظاهری : ص ۳۷۶ شابک : ۹۶۴-۸۱۳۹-۳۲-۶۳۰۰۰۰ ریال : وضعیت فهرست نویسی : فهرستنویسی قبلی یادداشت : عربی یادداشت : عنوان اصلی: آیات ولایت درقرآن. موضوع : ولایت -- جنبه‌های قرآنی موضوع : علی‌بن ابی‌طالب(ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت، ۴۰ق. -- اثبات خلافت موضوع : امامت -- جنبه‌های قرآنی شناسه افزوده : علیان‌نژادی، بوالقاسم، ۱۳۴۳ - گردآورنده شناسه افزوده : مدرسه الامام علی‌بن ابی‌طالب (ع) رده بندی کنگره : BP۱۰۴/و۸م۷۰۴۳ ۱۳۸۳ رده بندی دیویی : ۲۹۷/۱۵۹ شماره کتابشناسی ملی : م۸۴-۱۳۲۹۰

المقدّمهٔ

اشارهٔ

المقدّمهٔ سُمّی عام ۱۳۷۹ ه. ش فی الجمهوریهٔ الإسلامیهٔ بعام أمیرالمؤمنین علی بن أبی طالب علیه السلام وذلک لأنه تضمّن عید الغدیر فی بدایته وفی نهایته فتحقق فیه عید الغدیر مرتین «۱». ولهذا کان من المناسب جدّاً أن یتحرک المفکّرون وعشّاق هذا الإمام الهمام علی مستوی تعریف الناس بفضائله وأحادیثه وأخلاقه وسیرته وسائر شؤونه والقیام بدور فاعل فی هذا المشروع الحضاری الإسلامی. ومن هذا المنطلق وطبقاً للمعتاد فی شهر رمضان من کلّ عام شرع سماحهٔ آیهٔ اللّه العظمی مکارم الشیرازی مدّظلّه بالقاء محاضراته بعد صلاهٔ الظهر والعصر بما یخصّ الأبحاث التفسیریهٔ المتعلقهٔ بولایهٔ أمیرالمؤمنین علیه السلام لأن شهر رمضان هو شهر القرآن وهو الشهر الذی استشهد فیه الإمام أمیرالمؤمنین علیه السلام فکان البحث تفسیراً للقرآن من جههٔ، ودراسهٔ متعمقهٔ لمسألهٔ الولایهٔ والإمامهٔ فی دائرهٔ المفاهیم القرآنیهٔ من جههٔ اخری. نأمل أن یشرق نور القرآن فی قلوبنا أکثر وأکثر ببرکهٔ القرآن الکریم ومفسّره الأوّل أمیرالمؤمنین علیه السلام ویساهم فی ترشید مسارنا فی خطّ الرسالهٔ والإیمان وهدایهٔ الامّهٔ الإسلامیهٔ فی حرکتها الحضاریهٔ الصاعدهٔ. آیات الولایهٔ فی القرآن، ص: ۶

الکتاب الحاضر

الکتاب الحاضر وهکذا تمّ بحمد اللّه تدوین تلک البحوث الجذّابهٔ والشیّقهٔ والعمیقهٔ المحتوی. وبعد إخراج المنابع والمصادر وإجراء بعض الاصلاح والتهذیب المتعلّق بتحویل الخطاب الکلامی إلی خطاب کتابی تمّ طبع الکتاب وإخراجه بالشکل المطلوب.

ملاحظات

ملاحظات ۱- لعلّ البعض یتصور أنه مع وجود الجزء التاسع من نفحات القرآن الذی یتحدّث عن مفهوم الولایهٔ والإمامهٔ فی القرآن الکریم، وکذلک ما ورد فی التفسیر الأمثل ذیل الآیات المتعلّقهٔ بمسألهٔ الإمامهٔ فما الداعی لتألیف کتاب آخر یتناول هذه المسألهٔ بالذات؟ ولکن الحقیقهٔ أن الأبحاث المطروحهٔ فی هذا الکتاب أوسع وأشمل ممّا ورد فی ذینک الکتابین، والأهم من ذلک البعد العملی والتطبیقی للآیات الکریمهٔ الواردهٔ فی هذا الکتاب ممّا یمنحه قدرهٔ علی معالجهٔ مساحات واسعهٔ من اهتمامات المجتمع الإسلامی المعاصر، مضافاً إلی المواضیع الجدیدهٔ التی تناولها هذا الکتاب لم تذکر فی الکتابین السابقین، ولهذا وجدنا أن من

الضرورى نشر هذه البحوث القيّمة للقرّاء الأعزاء. ۲- إن القرآن الكريم يتميّز بطراوة وحيوية على مدى الدهور والأعصار حيث يفيض على قارئيه فى كلّ عصر وزمان مطالب جديدة، وعليه لا ينبغى القناعة والإكتفاء بما أورده المفسّرون من مفاهيم سامية فى تفسير آياته الكريمة، بل علينا مواصلة البحث والتنقيب فى معادنه الثمينة مع الإسترفاد من تفاسير الأعاظم وما تركه لنا العلماء من جهود فكرية فى هذا السبيل وكذلك الإستفادة من العلوم والمعارف الجديدة فى عملية استخراج المفاهيم القرآنية الكامنة واستجلاء مضمونها الحضارى. ۳- تمّ تقسيم آيات الولاية والإمامة فى هذا الكتاب إلى ثلاثة أقسام وبحثها فى ثلاثة فصول: الفصل الأوّل: آيات الخلافة والولاية على المسلمين. الفصل الثانى: آيات فضائل أهل البيت عليهم السلام. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۷ الفصل الثالث: آيات الفضائل الخاصّة بأميرالمؤمنين عليه السلام. وأخيراً أتقدم بالشكر الجزيل إلى جميع الاخوة الذين أعانونى على انجاز هذه المهمة ولا سيّما أبنائى الأعزاء الذين تكفّلوا مهمة مطابقة الكتاب، وأرجو أن نتحرك جميعاً فى خطّ الرسالة والصراط المستقيم بالاستنارة من الأنوار الإلهية للقرآن الكريم من أجل تحويل ولاية أميرالمؤمنين عليه السلام إلى واقع حىّ يشمل كلّ تطلعات الإنسان ويعيش أجواء العناية الربانية فى آفاقها الواسعة. رَبَّنا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّکَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ قم- الحوزة العلمية أبو القاسم عليان نژادى ربيع الثانى ۱۴۲۲ آيات الولاية فى القرآن، ص: ۹

الفصل الأول آيات الخلافة والولاية على المسلمين

آية التبليغ

اشارة

آية التبليغ ۱ [سورة المائدة (۵): آية ۶۷] إِنَّ الْأَبْرارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كانَ مِزاجُها كافُوراً (۵) «سورة المائدة/ الآية ۶۷»

أبعاد البحث

أبعاد البحث هذه الآية الشريفة المشهورة التى تُعرف بآية التبليغ تتحدث عن أهم مسألة وقضية فى العالم الإسلامى بعد مسألة النبوّة، و تخاطب النبى الأكرم فى أواخر عمره الشريف بإصرار بالغ أن يتحدث للناس بصراحة تامة عن مسألة الخلافة والخليفة الذى يليه، ويبيّن للناس تكليفهم الشرعى، وقد ذكر علماء السنة والشيعة مطالب مختلفة فى تفسير هذه الآية كما سيأتى.

الشرح والتفسير: إنتخاب الخليفة مرحلة نهائية للرسالة

اشارة

الشرح والتفسير: إنتخاب الخليفة مرحلة نهائية للرسالة إنّ القرآن الكريم يخاطب النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله فى آياته الشريفة بعناوين مختلفة منها: «يا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ» «۱». آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۲ «يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ» «۱». «يا أَيُّهَا النَّبِيُّ» «۲». «يا أَيُّهَا الرَّسُولُ» «۳». فالخطاب الأول والثانى يشيران إلى حالة خاصة من حالات الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله الظاهرية، ولكن الخطاب الثالث والرابع يشيران إلى الشأن المعنوى والمقام الإلهى لرسول اللَّه صلى الله عليه و آله حيث ورد هذا النحو من الخطاب: «يا أَيُّهَا النَّبِيُّ» مرات عديدة فى القرآن الكريم. ولكن خطاب: «يا أَيُّهَا الرَّسُولُ» لم يرد فى القرآن سوى فى آيتين أحدهما الآية محل البحث، والاخرى الآية ۴۱ من سورة المائدة والتى تنسجم فى مضمونها مع هذه الآية الشريفة وهذا يدلّ على أهمّية الموضوع الذى يتضمنه هذا الخطاب الإلهى للرسول الأكرم صلى الله عليه و آله حيث يقول بعده: «بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْکَ مِنْ رَبِّکَ ...» وهذه المهمّة التى امر النّبى

بإبلاغها لم تكن سوى تعيين الخليفة من بعده. «وَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ ...» إنّ هذه المهمّة إلى درجة من الأهمّية بحيث إنّه لو لم يؤدّها للناس فكأنّه لم يؤدّ الرسالة الإلهية بشكل عام حيث تبقى أتعاب ثلاثة وعشرين سنة من تبليغ الرسالة ناقصة. ومن الواضح أنّ النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله كان يبلّغ جميع ما نزل عليه من الوحى للناس ويبيّن تعاليم الشريعة المقدسة ولكن هذا التعبير الذى يُفهم من سياق الآية يوحى للمسلمين بأهمية الموضوع الذى تضمنته الآية الشريفة. «وَ اللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ...» فبما أنّ هذه المهمّة حساسة جدّاً وفى غاية الأهمّية فمن الطبيعى أن تحوطها الأخطار ومن المتوقع أن تكون هناك ردود فعل شديدة من قبل المنافقين ومن فى قلوبهم مرض سواءً كان بصورة علنية أم بصورة سرّية، آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۳ ولذلك فانّ اللَّه سبحانه وتعالى قد وعد نبيّه الكريم صلى الله عليه و آله بأن يحفظه من هذه الأخطار المحتملة. «إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِى الْقَوْمَ الْكافِرِينَ» فعلى الرغم من أنّ اللَّه تعالى يمنّ على جميع الناس بالهداية إلى الحق إلّاأنّ الأشخاص الذين يصرّون العناد والإصرار على عقائدهم الزائفة وأفكارهم الباطلة لا يستحقون الهداية وسوف لا ينالون نعمة الهداية من اللَّه تعالى. ومع قليل من التدبر فى مضمون وأجواء الآية محل البحث تتجلى هذه الحقيقة المهمة، وهى أنّ الآية الشريفة تتحرك نحو الإخبار عن موضوع مهم جدّاً، لأنّها تتضمّن فى سياقها تأكيدات كثيرة لم يسبق لها مثيل: ۱- تبدأ الآية الشريفة بخطاب «يا أَيُّهَا الرَّسُولُ» وكما تقدم أنّ هذا الخطاب يدل على الأهمّية الفائقة لمضمون هذا النص الشريف بحيث استلزم أن يقع الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله مورداً للخطاب الإلهى مباشرة. ۲- كلمة «بَلِّغْ» إشارة اخرى إلى خصوصية المضمون الذى تحمله الآية الشريفة لأنه: أوّلًا: أنّ هذه الكلمة لم ترد فى القرآن الكريم سوى فى هذه الآية الشريفة. ثانياً: كما يقول الراغب فى كتابه «مفردات القرآن» إنّ هذه الكلمة فى الواقع فيها تأكيد أشدّ من كلمة «أَبْلِغْ» لأنّه بالرغم من أنّ هذه الكلمة أيضاً لم ترد إلّامرّة واحدة فى القرآن الكريم «۱»، إلّاأنّ كلمة «بَلِّغْ» مضافاً إلى مفهوم التوكيد فيها تتضمّن التكرار أيضاً، أى أنّ هذا الموضوع إلى درجة من الأهمّية بحيث يجب إبلاغه إلى الناس دفعات وبصورة مكررة «۲». ثالثاً: جملة «وَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ» شاهد ثالث على الخصوصية المهمّة فى هذه الآية، فانّ النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله يُؤمر فى هذه الآية بإبلاغ رسالة خاصة تمثّل أساس ومحور الرسالة والنبوّة، لأنّه لو لم يبلّغ النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله هذه الرسالة الخاصة فكأنّما لم يبلّغ الرسالة كلّها. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۴ رابعاً: ومن العلامات الاخرى على عظمة وأهمية مضمون هذه الآية الكريمة هو ما ورد فيها من ضمانات إلهية لحفظ الرسول الأكرم من الأخطار المحدقة به. إنّ مضمون المأمورية التى كلّف بها النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله فى هذه الآية الشريفة إلى درجة من الأهمّية بحيث يخشى على النّبى من الخطر على حياته من جراء ردود الفعل المختلفة التى ستثيرها هذه المهمّة الرسالية، ولكن اللَّه تعالى يعِد نبيّه الكريم بحفظه من جميع الأخطار وردود الفعل المحتملة. فما هو الموضوع المهم الذى تضمنته هذه الآية الشريفة؟ ما هى المأمورية المهمّة للنّبى الأكرم صلى الله عليه و آله التى تستلزم ضمانات إلهية صريحة بحفظ النّبى من الخطر؟ ما هو المطلب المهم الذى يجب أن يبلّغه النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله للناس بحيث يساوى جميع الرسالة الإلهية؟ ماذا أراد اللَّه سبحانه وتعالى من النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله بحيث هدده من جهة ووعده بحفظ حياته من جهة اخرى؟ والخلاصة ما هو موضوع هذه الآية الشريفة الذى ورد بكل هذه التأكيدات الشديدة؟ ومن أجل استجلاء الجواب الصحيح على هذه الأسئلة هناك طريقان: الأوّل: هو التفكر والتأمل والتدبر فى مضمون الآية نفسها بقطع النظر عن ما ورد من طرق الفريقين من السنة والشيعة من الروايات الشريفة فى تفسير هذه الآية ومع قطع النظر عن كلمات المفسّرين والمؤرّخين. والآخر: هو أن نقوم بتفسير هذه الآية الشريفة مع ما ورد حولها من روايات وأحاديث فى شأن نزولها.

الطريق الأوّل: تفسير الآية بغض النظر عن الشواهد الأخرى

اشارة

الطريق الأوّل: تفسير الآية بغض النظر عن الشواهد الأخرى إنّ التدبّر والتعمق والدقة فى الآية الشريفة نفسها وبدون الإستعانة بامور أخرى بإمكانه أن يجيب على جميع الأسئلة الواردة أعلاه بشرط الإبتعاد عن التعصّب فى تحكيم عقولنا لاستجلاء الحقيقة، لأنّه: آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۵ أوّلًا: أنّ الآية مورد البحث هى الآية (۶۷) من سورة المائدة وكما نعلم فإنّ سورة المائدة هى آخر سورة «۱» نزلت على النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله أو من أواخر السور التى جاء بها الوحى إلى الرسول الكريم صلى الله عليه و آله، أى أنّ هذه الآية نزلت فى السنة العاشرة من البعثة وهى آخر سنة من عمر النبى الأكرم صلى الله عليه و آله وبعد ثلاثة وعشرين سنة من تبليغ الرسالة الإلهية. والسؤال هو: ما هو الموضوع المهم الذى لم يبلّغه الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله إلى الناس بعد ثلاثة و عشرين سنة من عمر النبوّة والرسالة؟ هل أنّ هذا الموضوع المهم يتعلق بالصلاة، فى حين أنّ المسلمين كانوا يصلّون قبل ذلك بعشرين سنة؟ هل يتعلق بالصيام فى حين أنّ حكم الصوم قد وجب بعد الهجرة وقد مضى على تشريعه ثلاثة عشر سنة؟ هل يتعلق بأمر تشريع الجهاد ونحن نعلم أنّ الجهاد قد شُرّع فى السنة الثانية للهجرة؟ هل يتعلق بالحج؟ الجواب: كلّا، إنّ الانصاف يدعونا إلى إنكار أن يكون هذا الموضوع يتعلق بواحدة من هذه الامور فلابدّ من التأمل فى هذه الحقيقة، ونتسائل: ما هى المسألة المهمّة التى بقيت بعد ثلاثة وعشرين سنة من أتعاب الرسالة بدون تبليغ؟ ثانياً: ويستفاد من أجواء الآية الشريفة أنّ هذه المأمورية للنبى الأكرم صلى الله عليه و آله إلى درجة من الأهمّية والخطورة بحيث تعادل الرسالة والنبوّة نفسها، وأمّا الإحتمالات التى ذكرها العلماء فى تفسير واكتشاف مضمون هذه المأمورية كما تقدم آنفاً فانّها رغم أهمّيتها ولكنّها لا تعادل بثقلها الرسالة نفسها، فيجب أن نتفكّر فى ماهيّة هذا الأمر المهم الذى يعادل الرسالة والنبوّة الذى لم يؤدّه النبى لحد الآن. ثالثاً: الخصوصية الأخرى لهذه المأمورية الإلهية هى أنّ بعض الناس سيتحركون من آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۶ موقع الرفض والإعتراض ويكون اعتراضهم إلى درجة من الشدّة والجدّية بحيث أنّهم مستعدون لقتل النبى والقضاء عليه ونحن نعلم أنّ المسلمين لم يعترضوا على تشريعات سابقة من قبيل الصلاة والصوم والحج والجهاد وأمثال ذلك. إذن هذه المأمورية تتضمن مسألة سياسية بحيث تدفع بالبعض إلى الإعتراض والإستنكار والتحرك نحو القضاء على النبى الأكرم صلى الله عليه و آله لمنعه من إمتثال هذا التكليف الإلهى. وعندما نأخذ بنظر الإعتبار جميع هذه الأبعاد المذكورة فى أجواء الآية الشريفة ونتدبّر فى هذا الموضوع من موقع الانصاف والحياد التام ونسعى لفهم الحقيقة بعيداً عن التعصّب والعناد لا نصل إلّاإلى مسألة الولاية والخلافة بعد النبى الأكرم صلى الله عليه و آله والتى قام النبى بتبليغ هذه الرسالة فى غدير خم بصورة رسمية. أجل! إنّ الموضوع الذى لم يبلّغه النبى الأكرم صلى الله عليه و آله للمسلمين إلى آخر عمره الشريف بصورة رسمية والذى يعادل الرسالة والنبوّة والذى تمادى الكثير من الناس لمنع الرسول الأعظم صلى الله عليه و آله من أداء هذه المهمّة والذى وعد اللّه عزّ وجلّ نبيّه الكريم بأن يحفظه من الأخطار التى تكتنف أداء هذه الرسالة هى المسألة المصيرية والمهمّة فى دائرة الخلافة، لأنّه بالرغم من أنّ النبى الأكرم صلى الله عليه و آله قد ذكر للناس مسألة ولاية الإمام على فى السابق إلّاأنّه لم يبلّغها لجميع المسلمين بصورة رسمية لحد الآن، ولهذا السبب فانّه عندما كان عائداً من حجة الوداع قام بتبليغ هذه المأمورية الإلهية الكبيرة فى صحراء غدير خم بأفضل صورة حيث أعلن لجميع المسلمين عن نصبه للإمام على عليه السلام خليفة على المسلمين، وبتبليغ هذه المأمورية كمُلت رسالته.

تطبيق العلامات الثلاث على مسألة الولاية

تطبيق العلامات الثلاث على مسألة الولاية إنّ مسألة خلافة أمير المؤمنين صلى الله عليه و آله تنطبق عليها العلائم الثلاث الواردة فى آية التبليغ تماماً لأنّها: آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۷ أوّلًا: إنّ الرسول الأكرم كما مرّ آنفاً لم يعلن عن مسألة الخلافة بعده طيلة عمره المبارك بشكل صريح ورسمى وبتلك الأبعاد الواسعة، وهذه هى المسألة المهمة التى بقيت على عاتقه فى الأيّام الأخيرة من عمره الشريف. ثانياً: إنه ليس من بين القضايا والامور الإسلامية مسألة تعادل فى أهميتها وشأنها مسألة النبوة سوى مسألة الخلافة

والولایـة التی تعتبر استمراراً لمسار النبوة، ومقام الإمامة یرادف مقام النبوة حیث یتکفل الإمام بأداء الوظائف والمسؤولیات التی کانت علی عاتق النبی. ثالثاً: منـذ زمان طرح مسألـة الإمامـة لأمیرالمؤمنین بـدأت ردود الفعل والمخالفات المتعـددة تبرز علی السـطح بل قد ظهرت فی غدیر خم أیضاً حیث جاء شخص إلی النبی الأکرم معترضاً علیه وقال: «اللّهم إن کان هذا من عندک فأنزل علینا حجارة من السـماء» فنزلت علیه حجارة فأهلکته. وهکـذا هلک هـذا الشـخص کما سـیأتی تفصـیل القصـة لاحقاً. وإذا ضـممنا الآیة ۴۱ من سورة المائـدة إلی هـذه الآیـة یتضـح المطلب بصورة جیدة. والنتیجة هی أنّ الآیة الشـریفة محل البحث مع غض النظر عن الروایات والأقوال وآراء المفسّرین وما أورده المؤرخون فی کتبهم تدلّ علی خلافة وولایة الإمام علی علیه السلام. سؤال: قد یقال المراد بالمسألة المهمة فی هذه الآیة هو إشارة إلی الخطر الکامن فی عدوّین کبیرین للإسـلام والمسـلمین وهما: الیهود والنصاری الّذین کانوا یتحرکون دوماً من موقع العداء للإسـلام ومنع تقدّم المسلمین ومع هذا کیف تکون هذه الآیة مرتبطة بشأن الولایة والخلافة؟ الجواب: إنّ من کانت له أدنی مطالعـة ومعرفـة بتاریخ الإسـلام یعلم جیداً أنّ مشـکلة الیهود والنصاری تم حلّها فی السـنة العاشـرة للهجرة حیث تم إخراج قبائل الیهود من بنی قریظـة وبنی النظیر وبنی قینقـاع ویهود خیبر وسـائر قبائـل الیهود والنصـاری من الجزیرة العربیـة حیث أسـلم الکثیر منهم واجبر الباقی علی الهجرة إلی مناطق اخری، وعلی هـذا آیات الولایة فی القرآن، ص: ۱۸ الأساس فطبقاً لما ورد فی الآیة ۴۱ من سورة المائـدة أن خوف النبیّ صـلی الله علیه و آله لم یکن من خارج دائرة المسـلمین بل کان خوفه یتمثل فی الأفراد الذین دخلوا الإسـلام. وعلی هـذا الأساس فإنّ تفسیر الآیـة بالیهود والنصاری لا یکون منسـجماً مع أجواء الآیة، وکذلک سائر التفاسیر الاخری التی أوردها البعض سوی القول بأن المقصود هو خلافة أمیرالمؤمنین علیه السـلام، وعلیه فإنّ الآیة الشـریفة محل البحث تمثّل جواباً قاطعاً ومسـتدلّاً ومتیناً علی جمیع الأشخاص الذین أنکروا إمامة وخلافة الإمام علی بن أبی طالب بعد رسول اللّه.

الطریق الثانی: تفسیر آیة التبلیغ فی دائرة الروایات

الطریق الثـانی: تفسـیر آیـة التبلیغ فی دائرة الروایات الطریق الثانی لتفسـیر الآیـة الشـریفة یتم بالاسـتعانة بالأحادیث والروایات الشـریفة الواردة فی شأن نزول هـذه الآیـة وکـذلک نظریات وآراء المفسّـرین وعلماء الإسـلام والمؤرخین الـذین دوّنوا هـذه الحادثة ... هناک العدیـد من المحـدّثین فی صدر الإسـلام ذهبوا إلی أن الآیة أعلاه نزلت فی شأن أمیرالمؤمنین علی بن أبی طالب ومن هؤلاء: ۱- «ابن عباس» الراوی والمفسّر المعروف کاتب الوحی الذی هو مورد قبول الشیعة وأهل السنّة. ۲- «جابر بن عبداللّه الأنصاری» وهو الشخصیة المعروفة والمقبولة لدی جمیع الطوائف الإسـلامیة. ۳- «أبو سـعید الخـدری» الذی یعدّ من کبار صـحابة النبی ویتمتع باحترام بالغ. ۴- «عبداللّه بن مسعود» وهو أحد کتّاب الوحی وأحد المفسّرین المعروفین. ۵- «أبو هریرة» الراوی المعروف والمقبول لدی أهل السنّة. ۶ و ۷- «حذیفـة» و «البراء ابن عازب» صـحابیان من مشاهیر صـحابة النبی، وهناک جمع آخر من الصـحابة والعلماء الذین یذعنون بهذه الحقیقة وهی أنّ الآیة الشـریفة محل البحث نزلت فی ولایة الإمام علی. آیات الولایة فی القرآن، ص: ۱۹ والجدیر بالذکر أنّ الروایات الواردة فی هذه الاسـناد والتی أشرنا إلی بعض رواتها آنفاً وردت من طرق مختلفة، فمثلًا الروایة أعلاه وردت بأحد عشر طریقاً عن ابن عبّاس وجابر بن عبـداللّه الأنصاری. ومن بین المفسّـرین من أهل السـنّة جماعـة ذکروا الروایة المتعلّقة بولایة أمیرالمؤمنین علیه السـلام ومـن بینهم «السیوطی» فی «الـدرّ المنثـور»/ الجزء الثـانی/ الصـفحة: ۲۹۸، و «أبـوالحسن الواحـدی النیشـابوری» فی «أسـباب النزول»/ الصفحة: ۱۵۰، و «الشیخ محمّد عبده» فی «تفسیر المنار»/ الجزء السادس/ الصفحة: ۱۲۰، و «الفخر الرازی» فی «التفسیر الکبیر»، وغیرها من التفاسـیر الاـخری. وهنـا نورد مقطعاً من کلام الفخر الرازی الـذی أورده فی تفسـیره کنموذج منها: یعتبر الفخر الرازی من أساطین المفسّـرین وعلماء الإسـلام بین أهل السـنّة ویعتبر تفسیره متین ومفصّل ویحکی عن کثرة علمه واطّلاعه علی الامور «بالرغم من تعصبه الشدیـد الـذی اسـدل علی فکره حجاباً فی بعض الأحیـان» فـإنّه بعـد اسـتعراض تسـعة احتمالاـت فی تفسـیر الآیـة أعلاه یـذکر ولایة أمیرالمؤمنین فی الاحتمال العاشـر ویقول: نزلت الآیة فی فضل علی بن أبی طالب ولمّا نزلت هذه الآیة أخذ بیده وقال: من کنت مولاه

فعلی مولاه اللّهمّ وال من والاه وعادِ من عاداه، فلقیه عمر فقال: هنیئاً لک یابن أبی طالب! أصبحت مولای ومولی کلّ مؤمن ومؤمنهٔ ... «۱» وطبقاً لما ورد فی کتاب شواهد التنزیل یقول زیاد بن منذر: کنت عند أبی جعفر محمّد بن علی (الباقر) علیه السلام وهو یحدّث الناس إذ قام إلیه رجل من أهل البصرهٔ یقال له: عثمان الأعشی- کان یروی عن الحسن البصری- فقال له: یا ابن رسول اللّه جعلنی اللّه فداک إن الحسن یخبرنا أنّ هذه الآیهٔ نزلت بسبب رجل ولا یخبرنا من الرجل. فقال: لو أراد أن یخبر به لأخبر به ولکنه یخاف (من حکومهٔ بنی امیهٔ مضافاً إلی أنه آیات الولایهٔ فی القرآن، ص: ۲۰ لم تکن له علاقهٔ جیدهٔ مع الإمام علی علیه السلام) ... إلی أن قال: فلما ضمن اللّه [له] بالعصمهٔ وخوّفه أخذ بید علی بن أبی طالب ثمّ قال: یا أیّها الناس من کنت مولاه فعلی مولاه اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه ... «۱». والملاحظهٔ الملفتهٔ هنا هی أنّ الحاکم الحسکانی مؤلف کتاب شواهد التنزیل الذی أورد الروایهٔ أعلاه هو من أهل السنّهٔ، کما ذکر هذه الروایهٔ جمع آخر من أهل السنّهٔ. والنتیجهٔ هی أن الأحادیث والروایات وأقوال الصحابهٔ والروایات وآراء المفسّرین والعلماء کلّها تحکی أنّ آیهٔ التبلیغ نزلت فی موضوع ولایهٔ أمیرالمؤمنین الإمام علی علیه السلام.

توصیتان فی آیهٔ التبلیغ

توصیتان فی آیهٔ التبلیغ وبإمکاننا أن نستوحی ملاحظتان أو توصیتان من أجواء الآیهٔ الشریفهٔ: ۱- أنّه بالرغم من أنّ المخاطب فی هذه الآیهٔ الشریفهٔ هو رسول اللّه بشخصه إلّاأنّ وظیفهٔ تبلیغ مسألهٔ الولایهٔ والإمامهٔ والإجابهٔ علی علامات الإستفهام والشبهات التی تثار حولها لا تختص بالرسول الأکرم صلی الله علیه و آله بلا شک، بل هی وظیفهٔ جمیع العلماء وأهل النظر علی طول التاریخ. ۲- الاخری فی هذه الآیهٔ الشریفهٔ هی أنّ المؤمنین الواقعیین هم الأشخاص الذین یتحرکون فی خط الطاعهٔ للّه تعالی من موقع التسلیم والاذعان للحقّ لا من موقع التعصّب والعناد والمیول الفئویهٔ والطائفیهٔ والحزبیهٔ بحیث یسلّمون أحیاناً ویخالفون أحیاناً اخری. وأساساً فإنّ السرّ فی وصول نبی الإسلام لتلک المقامات العالیهٔ والمنازل المعنویهٔ الرفیعهٔ تکمن فی عبودیته وتسلیمه المحض للّه تعالی وهو ما نشهد به فی کلّ صلاهٔ قبل الشهادهٔ برسالته ونقول: «اشهد أن محمّداً عبده ورسوله». ونحن إذا أردنا نیل تلک المرتبهٔ السامیهٔ من القرب الإلهی وأردنا أن نعیش الإیمان آیات الولایهٔ فی القرآن، ص: ۲۱ الحقیقی والواقعی وتطبیق إدعائنا فی الإستنان بسنّهٔ النبی الأکرم صلی الله علیه و آله فیجب أن نسلّم لأمره علی کلّ حال حتّی لو کان علی خلاف رغباتنا ومزاجنا وممیولنا العاطفیهٔ. ولغرض تکمیل هذا البحث نستعرض خلاصهٔ لقصّهٔ الغدیر کما وردت فی تفسیر «نفحات القرآن» ....

واقعهٔ الغدیر

واقعهٔ الغدیر أدرکنا من البحث الآنف بشکل إجمالی أن هذه الآیهٔ وعلی ضوء الشواهد التی لا تحصی قد نزلت بحقّ علی علیه السلام، وانّ الروایات التی نُقلت فی الکتب المعروفهٔ لأهل السنّهٔ- فضلًا عن کتب الشیعهٔ- أکثر من أن یستطیع أحدٌ انکارها. وبالاضافهٔ إلی الروایات أعلاه، فلدینا روایات اخری تفید بصریح القول: إنّ هذه الآیهٔ وردت أثناء واقعهٔ الغدیر وخطبهٔ النبی صلی الله علیه و آله فی التعریف بعلی علیه السلام علی أنه الوصی والولی، وعددها یربو علی الروایات السابقهٔ، حتّی أنّ المحقّق الکبیر العلّامهٔ «الأمینی» ینقل فی کتاب الغدیر، حدیث الغدیر عن ۱۱۰ من صحابهٔ رسول اللّه صلی الله علیه و آله بالاسناد والوثائق الحیهٔ، وکذلک عن ۸۴ من التابعین و ۳۶۰ من مشاهیر علماء المسلمین ومؤلفیهم. إنّ کلّ من یلقی نظرهً علی مجموعهٔ هذه الأسانید والوثائق یدرک بأنّ حدیث الغدیر من أکثر الروایات الإسلامیهٔ جزماً، ومصداقاً واضحاً للحدیث المتواتر ومن یشک فی تواتره، فعلیه أن لا یؤمن بأیّ حدیث متواتر. وحیث إنّ الولوج فی هذا البحث بنحوٍ واسعٍ یخرجنا عن اسلوب کتابهٔ تفسیر موضوعی، فنکتفی بهذا القدر بشأن اسناد الروایهٔ وشأن نزول هذه الآیهٔ، ونتطرق إلی مضمون الروایهٔ، ونحیل الذین یریدون المزید من المطالعهٔ حول اسناد الروایهٔ إلی الکتب التالیهٔ: ۱- کتاب الغدیر، ج ۱. ۲- إحقاق الحقّ، تألیف العلّامهٔ الکبیر القاضی «نوراللّه الشوشتری» مع شرح مفصلٍ لآیهٔ اللّه النجفی، ج ۲ و ۳

و ۱۴ و ۲۰. آيات الولايـة فى القرآن، ص: ۲۲ ۳- المراجعات للمرحوم السيّد «شرف الدين العاملى». ۴- عبقات الأنوار للعالم الكبير «ميرحامـد الحسينى الهنـدى» (من الأفضل مراجعة خلاصة العبقات، ج ۷ و ۸ و ۹). ۵- دلائـل الصـدق، تأليف العالم الكبير المرحوم «المظفر»، ج ۲.

مضمون روايات الغدير

مضـمون روايات الغـدير وهنا نأتى بقصّـة الغـدير بشـكل مختصـر كما يسـتفاد من مجموع الروايات أعلاه، (وطبقاً فإن هـذه الواقعة قد وردت فى بعض الرويات بشـكل مفصّل ومطوّل، وفى بعضـها بشـكل مختصرٍ وقصير، وفى بعضها اشير إلى جانبٍ من هذه القصة وفى البعض إلى جانب آخر، ومنها جميعاً يسـتفاد ما يلى): فى السـنّة الأخيرة من حياة النبى صـلى الله عليه و آله أقيمت مراسم حجـة الوداع بكلّ جلال بمشاركة النبى صـلى الله عليه و آله، وكانت الأفئدة تمتلئ بالمعنويات ولم تزل اللذة المعنوية لهذه العبادة العظيمة ينعكس إشـعاعها فى النفوس. وكان أصحاب رسول اللَّه صلى الله عليه و آله الذين كان عددهم كثيراً للغاية لا تسعهم أنفسهم نتيجة لادراكهم هذا الفيض والسعادة العظيمة «۱». ولم يكن أهل المدينة وحدهم الذين يرافقون رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فى هذا السفر، بل كان المسـلمون من مختلف بقاع الجزيرة العربية برفقته صـلى الله عليه و آله لنيل هذا الفخر التاريخى العظيم. وكانت شـمس الحجاز تضفى على الجبال والأودية حرارة لا تطاق، إلّاأن حلاوة هذا السـفر المعنوى النادر كانت تيسّـر كلّ شـىء، وقد اقترب الظهر، وأخذت منطقة الجحفـة، وصـحراء «غدير خم» الجافة الرمضاء تبدو للعيان. وهذا المكان يعدّ مفرق طرق لأهل الحجاز حيث يتشـعب إلى أربعة طرق، فطريق يتجه إلى الشـمال نحو المدينة، وطريق إلى الشـرق نحو العراق، وطريق إلى الغرب نحو مصـر، وطريق آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۳ إلى الجنوب نحو اليمن، وهنا يجب أن تُطرح آخر المسـتجدات فى هذا السـفر، ويتفرق المسـلمون بعد استلامهم لآخر حكم، وهو فى واقع الأمـر كان خط النهايـة فى الواجبات الناجحـة للنبى صـلى الله عليه و آله. كان ذلك فى يوم الخميس من السـنة العاشـرة للهجرة، وقـد مضت عشـرة أيّام على عيد الأضـحى، وفجأة صدر الأمر من الرسول صـلى الله عليه و آله إلى الذين معه بالتوقف، ونادى المسـلمون بأعلى أصواتهم أصـحابَهم الذين تقدّموا الركب بالتوقف والعودة، وأمهلوا المتأخرين حتّى يصـلوا، وزالت الشـمس وصدح صوت مؤذن رسول اللَّه صـلى الله عليه و آله بالأذان: اللَّه أكبر، داعياً الناس إلى صـلاة الظهر، وسـرعان ما اسـتعد الناس للصـلاة، إلّاأن حرارة الجو كـانت إلى الحـدّ الـذى اجبر البعض على أن يغطى أرجله بقسم من ازاره ويسـتر رأسه بـالقسم الآـخر، وإلّا فـإن حصـى الصـحراء وأشـعة الشـمس سـتحرق أرجلهم ورؤوسـهم. فلا خيمة فى الصـحراء، ولا خضرة، ولا نبات، ولا شجرة، سوى بعض الأشجار البرية الجرداء التى تقاوم حرارة الصـحراء، والتى لاذ بها البعض، ووضـعوا قطعة من القماش على أحداها وجعلوها ظلًا لرسول اللَّه صلى الله عليه و آله، إلّاأن الرياح اللاهبة تهب تحتها وتلفها بحرارة الشـمس المحرقة. وانتهت صـلاة الظهر، وعزم المسلمون على اللجوء إلى خيـامهم الصـغيرة التى كانوا يحملونها معهم، بيـد أن النبى صـلى الله عليه و آله أوعز لهم بالاسـتعداد لسـماع بلاغ إلهى جديـد يُوضَّح ضمن خطبـة مفصـلة، ولم يكن بمقدور البعيدين عن رسول اللَّه صـلى الله عليه و آله رؤية وجهه الملكوتى وسط زحام الناس، لذا فقد صنعوا له منبراً من أربعـة من أحداج الإبل، فارتقاهُ النبى صـلى الله عليه و آله، وفى البداية حمد اللَّه وأثنى عليه واسـتعاذ به، ثمّ خاطب النـاس قائلًا: أيّها الناس: يوشك أن ادعى فاجيب. أنا مسؤول، وأنتم مسؤولون. فكيف تشـهدون بحقّى؟ فصاح الناس: نشـهد أنك قد بلّغت ونصـحت وجهدت فجزاك اللَّه خيراً، ثمّ قال: ألسـتم تشهدون أن لا إله إلّااللَّه، وأنّى رسول اللَّه إليكم، وأن البعث حقّ، وأن اللَّه يبعث آيات الولايـة فى القرآن، ص: ۲۴ من فى القبور؟! فقالوا: نشـهد بذلك، قال: اللّهمّ اشـهد، ثمّ قال: أيّها الناس أتسـمعونى؟ قالوا: نعم، ثمّ عمّ السـكوت الصحراء فلم يُسمع إلّاصوت الريح، فقال صلى الله عليه و آله: فانظروا ماذا صنعتم بالثقلين من بعدى؟ فقال رجل من بين القوم: ما هذا الثقلان يا رسول اللَّه؟! قال صـلى الله عليه و آله: أما الثقل الأكبر فهو كتاب اللَّه حبل ممدود من اللَّه إليكم، طرفه بيـد اللَّه والطرف الآخر بأيـديكم، فلا تدعوه، وأما الثقل الأصـغر فهم عترتى وقد أخبرنى اللطيف الخبير أنهما لن يفترقا حتّى يردا علىّ

الحوض، فلا تتقدموهما فتهلكوا ولا تتأخروا عنهما فتهلكوا. ونظر الناس إلى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وهو يلتفت حوله، وكأنه يبحث عن أحد، ولما وقعت عيناه على على عليه السلام التفت إليه وأخذ بيده ورفعها حتّى بان بياض أبطيهما، وشاهدهما جميع القوم، وعرفوا أنه ذلك الفارس المقدام، وهنا ارتفع صوت النبى صلى الله عليه و آله، وقال: أَيُّهَا النّاسُ مَنْ أَوْلَى النّاسِ بِالمُؤمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ؟ قالوا: اللَّه ورسوله أعلم، فقال النبى صلى الله عليه و آله: اللَّه مولاى، وأنا مولى المؤمنين وأولى منهم بأنفسهم، ثمّ قال: فَمَنْ كُنْتُ مَوْلاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلاهُ، وكرر هذا الكلام ثلاث مرّات، وكما قال أرباب الحديث: انه كرره أربعاً، ثمّ رفع رأسه نحو السماء، وقال: اللّهمّ والِ مَنْ والاه وَعادِ مَنْ عاداهُ، وَأَحِبّ مَنْ أَحَبَّهُ وَابْغِضْ مَنْ أَبْغَضَهُ وَانْصُرْ مَنْ نَصَرَه وَاخْذُلْ مَنْ خَذَلَهُ وَأَدِرِ الْحَقّ مَعَهُ حَيْثُ دارَ. ثمّ قال صلى الله عليه و آله: أَلا فَلْيُبَلِّغ الشّاهِدُ الْغائِبَ. هنا انتهت خطبة الرسول صلى الله عليه و آله وكان العرق يتصبب من النبى صلى الله عليه و آله والجميع، ومازال الناس لم يتفرقوا من ذلك المكان حتّى نزل عليه الوحى وقرأ هذه الآية على رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى»، فقال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ عَلَى اكْمالِ الدِّيْنِ وَاتْمامِ النِّعْمَةِ وَرِضَى الرَّبُّ بِرِسالَتِى وَالْوِلايَةِ لِعَلِيٍّ مِنْ بَعْدِى. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۵ فى هذه الأثناء عم الناس النشاط والحركة، وأخذوا يهنئون عليّاً عليه السلام بهذا المقام، وكان من الذين هنئوه، أبو بكر وعمر حيث نطقا بهذه العبارة أمام أعين الحاضرين: بَخٍّ بَخٍّ لَكَ يَابْنَ أَبى طالِبٍ أَصْبَحْتَ وَأَمْسَيْتَ مَوْلاىَ وَمَوْلا كُلِّ مُؤمِنٍ وَمُؤمِنَةٍ. أثناء ذلك قال ابن عبّاس: «واللَّه إنه عهد سيبقى فى أعناقهم»، واستاذن النبى صلى الله عليه و آله الشاعر المعروف «حسان بن ثابت» لينشد شعراً بهذه المناسبة، ثمّ استهل قصيدته المعروفة: يُنادِيْهِمْ يَوْمَ الْغَدِيرِ نَبِيُّهُمْ بِخُمٍّ وَاسْمِعْ بِالرَّسُولِ مُنادِيا فَقالَ فَمَنْ مَوْلاكُمْ وَنَبِيِّكُمْ؟ فَقالُوا وَلَمْ يَبْدُوا هُناكَ التَّعامِيا: الهُكَ مَوْلانا وَانْتَ نَبِيُّنا وَلَمْ تَلْقِ مِنّا فِى الْوَلايَةِ عاصِيا فَقالَ لَهُ قُمْ يا عَلَيُّ فَاِنَّنى رَضيتُكَ مِنْ بَعْدى اماماً وَهادِيا فَمَنْ كُنْتُ مَوْلاهُ فَهذا وَلِيُّهُ فَكُونُوا لَهُ اتْباعَ صِدْقٍ مُوالِيا هُناكَ دَعا اللّهُمَّ وَالِ وَلِيَّهُ وَكُنْ لِلَّذى عادا عَلِيّاً مُعادِيا «۱»

توضيحات

۱- معنى الولاية والمولى فى حديث الغدير

۱- معنى الولاية والمولى فى حديث الغدير لقد اطّلعنا بشكل إجمالى على حديث الغدير المتواتر، والعبارة المشهورة التى جاءت عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فى جميع الكتب وهى: «مَنْ كُنْتُ مَوْلاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلاهُ» توضح الكثير من الحقائق وإن أصرّ كثيرٌ من كتّاب أهل السنّة على تفسير كلمة «المولى» هنا بمعنى «الصديق والمحبّ والناصر»، لأنّ هذا أحد المعانى المعروفة ل «المولى». ونحن نسلّم بأنّ إحدى معانى «المولى» الصديق والمحب والناصر، إلّاأنّ ثمة قرائن عديدة تثبت أنّ المولى فى الحديث أعلاه تعنى «الولى والمشرف والقائد» وهى كما يلى بإيجاز: آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۶ ۱- إن قضية محبة على عليه السلام مع جميع المؤمنين لم تكن أمراً خفياً وسريّاً ومعقّداً، بحيث يحتاج إلى هذا التأكيد والإيضاح، وبحاجة إلى إيقاف ذلك الركب العظيم وسط الصحراء القاحلة الساخنة وإلقاء خطبة عليهم لأخذ الاقرار بالولاية له من ذلك الجمع. فالقرآن يقول بصراحة: «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ» «۱». وفى موضع آخر يقول: «وَ الْمُؤْمِنُونَ وَ الْمُؤْمِناتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ» «۲». والخلاصة: إنّ الاخوة الإسلامية ومودة المسلمين مع بعضهم من أكثر المسائل الإسلامية بداهة، حيث كانت موجودة منذ انطلاقة الإسلام، وطالما أكد عليها النبىُّ صلى الله عليه و آله مراراً، بالاضافة إلى عدم كونها مسألة تحتاج إلى بيان بهذا الاسلوب الحاد فى الآية، وأن يشعر النبى صلى الله عليه و آله بالخطر من البوح بها (تأملوا جيداً). ۲- إن عبارة «أَلَستُ أَوْلى بِكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ» الواردة فى الكثير من الروايات لا تتناسب أبداً مع بيان مودّة عادية، بل انه يريد القول بأن تلك الأولوية والتصرف الذى لى تجاهكم وأننى إمامكم وقائدكم، فإنه ثابت لعلى عليه السلام وأى تفسير لهذه العبارة غير ما قيل فهو بعيد عن الإنصاف والواقعية، لا سيّما مع الأخذ بنظر الإعتبار جملة «أَنَا أَوْلى بِكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ». ۳- التهانى التى قدمها الناس

لعلى عليه السلام فى هذه الواقعة التاريخية، لا- سيّما التهانى التى قدمها أبوبكر وعمر، إذ إنها تبرهن على أن القضية لم تكن سوى تعيين الخلافة التى يستحق التبريك والتهانى، فالاعلان عن المودة الثابتة لجميع المسلمين بشكل عام لا يحتاج إلى تهنئة. وجاء فى مسند الإمام أحمد أن عمراً، قال لعلى بعد خطبة النبى صلى الله عليه و آله: هنيئاً لك يا ابن أبى طالب أصبحت وأمسيت مولى كلّ مؤمن ومؤمنة «۳». ونقرأ فى العبارة التى ذكرها الفخر الرازى فى ذيل الآية: «يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ» آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۷ أن عمراً قال: «هَنيئاً لَكَ يَابْنَ أبى طالِبٍ أَصْبَحْتَ وَأَمْسَيْتَ مَوْلَى كُلِّ مُؤمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ». وبهذا فإن عمراً يعدُ علياً مولاه ومولى المؤمنين جميعاً. وفى تاريخ بغداد جاءت الرواية بهذا الشكل: بَخٍّ بَخٍّ لَكَ يَا ابْنَ أبى طالِبٍ! أَصْبَحْتَ مَوْلاىَ وَمَوْلى كُلِّ مُسْلِمٍ «۱». وجاء فى «فيض القدير»، و «الصواعق»، أن أبا بكرٍ وعمراً باركا لعلى بالقول: «أَمْسَيْتَ يَابْنَ أبى طالِبٍ مَوْلا كُلِّ مُؤمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ» «۲». ومن نافلة القول إن المودة العادية بين المؤمنين ليست لها مثل هذه المراسيم، وهذا لا ينسجم إلّامع الولاية التى تعنى الخلافة. ۴- إن الشعر الذى نقلناه آنفاً عن «حسان بن ثابت» بذلك المضمون والمحتوى الرفيع، وتلك العبارات الصريحة والجلية شاهد آخر على هذا الادعاء، وتشير إلى هذه القضية بما فيه الكفاية (راجعوا تلك الأبيات مرّة اخرى).

۲- سورة المعارج تؤيد حديث الغدير

۲- سورة المعارج تؤيد حديث الغدير روى كثيرٌ من المفسّرين ورواة الحديث فى ذيل الآيات الاولى من سورة المعارج: «سَأَلَ سائِلٌ بِعَذابٍ واقِعٍ* لِلْكافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دافِعٌ* مِنَ اللَّهِ ذِى الْمَعارِجِ» أنّ شأن النزول فى هذه الآيات هو ما يلى: إن النبى صلى الله عليه و آله عيّن علياً خليفة يوم غدير خم وقال بحقّه: «مَنْ كُنْتُ مَوْلاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاه»، فما لبث أن انتشر الخبر، فجاء «النعمان بن الحارث الفهرى»- (وكان من المنافقين) «۳»- إلى النبى صلى الله عليه و آله وقال: لقد أمرتنا أن نشهد ان لا إله إلّااللَّه وأنك محمّد رسول اللَّه، فشهدنا، ثمّ آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۸ أمرتنا بالجهاد والحجّ والصلاه والزكاة فقبلنا، فلم ترض بكلّ ذلك، حتّى أقمت هذا الفتى «مشيراً إلى علىّ عليه السلام خليفة لك، وقلت: مَنْ كنتُ مولاه فعلىٌّ مولاه فهل هذا منك أم من اللَّه»؟ قال النبى صلى الله عليه و آله «واللَّه الذى لا معبود سواه انه من اللَّه»، فالتفت إليه «النعمان بن الحارث»، وقال: «إلهى إن كان هذا حقّاً منك فأنزل علينا حجارة من السماء»! وفجأةً نزلت حجارة من السماء على رأسه وقتلته، فنزلت آية «سأل سائل بعذاب واقع». ما ورد أعلاه هو ما ذكره صاحب «مجمع البيان» عن أبى القاسم الحسكانى «۱» وقد نقل هذا المضمون الكثير من مفسّرى أهل السنّة ورواة الأحاديث مع شىء من الإختلاف، مثل: القرطبى فى تفسيرهِ المعروف «۲»، والآلوسى فى تفسير روح المعانى «۳»، وأبو إسحاق الثعلبى فى تفسيره «۴». وينقل العلّامة الأمينى هذه الرواية فى كتاب الغدير عن ثلاثين من علماء السنّة (مع ذكر المصدر ونص العبارة)، منها: «السيرة الحلبية»، «فرائد السمطين» للحموينى، «درر السمطين» للشيخ محمّد الزرندى، و «السراج المنير» لشمس الدين الشافعى، «شرح الجامع الصغير» للسيوطى، و «تفسير غريب القرآن» للحافظ أبوعبيد الهروى، و «تفسير شفاء الصدور» لأبى بكر النقاش الموصلى، وكتب اخرى. وقد أورد بعض المفسّرين أو المحدّثين الذين يُقرّون بفضائل على عليه السلام على مضض اشكالات مختلفة على شأن النزول هذا، أهمها الإشكالات الأربعة التالية التى أوردها صاحب تفسير المنار وآخرون بعد ذكرهم للرواية أعلاه. الإشكال الأوّل: إن سورة المعارج مكية، ولا تتناسب مع واقعة غدير خم. والجواب: إن كون السورة مكية لا يعتبر دليلًا على أن جميع آياتها نزلت فى مكّة، آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۹ فلدينا العديد من سور القرآن الكريم التى تدعى بالمكية وكتبت فى جميع المصاحف على أنها مكية، بيد أن عدداً من آياتها نزلت فى المدينة، وكذا العكس، فعلى سبيل المثال: إن سورة العنكبوت من السور المكية، والحال أن آياتها العشر الاولى نزلت فى المدينة، على ضوء قول الطبرى فى تفسيره المعروف، والقرطبى فى تفسيره وآخرين من العلماء «۱». أو سورة الكهف المعروفة بأنها مكية بينما نزلت آياتها السبع الاولى فى المدينة استناداً لتفسير «القرطبى»، و «الاتقان» للسيوطى، وتفاسير عديدة «۲». وهكذا فهنالك سورٌ عُدت بأنها مدنية بينما نزلت آيات منها فى مكة، مثل سورة «المجادلة» فهى مدنية كما هو معروف، إلّاأن الآيات العشر الاولى منها نزلت فى

مكّة، طبقاً لتصريح بعض المفسّرين «۳». وموجز الكلام أنه توجد حالات كثيرة بأن تذكر سورة على أنها مكية أو مدنية، ويكتب عليها فى التفاسير والمصاحف هذا الاسم إلّاأن جانباً من آياتها قد نزل فى موضع آخر. وعليه فلا مانع أبداً من أن تكون سورة المعارج هكذا أيضاً. الإشكال الثانى: جاء فى الحديث أن الحارث بن النعمان جاء إلى النبى صلى الله عليه و آله فى الإبطح، ومعلوم أن الأبطح اسم لوادى فى مكّة، وهذا لا يتلائم مع نزول الآية بعد واقعة الغدير بين مكّة والمدينة. الجواب: أوّلًا إن عبارة الإبطح وردت فى بعض الروايات فقط لا فى جميعها. وثانياً: إن «الإبطح والبطحاء» تعنى الأرض الرملية التى يجرى فيها السيل، وهنالك مناطق فى المدينة وغيرها يطلق عليها اسم الأبطح أو البطحاء أيضاً، واللطيف انه قد اشير إليها مراراً فى الشعر العربى. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۳۰ منها الشعر المعروف الذى انشده «شهاب الدين» المشهور ب «حيص بيص» «۱» فى رثائه لأهل البيت عليهم السلام، عن لسانهم فى مخاطبة قاتليهم: مَلَكْنا فَكانَ الْعَفْوُ مِنّا سَجِيَّةً فَلَمّا مَلَكْتُمْ سالَ بِالدَّمِ أَبْطَحُ وَحَلَّلْتُمُ قَتْلَ الاسارى وَطالَما غَدَوْنا عَنِ الاسْرى نَعْفُوا وَنَصْفَحُ «۲» ومن الواضح أن مقاتل أهل البيت عليهم السلام كانت على الأغلب فى العراق وكربلاء والكوفة والمدينة، وما اريق دمٌ فى ابطح مكّة أبداً، نعم إن بعض أهل البيت عليهم السلام استشهدوا فى واقعة «فخ» التى تبعد عن مكّة ما يقرب من فرسخين، والحال أنّ الابطح يجاور مكّة. وشاعرٌ آخر يرثى الإمام الحسين عليه السلام سيّد الشهداء قائلًا: وَتَانُّ نَفْسى لَلرُّبُوعِ وَقَدْ غَدا بَيْتَ النَّبِيِّ مُقَطَّعُ الاطْنابِ بَيْتٌ لِآلِ الْمُصْطَفى فِى كَرْبَلا ضَرَبُوهُ بَيْنَ أَباطِحٍ وَرَوابى «۳» وثمة أشعار اخرى كثيرة ورد فيها تعبير «الابطح» أو «الاباطح» لا تعنى منطقة خاصة فى مكّة. وملخّص الكلام، صحيح أن أحد معانى الابطح هو بقعة فى مكّة، إلّاأنّ معنى ومفهوم ومصداق الابطح لا ينحصر بتلك البقعة.

۳- كيفية ارتباط هذه الآية بما قبلها وبعدها

۳- كيفية ارتباط هذه الآية بما قبلها وبعدها إن بعض المفسّرين ومن أجل مجانبة الحقيقة الكامنة فى هذه الآية توسّل بمبرر آخر آيات الولاية فى القرآن، ص: ۳۱ وهو: إن سياق الآيات السابقة واللاحقة بشأن أهل الكتاب لا تنسجم مع قضية الولاية والخلافة والإمامة، ولا تتناسب هذه الاثنينية فى الخطاب مع بلاغة وفصاحة القرآن «۱». الجواب: إن كافة المطّلعين على كيفية جمع آيات القرآن يعرفون أن آيات القرآن نزلت تدريجياً وبمناسباتٍ مختلفة، من هنا فكثيراً ما تتحدث سورةٌ ما حول قضايا مختلفة، فجانبٌ منها يتحدث عن الغزوة الفلانية، والجانب الآخر حول الحكم والتشريع الإسلامى الفلانى، وجانبٌ يخاطب المنافقين، وآخر يخاطب المؤمنين، فمثلًا لو طالعنا سورة النور لوجدناها تحتوى على جوانب متعددة، كلٌّ منها ناظرٌ إلى موضوعٍ، بدءاً من التوحيد والمعاد ومروراً بتنفيذ حدّ الزنا وقصة «الافك»، والقضايا المتعلّقة بالمنافقين، والحجاب وغيرها، (وكذلك سائر السور الطوال إلى حدٍ ما) بالرغم من وجود ارتباط عام بين مجموعة أجزاء السورة. والسرّ وراء هذا التنوع فى المحتوى ما قيل من أن القرآن نزل تدريجياً وحسب المتطلبات والضرورات وفى مختلف الأحداث، وليس على هيئة كتاب كلاسيكى أبداً بحيث يتابع موضوعاً معداً سلفاً، على هذا الأساس لا مانع على الاطلاق من أن تنزل مقاطع من سورة المائدة بشأن أهل الكتاب، ومقاطع منها فى واقعة الغدير، بالطبع فمن وجهة النظر العامة انهما يرتبطان معاً إذ انّ تعيين خليفة لرسول اللّه صلى الله عليه و آله يترك أثره على قضايا أهل الكتاب أيضاً، لأنه سيؤدى إلى يأسهم من انهيار الإسلام برحيل النبى صلى الله عليه و آله «۲». آيات الولاية فى القرآن، ص: ۳۳

آية إكمال الدين ۲

اشارة

آية إكمال الدين ۲ [سورة المائدة (۵): آية ۳] إِنَّ اللَّهَ لا يَخْفى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِى الْأَرْضِ وَ لا فِى السَّماءِ (۵) «سورة المائدة/ الآية ۳»

أبعاد البحث

أبعاد البحث تتحدّث هذه الآية الشريفة عن يوم عظيم جداً لدى المسلمين حيث يمثل نقطة عطف فى تاريخ الإسلام، وهو اليوم الذى عاش فيه أعداء الدين اليأس الكامل، وهو يوم إكمال الدين وإتمام النعمة الإلهية ورضى اللّه تعالى، فأى يوم هو هذا اليوم المبارك؟ فيما يلى نجيب على هذا السؤال:

الشرح والتفسير: يوم إكمال الدين والنعمة

الشرح والتفسير: يوم إكمال الدين والنعمة «الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ» فبالرغم من أنّ أعداء الإسلام والكفّار المعاندين لم يتوانوا فى التصدى للدعوة السماوية منذ بدايتها وإلى آخر أيّام حياة النبى الأكرم صلى الله عليه و آله وبوسائل مختلفة، وفى كلّ مرّة كانوا يهزمون ويولّون الأدبار ولكنهم مع ذلك لم يفقدوا الأمل فى الإنتصار على الإسلام والمسلمين، ولكن عند نزول هذه الآية الشريفة ندرك جيداً وقوع حادثة مهمة بحيث إنّ هؤلاء الأعداء لم ينهزموا فقط بل فقدوا أملهم بالنصر نهائياً. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۳۴ وعلى هذا الأساس فإنّ هؤلاء الكفّار والمشركين قد تملّكتهم حالة من اليأس المطبق فى تحقيق النصر على هذه الدعوة الجديدة. «فَلا تَخْشَوْهُمْ وَ اخْشَوْنِ» فمع هذا النصر الكبير الذى حصل لكم فى هذا اليوم فلا ينبغى لكم بعد ذلك أن تعيشوا حالة الخوف والخشية من الأعداء لأنهم سوف لا يشكلون خطراً عليكم إطلاقاً بل عليكم أن تتحركوا فى امتثال أوامر اللّه سبحانه وتعالى من موقع الخشية للّه والتقوى لأنّ الخطر الأساس فى هذه المرحلة يتمثل فى الأهواء والشهوات والإبتعاد عن خط الطاعة والتقوى والمسؤولية. «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى» ففى هذا اليوم العظيم والمهم أكمل اللّه لكم دينكم وأتم نعمته عليكم. «وَ رَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِيناً» إنّ عظمة هذا اليوم وأهمية هذه الحادثة إلى درجة بحيث إنّ اللّه عزّوجلّ رضى لكم الدين الإسلامى إلى الأبد.

أىّ يوم هو ذلك اليوم؟

اشارة

أىّ يوم هو ذلك اليوم؟ إن اليوم الذى تتحدث عنه الآية الشريفة له خصائص مهمة أربع: ۱- إن هذا اليوم هو اليوم الذى شعر فيه الكفّار والمشركون باليأس الكامل. ۲- اليوم الذى أكمل اللّه لكم الدين. ۳- اليوم الذى أتم اللّه تعالى نعمته على جميع المسلمين. ۴- اليوم الذى رضى به اللّه تعالى أن يكون الإسلام ديناً خالداً لجميع الناس فأىّ يوم هذا اليوم المبارك الذى يتمتع بهذه الخصوصيات الأربعة؟ وللإجابة على هذا السؤال يمكننا اختيار طريقين: الطريق الأوّل: التأمل والتدبّر فى مضمون الآية الشريفة نفسها ومطالعة ما يمكن استيحاؤه من أجواءها بغض النظر عن الروايات والأحاديث الشريفة الواردة فى تفسير هذه الآية وبغضّ النظر كذلك عن آراء المفسّرين وعلماء الإسلام وسائر العلائم والقرائن الاخرى التى تحيط بهذه الآية الشريفة. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۳۵ الطريق الثانى: تفسير الآية الشريفة بالاستعانة بالروايات الواردة بشأن النزول وكذلك آراء ونظريات المفسّرين وعلماء الإسلام.

الطريق الأوّل: تفسير الآية بدون الاستعانة بالقرائن الخارجية

اشارة

الطريق الأوّل: تفسير الآية بدون الاستعانة بالقرائن الخارجية نتساءل مع أىّ حادثة من الحوادث التاريخية فى زمن النزول يمكن تطبيق هذه الآية الشريفة؟ وفى مقام هذا الجواب على هذا السؤال فالفخر الرازى له رأيان والمرحوم الطبرسى ذكر رأياً ثالثاً، ونحن بالتوكل على اللَّه تعالى وبالإستعانة بالعقل والمنطق والإبتعاد عن التعصّب ولغة الأحساسات والإبتعاد عن كلّ ما يخلّ بوحدة المسلمين نبحث هذه الآراء والنظريات الثلاث بدقّة: النظرية الاولى: وهى أحدى النظريات التى ذكرها الفخرالرازى فى تفسيره للآية الشريفة، وهى أنّ كلمة «اليوم» الواردة فى هذه الآية لم ترد بمعناها الحقيقى بل وردت بالمعنى المجازى، أى أنّ كلمة «اليوم» هنا تعنى «المرحلة» أو البرهة من الزمان لا مقطع خاص منه بما يحكى عن ليلة ونهار واحد. وطبقاً لهذه النظرية فإنّ اليوم هنا لا يقصد به يوم معين أو حادثة خاصّة بل يشير إلى بداية مرحلة تحكى عن عظمة الإسلام ويأس الأعداء والكفّار من تحقيق النصر على هذه الدعوة السماوية، لا سيّما وأن هذا الإستعمال المجازى لكلمة «اليوم» هو استعمال متداول بين الناس كما يقال مثلًا «كنت بالأمس شاباً واليوم أصبحت شيخاً» أى أننى كنت فى مرحلة سابقة من عمرى شاباً وفى هذا الزمان أصبحت شيخاً، فلا تعنى كلمة اليوم أو الأمس يوماً معيناً من الأيّام الزمانية. ولكن الجواب على هذه النظرية واضح لأنّ المعنى المجازى يحتاج إلى قرينة لصرف الإستعمال عن المعنى الحقيقى، فما هى هذه القرينة الواضحة التى استند عليها الفخرالرازى للقول بالمعنى المجازى؟ النظرية الثانية: أن المراد بكلمة اليوم فى الآية الشريفة هو المعنى الحقيقى، أى هو يوم آيات الولاية فى القرآن، ص: ۳۶ خاصّ ومعين وهو «يوم عرفة» الثامن من شهر ذى القعدة، فى حجّة الوداع فى السنة العاشرة للهجرة. ولكن هذه النظرية بدورها لا تتضمن إقناعاً كافياً لأنّ يوم عرفة فى السنة العاشرة للهجرة لا يختلف عن أيّام عرفة الاخرى فى السنة التاسعة والثامنة للهجرة، ولولم تحدث فى هذا اليوم حادثة خاصة فكيف ذكرته الآية الشريفة بلغة التعظيم والتبجيل؟ والخلاصة هى أنّ هذه النظرية غير مقبولة وغيرمنطقية وبالتالى فإنّ كلا النظريتين للفخرالرازى لا تعيننا فى استجلاء مضمون الآية الشريفة واكتشاف السر المستودع فيها. النظرية الثالثة: وهى التى ذكرها الطبرسى الذى يعد من أساطين المفسّرين لدى الشيعة، فإنّه بعد أن نقل القولين السابقين للفخرالرازى وردّهما ذكر تفسير أهل البيت فى مورد هذه الآية الشريفة الذى هو تفسير جميع مفسّرى الشيعة وعلمائهم. يرى أصحاب هذه النظرية أن المراد ب «اليوم» فى هذه الآية الكريمة الذى تحقق فيه يأس الكفّار واستوجب رضى اللَّه تعالى وكمل فيه الدين وتمت فيه النعمة هو اليوم الحادى عشر من شهر ذى الحجّة من السنة العاشرة للهجرة أى يوم عيد الغدير، وهو اليوم الذى نصّب فيه رسول اللَّه الإمام علىّ خليفة له على المسلمين وأعلن فيه خلافته وولايته بصورة رسمية. سؤال: هل هذه النظرية تتطابق مع مضمون الآية الشريفة؟ الجواب: إذا نظرنا بعين الإنصاف إلى هذه الآية الشريفة وابتعدنا عن المسبوقات الفكرية والرواسب التراثية لرأينا الآية الشريفة تنطبق تماماً على واقعة الغدير لأنها: أوّلًا: لأنّ أعداء الإسلام بعد أن فشلوا فى جميع مؤامراتهم وانهزموا فى حروبهم ضد الإسلام والمسلمين وفشلت خططهم فى بثّ التفرقة والإختلاف فى صفوف المسلمين فإنّهم لم يبق لهم سوى شىء واحد يحيى أملهم فى الإنتصار والتغلب على هذا الدين الجديد، وهو أن النبى الأكرم بعد رحيله من هذه الدنيا وخاصّة مع أخذ بالنظر الإعتبار أنّه لم يكن له ولد يخلفه فى أمر الدعوة واستمرارية الرسالة ولم يعيّن لحد الآن خليفة له من بعده فيمكنهم والحال هذه أن يسددوا ضربة قاصمة للإسلام والدعوة السماوية بعد رحيل الرسول صلى الله عليه و آله، آيات الولاية فى القرآن، ص: ۳۷ ولكنّهم عندما شاهدوا أنّ النبى الأكرم قد جمع المسلمين فى صحراء غدير خم فى اليوم الثامن عشر من ذى الحجّة فى السنة العاشرة للهجرة واختار خليفة له على المسلمين وهو أعلمهم وأقدرهم فى تدبير امور المجتمع الإسلامى فإنّ أملهم هذا قد تبدلّ إلى يأس كامل، وتبخرت حينذاك طموحاتهم وتمنياتهم وأغلقت فيه النافذة الوحيدة للأمل لديهم فيأسوا من هزيمة الإسلام إلى الأبد. ثانياً: مع انتخاب الإمام على عليه السلام خليفة ووصياً للرسول فإنّ النبوة لن تنقطع بل استمرت فى سيرها التكاملى لأن الإمامة هى تكميل للنبوة وبالتالى فالإمامة هى السبب فى كمال الدين، وعلى هذا الأساس فإن اللَّه تعالى قد أكمل دينه بنصبه الإمام على خليفة على المسلمين وهو الشخصية المتميزة من بين المسلمين بالعلم والقدرة والتقوى والفضيلة بما لا يدانيه أحد بعد رسول اللَّه صلى الله عليه و آله. ثالثاً: إن النعم الإلهية قد تمت على المسلمين بنصب الإمام على خليفة وإماماً بعد رسول اللَّه صلى الله عليه و آله. رابعاً: إنّ الإسلام بلا شك

سوف لا يكون ديناً عالمياً وشمولياً وخاتم الأديان بدون عنصر الإمامة، لأن الدين الذى يعتبر نفسه خاتم الأديان يجب أن يتضمن أجابات كافية على حاجات الناس المتكثرة والمتوالية فى جميع الأزمان، وهذا المعنى لا يتسنى من دون إمام معصوم فى كلّ زمان من الأزمنة. والنتيجة هى أن تفسير الآية الشريفة بواقعة الغدير هو التفسير الوحيد والمقبول من جميع الجهات.

المراد من إكمال الدين

المراد من إكمال الدين وقد ذكر المفسّرون فى تفسير هذا المقطع من الآية الشريفة «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ...» ثلاث نظريات: ۱- إن المراد من «الدين» هو القوانين، أى أن ذلك اليوم كملت فيه قوانين الإسلام فلا يوجد فى الإسلام خلأ قانونى وفراغ تشريعى بعد الآن. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۳۸ ولكنّ الجواب على هذه النظرية يمكن أن يثير سؤال وهو: ما هذا القانون المهم أو الحادثة المهمة التى وقعت فى ذلك اليوم وأدّت إلى تكميل القوانين الإلهية والتشريعات السماوية؟ وفى الجواب على هذا السؤال يكمن مضمون الآية الشريفة ومدلولها. ۲- ذهب البعض إلى أن المقصود من كلمة «الدين» فى الآية أعلاه هو «الحجّ» أى أنّ اللّه تعالى قد أكمل حجّ المسلمين فى ذلك اليوم العظيم. ولكن هل أنّ الدين يستعمل بمعنى الحجّ واقعاً، أو أنّ الدين هو مجموعة العقائد والأعمال والعبادات التى يشكل الحجّ أحدها؟ من الواضح أن احتمال الثانى هو الصحيح، وعليه فإن تفسير الدين بمعنى الحجّ هو تفسير غير مقبول ولا يقوم على دليل متين. ۳- إنّ تحقق مضمون الآية الشريفة فى إكمال الدين وإتمام النعمة فى هذا اليوم بأنّ اللّه تعالى نصر فيه المسلمين على أعدائهم وخلّصهم من شرّ هؤلاء الأعداء. ولكن هل يصحّ هذا الكلام؟ فمن هم الأعداء الذين غلبوا وشعروا باليأس؟ فبالنسبة إلى المشركين فقد استسلموا ودخلوا فى الإسلام فى السنة الثامنة للهجرة عند فتح مكة، وبالنسبة إلى يهود المدينة وخيبر وقبائل بنى النظير وبنى قينقاع وبنى قريظة فإنّهم قد هزموا فى سنوات سابقة فى معركة خيبر والأحزاب فتركوا الجزيرة العربية وخرجوا إلى خارج الحكومة الإسلامية، وأمّا بالنسبة إلى النصارى فقد أمضوا معاهدة الصلح مع المسلمين، وعليه فإن جميع أعداء الإسلام قد استسلموا قبل السنة العاشرة للهجرة. نعم، بقى خطر المنافقين الذين يمثّلون أخطر أعداء الإسلام حيث لا زال خطرهم ماثلًا أمام المسلمين، ولكن كيف يمكن القول بأنهم قد انهزموا وأصابهم اليأس؟ هنا نجد أن هذا السؤال بقى بلا جواب مقنع كما هو حال السؤال المطروح فى النظرية الاولى والذى لم يتقدم أصحاب هذه النظرية بالجواب على هذا السؤال. أما تفسير علماء الشيعة فكما تقدّم آنفاً فإنّه يجيب على جميع الأسئلة ويلقى ضوءاً خاصّاً على مفهوم الآية وأجواءها. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۳۹ أجل! فإنّ واقعة غدير خم ومسألة الولاية وخلافة أميرالمؤمنين تعتبر أفضل تفسير بل هى التفسير الصحيح لهذه الآية الشريفة، لأنّ مع وقوع هذه الحادثة المهمة فإنّ آمال المنافقين وأعداء الإسلام قد تبددت وتبدلت إلى يأس.

اعتراف جذّاب من الفخر الرازى

اعتراف جذّاب من الفخر الرازى يقول الفخر الرازى المفسّر السنّى المعروف: «قال أصحاب الآثار انّه لمّا نزلت هذه الآية على النبىّ صلى الله عليه و آله لم يعمر بعد نزولها إلّا أحداً وثمانين يوماً أو اثنين وثمانين يوماً ولم يحصل فى الشريعة بعدها زيادة ولا نسخ «۱» ولا تبديل البتّة «۲»». وعلى وفق مقولة الفخر الرازى هذه فإنّ الآية الشريفة قد نزلت قبل رحلة النبى صلى الله عليه و آله بواحد وثمانين يوماً أو أثنين وثمانين يوماً، وعلى هذا الأساس فيمكن حدس وقت نزول الآية الشريفة، ولإيضاح هذا المطلب يلزمنا التعرف على زمن رحلة النبى الأكرم صلى الله عليه و آله فإنّ آيات الولاية فى القرآن، ص: ۴۰ أهل السنّة يرون أنّ النبى الأكرم صلى الله عليه و آله قد ولد فى اليوم الثانى عشر من ربيع الأوّل واتفق أنّ وفاته كان فى اليوم الثانى عشر من ربيع الأوّل أيضاً. وبالطبع فإنّ بعض الشيعة أيّد

هـذا الرأی ومنهم الکلینی الـذی یری أن تاریخ وفاة النبی صـلی الله علیه و آله کان فی الیوم الثانی عشـر من ربیع الأوّل بالرغم من أنّه یری أن ولادة رسول اللّه صـلی الله علیه و آله کانت فی الیوم السابع عشـر من ربیع الأوّل طبقاً لما هو المشهور من علماء الشیعة، وعلی هـذا الأساس لابـدّ من الرجوع واحداً وثمانین یوماً أو أثنین وثمانین یوماً من الثانی عشـر من ربیع الأوّل، ومع الإلتفات إلی أن الأشـهر القمریة لا تکون ثلاثین یوماً علی التوالی فی ثلاثة أشهر وکذلک لا تکون تسعة وعشرین یوماً علی ثلاثة أشهر متوالیة ینبغی أن یکون هناک شـهران کاملان وبینهما شـهر واحد منه تسـعة وعشـرین یوماً، أو بالعکس بأن یکون هناک شـهران لتسـعة وعشـرین یوماً وشهر واحد لثلاثین یوماً. فلو أخذنا بنظر الإعتبار شـهر محرم وصـفر وفرضنا أنّ کلّ واحد منهما تسعة وعشرین یوماً، فالمجموع یکون ثمانیة وخمسـین یوماً، ومع إضافة أثنی عشـر یوماً من شـهر ربیع الأوّل یکون المجموع سـبعین یوماً، وبالالتفات إلی أن شـهر ذی الحجّة لابدّ وأن یکون ثلاثین یوماً فلو توغلنا فیه اثنی عشـر یوماً لیکون المجموع اثنین وثمانین یوماً یصادف هـذا الیوم هو یوم عیـد الغدیر الثامن عشـر من ذی الحجّـة، وعلی هـذا الأساس وطبقاً لنظریـة علماء السـنّة فإنّ الآیة الشـریفة أعلاه تتعلّق بیوم الغدیر لا بیوم عرفة. وإذا کان المعیار هو واحداً وثمانین یوماً فإنّه یتفق مع الیوم الذی یتلو یوم الغدیر لا یوم عرفة حیث تفصـله مع یوم عرفة فاصلة کبیرة. وإذا أخذنا شهر محرم وصـفر لکلّ واحد منهما ثلاثون یوماً وشهر ذی الحجّة تسعة وعشرین یوماً فطبقاً لعدد اثنین وثمانین یوماً یکون الیوم التاسع عشر من ذی الحجّة هو المراد وطبقاً لواحد وثمانین یوماً فإنّ یوم عشرین ذی الحجّة یکون هو زمان الآیة الشریفة، أی أن الآیة الشریفة نزلت بعد یوم واحد أو یومین بعد واقعة الغدیر ونصب الإمام علی علیه السـلام خلیفة علی المسلمین وناظرة إلی هذه الحادثة التاریخیة المهمـة ولا ترتبط إطلاقاً بیوم عرفـة. والنتیجـة هی أنّ القرائن المختلفـة التی تحف بهـذه الآیـة الشـریفة تشـیر إلی أن هـذه الآیة آیات الولایة فی القرآن، ص: ۴۱ تتعلّق بواقعـة الغدیر وأنها نزلت فی شأن خلافة أمیرالمؤمنین الإمام علیّ علیه السـلام. سؤال: إنّ بدایة الآیة الثالثـة من سورة المائـدة تتحدّث عن اللحوم المحرمة «۱»، وفی آخرها تتحدّث عن الاضـطرار والضـرورة وأحکامها «۲»، وفیما بینهما تتحـدّث الآیـة عن ولایـة وإمامـة أمیرالمؤمنین، فأیّ تناسب وانسـجام بین مسألـة الولایـة والإمامة وخلافة النبی صـلی الله علیه و آله مع مسألـة اللحوم المحرمـة وحکم الاضـطرار والضـرورة؟ ألا یکون هذا شاهداً علی أن العبارة مورد البحث فی هذه الآیة لا یرتبط بمسألة الولایـة بـل یشـیر إلی مطلب آخر؟ الجواب: إنّ آیـات القرآن الکریم لم ترد بصورة کتـاب منظم کمـا هو الحـال فی الکتب المتعارفة الکلاسـیکیة بل نزلت متفرقـة وعلی فترات مختلفـة وقد تکون آیات سورة واحدة قد نزلت فی أوقات متباینة وکان النبی الأکرم صـلی الله علیه و آله یوصـی بکتابـة کلّ آیـة فی سورة معیّنة، وعلی هذا الأساس فیمکن أن یکون صدر الآیة مورد البحث الذی یتحدّث عن الأسـئلة التی کان المسـلمون یسألون النبی الأکرم صـلی الله علیه و آله عنها وعن اللحوم المحرمـة قـد نزل قبل واقعة الغدیر، وبعد مدّة حـدثت واقعـة الغـدیر ونزلت الآیـة محل البحث وذکرها کتّاب الوحی بعـد آیـة تحریم اللحوم، ثمّ حـدثت مسألة الاضـطرار أو حدث مصـداق من مصادیقها وحکم هذا الاضـطرار، لذلک نجد أن ذیل الآیة الشـریفة یتضـمن هذا الحکم الشـرعی وقد کتبه کتّاب الوحی بعـد الحـدیث عن واقعـة الغـدیر المـذکور فی وسط الآیة، وبملاحظة النکتة أعلاه فلیس بالضـرورة أن یکون هناک إنسـجاماً معیناً فی سیاق الآیة الشریفة. ومع الإلتفات إلی هذه الملاحظة سوف تنحل کثیر من الشبهات والإشکالات المتعلّقة بآیات القرآن الکریم. سؤال آخر: رأینا فیما سـبق أن الآیة الثالثة من سورة المائدة هی آخر الآیات التی نزلت علی النبی الأکرم صلی الله علیه و آله، ومع نزول هذه الآیـة یکون الـدین قد کمل وتکون الشـریعة آیات الولایة فی القرآن، ص: ۴۲ الإسـلامیة بمجموع مقرراتها وقوانینها قـد نزلت بصورة کاملـة علی النبی الأکرم صـلی الله علیه و آله، فإذا کان کذلک إذن فلماذا ورد بعد هذه الآیة مورد البحث وفی ذیلها حکم الاضـطرار والضـرورة؟ أی إذا کانت آیـة إکمال الـدین هی آخر آیـة وتخبرنا عن إکمال الـدین والشـریعة، إذن فماذا یعنی هـذا القانون الجدید الذی نزل بعدها؟ الجواب: یمکن الإجابة عن هذا الإشـکال بصورتین: الجواب الأوّل: إنّ مسألة الاضطرار فی زمان القحط والذی ورد فی هذه الآیة الشـریفة لا یورد حکماً جدیداً بل هو حکم تأکیدی لما سبق من الأحکام الشرعیة، لأنّ هذا الحکم قد ورد قبل ذلک فی ثلاث آیات من القرآن الکریم: الف) نقرأ فی آیـة ۱۴۵ من سورة الأنعام وهی سورة مکیـة قوله تعالی: «قُلْ لا أَجِـدُ فِی ما أُوحِیَ إِلَیَّ

مُحَرَّماً عَلى طاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَماً مَسْفُوحاً أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقاً أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ باغٍ وَ لا عادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ». فكما تلاحظون أنّ هذه الآية الشريفة قد نزلت فى مكّة قبل هجرة النبى صلى الله عليه و آله إلى المدينة وتبين حكم الاضطرار أيضاً. ب) نقرأ فى الآية ۱۱۵ من سورة النحل التى نزل قسم منها فى مكّة المكرّمة وقسم منها فى المدينة قوله تعالى: «إِنَّما حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَ الدَّمَ وَ لَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَ ما أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ باغٍ وَ لا عادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ». ففى هذه الآية الشريفة التى نزلت قبل الآية مورد البحث قد ذكر فيها حكم الاضطرار. ج) ونقرأ فى الآية ۱۷۳ من سورة البقرة والتى نزلت فى أوائل هجرة النبى صلى الله عليه و آله إلى المدينة الحكم الشرعى للاضطرار أيضاً وهى تشبه إلى حدّ كبير الآية التى ذكرناها آنفاً مع تفاوت يسير ولذلك فلا نكررها. النتيجة: هى أن الحكم الشرعى للاضطرار قد ورد فى القرآن الكريم قبل هذه الآية آيات الولاية فى القرآن، ص: ۴۳ مورد البحث فى ثلاث موارد اخرى «۱»، وعليه فإنّ الحكم الشرعى فى الآية المذكورة لا يعدّ حكماً جديداً ولا يتنافى مع آية إكمال الدين حيث لم ينزل أىّ قانون جديد بعد هذه الآية على النبى الأكرم صلى الله عليه و آله. الجواب الثانى: إن آيات القرآن الكريم لم تجمع على حسب ترتيب نزولها بل طبقاً للأمر النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله وعلى سبيل المثال فالآية ۶۷ من سورة المائدة تقول: «يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ...» ومن المعلوم أن هذه الآية نزلت قبل الآية مورد البحث «الآية الثالثة من سورة المائدة». ولكنّها عند تدوينها قد كتبت بعد تلك الآية، وعليه فلا مانع أن يكون حكم الاضطرار قد نزل قبل آية إكمال الدين ولكن فى حال تدوينها قد كتبت بعد الآية الشريفة.

الطريق الثانى: تفسير الآية فى ضوء الروايات الشريفة

الطريق الثانى: تفسير الآية فى ضوء الروايات الشريفة إن الأحاديث والروايات الشريفة الواردة فى شأن نزول هذه الآية الشريفة كثيرة، وقد ذكر العلّامة الأمينى فى كتابه القيّم «الغدير» «۲» هذه الروايات مع الأبحاث المتعلّقة بها بصورة واسعة، فقد أورد حديث الغدير فى هذا الكتاب من مائة وعشرة راوٍ من أصحاب النبى مضافاً إلى ذلك فقد نقله من ثمانين شخصاً من التابعين «۳»، وقد ذكر العلّامة الخبير الأحاديث آيات الولاية فى القرآن، ص: ۴۴ المتعلّقة بهذه الحادثة التاريخية من ثلاث مئة وستين من المصادر الروائية والتاريخية لدى المسلمين وبعضها من مصادر أهل السنّة والبعض الآخر من مصادر الشيعة، ولكنّ الملاحظة المهمة هنا هى أنّ جميع هذه الروايات التى تتحدّث عن واقعة الغدير العظيمة لا ترتبط ببحثنا هذا بل الروايات التى تتحدّث عن نزول هذه الآية الشريفة هى التى ترتبط ببحثنا، ولحسن الحظّ أنّ عدد هذه الروايات ليس بالقليل فقد ذكر المحقّق العلّامة الأمينى فى كتابه المذكور ستة عشر رواية فى هذا المجال «۱»، ونحن نشير إلى بعضها فيما يلى: ۱- ما أورده السيوطى وهو من علماء أهل السنّة وكان يعيش فى مصر ويعدّ من كبار علماء أهل السنّة، فقد ذكر هذه الرواية فى كتابه: «يقول أبو سعيد الخدرى: لَمَّا نَصَبَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه و آله عَلِيّاً عليه السلام يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ فَنادَى لَهُ بِالوِلَايَةِ، هَبَطَ جَبْرَئِيلُ بِهذِهِ الآيَةِ: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ...» «۲»». وطبقاً لهذه الرواية الواردة فى كتب أهل السنّة يكون المراد من كلمة «اليوم» فى الآية الشريفة هو يوم الغدير، والآية مورد البحث تتحدّث عن ولاية وخلافة أميرالمؤمنين عليه السلام. ۲- وقد أورد هذا العالم السنّى رواية اخرى عن أبى هريرة الراوى المقبول لدى أهل السنّة. «يقول أبو هريرة: لَمّا كان يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ وَهُوَ يَوْمُ ثَمانى عَشَرَ مِنْ ذِى الْحَجَّةِ، قَالَ النَّبِىُّ صلى الله عليه و آله: مَنْ كُنْتُ مَوْلاهُ فَهَذا عَلِيٌّ مَوْلاهُ، فَانْزَلَ اللَّهُ: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ ...» «۳»». وهذه الرواية أيضاً تدلّ بوضوح على المطلوب. ۳- وروى الخطيب البغدادى وهو أحد علماء أهل السنّة فى القرن الخامس «۴» الهجرى فى آيات الولاية فى القرآن، ص: ۴۵ كتابه المعروف «تاريخ بغداد» نقلًا عن أبى هريرة حيث قال: قَالَ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه و آله «مَنْ صامَ يَوْمَ ثَمانَ عَشَرَةَ مِنْ ذِى الْحَجَّةِ كُتِبَ لَهُ صِيامُ سِتّينَ شَهْراً» «۱» وَهُوَ يَوْمُ غَدِيرِ خُمٍّ لَمّا أَخَذَ النَّبِىُّ صلى الله عليه و آله بِيَدِ عَلِيِّ بْنِ أَبى طالِبٍ فَقَالَ: «أَلَسْتُ وَلِيَّ الْمُؤْمِنِينَ» قَالُوا: بَلى يا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ صلى الله عليه و آله: «مَنْ كُنْتُ مَولاهُ، فَعَلِيٌّ مَوْلاهُ» فَقالَ عُمَرُ بْنُ خَطّاب «۲»: بَخٍّ بَخٍّ لَكَ يَابْنَ أَبى طالِبٍ أَصْبَحْتَ مَوْلاىَ وَمَوْلاى كُلِّ مُؤْمِنٍ

وَمُؤْمِنَةٍ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ...». «۳» ۴- وذكر الحاكم الحسكانى وهو من علماء القرن الخامس ومن علماء أهل السنّة روايات صريحة فى هذا المجال فى كتابه، ولكننا نصرف النظر عن ذكرها هنا طلباً للاختصار «۴». ۵- وذكر أبوحافظ النعيم الاصفهانى فى كتابه «مانزل من القرآن فى علىّ» عن الصحابى المعروف أبى سعيد الخدرى أنّ النبى الأكرم نصب فى يوم غدير خم على بن أبى طالب وصياً وخليفة له وقبل أن يتفرّق الناس فى غدير خم نزلت الآية الشريفة «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ ...» وهنا قال: اللَّهُ أَكْبَرُ عَلى اكْمالِ الدّينِ واتْمامِ النّعْمَةِ وَرِضَى الرَّبِّ بِرِسالَتى وَ بِالْوِلايَةِ لِعَلِيٍّ عليه السلام مِنْ بَعْدى، ثُمَّ قال: مَنْ كُنْتُ مَوْلاهُ فَعلِيٌّ مَوْلاهُ، اللّهُمَّ والِ مَنْ والاهُ وَعادِ مَنْ عادَاهُ وانْصُرْ مَنْ نَصَرَهُ وَاخْذُلْ مَنْ خَذَلَهُ «۵». آيات الولاية فى القرآن، ص: ۴۶ والنتيجة هى أن الروايات التى وردت فى هذا المجال توحى بصورة جليّة أنّ آية إكمال الدين نزلت فى واقعة الغدير وتدلّ بوضوح على إمامة وخلافة الإمام علىّ عليه السلام.

كلام الآلوسى العجيب

كلام الآلوسى العجيب وعلى رغم القرائن والشواهد البيّنة فى هذه الآية الشريفة «والتى سبق ذكرها» والروايات المتعددة الواردة فى مصادر الشيعة والسنّة فإنّ بعض المحدّثين وبسبب التعصّب والعناد قد فسّروا الآية الشريفة وفقاً لميولهم النفسانية وخرجوا عن منهج البحث المنطقى، ومن هؤلاء «الآلوسى» المفسّر السنّى المعروف وكاتب تفسير «روح المعانى» الكبير فقد ذكر فى تفسير الآية ۶۷ من سورة المائدة عن واقعة الغدير وقال: «فقد اعتنى بحديث الغدير أبوجعفر بن جرير الطبرى فجمع فيه مجلدين أورد فيهما سائر طرقه وألفاظه وصاغ الغث والسمين والصحيح والسقيم على ما جرت به عادة الكثير من المحدّثين، فإنهم يوردون ما وقع لهم فى الباب من غير تمييز بين الصحيح والضعيف، وكذلك الحافظ أبو القاسم ابن عساكر أورد أحاديث كثيرة فى هذه الخطبة (ولكننا نقبل من الأحاديث التى ذكرها إلّاما كان لا يتحدث عن خلافة على)» «۱». وهذا الكلام يثير العجب والحيرة لدى كلّ إنسان منصف. فهل يمكننا الإعراض عن كتاب بأجمعه بسبب وجود بعض الأحاديث الضعيفة وغير معتبرة فيه؟ ألا توجد روايات ضعيفة وأحاديث غير معتبرة فى المصادر الحديثية لأهل السنّة؟ هل يصحّ أن ترفض جميع هذه المصادر بهذه الذريعة الواهية؟ الإنصاف أن هذا الكلام هو كلام مضحك ولكن ما هو أسوأ منه هو كلامه عن روايات ابن عساكر الذى يحكى عن منتهى العناد والتعصّب والعداوة مع الحقّ والحقيقة وأهل البيت عليهم السلام، ففى أىّ مكان من العالم يقول أحد الأشخاص: إننى أقبل فقط كلّ ما يتفق مع ميولى وهوى نفسى ولا أقبل ما يخالف ذلك؟ آيات الولاية فى القرآن، ص: ۴۷ هل يقبل هذا الكلام من الإنسان العادى فكيف يقبل من عالم كبير مثل الآلوسى؟ ولعلّ القارئ العزيز يتعجب كثيراً ويتساءل أن شخصاً كالآلوسى كيف يتحدّث بمثل هذا الحديث الضعيف والكلام الواهى؟ ولكن فى مقام الجواب نقول إن كلّ إنسان يقف فى مقام القضاء ولا يتجنب المسبوقات الفكرية والرسوبات الذهنية فإنّه قد يقع بمثل هذا المصير.

توصية الآية الشريفة

۱- الولاية تبعث على يأس الأعداء

۱- الولاية تبعث على يأس الأعداء إذا أردنا أن يعيش الأعداء اليأس فعلينا بالتمسّك بالولاية وإحياءها لأنّ الولاية كما أدّت فى ذلك اليوم إلى بث اليأس فى صفوف الأعداء فإنّها فى هذا اليوم أيضاً ومن خلال التمسّك بها وإحياءها ستبعث على نفوذ اليأس فى قلوب المنافقين وأعداء الإسلام. ينبغى علينا فى هذا اليوم أن نقصر أنظارنا على الإمام الغائب عن الأنظار والحاضر فى القلوب، وهو الإمام الحجّة بن الحسن العسكرى (عجل اللّه تعالى فرجه الشريف) وندور حول هذا المحور الإلهى لأن ولاية هذا الإمام العظيم تعد أفضل

حلقة وصل لجميع الشيعة فى العالم على اختلاف أذواقهم وسلائقهم، وعلى هذا الأساس فإنّ إحياء هذه الولاية سوف يشرق الأمل بوحدة واتحاد المؤمنين ويكون ذلك أساساً لسعادتهم وباعثاً على غرس الأمل فى قلوبهم، كما أنّ اختلافهم وتفرقهم يؤدى إلى تعاستهم وانحطاطهم. إذا تمسّك المسلمون فى بلدان العالم الإسلامى بهذا الأصل الأساسى وعملوا به والتفوا حوله فإنّ حادثة مثل حادثة فلسطين المؤسفة سوف لا تتكرر بعد ذلك ولا يقع المسلمون فى دائرة المظلومية أمام أنظار العالم، وعليه فإن يأس الكفّار لا يتحقّق إلّامن خلال التمسّك بالولاية.

۲- إتمام الدين وإكمال النعمة فى ظلّ الولاية

مباحث تكميلية

۱- الولاية مسألة أساسية فى الإسلام

۱- الولاية مسألة أساسية فى الإسلام بالنسبة إلى أهمية الولاية فقد وردت روايات كثيرة تتحدّث عن هذا الموضوع وكمثال ونموذج لهذه الروايات نذكر الرواية الواردة عن الإمام محمّد الباقر عليه السلام حيث يقول زرارة نقلًا عن الإمام الباقر أنّه قال: بُنِيَ الإسْلامُ عَلى خَمْسَةِ أَشْياءَ؛ عَلَى الصَّلاةِ وَالزَّكاةِ والصَّوْمِ وَالْحَجِّ وَالْولايةِ. قَالَ زُرارَةُ: فَقُلْتُ: وَأىُّ شَىْءٍ مِنْ ذَلِكَ أَفْضَلُ؟ قَالَ عليه السلام: الْوِلايَةُ افْضَلُ لِانَّها مِفْتاحُهُنَّ وَالْوَالى هُوَ الدَّلِيلُ عَلَيْهِنَّ ... «۱» وهنا بالإمكان استيحاء نقطتين من هذه الرواية: ألف) إنّ هذه القضايا الخمسة التى وردت فيها هذه الرواية ترتبط فيما بينها برابطة معيّنة، فالصلاة تمثّل رابطة الإنسان مع اللّه بل إنّ أفضل وقت لتحقيق الإرتباط مع اللّه تعالى هو وقت الصلاة. «الزكاة» بدورها تمثل العلاقة بين الإنسان والآخرين من الأفراد والمجتمع من المحتاجين والمساكين حيث يحققون لهم حياة معقولة وطبيعية بإجراء قانون الزكاة وبذلك يتمكنون من التغلب على مشكلاتهم الاقتصادية التى يفرضها الواقع الصعب. «الصوم» يمثّل علاقة الإنسان مع نفسه، ومع تقوية هذه العلاقة بالصوم فإنّ الإنسان آيات الولاية فى القرآن، ص: ۴۹ سيوفق فى مجال مجاهدة النفس والإنتصار على نوازعه الماديّة والدنيوية بل إنّ الصوم هو رمز لمجاهدة النفس وقوّة الأرادة. «الحجّ» يمثّل الرابطة التى تربط جميع المسلمين فيما بينهم حيث يجتمعون فى كلّ عام لمبادلة الأفكار والرؤى وتبادل وجهات النظر واستعراض المشاكل والتحديات المصيرية التى يواجهها العالم الإسلامى والتفكير الجاد فى حلّها. «الولاية» هى الضامن الحقيقى والصحيح لتنفيذ وتبيين أحكام هذه المسائل. وعلى هذا الأساس فإنّ الاصول الخمسة المذكورة أعلاه لم تجتمع فى هذا الحديث الشريف اعتباطاً بل تربطها رابطة منطقية ومعقولة. ب: لماذا كانت الولاية أفضل من الاصول الأربعة الاخرى؟ إن الرواية الشريفة نفسها تصرّح بأن عنصر الولاية هو الذى يحقّق محتوى الصلاة والصوم والحجّ والزكاة، أى أنه بدون أمر الولاية والحكومة الإسلامية ستكون هذه الدستورات والتعليمات بمثابة الكتابة على الماء وليس لها رصيد على مستوى الممارسة والعمل كما هو الحال فى نسخة الطبيب التى لا تشافى من المرض بدون العمل بها. الولاية تعنى تنفيذ قوانين الإسلام بتوسط الأئمّة المعصومين عليهم السلام وخلفائهم، وعلى هذا الأساس فإنّ الولاية هى أفضل وأسمى من الصلاة والصوم والحجّ والزكاة، الولاية هنا تعنى الحكومة الإسلامية والولاية التى انبثقت من غدير خم فى عملية نصب الإمام على عليه السلام والياً على المسلمين.

۲- الولاية ذات جهتين

۲- الولاية ذات جهتين وطبقاً للتفسير المذكور آنفاً فإنّ الولاية لها جهتان: فمن جهة يتكفّل الولى والإمام والقائد للُامّة الإسلامية هداية المسلمين ويجيب على أسئلتهم الدينية ويقوم بتحصين الامّة من الأخطار والمؤامرات التى يحيكها الأعداء ويتحرّك على مستوى إقرار

النظم والإنضباط فى المجتمع الإسلامى ويعيد حقوق المستضعفين والمظلومين ويجرى الحدود الإلهية ويقيم فريضة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۵۰ ومن جهة اخرى فإنّ الواجب على الناس هو السعى على مستوى الممارسة والنشاطات الفردية والإجتماعية لتجسيد أقوال وسلوكيات وأفكار ذلك الإمام والقائد ويتحركون فى خطاهم بموازاة خطوات الإمام وإلّا فلا يمكن إدعاء الولاية للأئمّة المعصومين بمجرد الكلام فى حين أن الإنسان يرتكب أنواع الذنوب والخطايا. والملفت للنظر أن رئيس جهاز الساواك فى حكومة الشاه قال لى يوماً حين التحقيق معى: «اننى أعشق الإمام على عليه السلام وأصرّح بحبّه وولايته ولكن إذا رأيت بعض الأشخاص الذين يخالفون الشاه فإنى مستعد أن أقتل مليون شخص من هؤلاء». فهل أنّ مثل هذه السلوكيات والأفكار تتناغم وتنسجم مع ولاية أميرالمؤمنين أو أنّها ولاية كاذبة وزائفة؟ أجل! فإنّ الولاية الحقيقية هى التى تعنى إنطباق جميع الأعمال والأقوال والأفكار على أعمال وأقوال وأفكار المعصومين عليهم السلام. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۵۱

آية الولاية

أبعاد البحث

الشرح والتفسير: علائم الولى «إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا». نحن نعلم أنّ كلمة «إنّما» تدلّ على الحصر، وعليه فإنّ وليكم أيّها المؤمنون هم الثلاثة المذكورون فى هذه الآية الشريفة لا غير، وهؤلاء الثلاثة عبارة عن: ۱- اللَّه عزّوجلّ. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۵۲ ۲- رسول اللَّه صلى الله عليه و آله. ۳- الذين آمنوا. وبالطبع ليس المراد جميع المؤمنين بل بعضهم الذى يتمتع بالشروط المذكورة فى نفس الآية. «الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَ هُمْ راكِعُونَ». فالطائفة الثالثة من أولياء اللَّه المؤمنين ليس هم جميع المؤمنين بل المؤمنين الذين يقيمون الصلاة أوّلًا، ويؤتون الزكاة ثانياً، وأن يكون إيتاء الزكاة فى حال الركوع ثالثاً. والنتيجة، هى أنّ ولى المؤمنين هم هؤلاء الثلاثة فقط: ۱- اللَّه عزّوجلّ ۲- النبى الأكرم صلى الله عليه و آله ۳- المؤمنون الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون. سؤال: ما هو المراد من «الذين آمنوا» فى هذه الآية؟ وما معنى الولى هنا؟ إن الآية الشريفة أعلاه تتضمن نقطتين مبهمتين: الاولى: ما هو المراد من كلمة «الولى» فى هذه الآية؟ حيث نعلم لكلمة الولى معانٍ مختلفة ولهذا يجب السعى لتشخيص المعنى المراد من هذه الكلمة فى هذه الآية. والآخر هو: ماالمراد بعبارة «الَّذِينَ آمَنُوا» والذين تتوفر فيهم الشروط الثلاثة المذكورة آنفاً؟ هل المراد بهؤلاء شخص معين، أو أىّ شخص تتوفر فيه هذه الصفات الثلاث؟ الجواب: هنا بالإمكان أن نسلك طريقين للجواب عن هذا السؤال كما تقدّم فيما سبق، ثمّ نجيب على بعض الأسئلة الاخرى الذى يطرحها بعض الأشخاص المتعصبين الذين أسدل حجاب التعصّب ستاراً على عقولهم ومنعهم من فهم العقائد الجلية.

الشرح والتفسير: علائم الولى

اشارة

الطريق الأوّل: تفسير الآية مع غض النظر عن الروايات الشريفة فى البداية نأتى لكلمة «ولى» ونبين المراد منها لأنه لو اتضح معنى هذه الكلمة فإن الكثير من المسائل والتعقيدات فى هذه المسألة سوف تجد لها طريقاً إلى الحلّ، فبعض آيات الولاية فى القرآن، ص: ۵۳ المفسّرين من أهل السنّة وبهدف إبعاد أذهان مخاطبيهم عن المعنى الواضح للآية الشريفة فإنّهم ذكروا معانٍ كثيرةٍ لهذه الكلمة وصلت إلى سبعة وعشرين معنى «۱» لكى يقول أن هذه الكلمة هى لفظ مشترك بين معان مختلفة ولا نعلم مراد اللَّه عزّوجلّ منها وأن أىّ معنى من هذه المعانى هو المقصود فى الآية الشريفة، إذن فإنّ هذه الآية مبهمة ولا تدلّ على شىء، ولكن عندما نراجع كتب اللغة وكلمات ونظريات اللغويين نرى أنهم لم يذكروا لمعنى الولى سوى اثنين أو ثلاث معان، وعليه فإن سائر المعانى المذكورة لهذه

الكلمـة تعود إلى هذه المعانى الثلاثة وهى: ۱- «ولى» بمعنى ناصـر والولاية بمعنى النصرة. ۲- «الولى» بمعنى القيّم وصاحب الإختيار. ۳- أنها تأتى بمعنى الصـديق والرفيق حتّى لو لم يؤد هـذا الإنسان حقّ النصـرة لرفيقه ولكن بما أنّ الصـديق فى دائرة الرفاقـة والصداقة ينهض لنصـرة صـديقه غالباً فإن المعنى الثالث يعود للمعنى الأوّل أيضاً، وعليه فإنّ كلمـة «ولى» فى نظر أرباب اللغة تطلق على معنيين، وسائر المعانى المذكورة لها تعود إلى هذين المعنيين.

الطريق الأوّل: تفسير الآية مع غض النظر عن الروايات الشريفة

اشارة

الطريق الأوّل: تفسـير الآية مع غض النظر عن الروايات الشـريفة فى البداية نأتى لكلمة «ولى» ونبين المراد منها لأنه لو اتضح معنى هذه الكلمـة فإن الكثير من المسائل والتعقيـدات فى هـذه المسألة سوف تجد لها طريقاً إلى الحلّ، فبعض آيات الولاية فى القرآن، ص: ۵۳ المفسّـرين من أهـل السـنّة وبهـدف إبعـاد أذهـان مخاطبيهم عن المعنى الواضـح للآيـة الشـريفة فإنّهم ذكروا معانٍ كثيرةٍ لهـذه الكلمة وصلت إلى سبعة وعشرين معنى «۱» لكى يقول أن هذه الكلمة هى لفظ مشترك بين معان مختلفة ولا نعلم مراد اللَّه عزّوجلّ منها وأن أىّ معنى من هذه المعانى هو المقصود فى الآية الشـريفة، إذن فإنّ هذه الآية مبهمة ولا تدلّ على شىء، ولكن عندما نراجع كتب اللغة وكلمـات ونظريـات اللغويين نرى أنهم لم يـذكروا لمعنى الولى سوى اثنين أو ثلاـث معـان، وعليه فـإن سائر المعانى المـذكورة لهـذه الكلمـة تعود إلى هذه المعانى الثلاثة وهى: ۱- «ولى» بمعنى ناصـر والولاية بمعنى النصرة. ۲- «الولى» بمعنى القيّم وصاحب الإختيار. ۳- أنها تأتى بمعنى الصـديق والرفيق حتّى لو لم يؤد هـذا الإنسان حقّ النصـرة لرفيقه ولكن بما أنّ الصـديق فى دائرة الرفاقـة والصداقة ينهض لنصـرة صـديقه غالباً فإن المعنى الثالث يعود للمعنى الأوّل أيضاً، وعليه فإنّ كلمـة «ولى» فى نظر أرباب اللغة تطلق على معنيين، وسائر المعانى المذكورة لها تعود إلى هذين المعنيين.

المراد من الولى فى الآية محل البحث

المراد من الولى فى الآيـة محـل البحث ونظراً لمـا تقـدّم آنفـاً فمـا هو المراد من كلمـة «ولى» فى آيـة الولايـة؟ هـل أنّ المراد منها هو الصـديق والناصـر؟ إنّ هذا المعنى يخالف أكثر موارد اسـتعمال هذه الكلمة فى جميع الآيات القرآنية. إذن فالإنصاف يدعونا إلى فهم الولى فى هـذه الآيـة بمعنى القيّم وصاحب اختيار لا بمعنى الصـديق والناصـر لأنّه: أوّلًا: كلمـة «إنّما» الواردة فى صـدر الآيـة تدلّ على الحصـر، أى حصـر الولى للمؤمنين بهؤلاء الثلاثـة لا غير، فى حين أنّه لو كان المراد من كلمـة الولى بمعنى الصـديق فلا معنى للحصـر حينئـذٍ، لأـنّ من الواضـح وجـود طوائف اخرى غير هـذه الطوائف الثلاثـة المـذكورة فى الآيـة يمكن أن يكونوا من أصـدقاء وأنصـار المؤمنين، مضافـاً إلى أنه لو كـان كلمـة «الولى» بمعنى الصـديق أو الناصـر فلاـ معنى لورود كل هـذه القيود لكلمـة «الّـذين آمنوا» بأن يشترط فيهم دفع الزكـاة فى حـال الركوع لأن جميع المؤمنين بل وغير المؤمنين من الـذين لا يصـلّون يمكنهم أن يكونوا من أصـدقاء المسـلمين، وعلى هذا الأساس فيستفاد من كلمة «إنّما» التى تدلّ على الحصـر وكذلك القيود العديدة لكلمة «الذين آمنوا» أنّ الولاية فى الآيـة الشـريفة آيات الولايـة فى القرآن، ص: ۵۶ لم تسـتعمل بمعنى الصـديق والناصـر بل بمعنى القيّم والقائـد وصاحب الإختيار، لـذلك يكون مراد الآيـة أن اللَّه تعـالى والنبى والمؤمنين الـذين تتوفر فيهم الشـروط المـذكورة فى الآيـة هم أوليـائكم والقيمّيين على اموركم. ثانياً: أن الآيـة ۵۶ من سورة المائـدة التى وردت بعـد الآيـة محل البحث أفضل قرينة وشاهد على المدّعى فإنّ اللَّه تعالى ذكر

فى هـذه الآيـة الشـريفة: «وَ مَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغالِبُونَ». الحزب هنا بمعنى جمع من الناس، ونصـرة الحزب بمعنى تفوّقه ونجاحه فى حركته السياسـية والإجتماعيـة، وعلى هذا الأساس فإنّ هذه الآيـة الشـريفة ترتبط بالآيـة التى قبلها وهى الآيـة محـل البحث، والظاهر أنّهما نزلتا سويـة فيسـتفاد منها أنّ الولايـة المـذكورة فيها هى الولايـة السياسـية فيكون معنى الآيـة هو: إنّ الأشـخاص الـذين يقبلون بحكومـة اللّه والنبىّ وحكومـة الذين آمنوا فإنّ هؤلاء الأشـخاص والطوائف هم الغالبون. والنتيجة هى أننا لو تـدبرنا وتعمقنا فى كلّ كلمـة من كلمات هـذه الآيـة الشـريفة مع غض النظر عن الروايات الكثيرة الواردة فى تفسـيرها يتضّـح جيداً أنّ الولى فى هـذه الآيـة جاء بمعنى الإمام والقائـد والقيّم، وكلّ من يقبل حكومـة اللّه والرسول والـذين آمنوا، الـذين تتوفر فيهم الشـرائط المذكورة فى الآية الشريفة هم الغالبون والمنتصرون.

مصداق «الّذين آمنوا» فى الآية الشريفة

مصداق «الّذين آمنوا» فى الآية الشـريفة لقد اتّضح فيما سـبق معنى كلمة «إنّما» و «ولى» ولكن مازال الإبهام يحيط بمعنى وتفسـير الآية الشـريفة لأنه لم يتضـح لحـد الآن المراد من عبارة «والـذين آمنوا» فى هـذه الآيـة. وللإجابة على هذا السؤال يجب القول بأنه ليس بين الرواة والمفسّـرين وعلماء الإسـلام من الشـيعة وأهل السـنّة إلا ويرى «الإمام علىّ» هو المصداق لهذه الآية الشـريفة، وعلى هذا الأساس فهـذه الآيـة تـدلّ بالإجماع واتفاق جميع علماء الإسـلام على أنّ الإمام على عليه السـلام هو المصـداق لهـذه الآية الشـريفة، ومن جهة اخرى فإنّ جملـة «والـذين آمنوا» لا تتحمّل سوى آيات الولاية فى القرآن، ص: ۵۷ مصـداق واحد وليس هذا المصداق سوى علىّ بن أبى طالب. والنتيجـة ممّا تقـدّم آنفاً هو أنه يسـتفاد من الآيـة الشـريفة ثلاثـة امور «بغضّ النظر عن الآيات وروايات المفسّـرين». ۱- إن كلمة «إنّما» تدلّ على الحصر والولاية هنا منحصرة فى ثلاث طوائف. ۲- إن هذه الولاية فى الآيات الشريفة وردت بمعنى القائد والقيّم وصـاحب الإختيـار كما فى أكثر موارد اسـتعمالها فى القرآن الكريم. ۳- إن مصـداق «الّـذين آمنوا» فى هـذه الآيـة هو الإمام علىّ عليه السلام بلا شك.

«ولى» فى استعمالات القرآن

«ولى» فى اسـتعمالات القرآن والآن نعود إلى القرآن الكريم لنرى موارد اسـتعمال هـذه الكلمـة فى الكتاب الكريم. إنّ كلمـة «ولى» و «أوليـاء» جاءت فى سـبعين مورداً فى القرآن الكريم وبمعان مختلفـة: ۱- نقرأ فى بعض الآيات الشـريفة أن كلمـة «ولى» جاءت بمعنى الناصـر والمعين كما فى الآية ۱۰۷ من سـورة البقرة حيث يقول تعـالى: «وَ مـا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَ لا نَصِيرٍ». ۲- وجاءت هذه الكلمـة فى آيات اخرى بمعنى المعبود كما فى الآية ۲۵۷ من سورة البقرة: آيات الولايـة فى القرآن، ص: ۵۴ «اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا ... وَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيـاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ). فكلمـة الولى فى هـذه الآيـة جـاءت بمعنى المعبود، فـالمعبود للمؤمنين هو اللّه عزّوجـلّ، ومعبود الكفّار هم الطواغيت والشـياطين والأهواء النفسانية. ۳- وجاءت هـذه الكلمـة فى القرآن الكريم بمعنى الهادى والمرشد أيضاً كما نقرأ فى آيـة ۱۷ من سورة الكهف: «وَ مَنْ يُضْـلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِداً». فنرى فى هذه الآية الشريفة أنّ كلمة «ولى» جاءت بمعنى الهادى والمرشد. ۴- وقد وردت هذه الكلمة فى كثير من الآيات الشـريفة بمعنى القيّم وصاحب الإختيار كما فى الآيات التالية: ألف) نقرأ فى الآية الشريفة ۲۸ من سورة الشورى قوله تعالى: «وَ هُوَ الَّذِى يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ ما قَنَطُوا وَ يَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَ هُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ». ب) ونقرأ الآية ۳۳ من سورة الإسراء فى حديثها عن الولاية التشريعية: «وَ مَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنا لِوَلِيِّهِ سُلْطاناً». فالولى فى هذه الآية جاء بمعنى القيّم وصـاحب الإختيـار لأـن حقّ القصـاص لم يرد فى الشـريعة لصـديق المقتول بـل لوارثه ووليه. ج) ونقرأ فى أطول آيـة من آيـات

القرآن الكريم وهى الآية ۲۸۲ من سورة البقرة وهى تتحدث عن كتابة وثيقة الدَين والقرض «۱» وتقول: «فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ». أى أن من كان الحقّ فى ذمته ولا يستطيع أن يملل على الكاتب فيجب أن يملل وليه نيابة عنه مع رعاية العدالة، ففى هذه الآية الشريفة وردت هذه الكلمة بمعنى القيّم وصاحب الإختيار. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۵۵ د) ونقرأ فى الآية ۳۴ من سورة الأنفال قوله تعالى: «وَ هُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ وَ ما كانُوا أَوْلِياءَهُ إِنْ أَوْلِياؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ». فالولى هنا بمعنى القيّم والمسؤول وصاحب الإختيار وإلّا فمن الواضح أنّ الكفّار والمشركين ليست لديهم أدنى علاقة وصداقة مع هذا المكان المقدّس. ه: ونقرأ فى الآية ۶ و ۵ من سورة مريم: «فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا* يَرِثُنِي وَ يَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ». ومن الواضح أنّ الورثة يرثون المال بعد موت الولى فلا تأتى هنا بمعنى الصديق والناصر. والنتيجة هى أن كلمة «الولى» استعملت فى الآيات الشريفة بمعان مختلفة ولكنّها وردت فى أكثر هذه الموارد بمعنى القيّم وصاحب الإختيار.

الطريق الثانى: تفسير الآية بلحاظ الروايات الشريفة

الطريق الثانى: تفسير الآية بلحاظ الروايات الشريفة ينقل المحدّث البحرانى فى «غاية المرام» أربع وعشرين حديثاً من منابع أهل السنّة، وتسعة عشر حديثاً من منابع الشيعة فتشكل بمجموعها ثلاثة وأربعين حديثاً، وعليه فإنّ الروايات الواردة فى شأن هذه الآية متواترة «۱»، ومضافاً إلى ذلك فإنّ العلّامة الأمينى أورد فى كتابه القيّم «الغدير» روايات من عشرين مصدراً من المصادر الروائية المعروفة لدى أهل السنّة تتحدّث فى شأن الآية الشريفة محل البحث من قبيل تفسير الطبرى، تفسير أسباب النزول، تفسير الفخرالرازى، التذكرة لسبط ابن الجوزى، الصواعق لابن حجر، نور الأبصار للشبلنجى، وكذلك تفسير ابن كثير وغيرها من المصادر المعتبرة لدى أهل السنّة، وأما رواة هذه الأحاديث فهم عشرة أشخاص من الصحابة المعروفين. ۱- ابن عباس، ۲- عمّار بن ياسر، ۳- جابر بن عبداللّه الأنصارى، ۴- أبوذرّ الغفارى «الذى نقل أدقّ وأطول رواية فى هذا المجال»، ۵- أنس بن مالك، ۶- عبداللّه ابن سلام، ۷- سلمة بن كهيل، ۸- عبداللّه بن غالب، ۹- عقبة بن حكيم، ۱۰- عبداللّه ابن أُبى. ومضافاً إلى ذلك فإنّه قد وردت روايات من الإمام على عليه السلام أيضاً فى شأن نزول هذه آيات الولاية فى القرآن، ص: ۵۸ الآية الشريفة وقد استدلّ بها الإمام علىّ كراراً. وأما مضمون الروايات أعلاه فهو أنه: كان الإمام على عليه السلام يوماً يصلى فى مسجد النبى، فدخل سائل إلى المسجد وطلب حاجته من المسلمين فلم يعطه أحد شيئاً «۱»، وكان الإمام فى حال الركوع فأشار للسائل إلى خاتمه فجاء وانتزع الخاتم من إصبع الإمام وخرج من المسجد، فنزلت حينئذٍ الآية الشريفة. وهذا المضمون للروايات الشريفة ورد فى أكثر من أربعين رواية من الروايات التى وردت فى شأن نزول الآية محل البحث، ونحن نقتصر هنا على استعراض ثلاث روايات منها، وهى ما أورده الفخر الرازى فى تفسيره: ۱- رَوى عَطا عن ابْنِ عَبّاسْ أَنها نَزَلَتْ فِي عَلِيِّ بْنِ أَبى طالِب «۲». ۲- روى أن عبداللّه بن سلام قال: لَمّا نَزَلَتْ هذِهِ الآيَةُ، قُلْتُ: يا رَسُولَ اللَّهِ أَنَا رَأَيْتُ عَلِيّاً تَصَدَّقَ بِخاتَمِهِ عَلى مُحْتاجٍ وَهُوَ راكِعٌ فَنَحْنُ نَتَوَلّاهُ «۳». ۳- وهى الرواية الأهم من بين الروايات فى هذا الباب وهى نقلًا عن أبى ذرّ الغفارى وهذه الرواية أوردها الفخر الرازى عن أبى ذرّ أنه قال: قالَ: صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه و آله يَوْماً صَلاةَ الظُّهْرِ، فَسَأَلَ سائِلٌ فِي الْمَسْجِدِ فَلَمْ يُعْطِهِ أَحَدٌ فَرَفَعَ السّائِلُ يَدَهُ إِلَى السَّماءِ وَقالَ: «اللّهُمَّ اشْهَدْ انِّى سَأَلْتُ فِي مَسْجِدِ الرَّسُولِ فَما أَعْطانِي أَحَدٌ شَيْئاً!» وَعَلِيٌّ كانَ راكِعاً، فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ بِخِنْصِرِهِ الْيُمْنى وَكانَ فِيها خاتَمٌ فَأَقْبَلَ السّائِلُ حَتّى أَخَذَ الْخاتَمَ بِمَرْأى النَّبِيُّ صلى الله عليه و آله فَقالَ صلى الله عليه و آله: اللّهُمَّ انَّ أَخِي مُوسى سأَلَكَ فَقالَ: «رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي* وَ يَسِّرْ لِي أَمْرِي* وَ احْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسانِي* يَفْقَهُوا قَوْلِي* وَ اجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي* هارُونَ أَخِي* اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي* وَ أَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي» «۴» فَأَنْزَلْتَ قُرْآناً ناطِقاً: «سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَ نَجْعَلُ لَكُما سُلْطاناً» «۵» اللّهُمَّ وَأَنَا مُحَمَّدٌ آيات الولاية فى القرآن، ص: ۵۹ نَبِيُّكَ وَصَفِيُّكَ فَاشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي وَاجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي، عَلِيّاً، اشْدُدْ بِهِ ظَهْرِي. قالَ أَبُو ذَر: فَوَاللَّهِ مَا أَتَمَّ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه و آله هذِهِ الْكَلِمَةَ حَتّى نَزَلَ جِبْرَئِيلُ، فَقالَ: يا مُحَمَّدُ: إِقْرَأْ «إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ ...». «۱» وبعد أن ينقل الفخرالرازى هذه الروايات الثلاثة يقول: إنّ جميع الروايات الواردة فى هذه المسألة هى

هذه الروايات الثلاثة فقط.

ملاحظتان

ملاحظتان ۱- إن رواية أبى ذرّ تشير إلى أنّ صدقة الإمام على عليه السلام فى حال الصلاة لم تكن صدقة عاديّة لمسكين من الناس بل أدّت إلى حفظ وجاهة وقدسيّة مسجد النبىّ الذى يعد مركز الإسلام والصحابة والمسلمين لأنّ المسكين عندما خرج من مسجد النبى لم يجد من يمدّ له يد العون، ولهذا اشتكى إلى اللّه من ذلك، فعليه فإنّ صدقة الإمام فى حالة الركوع مضافاً إلى أنها رفعت حاجة السائل فإنّها أدّت إلى حفظ اعتبار مسجد النبى صلى الله عليه و آله وقداسته وحرمة أصحاب النبى الأكرم صلى الله عليه و آله أيضاً. ۲- إنّ ادعاء الفخرالرازى المبنى على أنّ مجموع الروايات الواردة فى هذا الباب ليس بأكثر من ثلاث روايات هو كلام بلا أساس لأنّه كما تقدّم آنفاً أن الوارد من الروايات فى هذا الباب أكثر من أربعين رواية، والملفت للنظر أنّ أكثر هذه الروايات وردت فى كتب ومصادر أهل السنّة ولكنّ التعصّب والعناد إذا أخذ بناصية الإنسان أدّى إلى أن ينطق بكلمات غير مسؤولة وغيرمتوقعة رغم كونه علّامة كبير مثل الفخر الرازى، مضافاً إلى أنه يمكننا أن ندّعى أنّه إذا قد وصلت لنا أكثر من أربعين رواية فى شأن نزول الآية محل البحث فإنّ هناك عدد أكثر من هذا قد اختفى فى طيّات التاريخ ولم يصل إلينا وخاصّة فى فترة الحكم الاموى الذى كان بنوامية يتحركون بصراحة وشدّة فى حذف فضائل ومناقب أهل البيت عليهم السلام وطمس معالمها فلم يتجرأ أحد على بيان هذه الفضائل ونشرها. وكم من الأشخاص الذين لم يكونوا يمتلكون الجرأة على بيان فضائل ومناقب آيات الولاية فى القرآن، ص: ۶۰ أميرالمؤمنين عليه السلام وذهبت تلك الفضائل معهم إلى القبر!! إنّ أجواء الإرهاب كانت إلى درجة من الشدّة بحيث إن من يذكر فضيلة واحدة لأهل البيت كان يتعرض للعقاب الشديد بل لو أنّ أحداً سمّى ابنه عليّاً كان يتعرض للعقاب أيضاً. ومع هذه الظروف الصعبة فعندما تصل إلينا أربعين رواية فيمكن أن نحدس أنّ أضعاف هذا المقدار قد تلف فى طيّات التاريخ. والنتيجة هى أنه مع الأخذ بنظر الإعتبار كثرة الروايات التى تصل إلى حدّ التواتر وقد أوردنا بعضها بالتفصيل فلا يبقى شكّ أن الآية الشريفة «إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللَّهُ» نزلت فى شأن أميرالمؤمنين وأنه عليه السلام هو الولى بعد اللّه ورسوله.

شبهات واشكالات

اشارة

شبهات واشكالات وعلى الرغم من وضوح دلالة الآية الشريفة على ولاية أميرالمؤمنين فإنّ بعض العلماء قد ذكر بعض الشبهات والإشكالات حول دلالة هذه الآية، وفى الواقع فإنّ الكثير من هذه الإشكالات ليست سوى ذرائع وحجج واهية «۱». وعلى سبيل المثال:

الإشكال الأوّل: كلمة إنّما لا تدلّ على الحصر

الإشكال الأوّل: كلمة إنّما لا تدلّ على الحصر رأينا فى عملية الإستدلال بالآية أعلاه أنها تقوم على ثلاث دعائم: أحدها أن كلمة «إنّما» فى الآية الشريفة تدلّ على الحصر وأنّها تحصر الولاية بثلاث موارد، وعليه فإنّ آيات الولاية فى القرآن، ص: ۶۱ الولاية مورد البحث لا تثبت لغيرهم. ولكنّ بعض المفسّرين من أهل السنّة قالوا بأنّ «إنّما» فى الآية لا تدلّ على الحصر لأن فى القرآن آية اخرى أيضاً وردت فيها كلمة «إنّما» وليس لها دلالة على الحصر. وهى الآية الشريفة ۲۰ من سورة الحديد حيث يقول اللّه تعالى: «اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَياةُ الدُّنْيا لَعِبٌ وَ لَهْوٌ وَ زِينَةٌ وَ تَفاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَ تَكاثُرٌ فِي الْأَمْوالِ وَ الْأَوْلادِ ...». فهنا نرى أنّ كلمة «أنّما» فى الآية أعلاه لا تدلّ على الحصر لأننا نعلم أن الحياة الدنيا لا تنحصر فى هذه الموارد المذكورة فى الآية الشريفة بل تشمل لذّات اخرى وعبادات ونشاطات

وتحصيل علم وغير ذلك من الامور، وعليه فكما أنّ كلمة «أنّما» فى هذه الآية لا تدلّ على الحصر فكذلك فى آية الولاية لا تدلّ على الحصر، فالإستدلال بهذه الآية على المطلوب ناقص. الجواب: هذا الإشكال من جملة الإشكالات الواهية التى لا تقوم على أساسٍ متين لأننا نعتقد بأنه: أوّلًا: إنّ كلمة «إنّما» فى هذه الآية أيضاً وردت بمعنى الحصر، فالدنيا فى نظر الإنسان المؤمن والعارف ليست فى حقيقتها سوى اللهو واللعب وأمثال ذلك، وقد يتصور الإنسان المتورط فى حبائل الدنيا اموراً اخرى فى هذه الدنيا ولكن لو نظر بعين الحقيقة لرأى أنّ جميع أشكال الحكومات والمقامات الدنيوية والقصور الفخمة وأمثالها من مظاهر الدنيا ليست سوى لهو ولعب حيث يلهو بها أبناء الدنيا. ثانياً: وعلى فرض أنّ كلمة «إنما» هنا لم ترد فى معناها الحقيقى فهذا لا يدلّ على أنّ الموارد الاخرى فى استعمال هذه الكلمة تحمل على غير معناها الحقيقى. والنتيجة هى أنّ كلمة «إنّما» الواردة فى الآية الشريفة تدلّ على الحصر بلا شكّ والإستدلال بهذه الآية كامل.

الإشكال الثانى: إعطاء الخاتم فعل كثير مبطل للصلاة

الإشكال الثانى: إعطاء الخاتم فعل كثير مبطل للصلاة آيات الولاية فى القرآن، ص: ۶۲ أمّا الإشكال الثانى الذى ذكره بعض المفسّرين من أهل السنّة فهو أننا سلّمنا أن الآية الشريفة نزلت فى شأن الإمام علىّ عليه السلام ولكن القيام بهذا الفعل من قبل علىّ بن أبى طالب فى الصلاة «إنّما هو فعل كثير» والفعل الكثير يؤدى إلى بطلان الصلاة فهل يعقل أن الإمام على عليه السلام يتصرف فى صلاته بما يؤدى إلى بطلان الصلاة. الجواب: أوّلًا: إن فعل الكثير كما هو الظاهر من هذه الكلمة يطلق على أداء أعمال كثيرة لا ربط لها بالصلاة بحيث تهدم هيئة الصلاة للمصلّى كأن يقوم شخص فى أثناء الصلاة وبسبب سماعه لخبر مفرح بالتصفيق والقفز ويمتلكه الهياج وأمثال ذلك، وأما أن يشير إلى السائل والمسكين ليأخذ خاتمه من يده بحيث إنّ الإمام نفسه لم يخرج الخاتم من يده، فهل يقع ذلك فى دائرة «الفعل الكثير» «۱»؟ كيف يكون مثل هذا العمل فعلًا كثيراً فى حين أنّ الروايات الشريفة تبيح للمصلّى بأن يغسل أنفه فيما لو خرج الدم منه بالماء فى أثناء الصلاة ويستمر فى صلاته؟ ولو أنه واجه حيواناً خطراً على مقربة منه جاز له قتله والاستمرار فى الصلاة. هل هذه الأفعال ليست بأفعال كثيرة ولكن الإشارة هى فعل كثير؟ ثانياً: إنّ أمثال هذه الحجج والمعاذير ترد على اللَّه أيضاً لأن اللَّه تعالى مدح الإمام علىّ عليه السلام فى هذه الآية على عمله، فلو كان ذلك العمل باعثاً على بطلان الصلاة فهل أن اللَّه تعالى يمدحه ويثنى عليه وينزل فى حقّه آية من القرآن؟! النتيجة هى أن هذا الإشكال بمثابة ذريعة وتبرير نابع من التعصّب واللجاجة لا أكثر.

الإشكال الثالث: الخاتم الثمين

الإشكال الثالث: الخاتم الثمين طبقاً لبعض الروايات أن ذلك الخاتم كان ثميناً جداً حتّى أنه ورد أن ثمنه يعادل خراج منطقة بكاملها مثل الشام، ألا يعتبر تملك مثل هذا الخاتم الثمين من قبل علىّ بن أبى طالب من الإسراف المحرّم؟ آيات الولاية فى القرآن، ص: ۶۳ أمّا جواب هذه الشبهة فواضح لأنه: أوّلًا: لم يرد هذا المطلب فى أيّة رواية معتبرة بل الظاهر أن الخاتم المذكور لم يكن سوى خاتماً عادياً لأنه لم يتم للمسلمين فى ذلك الزمان فتح ايران والشام وأمثال ذلك ولم تصل مثل هذه الثروات الكبيرة إلى أيدى المسلمين بل الفتوحات المذكورة حدثت بعد رحلة الرسول وفى عصر الخلفاء، مضافاً إلى أن الإمام على عليه السلام الذى كان طعامه فى أيّام حكومته وخلافته بسيطاً إلى درجة أنه لا يأكل سوى من ادام واحد والغالب انه كان يكتفى بقرص الشعير ويلبس الثياب البسيطة من الكرباس والليف فكيف يعقل أن يمتلك مثل هذا الخاتم الثمين؟! وعلى هذا الأساس فلا شكّ فى ضعف الرواية التى لا تنسجم مع روايات الباب ولا مع سيرة الإمام على عليه السلام ولا تتناغم مع أجواء تاريخ النزول، ولذلك فانها قد وضعت تحت ظروف خاصّة. ثانياً: كيف يعقل أن يمتلك الإمام على مثل هذا الخاتم الثمين بحيث يدخل فى باب الإسراف المحرم ثمّ يتصدّق به فى سبيل اللَّه

وينال الثناء الإلهى؟ وعليه فإنّ المستفاد مما ورد من المدح والثناء فى هذه الآية الشريفة على هذا العمل كذب هذه الرواية وزيفها وأنها وضعت لتحقيق أغراض معيّنة.

الإشكال الرابع: إنّ هذا العمل لا ينسجم مع حضور القلب

الإشكال الرابع: إنّ هذا العمل لا ينسجم مع حضور القلب بما أن الإمام على عليه السلام كان عندما يصلّى خاصّة يتوجه إلى اللَّه تعالى بكلّ قلبه ويغرق فى صفات جلاله وجماله ولا يكون له التفاتٌ إلى غيره أبداً بحيث إنهم كانوا يخرجون السهام من بدنه الشريف فى حال الصلاة «۱» ولم يكن يتسنى لهم ذلك فى الحالات العادية لصعوبته وشدّة ألمه، فمثل هذا الإنسان العارف والمتعلق باللَّه تعالى إلى هذه الدرجة كيف يلتفت أثناء الصلاة إلى كلام السائل ويتصدّق عليه فى حال الركوع بالخاتم؟ والخلاصة أن هذه المسألة آيات الولاية فى القرآن، ص: ۶۴ تتنافى مع حضور القلب فى الصلاة لأميرالمؤمنين عليه السلام. الجواب: أوّلًا: إن السائل بعد أن تملكه اليأس من الحصول على مساعدة الأصحاب توجه إلى اللَّه تعالى بالشكاية وشرع بالقول «اللّهُمَّ أشهد ....» وعليه فإنّ هذا الكلام وذكر اسم اللَّه ألفت نظر الإمام علىّ إلى وجود السائل، وهذا لا يتقاطع مع حضور قلبه واستغراقه فى عالم العبودية فى الصلاة. مضافاً إلى ذلك ألا يعقل أن يسمع المأموم فى صلاة الجماعة صوت المكبر أو صوت الإمام ليتابعه فى أعمال الصلاة؟ إذا لم يكن يسمع ذلك فكيف يمكنه الاقتداء به فى الصلاة؟ وإذا كان يسمع فهل يعنى هذا أن حضور القلب غير ممكن فى كلّ صلاة جماعة؟ ثانياً: هل أن سماع صوت السائل الذى ورد التعبير عنه فى الرواية الشريفة بأنه رسول من اللَّه فيه إشكال؟ إن سماع صوت الرسول الإلهى كيف يتقاطع مع حضور القلب فى الصلاة؟ «۱» ثالثاً: ألا يكون سماع صوت المظلوم وحل مشكلته حتّى فى أثناء الصلاة من العبادة؟ «۲» فلو كان هذا العمل عبادة فالإمام علىّ عليه السلام قد يستغرق فى هذه العبادة ويأتى بها من دون أن يكون هناك إشكال فى البين بل هى عبادة ضمن عبادة. أمّا ما يمكن أن يكون محل إشكال هو التوجّه إلى النفس والذات الفردية أثناء العبادة والصلاة، وأمّا التوجّه إلى المظلوم وقضاء حاجته الذى يعد فى نفسه عبادة فلا إشكال فيه. والنتيجة هى أن هذا الإشكال مردود أيضاً، وفى الحقيقة أن هدف المغرضين من طرح هذا الإشكال والإشكالات الاخرى هو تهميش هذا العمل وتضعيف دلالة الآية الشريفة آيات الولاية فى القرآن، ص: ۶۵ على ولاية أميرالمؤمنين عليه السلام.

الإشكال الخامس: لماذا تعود الضمائر فى الآية إلى الجمع؟

الإشكال الخامس: لماذا تعود الضمائر فى الآية إلى الجمع؟ وكما تقدّم فى الآية الشريفة أنها تقرر الولاية لثلاث طوائف، وفى الثالثة تعود الضمائر فى الأفعال واسم الموصول إلى الجمع كما فى قوله: ۱- الَّذين ۲- آمنوا ۳- الّذين ۴- يقيمون ۵- يؤتون ۶- هم ۷- راكعون. فالكلمات السبعة المذكورة فى الآية تتناسب مع الجمع، ومعنى هذه الكلمات هى أن هناك أشخاصاً متعددين قد تصدّقوا على الفقير فى حال الركوع فى حين أن جميع الروايات تذكر الإمام علىّ عليه السلام فقط كمصداق للآية الشريفة حيث تصدّق بخاتمه على الفقير فى حال الركوع وبالالتفات إلى هذا المطلب فهل هناك روايات اخرى وردت فى شأن نزول الآية الشريفة تتناغم مع أجواء الآية؟ ومن الواضح أنه لو كان هناك اختلاف وتباين بين الآية الشريفة والروايات التى تتحدّث فى شأن نزولها فلابدّ من الإعراض عن الرواية أو الروايات والعمل بمضمون الآية الشريفة. إذن فالتعارض المذكور بين الآية الشريفة والروايات المذكورة يتسبب فى عدم اعتبار هذه الروايات. الجواب: إنّ العلماء والمفسّرين من أهل السنّة قد أجابوا على هذا الإشكال فالفخر الرازى يقول فى الجواب على هذا السؤال: «إنّ الجمع يطلق أحياناً على المفرد للاحترام وعلى سبيل التعظيم والآية مورد البحث من هذا القبيل» «۱». ويذكر الآلوسى فى روح المعانى جواباً آخر ويقول: «قد يستعمل الجمع فى المفرد لبيان عظمة الشخص تارة، ولبيان عظمة العمل

اخرى، وهذا مشهور فى لغة العرب ولكن بما أن هذا الإستعمال على سبيل المجاز فيحتاج إلى قرينة» «۲». وأمّا جوابنا على هذا السؤال فهو: آيات الولاية فى القرآن، ص: ۶۶ أوّلًا: أنه كما رأينا أن استعمال صيغة الجمع بدل المفرد قد يكون متداولًا لبيان احترام المخاطب وبيان عظمته، وفى الآية مورد البحث قد ورد مثل هذا الإستعمال فى سياقها والقرينة على مجازية هذا الإستعمال الوارد فى الآية هو أن أىّ واحد من العلماء حتّى المتعصبين من أهل السنّة لا يرون غير الإمام على عليه السلام مصداقاً لها والذى تصدّق بخاتمه فى حال الركوع، وهذا هو أفضل قرينة على استعمال لفظ الجمع فى مورد المفرد. ثانياً: هناك موارد كثيرة وردت فى القرآن الكريم واستعملت فيها صيغة الجمع للمفرد، وكمثال على ذلك نكتفى بذكر سبعة موارد منها: ۱- نقرأ فى الآية ۲۱۵ من سورة البقرة قوله تعالى: «يَسْئَلُونَكَ ما ذا يُنْفِقُونَ قُلْ ما أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوالِدَيْنِ وَ الْأَقْرَبِينَ وَ الْيَتامى وَ الْمَساكِينِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ وَ ما تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ». ففى هذه الآية الشريفة وردت جملة «يسألونك، ينفقون، انفقتم وما تفعلوا» بصورة الجمع، وفى البداية يظهر من الآية أن جماعة من المسلمين طرحوا السؤال المذكور ولكن طبقاً لشأن نزول الآية فلم يكن السائل سوى شخص واحد واسمه «عمرو بن جموح» «۱» الذى كان رجلًا ثرياً، وعليه ففى هذه الآية الشريفة ورد لفظ الجمع واستعمل فى المفرد إما على أساس بيان عظمة هذا العمل وهو الانفاق أو بيان الاحترام للسائل وهو عمرو بن جموح. ملاحظة: إنّ الموضوع الملفت للنظر فى هذه الآية الشريفة هو أن اللّه تعالى فى مقام جوابه على سؤال عمرو بن جموح ذكر مطلباً آخر لأن عمرو سأل عن نوع المال الذى يجب انفاقه، واللّه تعالى تحدّث عن الأشخاص الذين يجب الإنفاق عليهم، فعليه فمثل هذا الجواب يبين أهمية مصرف الإنفاق وأن الإنسان يجب أن يهتم بالدرجة الاولى بأبيه وامّه وأقربائه ثمّ يتوجّه إلى الآخرين فى عملية الإنفاق. ۲- يقول سبحان وتعالى فى الآية ۲۷۴ من سورة البقرة: «الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَ النَّهارِ سِرًّا وَ عَلانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ لا- آيات الولاية فى القرآن، ص: ۶۷ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا- هُمْ يَحْزَنُونَ». ففى هذه الآية الشريفة نقرأ عبارات من قبيل «الّذين، ينفقون، أموالهم، فلهم، أجرهم، ربّهم، عليهم، هم، يحزنون» فكلّها جاءت بصيغة الجمع ولكنّ الكثير من المفسّرين قالوا بأن المراد منها هو الإمام على بن أبى طالب عليه السلام الذى كان ينفق بالليل والنهار وسرّاً وعلانيةً، وطبقاً لرواية واردة فى هذا المجال أن الإمام كان يمتلك أربعة دراهم فتصدّق بأحدها ليلًا وبالآخر نهاراً وبالثالث علانية وبالرابع سرّاً فنزلت الآية أعلاها لتشير إلى شأن هذا الإنفاق «۱». سؤال: هل يعقل أن تنزل آية قرآنية على بعض الأعمال الجزئية من قبيل إنفاق أربعة دراهم؟ الجواب: إنّ المهم فى نظر الإسلام هو كيفية العمل لا مقداره، وعليه فإذا كان العمل قد أتى به المكلّف بإخلاص بالغ فيمكن أن تنزل آية قرآنية حتّى على إنفاق أقل من أربعة دراهم ولو أن شخصاً أنفق جبلًا من ذهب ولكن لم يكن يتزامن مع الإخلاص والتوجّه القلبى إلى اللّه تعالى فليس له أية قيمة ولا تنزل فى حقّه آية شريفة. ۳- ونقرأ فى الآية ۱۷۳ من سورة آل عمران: «الَّذِينَ قالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزادَهُمْ إِيماناً وَ قالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَ نِعْمَ الْوَكِيلُ». هذه الآية الشريفة نزلت فى حرب احد عندما تخلّف بعض المسلمين عن امتثال أمر رسول اللّه صلى الله عليه و آله وتركوا مواقعهم واشتغلوا بجمع الغنائم الحربية فاستفاد الأعداء من هذه الفرصة ومن غفلة المسلمين وداروا حول جبل احد وهجموا على المسلمين من ورائهم وحقّقوا نصراً كبيراً على المسلمين وقتلوا سبعين مسلماً فى تلك الواقعة. إن الكفّار والمشركين لم يقنعوا بهذا النصر على المسلمين فعندما كانوا يعودون إلى مكّة قال أحدهم: نحن الذين حقّقنا هذا النصر فلماذا لم نقتل محمّداً لنختم على هذه الدعوة آيات الولاية فى القرآن، ص: ۶۸ الجديدة ونقلعها من جذورها؟ فإذا لم نفعل ذلك فى هذا اليوم فالإسلام والمسلمين سوف يزدادون قوّة ويتفوّقون علينا فى المستقبل. وقد أثر كلامه هذا فى أفراد جيش المشركين وعزموا على العودة إلى المسلمين وقتالهم، ولكن كان بينهم شخص يدعى «نعيم بن مسعود» أو «معبد الخزاعى» الذى لم يقبل باستمرار القتال وقبل أن يصل الكفّار إلى المسلمين أخبر هذا الشخص المسلمين بعزم الكفّار وتصميمهم على القتال فخاف من ذلك بعض المسلمين واصابهم الرعب وقالوا: إننا قد خسرنا المعركة وكنّا أقوياء وسالمين ولكن الآن وبعد الهزيمة وكثرة القتلى والمجروحين كيف يمكننا الوقوف أمام جيش الكفّار، ولكن بعضاً آخر من المسلمين قالوا: «نحن لسنا على استعداد فقط لقتالهم بل سوف نذهب إليهم ونتحرك لقتالهم مع المجروحين من جيش الإسلام،

فعندما فهم الأعداء ذلك وأن المسلمين توجّهوا إليهم مع المجروحين منهم دبّ فى قلوبهم الخوف والرعب وقنعوا بذلك المقدار من النصر وانصرفوا عن قتال المسلمين مرّة اخرى. الآية الشريفة أعلاها تتحدّث عن هذه الواقعة وتعبّر عن «نعيم ابن مسعود» أو «معبد الخزاعى» الذى أبلغ المسلمين بعزم الكفّار بكلمة «الناس» فى حين انه لم يكن سوى نفر واحد ولكن بما أن عمله هذا كان عظيماً للغاية، فلأجل بيان أهمية هذا العمل ذكرت الآية الشريفة كلمة الجمع بدل المفرد. ۴- يقول تعالى فى الآية ۶۱ من سورة آل عمران: «فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ ما جاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعالَوْا نَدْعُ أَبْناءَنا وَ أَبْناءَكُمْ وَ نِساءَنا وَ نِساءَكُمْ وَ أَنْفُسَنا وَ أَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكاذِبِينَ». هذه الآية الشريفة نزلت فى واقعة المباهلة، ففى هذه الواقعة كما هو معروف لدى الجميع أن النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله جاء مع علىّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام لميدان المباهلة، والمراد من «أبْنائنا» فى الآية الشريفة هم الحسن والحسين عليهما السلام والمراد من «نِسائنا» فاطمة الزهراء عليها السلام والمراد من «أَنْفُسَنا» علىّ بن أبى طالب عليه السلام. وهكذا ترى أنها كلمات وردت آيات الولاية فى القرآن، ص: ۶۹ بصيغة الجمع واريد بها المفرد «۱». ۵- ونقرأ فى أول آية من سورة الممتحنة قوله تعالى: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّى وَ عَدُوَّكُمْ أَوْلِياءَ ...». ذكر الكثير من المفسّرين أن هذه الآية الشريفة نزلت فى «حاطب ابن أبى بلتعة» وكان رجلًا واحداً واستعملت فى حقّه صيغة الجمع «الّذين، آمنوا، لا تتّخذوا، عدوّكم» وهذا يدلّ على العمل العظيم الذى أراد القيام به، وهو أن رسول اللّه صلى الله عليه و آله عندما عزم على فتح مكّة قام بسد المنافذ والطرق المؤدية إلى مكّة لكى لا يصل خبر تجهيز جيش المسلمين إلى الكفّار والمشركين فى مكّة ليتم الفتح بسهولة ويسر ومن دون إراقة دماء ولكن (حاطب) الذى كان يمتلك بعض المال والثروة فى مكّة قال فى نفسه: إننى لو أخبرت أهل مكّة عن استعداد جيش المسلمين لقتالهم فأضمن سلامة أموالى وأتمكن من إخراجها من أيدى المشركين وكما يقول السياسيون فى عصرنا الحاضر: «أربح امتيازاً». ولهذا كتب رسالته بهذا الغرض إلى رؤساء مكّة وسلّمها لأمرأة تدعى «سارة» لتوصلها إلى مكّة فاخفت الرسالة فى طيات شعرها وتوجهت إلى مكّة. فنزل جبرئيل وأخبر النبى صلى الله عليه و آله بالمؤامرة المذكورة فارسل الإمام علىّ عليه السلام وبعض الأشخاص لكشف هذه المؤامرة، فتوجّهوا نحو المرأة المذكورة وأخيراً استطاعوا أن يكتشفوا الرسالة ويعودوا إلى المدينة، وهنا نزلت الآية الشريفة فى توبيخ حاطب وقال بعض الأصحاب: دعنا نقتل حاطب ولكن النبى صلى الله عليه و آله الذى رأى حالة الندم على حاطب وكان من المجاهدين سابقاً واشترك فى حرب بدر عفى عنه وأطلقه «۲». ففى هذه الآية نرى أيضاً أن «حاطب» رجل واحد ولكنّ الآية وردت بصيغة الجمع. ۶- نقرأ فى الآية ۵۲ من سورة المائدة: آيات الولاية فى القرآن، ص: ۷۰ «فَتَرَى الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشى أَنْ تُصِيبَنا دائِرَةٌ ...». حيث أمر النبى الأكرم صلى الله عليه و آله المسلمين بقطع علاقاتهم وروابطهم مع الكفّار والمشركين ولكن أحد المنافقين وهو «عبداللّه بن ابى» قال: إذا قطعنا العلاقة معهم فإنّ حياتنا ومعيشتنا ستتعرض للاهتزاز والإرتباك ونصاب بمشكلات عديدة، فنزلت الآية المذكورة فى شأن هذا المنافق «۱». وهكذا نرى أن الشخص الذى كان يتحدّث عن ضرورة إبقاء الرابطة مع الكفّار والمشركين شخص واحد، ولكن الآية الشريفة وردت بصيغة الجمع «الّذين، قلوبهم، يسارعون، يقولون، نخشى وتصيبنا» وهذا يعنى أن استخدام صيغة الجمع فى حقّ المفرد لا بأس به. ۷- ويقول تبارك وتعالى فى الآية ۸ من سورة المنافقين: «يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَ لِلَّهِ الْعِزَّةُ وَ لِرَسُولِهِ وَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ لكِنَّ الْمُنافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ». الآية أعلاها نزلت بعد غزوة بنى المصطلق فى السنة السادسة للهجرة فى منطقة «قديد» وكان هناك اختلاف بين أحد المهاجرين وأحد الأنصار فما كان زعيم المنافقين «عبداللّه بن ابى» إلّاأن قال: أوقد فعلوها؟ قد كاثرونا فى بلادنا، أما واللّه لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعزّ منها الأذل «۲». وهكذا نرى أن القائل لم يكن سوى رجلًا واحداً ولكن الآية تحدّثت عنه بصيغة الجمع «يقولون، رجعنا». والنتيجة هى أن القرآن الكريم أورد فى هذه الآيات السبعة المذكورة آنفاً وفى آيات اخرى أيضاً صيغة الجمع بدل المفرد، وهذا يدلّ على أن مثل هذا الإستعمال شائع فى أجواء الآيات القرآنية. وعلى هذا الأساس فإنّ آية الولاية إذا ذكرت صيغة الجمع فى حقّ المفرد وهو «علىّ بن آيات الولاية فى القرآن، ص: ۷۱ أبى طالب» الذى تصدّق فى ركوعه فلا يوجد محذور فى مثل هذا الإستعمال بل يدلُّ على

عظمة هذا العمل الذى قام به الإمام على عليه السلام.

الإشكال السادس: ماذا تعنى ولاية الإمام علىّ عليه السلام فى حياة النبى صلى الله عليه و آله؟

الإشكال السادس: ماذا تعنى ولاية الإمام علىّ عليه السلام فى حياة النبى صلى الله عليه و آله؟ الإشكال الآخر الذى أورده الفخر الرازى وآخرون هو: «أنا لو حملنا الولايـة على التصـرف والإمامـة لما كان المؤمنون المـذكورون فى الآية موصوفين بالولاية حال نزول الآية، لأن على بن أبى طالب كرم اللّه وجهه ما كان نافذ التصـرف حال حياة الرسول، والآية تقتضـى كون هؤلاء المؤمنين موصوفين بالولاية فى الحال. أما لو حملنا الولاية على المحبة والنصرة كانت الولاية حاصلة فى الحال، فثبت أن حمل الولاية على المحبة أولى من حملها على التصرف» «۱». الجواب: وجواب هـذا الإشـكال واضح لأن ولاية الولى والوصـى والخليفة تكون بالقوّة لا بالفعل، وأساساً فإنّ هذا المطلب موجود ضـمن سـياق الآية الشريفة حيث إنّ زكريّا الذى طلب من اللّه تعالى الولى والوارث واستجاب اللّه تعالى لطلبه وأعطاه يحيى «۲» فهل أنّ يحيى كان وارثاً ووليا لأبيه فى حياة زكريا أو أن ذلك تحقّق له بعد وفاة الأب؟ من الواضح أن هذه الامور تحققت له بعد وفاة أبيه. وهذه المسألة سائدة فى العرف وسـيرة العقلاء، فمن يكتب وصـية ويعين وصياً له فهل أن هذا الوصى له ولاية واختيار قبل وفاة صاحب الوصـية أو أن هذه الوصـية تتعلق بما بعد الوفاة؟ الفخر الرازى كان قد كتب وصـيته حتماً وقد عيّن وصـياً له، فهل أن ذلك الوصـى وهـذه الوصـية كانت فعلية فى زمن حياته أو بعد مماته؟ وأكثر من ذلك فإنّ جميع القادة والزعماء والملوك فى العالم يتحركـون فى أواخر حيـاتهم لتعيين خليفـة لهم، ولكنّ هؤلاء الخلفـاء لهم لم يكونـوا أصـحاب قـدرة فعليـة فى حيـاة هؤلاء الملوك والزعماء بل كانت قـدرتهم ومسؤولياتهم تتحقق لهم بعـد وفاة القائـد الفعلى. وعلى هـذا الأساس فإن الولايـة فى الآية الشـريفة جاءت بمعنى القيّم وصاحب الإختيار آيات الولايـة فى القرآن، ص: ۷۲ وإمام الامّـة ولكن جميع هذه المعانى لا تكون فعلية للإمام علىّ عليه السـلام إلّابعد رحيل الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله. مضافاً إلى ذلك فإنّ مسألة تعيين الخليفة لا تختص بهذه الآية الشريفة بل إنّ النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله وطيلة زمن نبوته ۲۳ سنة كان يذكر مسألة الوصية بالخلافة للإمام على عليه السلام دائماً، وأوّل مورد لـذلك هو ما ورد فى حـديث يوم الدار، وذلك عندما تحرك النبى الأكرم صـلى الله عليه و آله بعد ثلاثة سـنوات من الدعوة السـرية إلى الإعلان والإجهار بإبلاغ الرسالة وفى أوّل خطوة لذلك جمع قادة قريش ودعاهم إلى ضيافته وبعد أن انتهوا من تناول الطعام طرح مسألـة النبـوّة والرسالـة وقـال لهم فى آخر المطـاف: أَيُّكُمْ يُوازِرُنِى عَلى هـذَا الْـامْرِ. فلم يكن يجيب بالإيجـاب على هـذا الطلب سوى أميرالمؤمنين عليه السـلام، فمـا كان من رسول اللّه إلّا أن قال له فى ذلك المجلس: «انْتَ وَصِـيّى». فى حين أن النبى الأكرم كان على قيـد الحياة، وماذا يصـنع بالوصـى والخلافـة فى ذلك الوقت؟ النتيجـة أن الجواب على مثل هـذه الإشـكالات والشـبهات واضـح، وفى الحقيقة أنها لا تعدو سوى حجج وتبريرات غير منطقية وبعيدة عن خط الحقّ والإنصاف.

الإشكال السابع: ما هو المراد من الزكاة؟

الإشـكال السـابع: مـا هو المراد من الزكاة؟ رأينا أنّ البعض أورد حجـج وشـبهات مختلفـة حول دلالـة آيـة الولايـة بحيث أنهم ذكروا شبهـات لكـلّ كلمـة من كلمـات الآيـة محـل البحث من قبيـل «إنّمـا»، «وليّ»، «راكعون»، «الزكـاة» فكلّهـا وردت فى حقهـا إشـكالات وشبهات. ويتساءل الفخرالرازى وآخرون: ما المراد من الزكاة فى هذه الآية الشريفة؟ هل المقصود الزكاة المستحبة أو الواجبة. ومعلوم أنه ليست لـدينا زكاة مسـتحبة، وعليه فإنّ المراد من الزكاة هنا هو الزكاة الواجبـة، وإذا كان كـذلك وقلنا بأن الآيـة الشـريفة نزلت فى آيات الولاية فى القرآن، ص: ۷۳ علىّ ابن أبى طالب عليه السـلام سـنقع فى تناقض لأنّ الإمام على لم يكن من حيث التمكّن المادى والاقتصادى بحيث تجب عليه الزكاة وتتعلق الزكاة الواجبـة فى أمواله لأنه طبقاً لما ورد فى شأن نزول سورة الإنسان (سورة الدهر) بأن

الإمام على وأهله كانوا قد صاموا فى ذلك اليوم وجاء سائل على الباب وطلب منهم طعاماً فأعطوه طعامهم الذى كانوا قد أعدّوه للافطار وأفطروا ذلك اليوم بالماء القراح، والخلاصة أن الإمام على لم يكن يمتلك طعاماً ليوم آخر، فكيف تتعلق فى ماله الزكاة الواجبة حتّى يؤديها فى حال الركوع؟ الجواب: فى مقام الجواب على هذا الإشكال وبالأحرى هذه الشبهة نقول: أوّلًا: إنّ الأحكام الشرعية فى الإسلام تتضمن الزكاة الواجبة والمستحبة لأن جمع الزكاة تم بعد هجرة النبى إلى المدينة فى حين أن السور المكيّة تتحدّث عن الزكاة أيضاً وكانت تحث المسلمين على أداء الزكاة فى مكّة، والمراد منها حتماً الزكاة المستحبة أو الزكاة الواجبة التى لم تكن تجمع قبل زمن تشكيل الحكومة الإسلامية. ونلفت النظر إلى ثلاث نماذج من الآيات الشريفة النازلة فى مكّة: ألف) نقرأ فى الآية الرابعة من سورة المؤمنون التى هى سورة مكيّة: «وَ الَّذِينَ هُمْ لِلزَّكاةِ فاعِلُونَ». فى هذه الآية الشريفة ذكرت صفة من صفات المؤمنين وهى أداء الزكاة، وبما أن هذه السورة مكيّة والآية نزلت قبل تشريع حكم الزكاة فنعلم أن المراد من الزكاة هنا هى الزكاة المستحبة. ب) ونقرأ فى الآية الثالثة من سورة النمل فى وصف المؤمنين: «الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَ هُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ». ومعلوم أن سورة النمل من السور المكيّة، وعليه يكون المراد من الزكاة هنا هى الزكاة المستحبة. ج) ونقرأ فى الآية ۳۹ من سورة الروم: «وَ ما آتَيْتُمْ مِنْ زَكاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ». فهذه السورة من السور المكيّة أيضاً والمراد من الزكاة هنا الزكاة المستحبة. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۷۴ وعليه فطبقاً لما ورد فى القرآن الكريم أن الزكاة تشمل الواجبة والمستحبة كما ورد فى فقه الشيعة أن بعض الأجناس تتعلق بها الزكاة الواجبة وبعضها تتعلق بها الزكاة المستحبة. ثانياً: أنه ليس من الصحيح قياس الحالة الاقتصادية للإمام على عليه السلام عند نزول آية الولاية التى نزلت فى أواخر عمر النبى الأكرم صلى الله عليه و آله مع زمان نزول آيات سورة الدهر لأن وضع المسلمين فى بداية ظهور الإسلام فى مكّة لم يكن وضعاً مناسباً بصورة عامة وكان أغلب المسلمون يعيشون فى ضائقة مالية وخاصة أنهم كانوا فى مكّة يعيشون الحصار الإقتصادى، ولكنهم عندما هاجروا إلى المدينة وتخلّصوا من الحصار الإقتصادى الذى فرضه عليهم المشركون فى مكّة واشتغلوا بالزراعة والتجارة تحركت حالتهم الإقتصادية وانفتحت عليهم أبواب الرزق وتحسنت حالتهم المعيشية بحيث إن وضع أغلب المسلمين فى أواخر عمر النبى الأكرم صلى الله عليه و آله كان جيداً من الناحية الإقتصادية، ونظراً إلى أن آيات سورة المائدة نزلت فى أواخر عمر النبى الأكرم صلى الله عليه و آله فإنه لم يكن من البعيد أن تتعلق الزكاة الواجبة بأموال الإمام على عليه السلام ولا ينبغى قياس حالة الإمام علىّ عليه السلام الإقتصادية فى هذا الزمان الذى كان المسلمون يعيشون فى حالة الإنفتاح الإقتصادى والتمكّن المالى مع زمان نزول آيات سورة الإنسان (التى نزلت فى أوائل الهجرة كما يقول الشيعة أو قبل الهجرة كما يقول بعض أهل السنّة). حيث كان المسلمون يعيشون أزمة اقتصادية ومالية لأن ذلك يعنى أن التناقض المزعوم يفتقد بعض شروط الوحدة وهى الوحدة فى المكان والآخر الوحدة فى الزمان لكى يصح دعوة التناقض، وهنا لا يوجد مثل هذا التوحّد فى الزمان والمكان. مضافاً إلى كلّ ذلك فقد ورد فى الروايات الواردة فى شأن أميرالمؤمنين عليه السلام أنه «اعْتَقَ أَلْفَ مَمْلُوكٍ مِنْ كَدِّ يَدِه» «۱». فمن الواضح أن الإمام علىّ عليه السلام لم يتسنى له العمل والكسب فى زمان خلافته لكى يمكن القول بأنه أعتق هذا المقدار من العبيد من كدّ يده، إذن فهذا العمل كان قد صدر منه قبل تصديه للحكومة والخلافة قطعاً. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۷۵ والنتيجة هى أن دفع الخاتم من قبل الإمام على عليه السلام حتّى لو قلنا بأنه من قبيل الزكاة الواجبة لم يكن ذلك بمستبعد وعجيب. والحقيقة أن هؤلاء المخالفين وقعوا فى تناقضٍ بيّن، فإنهم من جهة يذكرون أن الإمام على قد دفع خاتماً ثميناً جداً إلى الفقير بحيث يدخل فى دائرة الإسراف والتبذير، ومن جهة اخرى يشكّون فى أصل هذا العمل بسبب عدم التمكّن المالى للإمام على عليه السلام. والنتيجة هى أنه على رغم الإشكالات والشبهات الكثيرة التى احتفت بدلالة آية الولاية والتى ذكرنا أهمها آنفاً وأجبنا عنها فإن دلالة الآية الشريفة على الولاية لا تخفى على أحد حيث تقرر الآية الشريفة الولاية والقيادة والإمامة لثلاث أولياء: ۱- اللّه تعالى ۲- النبى الأكرم صلى الله عليه و آله ۳- أميرالمؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام.

ملاحظة مهمة جداً!

ملاحظة مهمة جداً! إذا كان من المقرر أن تطرح مثل هذه الشبهات والإشكالات التى مرت آنفاً حول كلّ آية من آيات القرآن الكريم فإنّ أوضح الآيات وأحكمها كآيات التوحيد لا تتخلص من الإشكال، فلا يبق شيء يصلح للاستدلال، فى حين أننا نرى أن مثل هذه الإشكالات والشبهات لا- تطرح حول سائر الآيات القرآنية، والظاهر أن هذا الاسلوب من طرح الشبهات يختص بالآيات المتعلقة بفضائل أهل البيت عليهم السلام وولايتهم فقط. وإذا أردنا استكشاف السبب فى مثل هذه المواجهة المتباينة مع الآيات القرآنية فلابدّ من القول أن مثل هؤلاء الأشخاص لم يذعنوا للقرآن الكريم ولم يتعاملوا معه بأدبٍ ونزاهة كما هو المتوقع، والمفروض على المسلم أن يجلس أمام القرآن كالتلميذ أمام استاذه بل يريد هؤلاء أن يكونوا أساتذة للقرآن ويستخرجوا منه ما يؤيد مسبوقاتهم الفكرية، وهذا هو التفسير بالرأى الذى ورد النهى عنه بشدّة فى الروايات الإسلامية «۱». آيات الولاية فى القرآن، ص: ۷۶ أيها القارئ الكريم! إذا أردنا أن نستفيد من القرآن والوحى أو روايات المعصومين عليهم السلام استفادة صحيحة ونتوصل من خلالها إلى كشف الحقيقة فيجب علينا أن نتتلمذ على يد القرآن والأحاديث الشريفة ونستوحى مفاهيمنا الدينية من هذين المنبعين الغنيين بتعاليم الوحى والدين حتّى لو كانت على خلاف رغباتنا وميولنا وإلّا فإنّ التفسير بالرأى وبذر الإشكالات والشبهات حول مدلول الآيات الشريفة سينتهى إلى عواقب وخيمة وإنكار المسلّمات الدينية. وورد فى رواية شيّقة تتحدّث عن عاقبة نوعين من أنواع التعامل مع القرآن الكريم حيث قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: «... مَنْ جَعَلَهُ امامَهُ قادَهُ الَى الْجَنَّةِ وَمَنْ جَعَلَهُ خَلْفَهُ ساقَهُ إلَى النّارِ». «۱» والحقيقة أن هذه الرواية الشريفة يجب أن تهز كيان الأشخاص الذين يتعاملون مع القرآن من موقع التفسير بالرأى وإسقاط مفاهيمهم وأحكامهم المسبقة على الآيات الشريفة.

توصية آية الولاية

توصية آية الولاية إنّ الآية الشريفة محل البحث مضافاً إلى أنها تثبت ولاية أميرالمؤمنين عليه السلام فإنها تتضمن توصية مهمة لشيعة وأتباع هذا الإمام بل لجميع المسلمين فى العالم وهى: إن الإمام على عليه السلام لم يكن ولياً وإماماً للمسلمين وخليفة للنبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله بصورة اعتباطية بل وصل إلى هذا المقام بسبب عوامل مهمة قد ذكرت فى الآية نفسها، فالإيمان الراسخ وإقامة الصلاة والمحافظة على الإرتباط الوثيق بين العبد وخالقه ودفع الزكاة وتوثيق العلاقة بين الإنسان وأفراد المجتمع كلّها من الأسباب التى رشّحت الإمام علىّ عليه السلام ليكون أميراً للمؤمنين «۲». آيات الولاية فى القرآن، ص: ۷۷ وعليه فإن الآية الشريفة أعلاه توصى شيعة أميرالمؤمنين بأنه إذا أردتم أن تكونوا من شيعة هذا الإمام وتصلوا إلى المراتب العليا من الكمالات المعنوية والإلهية، فيجب عليكم أن تتحلوا بالإيمان الراسخ والقوى، وتسعوا إلى تقوية هذا الإيمان وتعميق الرابطة مع اللَّه تعالى وعدم الغفلة عن الصلاة والعبادة، وكذلك عدم الغفلة عن دفع حقوق الآخرين من قبيل الزكاة حتّى فى أثناء الصلاة وخاصّة فى شهر رمضان المبارك شهر العبادة واليقظة وتهذيب النفس، فيجب مضاعفة السعى فى هذا المجال والتدبّر فى مضامين الأدعية الواردة فى هذا الشهر الكريم ليتسنّى للإنسان أن يخطو عملًا نحو رفع الفقر والمحرومية عن المساكين والمحتاجين والمرضى والذين لا يستطيعون أداء ديونهم وأن نتحرك فى دعاءنا ومناجاتنا مع اللَّه تعالى فى طلب المغفرة للمرحومين والذين انتقلوا إلى الدار الاخرى ونسعى فى التقليل من مصاب البائسين ونواسيهم فى آلامهم وهمومهم. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۷۹

آية اولى الأمر

اشارة

آية اولى الأمر ۴ [سورة النساء (۴): آية ۵۹] لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ فِى أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (۴) «سورة النساء/ الآية ۵۹»

أبعاد البحث

أبعاد البحث الآيـة أعلاه تسـمّى «آيـة الإطاعة» وهى آية اخرى تدلّ على ولاية أميرالمؤمنين عليه السـلام، ومحور البحث فى هذه الآية هى جملة «اولى الأمر» حيث تتضمن نظريات وآراء مختلفة سيأتى شرحها وبيانها وما ذكر حولها من إشكالات.

الشرح والتفسير: من هم اولى الأمر؟

الشـرح والتفسـير: من هم اولى الأـمر؟ «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ». يخاطب اللَّه تعالى فى هـذا المقطع من الآية الشـريفة جميع المؤمنين فى أقطار العالم وفى جميع الأزمنة والأعصار إلى يوم القيامة بتقديم الطاعة المطلقة لثلاثة من الأولياء: الأوّل: إطاعة اللَّه تعالى، ثمّ إطاعة النبى، والثالث إطاعة اولى الأمر. والقسم الثانى من الآية الشـريفة يبيّن المرجع للمسلمين فى حال نشوب الإختلاف آيات الولاية فى القرآن، ص: ۸۰ والنزاع وكأن الغرض هو تأسيس جهاز قضائى مستقل للمسلمين ويقول: «فَإِنْ تَنـازَعْتُمْ فِي شَـيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَ الرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ» فلا ينبغى التوجّه فى حلّ الإختلافات التى تحـدث بين المسـلمين إلى الأجـانب ومرجعيـات غير إسـلامية. وبالإلتفـات إلى قيـد الإيمان باللَّه واليوم الآخر «إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ» يتضـح جيّـداً أن المسـلمين الـذين يتوجّهون فى اختلافـاتهم إلى غير المنـابع والمحـاكم الإسـلامية فإنهم لا يؤمنون باللَّه واليوم الآخر. والملاحظـة الاخرى الملفتـة للنظر هى أن الآيـة الشـريفة أوردت فى صـدرها وجوب إطاعة اولى الأمر من جملة الأولياء الثلاثة ولكنها عند ذكرها لمرجع الإختلاف فى المقطع الثانى لم تذكر اولى الأمر، وهذا المطلب هو الذى أثار علامات استفهام مهمة فى تفسير الآية الشريفة أعلاه وسوف يأتى تفصيل ذلك فى المباحث القادمة. «ذلِكَ خَيْرٌ وَ أَحْسَنُ تَأْوِيلًا» هذه الجملة فى الحقيقة هى تعليل للجملتين السـابقتين، فلمـاذا يجب على المـؤمنين إطاعـة اللَّه ورسـوله واولى الأـمر؟ ولمـاذا يحرم على المسـلمين اختيـار مرجعيـة اخرى فى حلّ اختلافاتهم غير اللَّه ورسوله؟ لأنّ الآية توضح ذلك وتقول إن هذا الحكم هو خير للمؤمنين وهو أفضل عاقبة لهم.

حدود إطاعة اولى الأمر

حـدود إطاعـة اولى الأمر النقطة المبهمة فى الجملة المذكورة أعلاه تكمن فى المراد من اولى الأمر وعندها يتّضح تفسـير الآية بصورة جيّـدة، ولـذلك نجد أن المفسّـرين قد اهتموا ببيان مصداق اولى الأمر وطرحوا لذلك سبع نظريات. سؤال: قبل الدخول فى تفاصـيل نظريات المفسّـرين حول معنى اولى الأمر لابـدّ من توضـيح حقيقـة مهمـة لها دورٌ فى فهم معنى اولى الأمر، وهى: هل أن إطاعـة اولى الأمر مقيّـدة ومشـروطة، أو أنها مطلقـة كما فى إطاعـة اللَّه ورسوله؟ وبعبارة اخرى هل أنّ إطاعة اولى الأمر مقيّدة بقيود زمانية ومكانية وغير ذلك، أو أنها واجبة على الإنسان فى كلّ زمان ومكان وفى مختلف الظروف؟ آيات الولاية فى القرآن، ص: ۸۱ الجواب: الظاهر أن الآية الشـريفة أطلقت وجوب إطاعة اولى الأمر ولم تقيّدها بقيد وشـرط معيّن، وببيان آخر أن إطاعة اولى الأمر فى الآية الشريفة لم يقيـد بعـدم الإشـتباه والخطأ الحاصل لـدى اولى الأمر، وببيان ثالث كما أن إطاعـة اللَّه ورسوله واجبة مطلقاً فكذلك إطاعة اولى الأمر أيضاً قد وردت فى الآية بصورة مطلقة، وعليه فلابدّ أن يكون اولو الأمر من المعصومين لأن إطلاق وجوب الإطاعة لا يصحّ إلّاإذا كان المطاع معصوماً، لأنه لا يصـحّ فرض طاعـة الشـخص الـذى يرتكب الخطأ والإشـتباه فى أحكامه، ولـذلك نحن نعتقد بأن القاضـى إذا أخطأ فى إصـدار حكمه وعلم أحـد طرفى الـدعوة بخطأ القاضـى فى صدور الحكم له على صاحبه، فلا يمكنه بمجرد إصدار القاضـى لحكمه أن يتملك ما حكم له أو يلقى بالـذنب على صاحبه. وحتّى مراجع التقليـد الذين يجب على المكلّفين تقليدهم لو أنهم أخطأوا فى مسألـة من المسائل فإنه لا يجب اتباعهم وطاعتهم فى هـذه المسألة كما فى رؤية الهلال إذا لم يثبت لمرجع التقليد رؤية الهلال فى الليلـة الثلاـثين من شـهر رمضان المبارك وحكم بصوم اليوم الثلاثين ولكنّ بعض المقلِّدين يرى بعينه هلال شوّال فى الليلـة الثلاثين،

فهنا لا يمكنه التمسّك بفتوى مرجعه واتباعه فى صوم اليوم الثلاثين بل يجب عليه أن يفطر فى ذلك اليوم لأنه يعلم بخطأ المرجع فى هذه الفتوى. وعلى هذا الأساس فإنّ الإطاعة المطلقة لا تصحّ إلّامن المعصومين، وبما أن الآية الشريفة ذكرت إطاعة اولى الأمر بصورة مطلقة فلذلك نعلم بأن اولى الأمر يجب أن يكونوا من المعصومين.

اختلاف النظريات حول معنى اولوا الأمر

اختلاف النظريات حول معنى اولوا الأمر أما بالنسبة إلى تفسير ومعنى كلمة اولى الأمر، فكما تقدّم هناك نظريات مختلفة فى هذا المجال ونشير إلى بعضها: الأوّل- المراد من اولى الأمر قادة الامّة: فإن كلٌّ من استلم زمام الحكم فى المجتمع الإسلامى يطلق عليه «اولى الأمر» ويجب إطاعته بصورة مطلقة حتّى لو أنه تسلّم هذا آيات الولاية فى القرآن، ص: ۸۲ المقام بالقوّة والقهر ومن دون رضى الناس وحتّى لو كان من أفسق الناس فتجب إطاعته، وعليه فإن إطاعة الحكام حتّى لو كانوا من أمثال المغول والتتر فيما لو تسلطوا على المجتمع الإسلامى تكون واجبة. وقد ذهب إلى هذه النظرية جمع من علماء أهل السنّة. ولكن هل يصحّ الإلتزام بهذه النظرية عقلًا؟ أليس مراد اللَّه ورسوله إقامة العدل والقسط فى المجتمع الإسلامى «۱»؟ إذن فكيف يمكن للظالم والحاكم بالجور أن يصبح خليفة لرسول اللَّه ويقلع اسس العدالة من المجتمع الإسلامى ويقيم حكمه على الظلم والجور؟ إنّ هذا التفسير لمعنى اولى الأمر لا ينسجم مع أىّ برنامج إصلاحى فى الإسلام فهل أن القائلين بهذا الكلام يرون أنه لو تسلط الحاكم الظالم بقوّة السيف على المجتمع الإسلامى وسحق جميع القيم الإسلامية تحت قدمه وأشاع الفحشاء والمنكر وقضى على المعروف والقيم الأخلاقية والمبادئ الإنسانية واستهان بالواجبات الإلهية، فمع ذلك يجب على المسلمين أن يعترفوا بأنه من اولى الأمر وأنه خليفة رسول اللَّه وعليهم أن يطيعوا هذا الإنسان الظالم والمنحرف؟ مع الأسف إنّ هؤلاء يرون وجوب إطاعة مثل هذا الشخص الفاسد والظالم كما هو الحال فى معاوية وابنه يزيد حيث يرون أنهم من اولى الأمر. ليت أن هؤلاء العلماء لم يذكروا مثل هذا التفسير للآية الشريفة. الثانى- وذهب بعض المفسّرين إلى عصمة اولى الأمر ورفضوا النظرية السابقة وبما أن الناس بصورة عامة غير معصومين فلذلك يكون المراد باولى الأمر مجموع الامّة الإسلامية، وبديهى أن الامّة الإسلامية معصومة من الخطأ فلا يمكن أن يقع جميع المسلمين فى وادى الضلالة والخطأ رغم أن كلُّ فرد غير معصوم، وعلى هذا الأساس فكما أن إطاعة اللَّه ورسوله واجبة فكذلك يجب اتباع الامّة الإسلامية أيضاً. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۸۳ ولكن نقول فى مقام الجواب على هذه النظرية: كيف يمكن تحصيل رأى جميع أفراد الامّة الإسلامية؟ ألا يجب تحصيل جميع آراء ونظريات المسلمين؟ وإذا لم يجب تحصيل رأى كلّ فرد من المسلمين وانتخب المسلمون وكلاء ونوّاب عنهم وقلنا بكفاية اتفاق وإجماع هؤلاء الوكلاء والنوّاب للُامّة الإسلامية فإنه يقال: هل يمكن أن يحصل اتفاق فى آراء هؤلاء الوكلاء للُامّة الإسلامية؟ إنّ الغالب هو عدم إمكانية تحصيل الإتفاق فى الآراء حتّى لوكلاء ونوّاب الامّة الإسلامية، فلو قيل إنّ اتفاق الآراء غير لازم بل المعيار هو الأكثرية، فكلما رأت أكثرية النوّاب للُامّة الإسلامية فى مسألة معيّنة الحلّ بصورة معيّنة فيجب اتباعهم بعنوانهم اولى الأمر، فهل أن معنى اولى الأمر يصدق حقيقةً على أكثرية النوّاب والوكلاء للُامّة الإسلامية؟ الثالث- وذهب البعض إلى أكثر من ذلك وبسبب ضعفهم عن مواجهة الثقافة الغربية فإنّهم رأوا أن الديمقراطية الغربية هى مصداق اولى الأمر ألا تكون مثل هذه النظريات من التفسير بالرأى؟ ألا تكون هذه الآراء من قبيل تحميل المسبوقات الفكرية على القرآن؟ ألا تعتبر مثل هذه النتائج ظالمة بحقّ القرآن؟ مضافاً إلى ذلك فإنّ الديمقراطية الغربية ليست سوى فكرة برّاقة وأنيقة فى الظاهر فحسب والغربيون أنفسهم لا يرون أن ديمقراطيتهم منهج مثالى للحكومة بل وجدوا أنفسهم مضطرين لقبولها لأنهم رأوا أنهم لولم يتمسّكوا بالديمقراطية لعاشوا فى ظروف أسوأ منها، فهى من قبيل قبول «أقل ضرراً» وألّا فأىُّ إنسان عاقل يقبل أنّ ۵۰٪ من أفراد الشعب يشتركون بالإنتخابات فيفوز مرشح ۲۶٪ ثمّ يكون هذا المرشح هو الحاكم على جميع أفراد الشعب!! فهل هذا من العدالة والإنصاف؟! إنّ الأشخاص الذين يعيشون الإستيلاء وضعف الشخصية فى مقابل الديمقراطية الغربية يرون فى حكومة أمريكا النموذج الكامل للديمقراطية، ولحسن الحظّ ففى الآونة الأخيرة

تجلت فضيحة كبيرة لهذه المزاعم فى عملية الإنتخابات الأمريكية لرئاسة الجمهورية وتجلّت الماهية الحقيقية لهذا النوع من الديمقراطية لجميع الشعوب بالعالم حيث إن الحكومة آيات الولاية فى القرآن، ص: ۸۴ الأمريكية التى تقوم بإدارة جميع المصانع والإدارات بأحدث الأجهزة الالكترونية والكامبيوترية وصل بهم الحال أن يختلفوا فى عشرة إلى خمسة عشر ألف رأى وأنه هل يحسبونها بجهاز الحاسوب أو باليد؟ فماذا يعنى هذا الإختلاف؟ ولماذا كلّ هذه المناقشات والمنازعات على هذا الأمر بحيث أقاموا الدنيا وأحدثوا ضجة فى العالم؟ إنّ هذه الامور تعدّ علامة على زيف المدّعين للديمقراطية بحيث إنهم لا يعتمدون حتّى على أجهزتهم الفنية!! يجب على العالم أن يضحك على هذه الإنتخابات الزائفة والديمقراطية الكاذبة ويجب على المحقّقين أن يدرسوا هذه الحادثة بدقّة حتّى يكشفوا حقيقة هؤلاء المدّعين للديمقراطية وخاصّة لمن يرى أن الغرب هو كعبة آماله وطموحاته، والإنصاف أن تفسير اولى الأمر بالديمقراطية هو خلاف ظاهر الآية الشريفة بل ظلم كبير للقرآن الكريم. الرابع: نظرية جميع علماء الشيعة، وهى أن المراد باولى الأمر هم المعصومون عليهم السلام ولا يمكن أن يكون فى كلّ زمان إلّاشخص واحد معصوم، وهذا الشخص كان فى زمن نزول القرآن وبعد رحيل النبى الأكرم صلى الله عليه و آله هو أميرالمؤمنين عليه السلام وبعده أحد عشر من ذرّيته من الأئمّة المعصومين عليهم السلام. التوضيح: ألف) كما تقدّم فى أن اولى الأمر (وبمقتضى الآية الشريفة أن إطاعة اللَّه ورسوله واولى الأمر واجب بصورة مطلقة) يجب أن يكونوا معصومين ليتسنّى للمكلّفين إطاعتهم بدون سؤال وترديد، أى أن وليّ الأمر يجب أن يكون مصوناً من الخطأ والذنب والإشتباه، وبعبارة اخرى أن العصمة هى قدرة معنوية ومرتبة سامية من التقوى بحيث إن الشخص المعصوم لا يصدر منه أى ذنب أو خطأ أو اشتباه بالرغم من أنه مختار فى سلوكه العملى وغير مجبر ويمكنه ارتكاب الذنب والخطأ، ولكنه ببركة هذه المرتبة السامية من التقوى فإنه لا يقدم على ذلك. وبعبارة ثالثة أن التقوى لها مراتب مختلفة، أحدها هو التقوى من الذنوب الكبيرة وعدم ارتكابها بحيث أنه لو اتفق وأن أذنب فى بعض الأحيان فإنه يتوب فوراً من ذلك، وفى المرحلة الثانية مضافاً إلى عدم ارتكابه للذنوب الكبيرة فإنه يجتنب الذنوب الصغيرة أيضاً، فلو صدر منه أحياناً ذنب صغير فإنه يتوب كذلك، والمرحلة الثالثة هى أعلى ممّا تقدّم بأن آيات الولاية فى القرآن، ص: ۸۵ يكون مضافاً إلى اجتنابه الذنوب الكبيرة والصغيرة فإنّه يجتنب المكروهات أيضاً، وهكذا يتدرج الإنسان المؤمن فى مراتب التقوى إلى أن يبلغ الذروة وهى مرتبة العصمة المطلقة من الذنوب والخطأ والإشتباه، وعليه فإنّ العصمة لا تعنى الجبر كما يتوهم البعض بل هى أعلى مرتبة من مراتب التقوى. ب) إنّ اولى الأمر المعصومين كما تقدّم آنفاً لا يمكن أن يكونوا جميع الامّة الإسلامية أو العلماء والمفكرين من وكلاء ونوّاب الامّة أو أكثريتهم بل يجب أن يكون المعصوم شخصاً خاصاً وفرداً معيناً منهم. ج) بما أن العصمة مرتبة معنوية عالية ودرجة كاملة من التقوى فإنّه لا يمكن للناس تشخيص المصداق لهذا المعيار، ولذلك فإنّ اولى الأمر يجب أن يعيّنوا من قبل اللَّه تعالى أو النبى الأكرم صلى الله عليه و آله، وهكذا يقوم كلّ معصوم بتعيين المعصوم الذى يليه للناس. والنتيجة هى أوّلًا: يجب أن يكون اولوا الأمر معصومين. ثانياً: يجب أن يكون المعصوم فرداً خاصاً ومعيّناً. ثالثاً: إنّ تعيين المعصوم من اولى الأمر يجب أن يكون من قبل اللَّه تعالى. وهنا يجب التوجه إلى القسم الثانى من هذا البحث، أى الروايات الواردة فى شأن نزول الآية الشريفة لنرى هل أن هذه الروايات عيّنت مصداق اولوا الأمر للمسلمين؟ وهل أن اللَّه تعالى أو نبيّه الكريم قد نصب هذا القائد المعصوم للناس؟

تفسير الآية فى ظلال الروايات

تفسير الآية فى ظلال الروايات هناك روايات متعددة فى دائرة تعيين المعصوم المراد من الآية «أَطِيعُوا اللَّهَ ...» وأهمها «حديث الثقلين». وطبقاً لما ورد فى هذا الحديث فإنّ النبى الأكرم صلى الله عليه و آله صرّح للمسلمين فى أواخر عمره الشريف وقال: «إنّى قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ ما إنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِما لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِى ... كِتابَ اللَّهِ ... وَعِتْرَتِى أَهْلَ بَيْتِى». «۱» آيات الولاية فى القرآن، ص: ۸۶ ومعنى هذا الحديث أن القرآن الكريم مصون من الخطأ والإشتباه، ولذلك فإنّ الشخص الذى يتحرك فى خط القرآن فإنّه مصون من

الوقوع فى الخطأ أيضاً، إذن فلابد أن يكون أهل البيت معصومين أيضاً من الخطأ والإشتباه كيما يصحّ التمسّك بهم ويكون التحرّك فى خطّهم مصوناً من الوقوع فى أشكال الزلل والزيغ وإلّا فلا معنى أن يكون أهل البيت غير معصومين والشخص الذى يسير فى خطّهم ويتبعهم يكون مصوناً من الوقوع فى الخطأ. إذن فطبقاً لهذه الرواية فإنّ أهل البيت معصومون، وكما تقدّم فى شرح الآية الشريفة «أَطِيعُوا اللَّهَ ...» يجب أن يكون هذا الفرد المعصوم معيّن من قبل اللَّه تعالى، وهذا يعنى أن الأئمّة المعصومين معيّنون ومنتخبون بأفرادهم من قبل اللَّه تعالى.

أهمية حديث الثقلين

أهمية حديث الثقلين إن حديث الثقلين يعتبر من الأحاديث المهمّة جدّاً فى دائرة موضوع الولاية والإمامة بحيث لا نجد نظيراً له بين الروايات والأحاديث الواردة فى هذا الشأن، فهذا الحديث من جهة الدلالة قويٌّ جدّاً وصريح، ومن جهة السند فإنّ الرواية متواترة ومذكورة فى جميع مصادر الفريقين (السنّة والشيعة) بشكل واسع، ويستفاد من مجموع الروايات الواردة فى هذه المصادر أن النبى الأكرم صلى الله عليه و آله لم يتحدّث بهذا الحديث مرّة واحدة بل تكرر منه ذلك مرّات عديدة، والرواية أعلاه وردت فى المصادر الأصلية والمعتبرة للشيعة (تهذيب الأخبار، الإستبصار، الكافى، من لا يحضره الفقيه) «۱» وفى مصادر أهل السنّة (الصحاح الستّة) أيضاً. وهذه الصحاح الستّة عبارة عن: ۱- «صحيح البخارى» الذى يعدُّ أهم كتاب من بين هذه الصحاح الستّة وكاتبه هو «البخارى» الذى توفى سنة ۲۵۶ هجرية. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۸۷ ۲- «صحيح مسلم» الذى يأتى بعد صحيح البخارى فى الأهمّية، ومؤلفه هو «مسلم ابن حجار» الذى توفى سنة ۲۶۱ هجرى ويسمى هذين الكتابين بالصحيحين، ويطلق على مؤلفيهما لقب «الشيخين». ۳- «سنن ابن داود» وقد توفى ابن داود سنة ۲۷۵ هجرى. ۴- «سنن الترمذى» الذى توفى سنة ۲۷۹ هجرى. ۵- «سنن النسائى» الذى توفى سنة ۳۰۳ هجرى. ۶- «سنن ابن ماجة» الذى توفى سنة ۲۷۳ هجرى. إنّ جميع الروايات المذكورة فى هذه الكتب الستّة هى من الصحاح ومن الروايات المعتبرة لدى أهل السنّة، ولكن جميع الروايات المعتبرة لديهم لا تنحصر فى هذه الكتب الستّة، ولذلك كتب «الحاكم» كتاباً باسم «مستدرك الصحيحين» وذكر فيه روايات معتبرة اخرى لم تذكر فى صحيح البخارى ومسلم «۱». ويذكر مؤلف هذا الكتاب: إنّ جميع الروايات المذكورة فى مستدرك الصحيحين متطابقة مع المعايير المذكورة فى البخارى وصحيح مسلم. وقد ذكرت رواية الثقلين فى ثلاث من هذه الكتب السبعة أى صحيح مسلم وسنن الترمذى «۲» ومستدرك الصحيحين «۳» وكمثال على ذلك نذكر ما ورد فى صحيح مسلم: «يقول يزيد بن حيان: انطلقت أنا وحصين بن مسيرة وعمر بن مسلم إلى زيد بن أرقم فلمّا جلسنا إليه قال حصين: لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً، رأيت رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وسمعت حديثه وغزوت معه وصليت معه، حدّثنا يا زيد ما سمعت من رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فقال يا ابن أخى كبر سنّى وقدم عهدى ونسيت بعض الذى كنت أعى من رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فما آيات الولاية فى القرآن، ص: ۸۸ حدثتكم فانقلوه وما لا فلا تكفلونيه ثمّ قال رضى الله عنه: قام رسول اللَّه صلى الله عليه و آله يوماً خطيباً فينا بماء يدعى خماً بين مكّة والمدينة فحمد اللَّه وأثنى عليه وذكر ووعظ ثمّ قال: «أَيُّهَا النّاسُ! فَإِنَّما أَنَا بَشَرٌ يُوشَكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبّى فَأُجِيبَ وَأَنَا تارِكٌ فِيكُمْ ثِقْلَيْنِ أَوَّلُهُما كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ الْهُدى وَالنُّورُ فَخُذُوا بِكِتابِ اللَّهِ وَ اسْتَمْسِكُوا بِه «فَحَثَّ عَلى كِتَابِ اللَّهِ وَرَغَّبَ فِيهِ» ثُمَّ قَالَ: «وَأَهْلُ بَيْتى اذَكِّرُكُمُ اللَّهَ فِى أَهْلِ بَيْتِى ....» «۱». مضافاً إلى هذه الكتب الثلاثة فإنّ الرواية محل البحث وردت أيضاً فى خصائص النسائى «۲» ، والملفت للنظر أن ابن حجر وهو رجل متعصب جدّاً وقد كتب كتاباً ضد الشيعة باسم «الصواعق المحرقة» قد أورد الرواية أعلاه أيضاً «۳». والأهم من ذلك أن ابن تيميّة مؤسس فرقة الوهابية المنحرفة أورد رواية الثقلين أيضاً فى كتابه «منهاج السنّة» «۴». والخلاصة أن هذا الحديث الشريف والعميق المغزى «حديث الثقلين» هو رواية متواترة فى كتب الشيعة وأهل السنّة «۵». وهذا المطلب يدلّ على أن الرواية المذكورة تتمتع بأهمية خاصّة، ولهذا نجد الإمام الراحل بدأ فى وصيته التاريخية بهذا الحديث الشريف لأنه محدّث خبير ويعلم أن هذا الحديث هو رواية محكمة لا يدخل فيها الشكّ والريب. ومن

خلال حديث الثقلين يثبت أن المراد من اولى الأمر هم الأئمّة الأطهار الذين يجب إطاعة كلّ واحد منهم فى زمانه ولا يشترط فى إطاعتهم واتباعهم أى شرط. ومضافاً إلى حديث الثقلين هناك روايات اخرى واردة فى شأن هذه الآية الشريفة ولكننا نذكر هنا اثنين منها: آيات الولاية فى القرآن، ص: ۸۹ ۱- يقول الشيخ سليمان الحنفى القندوزى فى «ينابيع المودّة» الصفحة ۱۱۶: «سمعت عليّاً صلوات اللَّه عليه يقول: وأتاه رجل فقال: أرنى أدنى ما يكون به العبد مؤمناً وأدنى ما يكون به العبد كافراً وأدنى ما يكون به العبد ضالًا، فقال له: قد سألت فافهم الجواب: أما أدنى ما يكون به العبد مؤمناً أن يعرفه اللَّه تبارك وتعالى نفسه فيقر له بالطاعة ويعرفه نبيه صلى الله عليه و آله فيقر له بالطاعة ويعرفه إمامه وحجته فى أرضه وشاهده على خلقه فيقر له بالطاعة .... قلت يا أميرالمؤمنين: صفهم لى، قال: الذين قرنهم اللَّه تعالى بنفسه وبنبيه، فقال: يا أيّها الذين آمنوا أطيعوا اللَّه وأطيعوا الرسول واولى الأمر منكم، فقلت له جعلنى اللَّه فداك أوضح لى. فقال: الذين قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فى مواضع وفى آخر خطبة يوم قبضه اللَّه عزّوجلّ إليه: إنّى تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلّوا بَعْدِى إنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِما كِتابَ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ وَعِتْرَتِى أَهْلَ بَيْتى. فنرى فى هذه الرواية الرابطة الوثيقة بين حديث الثقلين واولى الأمر. ۲- ينقل أبوبكر المؤمن الشيرازى عن ابن عبّاس قوله: «إن هذه الآية [آية الإطاعة] نزلت فى على عليه السلام حيث خلفه رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فى المدينة (فى غزوة تبوك) فقال يا رسول اللَّه: أتخلفنى فى النساء والصبيان؟ فقال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: أَما تَرْضى أنْ تَكُونَ مِنّى بِمَنْزَلَةِ هارُونَ مِنْ مُوسى، حِينَ قالَ: اخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ، فَقالَ عَزَّوَجَلَّ وَاولُوا الْامْرِ مِنْكُمْ». «۱» يعنى أن الآية الشريفة ناظرة إلى عملك وسعيك وأنت مصداق اولى الأمر. والنتيجة هى أن الآية الشريفة مع قطع النظر عن الروايات تدلُّ على أن اولى الأمر يجب أن يتحدد بمصداق معيّن ومعصوم ومنصوب من قبل اللَّه تعالى، وكذلك يفهم من خلال الروايات الشريفة أن المراد هو فرد معيّن ومنصوب بالنصب الإلهى، وهم الأئمّة الاثنا عشر، أى الإمام علىّ وأحد عشر من ذرّيته وأبنائه الطاهرين. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۹۰

أسئلة وأجوبة

أسئلة وأجوبة هناك أسئلة وعلامات استفهام عديدة قد تثار حول مدلول هذه الآية الشريفة وأهمها ثلاثة أسئلة: السؤال الأوّل: إذا كان الإمام علىّ عليه السلام هو مصداق اولى الأمر كما يقول الشيعة إذن فلماذا لم تكن إطاعته واجبة فى زمان حياة رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فى حين أن الآية الشريفة تقرر وجوب إطاعة اولوا الأمر كما هو الحال فى وجوب إطاعة اللَّه ورسوله؟ وبعبارة اخرى أن الإمام علىّ عليه السلام كان فى عصر النبى مأموراً أيضاً ولم يكن آمراً وقائداً تجب إطاعته على المسلمين، وعليه فإنّ التفسير المذكور للآية لا ينسجم مع وجوب الإطاعة الفعلى لُاولى الأمر. الجواب: ويمكن الجواب عن هذا السؤال بنحوين: ألف) لابدّ فى البداية من معرفة المراد من «الرسول» و «اولوا الأمر»، فلو فهمنا الفرق بين هاتين الكلمتين سيتضح لنا الجواب على السؤال أعلاه، «الرسول» هو الشخص المرسل من قبل اللَّه تعالى لبيان أحكامه وإبلاغ دينه وإنذار الناس، أى أنه مضافاً إلى «النبوّة» وتبليغ الأحكام فإنه مرسل لإنذار الناس من العذاب الإلهى وببيان أوضح أن الرسول هو الشخص المأمور لبيان الأحكام وتبليغ الرسالة. وأمّا «اولوا الأمر» فلا يتحملون مسؤولية التقرير والتشريع بل مسؤولية حراسة هذا القانون وتجسيده على مستوى الواقع الإجتماعى، وبعبارة أوضح يمكن القول أن «النبى» يمكن تشبيهه بالمشرّع والمقنن، بينما «اولوا الأمر» هم القائمون على تنفيذ وإجراء هذه القوانين. ومع الإلتفات إلى هذا البيان فإنّ المقنن فى زمن الرسول هو النبى الأكرم صلى الله عليه و آله وكذلك كان النبى الأكرم مسؤولًا عن تنفيذ القانون وإجرائه فى الوسط الإجتماعى، وعلى هذا الأساس ففى زمن حياة الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله كان صلى الله عليه و آله رسولًا وفى نفس الوقت «ولى الأمر» أيضاً كما فى مورد النبى إبراهيم عليه السلام أيضاً حيث يقرر القرآن الكريم هذه الحقيقة وهو أنه قد نال مقام الإمامة مضافاً إلى مقام النبوّة، أى أنه مضافاً إلى مرتبة التشريع والتقنين نال مرتبة آيات الولاية فى القرآن، ص: ۹۱ مسؤولية إجراء القانون، إذن فمقام الرسالة هو مقام التقنين، ومقام الإمامة واولوا الأمر هو مقام إجراء القانون، وفى زمن حياة النبى صلى الله عليه

و آله كان النبى «رسولًا» و «ولى الأمر» ولكن بعد رحلت النبى صلى الله عليه و آله فإنّ الشخص المعصوم المنصوب من قبل اللّه تعالى ورسوله هو المعنى ب «اولى الأمر» ولم يكن ذلك إلّاالإمام على عليه السلام ومن بعده سائر الأئمّة المعصومين واحداً بعد الآخر، لأنه لم يرد إدعاء النصب الإلهى لهذا المقام إلّاللإمام على وذريته الطاهرين. والنتيجة هو أن ادّعاء فعلية الإطاعة لا يضر بتطبيق كلمة «اولوا الأمر» على الإمام على عليه السلام بعد رحلة الرسول صلى الله عليه و آله وعلى أبنائه الطاهرين بعد رحلة الإمام على عليه السلام كما هو المستفاد من الأحاديث الشريفة. ب) أما الجواب الآخر فهو أن الإمام على عليه السلام كان فى حياة النبى صلى الله عليه و آله أيضاً من اولى الأمر، وعلى الأقل فى فترة معيّنة من حياته الشريفة، وذلك عندما توجه النبى الأكرم صلى الله عليه و آله إلى غزوة تبوك وأبقى الإمام على عليه السلام على المدينة بعنوان خليفته. ولتوضيح المطلب أكثر لابدّ من إلقاء بعض الضوء على واقعة تبوك:

غزوة تبوك

غزوة تبوك إن هذه الغزوة هى آخر غزوة من غزوات النبى الأكرم صلى الله عليه و آله طيلة فترة رسالته حيث وقعت أحداثها فى السنة الأخيرة من سنوات عمره الشريف، ومكانها يقع فى أعلى نقطة من منطقة الحجاز وفى الحدود المشتركة بين الجزيرة العربية والروم الشرقية. عندما اتسعت رقعة الإسلام واستحكمت دعائمه فى المدينة وانتشر خبره فى أرجاء المعمورة أحست الدول المجاورة لدولة الإسلام ومنها الروم الشرقية «سورية وفلسطين» بالخطر من هذه الدعوة الجديدة وفكروا فى الهجوم على المسلمين لصد هذا الخطر الذى يهدد عروشهم وتيجانهم «۱» ولذلك أقدم الروم على تشكيل جيش مقداره أربعين ألف آيات الولاية فى القرآن، ص: ۹۲ جندى بكامل العدّة والعدد وتحركوا باتجاه الحجاز. وعندما وصل هذا الخبر إلى المسلمين وإلى النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله أمر النبىّ صلى الله عليه و آله المسلمين بأن يستعدوا لمواجهة هذا العدو وبالتحرك باتجاهه ولا يجلسوا فى المدينة بانتظار قدومه، وكانت هذه الاستراتيجية العسكرية مناسبة جدّاً لهذه الواقعة لأنه ليس من المناسب التقوقع فى حالة دفاعية وانفعالية اتجاه هذا الخطر بل ينبغى أن يقابل هذا الهجوم بهجوم آخر. واتفق فى زمن وقوع هذه الحرب أنها كانت فى أجواءٍ صعبة وغير مناسبة لأنها من جهة كانت حرارة الصيف على أشدها فى الحجاز، ومن جهة اخرى فإن المحصولات الزراعية لهذه السنة على وشك النضج وقد فرغت المخازن الغذائية للسنة الماضية لدى المسلمين، ومن جهة ثالثة فإنّ الفاصل بين المدينة ومنطقة تبوك فاصلة كبيرة جداً حيث ينبغى على المسلمين طى هذا المسير مشياً على الأقدام غالباً لأنه لم يكن لكلّ عشرة أشخاص سوى مركب واحد، وعلى هذا الأساس عليهم أن يتناوبوا فى الركوب، وعلى أية حال فقد صدر الأمر بالتوجه إلى منطقة تبوك فجمعوا ما تبقى لديهم من الأغذية من قبيل بعض التمر اليابس وقد يكون فاسداً أيضاً وتوجه المسلمون بجيش بلغ مقداره ثلاثين ألف شخص بقيادة رسول اللّه صلى الله عليه و آله إلى تبوك. وكان العطش والجوع يلم بجيش الإسلام وقد تورمت أقدام الكثير منهم بسبب المشى فى الصحراء المحرقة ولكنهم وبالرغم من هذه الصعاب والمشاكل استمروا فى طريقهم وقد تحمل جنود الإسلام فى ذهابهم وإيابهم الكثير من الصعاب وواجهوا تحديات الواقع المفروض عليهم ولهذا سمّى هذا الجيش ب «جيش العسرة» «۱». آيات الولاية فى القرآن، ص: ۹۳ وعندما وصل الخبر إلى جيش الروم بأن جيش المسلمين الذى يبلغ ثلاثين ألف نفر قادم إليهم من المدينة وبأقل مقدار من الإمكانات العسكرية ومشياً على الأقدام وبقلوب مليئة بالعشق إلى الجهاد ضد أعداء اللّه عزموا على العودة والتراجع. حيث أصدر «أى القيصر» ملك الشام الأمر بذلك، وعندما وصل المسلمون إلى تبوك علموا بفرار العدو وتراجعه وشكروا اللّه على هذا التوفيق العظيم. ثمّ إن النبى الأكرم استشار أصحابه بالنسبة إلى الرجوع إلى المدينة أو مواصلة الطريق والهجوم على العدو فى الشام، وكانت نتيجة الشورى هى التصميم على العودة إلى المدينة لأن الإسلام لم يزل فى بداياته ولم تكن للمسلمين القدرة الكافية والتجربة الوافية لفتح البلدان والمناطق الاخرى، وعلى هذا الأساس كان هذا الاقدام العسكرى فى غاية الخطورة بالنسبة إلى الدولة الإسلامية الفتية. وبملاحظة ما تقدّم فإن غزوة تبوك كانت تختلف تماماً عن غزوات الإسلام الاخرى «وخاصّة لطول مدّة عدم حضور النبىّ والمسلمين فى المدينة وبُعد

المسافة بين المدينة وتبوك» فكان من المحتمل جداً أن يتآمر المنافقون فى المدينة بالتوافق مع الأعداء خارج المدينة، ولهذا كان من المفروض أن يخلف النبى الأكرم أقوى وأشجع المسلمين ليحفظ دار الإسلام وعاصمة البلد الإسلامى من شر الأعداء ومؤامرات المنافقين المحتملة، ولم يكن هذا الشخص سوى الإمام على عليه السلام ولهذا فإن النبى الأكرم صلى الله عليه و آله عينه على المدينة كما تقدّم فى رواية أبى بكر المؤمن الشيرازى المتقدّمة بعنوان أنه اولوا الأمر. وعلى هذا الأساس فإن الإمام على عليه السلام كان يتصف بصفة «اولوا الأمر» حتّى فى زمان النبى الأكرم رغم أن ذلك كان بشكل مؤقت فكانت طاعته مترادفة مع إطاعة اللّه ورسوله وواجبة على المسلمين فى المدينة، وعليه فإن هذا الإشكال أى إشكال فعلية الإطاعة فى الآية الشريفة يتضح جوابه ممّا تقدّم بيانه. السؤال الثانى: إن كلمة «اولوا الأمر» تدلّ على الجمع والإمام علىّ شخص واحد، آيات الولاية فى القرآن، ص: ۹۴ فهل المراد من «اولوا الأمر» هو الإمام على لوحده؟ الجواب: صحيح أن كلمة «اولوا الأمر» صيغة للجمع ولكن المراد ليس هو الإمام علىّ فقط بل تشمل جميع الأئمّة الاثنا عشر للشيعة الذين يقول بهم الشيعة كما ورد ذلك فى حديث الثقلين بعنوان «عترتى أهل بيتى» حيث لا تختص بالإمام على بل تشمل جميع الأئمّة المعصومين. والشاهد على هذا الكلام الرواية التى وردت آنفاً فى «ينابيع المودّة» حيث ذكر فيها أن اولوا الأمر هم المقصودين من حديث الثقلين وقلنا أن المراد من «عترتى أهل بيتى» فى حديث الثقلين هم جميع الأئمّة المعصومين عليهم السلام. والنتيجة هى أن المراد من اولى الأمر جميع الأئمّة الاثنا عشر كلّ واحد فى زمانه الخاصّ حيث يجب إطاعته بدون قيد أو شرط على جميع المسلمين. السؤال الثالث: لماذا لم تتكرر كلمة «اولوا الأمر» فى ذيل الآية بحيث يرجع إليهم المسلمون فى حلّ اختلافهم ومشاكلهم؟ الجواب: أوّلًا: إن هذا الإشكال لا يرد على الشيعة بالخصوص بل على أهل السنّة أيضاً لأنهم بأى معنى فسّروا كلمة «اولوا الأمر» فهذا الإشكال وارد عليهم. ثانياً: إنّ علّت عدم تكرار «اولوا الأمر» فى المقطع النهائى من الآية الشريفة هو ما تقدّم من الفرق بين «الرسول» و «اولوا الأمر» فالرسول هو المسؤول عن تقنين الشريعة و «اولوا الأمر» هم المسؤولون عن تنفيذ هذه القوانين، ومن الواضح أنه إذا حصل شك لدى أحد الأشخاص فى الحكم الإلهى لزم أن يراجع المقنن لا المنفذ للحكم. وعليه فإن عدم تكرار هذه الكلمة لا يعدُّ نقصاً فى مفهوم الآية الشريفة بل يؤكد بلاغة القرآن الكريم وفصاحته المدهشة. والجدير بالذكر أن الأئمّة المعصومين بأجمعهم هم القائمون على تنفيذ قوانين الإسلام، ولو تحركوا من موقع بيان أحكام الإسلام وتشريعاته فإن ذلك مقتبس من رسول اللّه صلى الله عليه و آله قطعاً. وهناك روايات وردت فى «جامع أحاديث الشيعة» المجلد الأوّل، الصفحة ۱۸۳ تقرر أن آيات الولاية فى القرآن، ص: ۹۵ أئمّة الهدى عليهم السلام قد أخذوا جميع علومهم فى مجال الأحكام الشرعية من رسول اللّه صلى الله عليه و آله. والنتيجة هى أن «اولى الأمر» لا تعنى الأشخاص الذين يتولون تقنين الأحكام وتشريعها بل بمعنى القيام على تنفيذها والعمل على إجراء القانون الإلهى، ولهذا لا داعى لذكره مرّة اخرى فى الآية الشريفة.

توصيات الآية

توصيات الآية ۱- إنّ أهم توصية فى الآية الشريفة هى أن المسلمين يجب أن يذعنوا تماماً فى مقابل الأحكام الإسلامية ويعملوا بالتكاليف الإلهية ويطيعوا اللّه ورسوله بدون سؤال وترديد، ولا ينبغى لهم أن يختاروا ما هو الملائم لمزاجهم والمتناغم مع أهواههم من هذه الأحكام ليعملوا به ويتركوا الباقى بل عليهم أن يتحركوا فى خط الطاعة والرسالة ولو كان على خلاف ميولهم ورغباتهم فإنّ مثل هذا الشخص هو المؤمن الحقيقى والمسلم الواقعى. ويحدّثنا القرآن الكريم بعبارة شيقة فى الآية ۶۵ من سورة النساء فى هذا الصدد: «فَلا وَ رَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيما شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِى أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَ يُسَلِّمُوا تَسْلِيماً». هذه الآية الشريفة بإمكانها أن تكون معياراً جيداً ودقيقاً لتشخيص مقدار حالة التسليم والإذعان فى واقع الإنسان، وطبقاً لهذه الآية الشريفة فإن المسلم الواقعى هو الذى يتحرك من موقع التسليم لحكم النبى حتّى وإن كان على خلاف مصلحته ورغبته فلا يكتفى فقط بعدم إظهار الإنزعاج والتبرم بل ينبغى أن يشعر بالرضا والتسليم فى قلبه وأعماق نفسه، أى أنه يسلم نفسه للّه تعالى فى العمل والقول

والعواطف القلبية وإلّا فإنه لو أحسّ بالتبرم فى نفسه من أحكام الإسلام فإن ذلك يدلّ على أنه لن يحقق الإسلام الواقعى فى وجوده، لأن المسلم الواقعى يجب أن يرضى بما رضى به اللّه ورسوله لا بما ترضى به نفسه وأهواءه. الإمام على عليه السلام يقول فى حديثٍ جميل: لَأُنْسِبَنَّ الْاسْلامَ نِسْبَةً لَمْ يَنْسُبْها أَحَدٌ قَبْلى: الْاسْلامُ هُوَ التَّسْلِيمُ، وَالتَّسْلِيمُ هُوَ الْيَقينُ، آيات الولاية فى القرآن، ص: ۹۶ وَالْيَقينُ هُوَ التَّصْديقُ، وَالتَّصْديقُ هُوَ الْإِقرارُ، والْإِقرارُ هُوَ الأَداءُ، وَالأَداءُ هُوَ الْعَمَلُ. «۱» فطبقاً لهذا الحديث الشريف فإنّ الإسلام يبدأ من واقع الإنسان وقلبه ثمّ يطوى المراحل المختلفة ليصل إلى مرحلة العمل والممارسة، أى أن الإسلام بدون الإعتقاد القلبى وبمجرد أداء بعض التكاليف والعبادات لا يكفى فى تحقق الغرض كما أن الإعتقادات لوحدها لا تكفى من دون أداء العبادات والتكاليف العملية وعليه فإنّ الإسلام هو مجموعة من الإعتقادات والأعمال الأخلاقية والدينية. ۲- كلمة «أمر» تدلّ على مفهوم إيجابى واسع، ففى هذه الكلمة تكمن القدرة والقوّة، وهذا يعنى أن «اولوا الأمر» يجب أن يتحركوا مع الناس من موقع القدرة والقوّة والحكومة لا أنهم يطلبون هذا المقام ويمارسون نشاطاتهم بالتوسل وحالة الإستعطاف من الناس، وهذا المعنى وارد أيضاً فى كلمة «الأمر بالمعروف» فإنّ الأمر هنا يجب أن يكون من موقع القدرة ولكن لابدّ من الإلتفات إلى أن موقع القدرة لا يتنافى مع استخدام اسلوب المرونة والمداراة مع الناس لتحقيق المعروف وكما ورد فى القصة المعروفة عن الإمام الحسن المجتبى عليه السلام حيث تقول الرواية: «ومن حلمه ما روى عن الكامل للمبرّد وغيره أنّ شامياً رآه راكباً فجعل يلعنه والحسن لا يردّ، فلما فرغ أقبل الحسن فسلّم عليه وضحك فقال: أيها الشيخ أظنك غريباً ولعلّك تشبّهت، فلو استعتبتنا أعتبناك، ولو سألتنا أعطيناك، ولو استرشدتنا أرشدناك، ولو استحملتنا أحملناك، وإن كنت جائعاً أشبعناك، وإن كنت عرياناً كسوناك، وإن كنت محتاجاً أغنيناك، وان كنت طريداً آويناك، وإن كان لك حاجة قضيناها لك، فلو حرّكت رحلك إلينا وكنت ضيفنا إلى وقت ارتحالك كان أعود عليك لأنّ لنا موضعاً رحباً وجاهاً عريضاً ومالًا كثيراً. فلمّا سمع الرجل كلامه بكى، ثمّ قال: أشهد انّك خليفة اللّه فى أرضه، اللّه أعلم حيث يجعل رسالته، وكنت أنت وأبوك أبغض خلق اللّه إلىّ والآن أنت أحبّ خلق اللّه إلىّ، وحوّل رحله إليه وكان ضيفه إلى أن ارتحل وصار معتقداً لمحبّتهم» «۲». آيات الولاية فى القرآن، ص: ۹۷ القارئ المحترم يدرك جيداً أن الفاصلة بين أفضل الناس على الأرض وأشر الناس كم هى كبيرة، ولكن الإمام الحسن عليه السلام باتخاذه هذا الاسلوب السليم والأخلاقى فى عملية الأمر بالمعروف قد قطع كلّ هذه المسافة الشاسعة. ونحن أيضاً يجب علينا الإستفادة من هذا الدرس الكبير والإلتفات إلى أن المخالفين على قسمين: ۱- الأشخاص الذين وقعوا تحت تأثير الإعلام المسموم والدعايات المغرضة فصدرت منهم ممارسات شائنة وكلمات لامسؤولة، فهؤلاء يجب التعامل معهم بالاسلوب اللين لهدايتهم كما هو الحال فى هذا الرجل الشامى الذى وقع تحت تأثير دعايات بنى امية المضللة وأصبح من أعداء أهل البيت عليهم السلام، وكما رأينا أن الإمام الحسن قد جذبه إلى الحقّ وهداه إلى الدين بأخلاقه الحميدة. ۲- الأشرار المعاندون الذين يعاندون طريق الحقّ ويبغضون أهل الحقّ عن علم ودراية، فهؤلاء لا معنى للتساهل والتسامح فى التعامل معهم بل ينبغى التعامل معهم من موقع القدرة والشدّة. إن معرفة الأشخاص وتشخيص هذين القسمين ثمّ التعامل مع كلّ طائفة بما ينبغى التعامل معها عمل دقيق ويستلزم الكثير من الدقّة والتدبّر. ربنا! وفقنا إلى نيل التسليم الكامل فى مقابل أحكامك وأوامرك ووفقنا لأداء فريضة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر المقدسة كما يريد منّا الإسلام. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۹۹

آية الصادقين

اشارة

آية الصادقين ۵ [سورة التوبة (۹): آية ۱۱۹] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ (۱) الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ (۲) الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ (۳) مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (۴) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (۵) اهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ (۶) صِراطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَ لا الضَّالِّينَ

(۷) «سورة التوبة/ الآية ۱۱۹»

أبعاد البحث

أبعاد البحث إنّ الآية أعلاه تسمّى ب «آية الصادقين»، وهى إحدى الآيات المتعلقة بمسألة الولاية والإمامة الواردة فى شأن الإمام علىّ والأئمّة الأحد عشر من أولاده المعصومين عليهم السلام، ففى هذه الآية الشريفة يأمر اللّه سبحانه وتعالى المؤمنين باتباع «الصادقين» فمن هم هؤلاء الصادقون؟ وما هى خصوصياتهم وعلاماتهم؟

معرفة إجمالية لسورة التوبة

اشارة

معرفة إجمالية لسورة التوبة من الضرورى أن نتعرف على سورة التوبة بصورة إجمالية لتتضح جيداً أجواء نزول آية الصادقين الواردة ضمن هذه السورة، ولأجل ذلك لابدّ من بيان عدّة امور:

ألف) أسماء السورة وعلة تسميتها

ألف) أسماء السورة وعلة تسميتها هذه السورة لها إسمان متباينان «التوبة» و «براءة» والسبب فى تسميتها «براءة» أن هذه السورة تبدأ بهذه الكلمة «براءة» مضافاً إلى أن هذه السورة تتضمن إعلان البراءة من المشركين وأعداء الإسلام. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۰۰ ولهذا السبب فهذه السورة لم تبدأ ب «بسم اللّه الرحمن الرحيم» التى تتضمن الرحمة والرحمانية والحنان واللطف. وأمّا سبب تسمية هذه السورة ب «التوبة» فهو أن الكثير من آيات هذه السورة تدعو الناس للتوبة والعودة إلى اللّه تعالى، أى أنها على الرغم من إعلانها الحرب على الكافرين والبراءة من المشركين وشرارات الحرب تملأ أجواء هذه الآية فإنّ آيات هذه السورة تتضمن كذلك مفهوم التوبة بصورة واسعة بحيث إنها بعد إعلان البراءة من المشركين تقول قبل نهاية الآية الخامسة «۱» من هذه السورة: «... فَإِنْ تابُوا وَ أَقامُوا الصَّلاةَ وَ آتَوُا الزَّكاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» أى بالرغم من أن الكفّار والمشركين قد تآمروا كثيراً على الإسلام والمسلمين وارتكبوا جرائم كثيرة ولكنهم لو تابوا وتمسّكوا بتعاليم الإسلام فإنّ توبتهم ستكون مقبولة. والسبب فى أن لهذه السورة اسمين متضادين هو كثرة الآيات التى تشير إلى التوبة ضمن الآيات التى تعلن الحرب والبراءة من الأعداء والمشركين ولعلّ ذلك لغرض بيان هذه الحقيقة، وهى أن الإسلام لم يغلق باب العودة وخط الرجعة على المذنبين والمجرمين حتّى فى حال الحرب والقتال مع المسلمين فإنّ الإسلام لا يقصد الإنتقام منهم بل يهدف من تعاليمه حتّى من إقامة الحرب إصلاح الناس، ولهذا فلو أن الأعداء رغبوا فى التوبة فى أثناء الحرب وأظهروا عملًا التزامهم بالتوبة فإنّ الإسلام سوف يرفع عنهم حكم القتل بل سيتحرك نحو حمايتهم وتأييدهم. وبعبارة اخرى إنّ تركيب الآيات لهذه السورة واختيار اسمين لها، يشير إلى حقيقة مهمة على المستوى التربوى للناس وهى: إنّ الإنسان يحتاج فى عملية التعليم والتربية إلى عنصر الخشونة والمداراة سويةً، فلو اتخذت الحكومة فى تعاملها مع الناس اسلوب الخشونة لأدى ذلك إلى نفور الناس وتفرقهم، ولو تحدّثت الحكومة معهم من موقع المداراة واللطف فقط لأساء المجرمون والذين فى قلوبهم آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۰۱ مرض الإستفادة من هذا اللطف والمداراة وأمعنوا فى توغلهم فى أعمال الشر والجريمة، ولكنّ استخدام اسلوب يجمع بين الخشونة والمداراة كلٌّ فى موقعه المناسب بإمكانه أن يحلّ الكثير من المشكلات، ولذلك كان من اللازم استخدام «الشدّة» و «اللطافة» وأيضاً «العقوبة» و «التوبة».

ب) زمان نزول آيات سورة التوبة

ب) زمان نزول آيات سورة التوبة إنّ الآيات الاولى من سورة التوبة نزلت فى أواخر السنة التاسعة للهجرة يعنى سنة واحدة قبل وفاة النبى الأكرم صلى الله عليه و آله، وطبقاً لما ذكره المفسّرون فإنّ النبى صلى الله عليه و آله فى هذه السنة وعلى أساس التعليمات الواردة فى هذه الآيات أمر الإمام على عليه السلام «۱» بالتوجه إلى مكّة فى مراسم الحجّ والإعلان عن أربعة امور: ۱- أنه لا يحقّ بعد هذا العام وهو العام التاسع للهجرة أن يطوف بعض الناس وهم عراة. سؤال: وهل أن البعض يطوف حول البيت عارياً إلى ذلك الزمان ولماذا؟ الجواب: نعم فإن بعض الرجال وحتّى بعض النساء كانوا يطوفون حول البيت وهم عراة تماماً لأنّ أحد عقائد الوثنيين الخرافية هى أنه إذا طاف الشخص بثيابه يجب عليه أن يتصدّق بهذه الثياب على الفقير، ولهذا السبب فإنّ الأشخاص الذين لم يكن لديهم سوى ثوب واحد كانوا يقومون باقتراض ثوب لهم من شخص آخر حين الطواف ويطوفون به لكى لا يشملهم الحكم المذكور. وأما الأشخاص الذين لم يتهيأ لهم اقتراض ثوب من شخص آخر ولا يرغبون فى التصدّق بثوبهم كانوا يطوفون وهم عراة تماماً. ۲- انه لا يحقّ للمشركين وعبّاد الأوثان الطواف بالكعبة بعد هذا العام. سؤال: أليس الإسلام يرى الحرية فى العقيدة، إذن لماذا منع أتباع سائر الأديان بالطواف حول الكعبة؟ آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۰۲ الجواب: إنّ الإسلام يرى حرية المذاهب والأديان ولكن الشرك وعبادة الأوثان لا يحسب ديناً ومذهباً بل هو مجموعة من العقائد التى تقوم على أساس خرافى. ۳- إنّ المسلمين يلتزمون بعهودهم ومواثيقهم مع المشركين إلى آخر المهلة المقررة فى الميثاق ولكنهم بعد ذلك لا يقومون بتجديد هذا العهد والميثاق مع المشركين. ۴- إنّ المشركين الذين لا تربطهم مع المسلمين رابطة عهد وميثاق سوف يُمهلون لمدّة أربعة أشهر لأصلاح عقائدهم ونبذ الشرك وعبادة الأوثان وإلّا فإنهم سيتعرضون لقتال المسلمين. وعلى أيّة حال فانّ الآيات الاولى من سورة التوبة والتى وردت الإشارة إلى مضمونها نزلت فى أواخر السنة التاسعة للهجرة، ويحتمل قوياً أن بقية سورة البراءة ومنها هذه الآية محل البحث نزلت فى السنة التاسعة للهجرة، أى فى السنة الأخيرة من عمر النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله. وعلى هذا الأساس فإنّ «آية الصادقين» نزلت فى أواخر عمر النبى الأكرم صلى الله عليه و آله وبذلك عملت على تهيئة الأرضيّة اللازمة لولاية وخلافة أميرالمؤمنين عليه السلام.

الشرح والتفسير

الشرح والتفسير «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ كُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ» نرى فى هذه الآية الشريفة أن اللَّه تعالى يخاطب المؤمنين والمسلمين ويأمرهم بأمرين: الأوّل: أن يلتزموا بتقوى اللَّه تعالى والتى تعدُّ أهم رأس مال المؤمن وميزان القرب من اللَّه تعالى، وكلّما ازدادت حالة التقوى فى السالك إلى اللَّه فإنه سيكون أقرب إلى اللَّه تعالى، وكلّما قلّ منسوب التقوى فى الإنسان كان ذلك علامة على ابتعاده من اللَّه تعالى حيث نقرأ فى الآية ۱۳ من سورة الحجرات: «يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْناكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَ أُنْثى وَ جَعَلْناكُمْ شُعُوباً وَ قَبائِلَ لِتَعارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ». ونقرأ فى الآية ۶۳ من سورة مريم أن التقوى هى بمثابة جواز عبور الإنسان على الصراط ودخوله الجنّة: آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۰۳ «تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبادِنا مَنْ كانَ تَقِيًّا». فالتقوى فى نظر الإسلام مهمة فى عملية الصعود بالإنسان إلى مدارج الكمال وتعنى أن يعيش الإنسان الخوف والخشية من اللَّه تعالى بحيث يدفعه ذلك إلى اجتناب الذنوب ولا يحتاج معها إلى ضوابط خارجية. الثانى: هو أن اللَّه تعالى يأمر المؤمنين فى هذه الآية الشريفة أن يكونوا مع الصادقين.

من هم الصادقين؟

من هم الصادقين؟ سؤال: هل أن المراد من «الصادقين» فى هذه الآية الشريفة، والذين أمر اللَّه تعالى المسلمين باتباعهم هم أشخاص

معيّنون، أو أن المراد هو المعنى اللغوى لهذه الكلمة، أى أن يتبع الإنسان كلّ شخص صادق؟ الجواب: نحن نرى أن المراد من «الصادقين» فى هذه الآية الشريفة ليس كلُّ إنسان صادق بل أفرادٌ مخصوصون، والشاهد على ذلك وجود قرينتين فى هذه الآية: ۱- أنه لو كان المراد من كلمة «الصادقين» هو المعنى العام لا الخاصّ فيجب أن يقول «كونوا من الصادقين» لا «مع الصادقين» لأن الواجب على جميع المسلمين أن يكونوا صادقين لا- مجرد أن يكونوا مع الصادقين، وعلى هذا الأساس يتّضح من وجوب اتباع الصادقين والكون معهم أن المراد بهم هم أشخاص معيّنون بحيث يجب على المسلمين إتباع هؤلاء الأشخاص. ۲- والشاهد الآخر على هذا المعنى أن ظاهر الآية يدلّ على أن إتباع هؤلاء غير مقيّد بقيود أو شروط، وعليه فإنّ إطلاق وجوب إتباعهم يدلُّ على ضرورة أن يكون هؤلاء الصادقون معصومين ومصونين من الخطأ والإشتباه والزلل لأنه لولم يكونوا كذلك فلا يصحّ للمسلمين إتباعهم مطلقاً بل عليهم الإبتعاد عنهم فى حالات الزيغ والخطأ والمعصية. وعلى هذا الأساس فبما أن وجوب اتباع «الصادقين» ورد بصورة مطلقة لزم أن يكون هؤلاء الصادقين أشخاصاً معينين ومعصومين من الخطأ والذنب ليتسنّى للآخرين اتباعهم بصورة مطلقة. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۰۴ والنتيجة هى أنه إما أن يكون اتباع هؤلاء الصادقين ورد بصورة مطلقة فيكون «الصادقون» يراد بهم أشخاص معينون، أو أن ترد كلمة «الصادقين» بصورة مطلقة وتشمل جميع من كان صادقاً فيلزم التقيد فى إتباعهم، ونظراً لما تقدّم من القرينتين فى هذه الآية الشريفة فإنّ الاحتمال الأول هو الصحيح، فعليه فإنّ كلمة «الصادقين» مقيّدة والإتّباع مطلق، والمراد منه أشخاص معيّنين الذين يمكن للمسلمين إتّباعهم بصورة مطلقة.

نظرية علماء أهل السنّة

نظرية علماء أهل السنّة أما المفسّرون من أهل السنّة فقد أنقسموا فى تفسيرهم لهذه الآية إلى قسمين، فبعضٌ لم يبحث هذه المسألة بصورة جيدة ولم يهتم لتفسير كلمة «الصادقين» فيها ومرّ عليها مرور الكرام. وبعض آخر ذكر مطالب متنوعة فى تفسيرها حتّى أنهم ذهبوا إلى أن «الصادقين» يجب أن يكونوا معصومين أيضاً لأنّ الاطاعة والإتباع ورد بصورة مطلقة ولا يصحّ ذلك إلّا بإتباع المعصوم ولكن مع ذلك فإنّ المسبوقات الفكرية والأحكام الذهنية لم تسمح لهؤلاء أن يصلوا إلى الحقيقة فى تفسيرهم لهذه الآية. الفخر الرازى من جملة المفسّرين من الطائفة الثانية فمضافاً إلى أنه يرى أن «الصادقين» يجب أن يكونوا معصومين يعتقد كذلك أن هذه الآية لا تختص بعصر نزول النصّ وزمان حياة النبىّ صلى الله عليه و آله بل فى كلّ زمان يكون هناك شخص صادق معصوم فى الامّة الإسلامية يجب على المسلمين إطاعته شرعاً. ولكنه عندما أراد تشخيص مصداق «الصادقين» تورط فى مسبوقاته الذهنية وابتلى بالتفسير بالرأى وقال: «نحن نعترف بأنه لابدّ من معصوم فى كلّ زمان، إلّاأنا نقول: ذلك المعصوم هو مجموع الامّة». أى أن الامة الإسلامية لو اتفقت على رأى واحد فى مسألة معيّنة فيجب على الجميع إتباع هذا الرأى، والنتيجة هى أن قوله تعالى «كونوا مع الصادقين» هو أن يكون المسلمون فى كلّ عصر وزمان يسيرون جنباً إلى جنب مع مجموع الامّة الإسلامية. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۰۵ ولكننا نسأل من الفخرالرازى: هل أن هذا التفسير كان يتبادر إلى ذهن المسلمين فى عصر نزول الوحى وفى أذهان الصحابة فى وقت نزول الآية؟ وأساساً فإنّ مسألة «الإجماع» طرحت بعد قرون من عصر النزول فكيف يستنبط الفخر الرازى من هذه الآية «إجماع الامّة»؟ ولا شكّ أن هذا التفسير مجانب للصواب وأن أصحاب النبىّ صلى الله عليه و آله لم يفهموا من كلمة «الصادقين» سوى عدّة من الأشخاص المعينين الذين يتمتعون بمقام العصمة. وعلى هذا الأساس، فلا- شكّ فى أن «الصادقين» يتمتعون بمقام العصمة من الذنوب والأخطاء، هذا أوّلًا ... وثانياً: أنهم موجودون فى كلّ عصر وزمان ولا يختص وجودهم فى زمان النبى الأكرم صلى الله عليه و آله. ثالثاً: أن عددهم معيّن ومحدد. فالامور الثلاثة أعلاه تستفاد من نفس هذه الآية الشريفة كما مرّ تفصيل الكلام عنه آنفاً «۱» ولكنّ مصداق «الصادقين» لا يتضح ويتبين من الآية نفسها بل لابدّ من الإستفادة من الروايات الشريفة.

تفسير آية الصادقين بضميمة الآيات الاخرى

تفسير آية الصادقين بضميمة الآيات الاخرى لو جلسنا فى مقابل القرآن جلسة التلميذ وأبعدنا أذهاننا عن المسبوقات الذهنية والمذهبية وتدبرنا فى آيات هذا الكتاب العظيم بإخلاص ورغبة صادقة فإنّ القرآن الكريم يعرّف لنا الصادقين فى آيات اخرى حيث يقول تعالى فى الآية ۱۵ من سورة الحجرات: «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتابُوا وَ جاهَدُوا بِأَمْوالِهِمْ آيات الولايـة فى القرآن، ص: ۱۰۶ وَ أَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ». فطبقاً لهذه الآية الشـريفة فإن «الصادقين» مضافاً إلى إيمانهم باللَّه ورسوله أو إيمـانهم بالمبـدأ والنبوّة الـتى يشترك فى هـذه العقيـدة جميع المسـلمين فـإنّهم يختصون بخصوصـيات اخرى لاـ يشترك معهم سـائر المسلمون: ۱- إنهم بعـد الإيمان باللَّه ورسوله لم يعيشوا الريب والشك ولا للحظة واحدة بل كانوا يعيشون الإيمان واليقين الراسخ فى جميع مراحـل حياتهم. ۲- والآـخر أن هـذا الإيمـان المـذكور لم ينحصـر فى عالم القلب واللسان فحسب، بل إنّ آثاره تجلت بوضوح على مستوى الممارسة والعمل، ولهذا فإنّهم يتحركون فى جهادهم فى سبيل اللَّه من موقع القرب من اللَّه وبدافع من طلب رضاه فقط لا بـدوافع اخرى فيبـذلون المال والأنفس فى هـذا السبيل. ومع الإلتفات إلى هاتين الخصوصـيتين النادرتين يجب علينا التفتيش والفحص بين أصـحاب الرسول الأكرم لنعثر على الشخص الذى يتمتّع بهذه الصفات والخصوصيات ويكون من الصادقين. ولدى رجوعنا لتاريخ صـدر الإسـلام نصل إلى هـذه الحقيقـة، وهى أن الشـخص الوحيـد الذى يتمتع بهذه الصـفات هو علىّ بن أبى طالب عليه السـلام لأن جميع حياته كانت مليئة بالجهاد بالمال والنفس ولم يشك أو يتردد طرفة عين فى إيمانه وعقيدته. ومن أجل إثبات هذه الحقيقة نذكر ثلاث وقائع مختلفـة مما يـذكره التاريـخ الإسـلامى عن حياة هذا الإمام وجهاده بالمال والنفس وإيمانه الراسخ باللَّه ورسوله: ۱- عندما تحرك المشـركون فى مكّة للقضاء على الإسلام وتآمروا فى كيفية الطريق إلى تحقيق هذه الغاية وصمّموا على تنفيذ مؤامرة قتل النبى الأكرم صـلى الله عليه و آله. ومن أجل أن لا تقوم عشيرة النبى صلى الله عليه و آله بالإنتقام من القاتل أو الإقتصاص منه قرّروا أن يقوم بهذه العملية عدّة أشخاص من جميع القبائل فاختاروا لذلك أربعين شخصاً من الأقوياء والشجعان فى القبائل العربية ليهجموا على بيت النبوّة ليلًا وينفّـذوا هـذه العمليـة. ولكنّ اللَّه تعالى أخبر نبيّه الكريم بواسـطة الوحى بهـذه المؤامرة الخطيرة، فقام النبى آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۰۷ لأجـل التخلص من هـذه المؤامرة بالهجرة إلى المدينـة ولكن من أجل أن لا يلتفت الأعـداء إلى غيبته لزم أن يختار شخصاً شـجاعاً مسـتعداً للموت لينام على فراش النبى فى الليلة المقررة فكان أن اختار النبى الإمام على عليه السلام لهذه المهمة. وطبقاً للروايات «۱» الواردة فى هذه الحادثة فإن رسول اللَّه قال لأميرالمؤمنين عليه السـلام عندها: إننى قد امرت أن اهاجر إلى المدينة ولكنّ هناك أربعين رجلًا مسـلّحاً من أربعين قبيلة يحاصرون هذا البيت وينتظرون طلوع الفجر ليهجموا على هذا البيت ويقتلوننى فهل أنت يا علىّ مسـتعد لتنام فى فراشى لأتمكن من التحرك نحو المدينة؟ فأجاب على عليه السلام الذى ملأ قلبه العشق للنبىّ وللرسالة ولم يتردد أو يشك لحظة فى إيمانه وعقيـدته: «يا رسول اللَّه إذا أنا نمت فى فراشك فهل تصل سالماً إلى المدينـة؟» كان هذا السؤال مهماً جداً بالنسـبة إلى الإمـام على عليه السـلام فلم يسـأل عن مصـيره هو والخطر المحـدق به فى هـذه الليلـة بل كان فكره مشـغولًا فقط بسـلامة معشوقه وحبيبه رسول اللَّه صـلى الله عليه و آله. وقال له رسول اللَّه صـلى الله عليه و آله: نعم سأصل سالماً إن شاء اللَّه. فوقع الإمام على عليه السـلام من فوره على الأرض ساجداً للَّه تعالى سـجدة الشـكر على سـلامة الرسول ولعلّ هذه كانت أوّل سجدة شكر فى الإسلام. فهل نجـد شـخصاً غير على ابن أبى طالب يعيش العشق والحبّ لرسول اللَّه صـلى الله عليه و آله إلى هـذه الدرجة؟ نحن بدورنا نعشـق هـذا الإمام ونتّبع فى عقيـدتنا وسـلوكنا هذا الإنسان الكامل. وهكذا نام الإمام على عليه السـلام فى فراش النبى ووصل النبى سالماً إلى المدينة فلما أصبح الصباح هجم الأعداء على بيت النبى فنهض الإمام على عليه السلام عندما سمع الضجة من فراشه، فوجد الأعداء أن هذا النائم ليس هو مرادهم ومقصودهم فسألوا عليّاً: أين محمّد؟ وبدون أن تتخلل ذرة من الخوف فى قلب الإمام على عليه السلام قال: وهل أودعتموه عنـدى حتّى تسألوا هذا السؤال؟ آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۰۸ فبهت الأعداء من هذا الجواب القاطع لهذا الشاب الشـجاع وقالوا فيما بينهم: إنّ هـذا شاب ساذج وقـد خـدعه محمّد صـلى الله عليه و آله. فلمّا سـمع الإمام على عليه السـلام ذلك منهم

وأنهم يتحدّثون عن حبيبه بلغة الإهانة قال لهم كلاماً جميلًا جداً وعميق المغزى: إنّ اللَّهُ قَدْ أَعْطانِى مِنَ الْعَقْلِ ما لَوْ قُسِّمَ عَلى جَمِيعِ حُمَقاءِ الدُّنيا وَ مَجانِينها لصارُوا بِهِ عُقَلاء وَمِنَ القُوَّةِ ما لَوْ قُسِّمَ عَلى جَمِيعِ ضُعَفاءِ الدُّنْيا لَصارُوا بِهِ أَقْوياءَ، وَمِنَ الشُّجاعَةِ ما لَوْ قُسِّمَ عَلى جَمِيعِ جُبَناءِ الدُّنْيا لَصارُوا بِهِ شَجْعاناً. «۱» عندما سمع الأعداء هذا الجواب تملكهم اليأس وأطرقوا برؤوسهم خارجين من المنزل. فلو كان لدى الإمام على عليه السلام ذرة من الشك والتردد بالنسبة إلى إيمانه باللَّه والرسول فهل يعقل أن يخاطر بحياته مثل هذه المخاطرة؟ ۲- فى واقعة احد تمكن الأعداء من تحقيق نصر عسكرى على المسلمين بسبب غفلة المسلمين وطمعهم فى حطام الدنيا ومضافاً إلى ذلك فقد استفاد الأعداء من هذه الغفلة وتحركوا من موقع الحرب النفسية ضد المسلمين حيث صاح أميرهم لما رأى النبى صلى الله عليه و آله جريحاً فى ميدان القتال «لقد قُتل محمّد!» ولما سمع المسلمون هذا النداء هرب الكثير منهم من ميدان القتال كما تقول الرواية، ولكنّ الإمام على عليه السلام الذى كان مؤمناً بانتصار الإسلام وبوعد اللَّه تعالى ولم يتردد لحظة فى هذه العقيدة الراسخة لم يلتفت إلى هذا النداء وبقى مستمراً فى قتال الأعداء حتّى أصاب جسده الشريف جراح كثيرة ولكنه استمر فى القتال والدفاع عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله بحيث أدّت شجاعته وإيمانه وسعيه البالغ فى دفع الخطر عن النبى صلى الله عليه و آله إلى إجهاض كيد العدو وأدرك المسلمون أن النبى صلى الله عليه و آله لم يقتل لحد الآن، ولذلك عاد الكثير منهم إلى ميدان القتال، وعلى أيّة حال انتهت الحرب بكلّ ما تضمنته من صعوبات وتحديات واندحر الأعداء وهم مصابون باليأس من الغلبة على الإسلام وتوجهوا إلى مكّة، وهكذا اصيب الإمام على عليه السلام فى هذه المعركة بما يقارب من ۹۰ جرحاً فأرسل له النبىّ صلى الله عليه و آله طبيبين ليعالجاه ويضمدا جراحه ولكنهم سرعان ما عادوا إلى آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۰۹ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وهما يقولان: يا رسول اللَّه إنّ جراح على ابن أبى طالب إلى درجة من الكثرة والتقارب بحيث أننا كلّما سعينا لمعالجة جرح انفتح علينا جرح آخر. يقول الشبلنجى العالم المعروف لدى أهل السنّة فى كتاب «نور الأبصار»: إنّ علىّ بن أبى طالب بعد واقعة احد قال لرسول اللَّه صلى الله عليه و آله: لقد أصابتنى فى هذه المعركة الشديدة مع المشركين ستة عشر ضربة عميقة بحيث إننى وقعت على الأرض أربع مرّات وفى كلّ مرّة كنت أرى شخصاً نورانياً يساعدنى على النهوض من الأرض ويقول: انهض ودافع عن رسول اللَّه، فمن هو يا رسول اللَّه؟ «۱» قال النبىّ صلى الله عليه و آله: لتقر عينك يا علىّ هذا جبرئيل أمين الوحى. نعم إنّ هذة الواقعة يصدقها القرآن الكريم بقوله: «إِنَّ الَّذِينَ قالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلَّا تَخافُوا وَ لا تَحْزَنُوا وَ أَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِى كُنْتُمْ تُوعَدُونَ» «۲». والخلاصة هى أن هذه الحادثة تدلُّ على المرتبة العليا لجهاد الإمام على عليه السلام بماله ونفسه من جهة وكذلك على إيمانه الراسخ ويقينه القوى باللَّه ورسوله وما وعده اللَّه تعالى من نصر الإسلام على المشركين من جهة اخرى. إذن فهو مصداق كلمة «الصادقين» فى هذه الآية الشريفة. ۳- وفى حرب الأحزاب عندما تقدّم عمرو بن عبدود العامرى بطل العرب وعبر الخندق وأخذ ينادى المسلمين ويطلب البراز فلم يستجب له إلّاعلىّ بن أبى طالب عليه السلام وتكرر هذا العمل ثلاث مرّات وفى كلّ مرّة ينهض الإمام على عليه السلام من مكانه وهو مستعد لمبارزته. وهكذا توجه على بن أبى طالب نحو هذا العدو الغاشم بإيمان راسخ وشجاعة عظيمة فدعى له رسول اللَّه صلى الله عليه و آله بالنصر، ثمّ إن المعركة بين على وعمرو بن عبدود انتهت بغلبة الإسلام على الكفر، وانتصر الإمام على عليه السلام على عدوه فى هذه المواجهة والمبارزة. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۱۰ وبينما كان الإمام على عليه السلام جالساً على صدر عمرو بن عبدود لحزّ رأسه، بصق عمرو فى وجه الإمام على عليه السلام وشتمه «۱» فما كان من الإمام على عليه السلام إلّاأن نهض وأخذ يتمشّى فى ميدان المعركة، وكان المسلمون ينظرون إلى مجريات الحادثة بدقة وتعجب، وبعد دقائق عاد بطل حرب الأحزاب إلى مكانه وقطع رأس عدو اللَّه. وبعد هذه الحادثة سُئل الإمام على عليه السلام عن سبب قيامه وانتظاره لحظات قبل أن يقدم على قتل عمرو فقال: قَدْ كانَ شَتَمَ امّى وَتَفَلَ فى وَجْهى فَخَشِيتُ أَنْ أَضْرِبَهُ لِحَظِّ نَفسى فَتَرَكْتُهُ حَتَّى سَكَنَ ما بى ثُمَّ قَتَلْتُهُ فِى اللَّهِ. «۲» وفى هذا يقول الشاعر الشيخ الازرى رحمه الله وهو يحكى هذه الواقعة المهمّة: ظهرت منه فى الورى سطوات ما أتى القوم كلّهم ما أتيها يوم غصّت بجيش عمرو بن ودّ لهوات الفلا وضاق فضاها فدعاهم وهم الوف ولكن ينظرون الذى يشبّ لظاها فابتدى

المصطفى يحدث عما يوجر الصابرون فى اخريها فالتووا عن جوابه كسوام لا تراها مجيبة من دعاها فإذا هم بفارس قرشى ترجف الأرض خيفة أن يطاها قائلًا ما لها سواى كفيل هذه ذمة علىّ وفاها فانتضى مشرفيه فتلقى ساق عمرو بضربة فبراها يا لها من ضربة حوت مكرمات لم يزن ثقل أجرها ثقلاها هذه من علاه احدى المعالى وعلى هذه فقس ما سواها وعلى هذا الأساس فإنّ علائم الإيمان الراسخ مشهودة فى حياة الإمام على عليه السلام كلّها، وحينئذٍ نفهم جيّداً بالإستفادة من القرائن وبمعونة الآيات القرآنية الاخرى أن المراد من «الصادقين» هو علىّ بن أبى طالب

الصادقين فى الروايات

الصادقين فى الروايات لو اقتصرنا على رواية الثقلين المهمة وضممناها إلى الآية الشريفة لرأينا أنها تلقى ضوءاً قوياً على مفهوم الآية وتوضح مصداق «الصادقين» وهم الأشخاص الذين ذكرتهم رواية الثقلين بأنهم أهل البيت الأئمّة المعصومين عليهم السلام الذين ينبغى التمسّك بهم دائماً، فيكون التمسّك بهم مانعاً من الضلال، ومضافاً إلى الرواية المذكورة هناك روايات متعددة ناظرة إلى هذه الآية الشريفة، وكمثال على ذلك نورد ما يلى: ۱- نقل خمس أشخاص من مشاهير وكبار علماء أهل السنّة وهم: السيوطى «۱»، الخوارزمى «۲»، العلّامة الثعلبى «۳»، العلّامة الكنجى «۴»، والحاكم الحسكانى «۵»، وهؤلاء كلّهم يروون عن الصحابى المعروف ابن عبّاس أو جابر بن عبداللَّه الأنصارى حيث يقول: «كُونُوا مَعَ الصَادِقِينَ، أىْ كُونُوا مَعَ عَلِيِّ بْنَ أَبى طالِبٍ». ووردت بعض العبارات فى هذه الروايات «هو علىّ بن أبى طالب» أو «نزلت فى علىّ ابن أبى طالب» «۶» وهى كلّها تؤدى معنى واحداً. ۲- نقل الحاكم الحسكانى فى «شواهد التنزيل» مضافاً إلى الرواية المذكورة آنفاً رواية اخرى عن «عبداللَّه بن عمر» حيث قال: «مَعَ الصَّادِقِينَ أىْ مَعَ مُحَمّدٍ وَأَهْلِ بَيْتِه». «۷» والملفت للنظر أن هذه الرواية تذكر سائر أهل البيت المعصومين عليهم السلام فى عداد الصادقين. ۳- ويروى سليم بن قيس الذى يقول عنه العلّامة المجلسى فى بحار الأنوار أنه شخص آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۱۲ ثقة حيث يقول فى تفسير كلمة «الصادقين»: «فقال سلمان: يا رسول اللَّه، أعامة هى أم خاصّة؟ فقال: أما المؤمنون فعامة لأن جماعة المؤمنين امروا بذلك، وأما الصادقون فخاصّة لأخى على والأوصياء من بعده إلى يوم القيامة» «۱». وطبقاً لهذه الرواية فإن «الصادقين» هم الأئمّة المعصومين عليهم السلام. ۴- ويقول العلّامة الكنجى فى كتاب «كفاية الطالب» و «ابن الجوزى» فى كتابه «التذكرة»: قال علماء السِير: معناه كونوا مع علىّ وأهل بيته «۲» وهكذا يروى المؤرّخون فى معنى «كونوا مع الصادقين» أن المراد بهم هم علىّ وأهل بيته عليهم السلام. وطبقاً لهذا الحديث فإنّ «الصادقين» هم الأئمّة الاثنا عشر عليهم السلام للشيعة.

توصيفة آية الصادقين

توصيفة آية الصادقين ومما تقدّم من صفات وخصائص المعصومين عليهم السلام وأنهم المجاهدون، العابدون، الراكعون، الساجدون، القائمون، الصائمون، الزاهدون، العالمون، المتقون، الذاكرون، الخاشعون، وأمثال ذلك فإنّ هذه الصفات تجتمع فى مصداق كلمة «الصادقين»، وهذا يعنى أن حالة «الصدق» لها دور مهم جداً فى مصير الإنسان «وليس المسلم فحسب»، ولهذا السبب فإنّ الآية الشريفة وصفت أئمّة الهدى بهذه الصفات. ومع الإلتفات إلى أهمية هذا الموضوع نذكر بعض ما ورد عن الإمام على عليه السلام فى هذا الصدد: ۱- «الصِّدْقُ عِمادُ الإسْلام وَدَعامَةُ الإيمانِ». «۳» فلو سقط عمود البناء لانهار البناء تماماً، فلو أن المسلم لم يتّصف ويتحلّى بصفة الصدق فلا معنى لإسلامه وإيمانه. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۱۳ ۲- «الصِّدقُ أَقْوى دَعائِمِ الْإيمانِ» «۱» وهذا يعنى أن الصدق يقترن مع مفهوم عمود الخيمة بحيث لو زال العمود لحظة لانهدمت الخيمة. ۳- «الصِّدقُ صَلاحُ كُلِّ شَىءٍ وَالْكِذْبُ فَسادُ كُلِّ شَىءٍ» «۲». وفى الحقيقة فإنّ الصدق لو ساد فى المجتمع وكان جميع أفراد المجتمع يتحلّون بهذه الصفة وكان الرجل وزوجته يعيشان حالة الصدق فى البيت، وكذلك الموظفون فى الإدارات والشركاء فى محيط التجارة والحكّام فى دائرة الحكومة والسياسة والطلاب

والتلاميـذ فى أجواء المدرسـة والجامعة، والخلاصة لو كان جميع أفراد المجتمع يتحركون فى تعاملهم وتفاعلهم مع الآخرين من موقع الصدق فإن ذلك بلا شكّ سوف يحلّ الكثير من المشاكل والتحدّيات التى يواجهها المجتمع البشرى. إنّ جميع المشاكل والمصاعب تنبع من عـدم الصـدق فى التعامل وفى الكلام. وهـذا المعنى يصـدق أيضاً فى البعـد العالمى للمجتمع البشـرى، وعلى سبيل المثال إذا كانت الـدول والحكومات التى تدّعى حقوق الإنسان صادقة فى الإسـتفادة من هذا العنوان الجميل لكانت البشـرية فى عالمنا المعاصـر تعيش حالـة أفضل بكثير ممّا هى عليه الآن. ولكننا نرى أن هـذا الإدعاء قـد انحرف عن مسـيره فلا نجـد معالم الصدق فى التعامل بين الـدول التى لاـ تفكر إلّابمصالحهـا الذاتيـة وعلى حسـاب الظلم والجور والفساد الفاحش، وعلى هـذا الأساس فلو أن جاسوساً اسـرائيلياً يقـدم للمحاكمـة فى نقطـة من العـالم فإن صـراخ هؤلاء المـدّعون لحقوق الإنسان سـيعلو ويطغى على كلّ شـىء، ولكن إذا تم سـحق الشـعب الفلسـطينى وقتل آلاف الأشخاص من أفراد هذا الشعب المظلوم فلا نجد أى اعتراض من هؤلاء بل مع كثير التعجب والتأسف نجـدهم يقـدّمون معالم التأييـد السياسـى والاقتصادى والعسـكرى إلى الظالم على حساب المظلوم. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۱۴ وهكـذا نـدرك جيـداً عمق ما تحـدّث به أميرالمؤمنين: «إنّ الكـذب فساد كلّ شـىء». والنتيجـة هى أن آيـة «الصادقين» توحى لجميع المسلمين بل جميع البشرية بأن يكونوا مع الصادقين. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۱۵

الفصل الثانى: آيات فضائل أهل البيت عليهم السلام

آية التطهير

اشارة

آية التطهير ۶ [سورة الأحزاب (۳۳): آية ۳۳] وَ قَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَ لا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجاهِلِيَّةِ الْأُولى وَ أَقِمْنَ الصَّلاةَ وَ آتِينَ الزَّكاةَ وَ أَطِعْنَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً (۳۳) «سورة الأحزاب/ الآية ۳۳»

أبعاد البحث

أبعـاد البحث إن آيـة التطهير هى آيـة اخرى من الآيـات التى تتعلّق بولايـة أميرالمؤمنين والأئمّـة المعصومين عليهم السـلام. هـذه الآية الشريفة والتى ينبغى التدبّر فى كلّ كلمة من كلماتها تدلُّ أيضاً على عصمة الأئمّة الأطهار عليهم السلام.

مقدّمة

مقدّمـة إنّ الآيات ۲۸- ۳۴ من سورة الأـحزاب كلّهـا وردت فى خطاب نساء النبىّ صـلى الله عليه و آله ومن بين هـذه الآيات الشـريفة السـبعة وردت آية التطهير بلسان متفاوت ومضمون مختلف، ومن ذلك تغيير الضمائر فى هذه الآية، فإننا نرى فى الآيات الشريفة قبلها ورد خمس وعشـرين ضـمير أو فعل يـدلُّ على المؤنث، وبعـد آيـة التطهير أيضاً نجـد ضـميرين وفعل كذلك يدلُّ على التأنيث ولكنّ جميع الضـمائر والأفعال فى آيـة التطهير التى تقع وسط ۲۷ ضـميراً وفعلًا مؤنثاً قـد وردت بلسان المذكر، أو أن الضـمير فيها يعود على المذكر والمؤنث كليهما، والخلاصة أن الضـمائر فيها لا تختصّ بالمؤنث. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۱۸ فهل أن هذا التفاوت هو من باب الإتفاق والصدفـة، أو أن له حكمة خاصّة؟ بلا شكّ أنه لم يقع صدفةً بل له علّة خاصّة لابدّ من أخذها بنظر الإعتبار. فإذا كان المراد من آية التطهير هو نساء النبى صـلى الله عليه و آله فلماذا تبدلّ الخطاب فى هذه الآية ولم يرد فيها الضـمائر الخاصّة بالمؤنث؟ لا شكّ أن مضـمون الآيـة ومحتواها وتغيير الضـمائر والأفعال يـدلُّ على أن المراد منها ليس هو نساء النبى صـلى الله عليه و آله، وسـيأتى توضيح أكثر لهذا الموضوع فى البحوث القادمة.

الشرح والتفسير: آية التطهير، برهان واضح للعصمة

الشرح والتفسير: آية التطهير، برهان واضح للعصمة تقدّم أنه ينبغى التدبر فى كلّ كلمة من كلمات هذه الآية الشريفة مورد البحث لاستجلاء المراد الحقيقى منها: ١- كلمة «إنّما» تستعمل للحصر فى اللغة العربية ويتّضح من هذه الكلمة أن المضمون الوارد فى هذه الآية الشريفة لا يتعلق بجميع المسلمين وإلّا لا معنى لاستخدام هذه الكلمة. «الرجس» الذى تحدّثت عنه هذه الآية لم يرفع من الجميع بل أراد اللَّه رفعه من بعض الأفراد بخصوصهم، مضافاً إلى أن «الرجس» يراد به رجس خاصّ، وقد أراد اللَّه إزالته عن أفراد معينين وتطهيرهم منه. وبما أن التقوى العادية تستوعب جميع المسلمين والواجب على جميع المسلمين تطهير أنفسهم من الرذائل والذنوب، فإنّ المراد من هذه الآية وما يختصّ بهؤلاء الأفراد المعينين يجب أن يكون أعلى ممّا يراد من الأشخاص العاديين فى تقواهم وحركتهم فى خط الطاعة والإيمان. ٢- «يُرِيدُ اللَّهُ».* فما هو المراد من إرادة اللَّه؟ هل هى الإرادة التشريعية أو الإرادة التكوينية؟ الجواب: للإجابة على هذا السؤال يلزمنا بعض التوضيح حول مفهوم الإرادة التكوينية والتشريعية: آيات الولاية فى القرآن، ص: ١١٩ الإرادة التشريعية: هى الإرادة التى تعنى أوامر اللَّه تعالى ودستوراته من الواجبات والمحرمات الواردة فى الشريعة المقدّسة، والآية ١٨٥ من سورة البقرة هى أحد الآيات التى وردت فيها الإرادة الإلهية بمعناها التشريعى حيث ذكر اللَّه تعالى فى هذه الآية الشريفة بعد بيان وجوب صوم شهر رمضان المبارك واستثناء هذا الحكم بالنسبة إلى المسافر والمريض يقول: «يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَ لا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ». فالمقصود من الإرادة الإلهية هنا هى الإرادة التشريعية، أى أن أحكام اللَّه تعالى فى شهر رمضان سهلة ويسيرة للإنسان المؤمن بل إن جميع أحكام الإسلام هى كذلك، ولذلك قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: «بُعِثْتُ إِلَيْكُمْ بِالْحَنِفِيَّةِ السَّمْحَةِ السَّهْلَةِ». «١» «الإرادة التكوينية» هى الإرادة التى تستخدم فى مقام الخلق والتكوين فقد أراد اللَّه تعالى خلق العالم وخلق سائر الكائنات والمخلوقات. وكمثال على هذه الإرادة الإلهية ما ورد فى الآية ٨٢ من سورة يس حيث يقول تبارك وتعالى فى هذه الآية: «إِنَّما أَمْرُهُ إِذا أَرادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ». فالمقصود من هذه الإرادة فى الآية الشريفة هى الإرادة التكوينية، وفى الحقيقة أن قدرة اللَّه تعالى على هذا الكون وسلطته على الكائنات إلى درجة من الشدّة والإستحكام بحيث إنه إذا أراد أن يخلق مثل هذا العالم الذى نعيش فيه فيكفى أن يصدر أمره بذلك، وطبقاً للأقوال العلماء أن الشمس أكبر من الأرض بمليون ومائتين ألف مرّة ويحتوى على مائة ميليارد نجم فى المنظومة الشمسية فى مجرتنا لوحدها وحجم كلٌّ واحد منهما بحجم الشمس بالمقدار المتوسط، فلو أراد اللَّه أن يخلق مثل هذا العالم لكفى أن يأمر ويقول: كن فيكون «الْعَظَمَةُ لِلَّهِ الْواحِدِ الْقَهّارِ». آيات الولاية فى القرآن، ص: ١٢٠ وبعد أن تعرّفنا على هذين المعنيين للإرادة الإلهية نتساءل: هل أن المراد بالإرادة الإلهية فى آية التطهير هى الإرادة التشريعية أو التكوينية؟ أى أن اللَّه تعالى هل أراد من أهل البيت أن يعيشوا الطهارة والإبتعاد عن الرجس والرذائل، أو أن اللَّه تعالى هو الذى سيقوم بتطهير هؤلاء الأشخاص من الرجس والرذيلة؟ الجواب: بلا شكّ أن المراد هنا الإرادة التكوينية، لأن الأمر بالطهارة والتقوى لا يختص بأهل البيت بل هو دستور عام وتشريع شامل لجميع المسلمين، فى حين أننا قرأنا سابقاً أن مقتضى كلمة «إنّما» هو الحصر بدائرة معيّنة، وهم أهل البيت عليهم السلام ولا يشمل جميع المسلمين. والنتيجة هى أن اللَّه تعالى بإرادته التكوينية أراد أن يسجّل فضيلة وموهبة اخرى لأهل البيت عليهم السلام ويمنحهم «العصمة» فى واقعهم الروحى وملكاتهم الأخلاقية بحيث يبتعدون عن كلّ رجس ورذيلة ويعيشون الطهارة من الذنوب والخطايا. سؤال: هل أن العصمة فى هؤلاء المعصومين تتمتع بحالة من الجبر؟ وبعبارة اخرى: هل أن هؤلاء العظماء يجتنبون المعاصى والذنوب من دون اختيار منهم؟ فلو كان كذلك فإنّ العصمة لا تعنى شيئاً فى دائرة الإمتياز الأخلاقى والإيمانى. الجواب: إنّ الشىء إذا كان محالًا فى دائرة أعمال الإنسان فهو على قسمين: ١- المحال العقلى، ٢- المحال العادى. «المحال العقلى» هو أن يكون وقوع الشىء محالًا كأن تكون هذه اللحظة من الزمان ليلًا ونهاراً فى آن واحد، فهذا عقلًا محال، أو تقرأ كتاباً عدد صفحاته ۴۰۰ و ۵۰۰ صفحة فى نفس الوقت، فهذا من المحال عقلًا لأنه جمع بين النقيضين والجمع بين النقيضين محال عقلًا «١». ولكن تارة يكون وقوع

العمل ممكن عقلًا ولكنه عادة ممتنع، ومثاله أن كلَّ إنسان عاقل لا يظهر فى الشارع وأمام الناس عارياً، فهذه المسألة ممكنة عقلًا ولكنها محالٌ عادةً، وعليه آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۲۱ فالناس بالنسبة إلى هذه الحالة معصومين لأن عقلهم لا يبيح لهم ارتكاب مثل هذا العمل الذى قبحه واضح وجلى، إذن فجميع أفراد البشر يمكن أن تكون لهم عصمة جزئية بالنسبة إلى بعض الذنوب والأفعال. ولو تقدّمنا خطوة إلى الامام رأينا أن بعض الناس قد تكون لهم عصمة جزئية بالنسبة إلى بعض الأفعال التى هى محال عادةً، من قبيل أن من المحال أن يقوم رجل دين معروف فى اليوم الواحد والعشرين من شهر رمضان المبارك وفى محراب المسجد وهو جالس على سجادة الصلاة بشرب الخمر أمام الناس، فهذا من المحال، ولكنه ليس من المحال العقلى بل إن صدوره من مثل هذا الشخص محال عادةً لأن عقله لا يسمح له بارتكاب مثل هذا العمل فى هذا المكان وهذه الموقعيّة. وأمّا المعصومون عليهم السلام فيتمتعون بمقام العصمة فى مقابل جميع الذنوب والخطايا، أى أنه رغم كونهم من الناحية العقلية يمكن صدور الذنب والمعصية منهم، ولكنّه غير ممكن عادةً لأن عقلهم وتقواهم ومعرفتهم بالنسبة إلى جميع الذنوب والمعاصى كعلم الشخص العادى بالنسبة إلى الخروج عارياً إلى الشارع، فكما أن الإنسان العادى معصوم من مثل هذا الذنب، فالأئمّة المعصومون عليهم السلام أيضاً يتمتعون بمقام العصمة فى مقابل جميع الذنوب، فمن المحال عادةً أن يقوموا بارتكاب المعصية حتّى لو كان صدورها منهم ممكن عقلًا. إذن فالعصمة هنا ليست أمراً جبرياً وليست بحيث تكون خارجة عن اختيار المعصومين عليهم السلام وإلّا فلا قيمة لمثل هذه الأعمال. والنتيجة هى أن الإرادة الإلهية فى هذه الآية الشريفة هى إرادة تكوينية، والعصمة هنا لا تسلب الإختيار والإرادة من الأئمّة المعصومين عليهم السلام ولا تجبرهم على ترك المعصية والذنوب بل إنّ هؤلاء الرجال لا يتوجهون نحو الذنوب بكمال حريتهم واختيارهم. ۳- المراد من «الرِّجس» الرجس بمعنى القبيح، فتارةً يطلق على الامور المادية القبيحة، واخرى على الامور المعنوية القبيحة، وثالثة قد يطلق ويستعمل على كلا الأمرين كما ذكر ذلك الراغب فى مفرداته. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۲۲ ولكلٍّ مورد من هذه الموارد الثلاثة فى استعمال كلمة «الرجس» هناك شاهد من القرآن الكريم: ألف- الرجس المعنوى: وهو ما ورد فى الآية ۱۲۵ من سورة التوبة. «وَ أَمَّا الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ وَ ماتُوا وَ هُمْ كافِرُونَ». فإنّ عبارة «فى قلوبهم مرض» تطلق غالباً على المنافقين ومن كانوا يعيشون المرض القلبى حقيقةً فى نفاقهم، وإلّا فإنّ الإنسان السليم إمّا أن يقبل الأوامر الإلهية ويكون مسلماً أو يردّها ويكون كافراً، ولكن أن يقبلها فى الظاهر وفى عالم العمل والممارسة ولكنه لا يعتقد بها فى قلبه، فهذا هو النفاق وهو نوع من المرض القلبى. وعلى أيّة حال فإنّ كلمة «الرجس» فى هذه الآية الشريفة وردت بمعنى القبح المعنوى فإنّ النفاق نوع من القبح المعنوى لا القبح المادى الظاهرى. ب- الرجس الظاهرى والمادى: وهو ما ورد فى الآية ۱۴۵ من سورة الأنعام: «قُلْ لا أَجِدُ فِى ما أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً عَلى طاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَماً مَسْفُوحاً أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ ...». ومن الواضح أن الرجس استخدم فى هذه الآية الشريفة بمعنى القبح المادى والظاهرى. ج- الرجس المعنوى والمادى: ونقرأ فى الآية ۹۰ من سورة المائدة أن «الرجس» استخدم بكلا المعنيين: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَ الْمَيْسِرُ وَ الْأَنْصابُ وَ الْأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ». وهنا نجد أن «الرجس» فى هذه الآية الشريفة استخدم فى كلا المعنيين المادى والمعنوى لأن الخمر له حكم النجاسة المادية، ولكن القمار والأزلام ليست كذلك بل هى من الرجس المعنوى. والنتيجة هى أن كلمة «الرجس» فى الآيات الشريفة لها معنى عام وتشمل جميع القبائح الظاهرية والمعنوية والأخلاقية والعقائدية والجسمية والروحية، وعليه فإنّ اللّه تعالى فى آية التطهير وبإرادته التكوينية قد طهّر أهل البيت عليهم السلام من جميع أنواع الرجس بمعناه الواسع. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۲۳ والدليل على أن الرجس استخدم فى هذه الآية الشريفة فى جميع أنواع الرجس المادى والمعنوى هو إطلاق هذه الكلمة، أى أن هذه الكلمة لم ترد بالآية الشريفة مقيّدة بقيد أو مشروطة بشرط بل وردت بصورة مطلقة وبدون قيد أو شرط، فلذلك تستوعب فى مضمونها جميع أنواع الرجس. «وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً» هذه الجملة فى الواقع تأكيد وتفسير للجملة السابقة «لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ» فطبقاً لهذه الآية فإن «أهل البيت» طاهرون من الرجس وكلُّ عمل قبيح بالإرادة الإلهية التكوينية، فهم يتمتعون بمقام العصمة المطلقة.

من هم أهل البيت؟

من هم أهل البيت؟ يستفاد من الآية الشريفة محل البحث أن «أهل البيت» يتمتعون بخصوصية تميّزهم عن سائر المسلمين وهى مقام الطهارة والعصمة المطلقة، ولكن هنا يثار هذا السؤال وهو: من هم أهل البيت؟ وفى مقام الجواب عن هذا السؤال هناك نظريات مختلفة فى تفسير كلمة «أهل البيت» حيث نكتفى هنا بذكر أربعة منها: ۱- ما ذكره بعض المفسّرين من أهل السنّة من أن المراد من أهل البيت هنا زوجات النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله «۱» وطبقاً لهذا التفسير لا يكون الإمام علىّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام من أهل البيت، وبعبارة اخرى أن أهل البيت هم الذين يرتبطون بالنبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله برابطة سببية لا نسبية. ودليلهم على هذه النظرية هى أن آية التطهير وردت ضمن آيات قرآنية تتعلق بنساء النبىّ صلى الله عليه و آله فهناك آيات قبلها وبعدها تتحدّث عن نساء النبىّ صلى الله عليه و آله، وسياق الآية يقتضى أن هذه الآية الشريفة أيضاً متعلّقة بنساء النبىّ صلى الله عليه و آله. ولكن هذه النظرية باطلة لِدليلين: الأوّل: أنه كما تقدّم سابقاً من أن الآيات الخمسة قبل آية التطهير وكذلك صدر الآية آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۲۴ ۳۲ من سورة الأحزاب التى وقعت آية التطهير فى ذيلها تتضمن ۲۵ ضمير وفعل وردت بصياغة المؤنث وفى الآية التى تليها «الآية ۳۳» هناك فعل وضمير يختص بالمؤنث أيضاً، ولكن ضمائر وأفعال آية التطهير كلّها تعود إلى المذكر أو تشمل المذكر والمؤنث وعليه لا تكون شاملة لبعض نساء النبى لوحدهنّ قطعاً. وعلى هذا الأساس ونظراً إلى أن القرآن هو كلام اللَّه تعالى وقد ورد بأبلغ بيان وأفصح عبارة، ولذلك لابدّ أن يكون هناك سبب فى تغيير الضمائر والأفعال حيث يكون المراد من أهل البيت هم أفراد غير نساء النبى بحيث إن اللَّه تعالى غيّر من سياق الآية وجعلها متميّزة عن بقية الآيات الشريفة. فطبقاً لهذا البيان يكون المراد من أهل البيت ليس نساء النبى قطعاً بل المقصود أشخاص آخرون لابدّ من البحث عنهم من خلال الأدلّة والبراهين. الثانى: هو أنه بالإلتفات إلى ما تقدّم من شرح وتفسير آية التطهير فإنّ أهل البيت يتمتعون بمقام العصمة المطلقة، ولا نجد من العلماء والمفسّرين من الشيعة والسنّة يقولون بعصمة نساء النبى، فإن نساء النبى رغم أنهنَّ نساء مؤمنات ولكن لا يمكن ادعاء العصمة لهنّ بل يمكن ادعاء أن البعض قد ارتكبن ذنوب كبيرة ثبتت بالأدلة القاطعة وكنموذج على ذلك: كان علىّ بن أبى طالب عليه السلام الخليفة الوحيد الذى كان يتمتع من جهة بالتنصيب من قبل اللَّه تعالى، ومن جهة اخرى تمت خلافته بانتخاب المسلمين وكان هذا الانتخاب يختلف عن الإنتخابات السابقة للخلفاء، لأن الخليفة الأوّل لم ينتخبه سوى عدّة قليلة فى سقيفة بنى ساعدة ثمّ أجبروا الناس على بيعته لاحقاً، وأما الخليفة الثانى فتم نصبه من قبل الخليفة الأوّل، والخليفة الثالث تولّى سدة الخلافة بثلاث آراء من الشورى الذين نصبهم الخليفة السابق، ولكن الإمام على عليه السلام واجه فى مسألة بيعته للخلافة رغبة جميع الناس وازدحامهم وإصرارهم على البيعة رغم أن ذلك كان على خلاف ميله ورغبته حتّى أنه قال: «حتّى لقد وُطىء الحسنان». «۱» آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۲۵ ولكن بالرغم من ذلك فإننا نرى أن إحدى نساء النبىّ رفعت لواء المعارضة والمخالفة لهذا الخليفة ووصى النبى صلى الله عليه و آله بالحقّ ونقضت بيعته وتحركت على خلاف وصية النبى لنساءه بأن لا يخرجن من بيوتهن، فتحركت وخرجت من المدينة وركبت الجمل متوجهة إلى البصرة، وعندما وصلت إلى منطقة الحوأب وسمعت صوت الكلاب تذكرت قول النبى صلى الله عليه و آله لها وقالت: «إنا للَّه وإنا إليه راجعون! ردّونى ردّونى، هذا الماء الذى قال لى رسول اللَّه: لا تكونى التى تنبحك كلاب الحوأب». «۱» عندما سمعت باسم هذه المنطقة وقيل لها أنها تدعى «الحوأب» عزمت على الرجوع ولكن الأشخاص المتصدين لتثوير الناس للحرب منعوها من ذلك بشتّى الحيل واستمرت فى مسيرها. فهل أن مثل هذه المرأة التى خالفت كلام رسول اللَّه صلى الله عليه و آله ورفعت لواء المعارضة والحرب على خليفته بالحقّ وسببت فى سفك دماء أكثر من ۱۷ ألف نفر من المسلمين هل أنها معصومة وطاهرة من الرجس والمعصية؟ والملفت للنظر أن هذه المرأة هى قد اعترفت بخطأها بنفسها، وفى مقام الجواب على من سألها عن سبب إقامتها هذه الحرب الضروس وأنه من المسؤول عن كلّ هذه الدماء؟ أظهرت الأسف وقالت انه من التقدير الإلهى وتمنت أن هذه الواقعة لم تكن قد وقعت. وعلى

الرغم من أنها اعترفت بخطأها بحيث لا يمكن قبول أىّ توجيه وتبرير لذلك فإنّ بعض العلماء المتعصبين من أهل السنّة ذهبوا إلى أن ذلك نوع من الإجتهاد وأن عائشة لم تكن على خطأ فى ذلك. فهل يصحّ هذا الكلام والإدعاء؟ هل أن الإجتهاد فى مقابل خليفة النبىّ بالحقّ والذى تقول عنه عائشة «انه أفضل الناس وكلٌّ من أبغضه كافر» اجتهاد صحيح؟ فإذا فتحنا هذه الذريعة وقبلنا بهذا التبرير فى هذا المورد فلا يبقى أىٌّ مذنب على وجه الأرض، لأن كلّ خطأ له تبرير واجتهاد ويمكن للإنسان أن يحمل معصيته على سبيل الإجتهاد والإستنباط. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۲۶ والنتيجة هى أن حرب الجمل لم يكن لها أىٌّ تبرير منطقى، ولا شكّ فى أنّ الأشخاص الذين تولّوا إشعال هذه الحرب من المذنبين والخاطئين ولا يمكن القول أنهم مطهرون من الرجس والذنب. ۲- النظرية الثانية أن المراد من أهل البيت هنا الرسول الأكرم والإمام علىّ والحسن والحسين وفاطمة عليهم السلام ونساء النبى «۱». وطبقاً لهذه النظرية فإنّ أحد الإشكالات الثلاثة المتقدمة على النظرية الاولى (الإشكال الأوّل) سينتهى، وبما أن مجموعة النساء والرجال فى مقام الخطاب فانه يستعمل فى حقّهم ضمير المذكّر وصحّ مجى هذه الآية بضمير المذكر، ولكن يبقى الإشكالين الآخرين (حيث تقدّم بيانهما فى الردّ على النظرية الاولى) وعليه فإنّ هذه النظرية غير قابلة للقبول. ۳- وذهب بعض آخر من المفسّرين إلى أن المراد من «أهل البيت» هم القاطنون فى مكّة المكرّمة، وقالوا إنّ المراد من «أهل البيت» هنا هو بيت اللّه الحرام والكعبة المعظمة، وعليه فإنّ «أهل البيت» فى هذه الآية هم أهالى مكّة. وبطلان هذه النظرية واضح أيضاً حيث يرد عليها الإشكالين السابقين فى النظرية الاولى، مضافاً إلى أن أهالى مكّة لا يمتازون عن أهالى المدينة حتّى يقال بأن اللّه تعالى أذهب عنهم الرجس وطهّرهم من الذنب. ۴- وهى نظرية جميع علماء الشيعة والتى لا يرد عليها أى من واحد من الإشكالات السابقة وهى أن المراد من «أهل البيت» فى هذه الآية هم أشخاص معينون من أهل البيت، أى الإمام علىّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام وعلى رأسهم النبى الأكرم صلى الله عليه و آله. والشاهد على صحّة هذه النظرية انه لا يرد أىّ من الإشكالات الثلاثة المذكورة فى النظرية الاولى، مضافاً إلى الروايات الكثيرة الدالّة على صحّة هذه النظرية الرابعة حيث يقول العلّامة الطباطبائى فى «الميزان» بأن عدد هذه الروايات يبلغ أكثر من سبعين رواية «۲»، آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۲۷ والملفت للنظر أن أكثر هذه الروايات مذكورة فى مصادر أهل السنّة المعتبرة ومنها: ۱- صحيح مسلم «۱» الذى هو من أهم الكتب الحديثية المعتبرة لديهم. ۲- صحيح الترمذى «۲» وهو أحد الصحاح الستة لدى أهل السنّة. ۳- المستدرك على الصحيحين «۳». ۴- السنن الكبرى للبيهقى «۴» هذا الكتاب رغم أنه يحوى غالباً الروايات الفقهية إلّاأنه يتضمن روايات غير فقهية. ۵- الدرّ المنثور للسيوطى. «۵» ۶- شواهد التنزيل «۶» للحاكم الحسكانى النيشابورى. ۷- مسند أحمد «۷». وعلى هذا الأساس فإن الروايات التى تفسر «أهل البيت» بالخمسة من آل الكساء هى من جهة أكثر عدداً، ومن جهة اخرى مذكورة فى الكتب المعتبرة جداً لدى أهل السنّة. الفخر الرازى يتحدّث عن هذه الروايات ومقدارها وميزان اعتبارها ويعترف بهذه الحقيقة ويقول فى ذيل تفسير آية المباهلة «الآية ۶۱ من آل عمران»: واعلم أن هذه الرواية كالمتفق على صحتها بين أهل التفسير والحديث «۸». والنتيجة هى أن الروايات التى تفسر «أهل البيت» بهؤلاء الخمسة لا تقبل النقاش من حيث المقدار والإعتبار، ونكتفى هنا بذكر رواية واحدة من مجموع هذه الروايات، وهى رواية الكساء. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۲۸ هذه الرواية ذكرت فى المصادر الحديثية على نحوين: ۱- بالتفصيل ۲- باختصار. أما حديث الكساء المفصّل والذى يُقرأ عادةً لشفاء المرضى وحل المشكلات فليس بحديث متواتر، ولكن حديث الكساء المختصر متواتر فى مضمونه حيث تقول الرواية: «عن امّ سلمة (زوجة النبى) أن النبى كان فى بيتها وجاءته فاطمة بالطعام، فقال لها: ادع لى بعلك وابنيك. فجاؤوا فتناولوا الطعام ثمّ نشر صلى الله عليه و آله عليهم الكساء وقال: اللّهُمَّ إنَّ هؤُلاءِ أَهْلُ بَيْتى وَخاصَّتى اذْهِبْ عَنْهُمُ الرِّجْسَ، فَنَزَلَ جِبْرَئيلُ «إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً». فقلت: يا رسول اللّه وأنا معكم؟ فقال: إنكِ على خير» «۱». وفى حديث آخر نقلت هذه الواقعة عن عائشة أيضاً «۲». والنتيجة أن أهل البيت طبقاً لهذه الروايات هم الخمسة من أهل الكساء. سؤال: ما هى الحكمة من هذا العمل؟ ولماذا أقدم الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله على ضمّ أهل بيته تحت الكساء وأن يقول هذه العبارة الجميلة؟ ولماذا لم يأذن لُامّ سلمة وعائشة أن يدخلا تحت الكساء؟ الجواب: إنّ هدف

النبى الأـكرم صـلى الله عليه و آله من كلّ هـذه التشـريفات والـدقائق المحفوفـة بهـذه الواقعـة هو أنه أراد أن يميّز أهل البيت ويعرّفهم للناس بحيث لا يبقى معه أىُّ غموض أو إبهام وحتّى لا يقول الأشـخاص الـذين يأتون بعد ذلك الزمان أن المراد من «أهل البيت» هم أشـخاص آخرين. ولهذا السـبب فإنّ الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله لم يكتفِ بهذه التشريفات أيضاً بل طبقاً للروايـة المذكورة فى مصـادر مختلفـة منها «شواهـد التنزيل» نقلًا عن أنس بن مالك الخادم الخاص لرسول اللَّه تقول: أن رسول اللَّه بعـد هـذه الحادثـة كان يأتى كلّ يوم قبل أذان الصـبح وقبل إقامة صلاة الجماعة إلى بيت علىّ وفاطمة ويقف أمام البيت ويكرر هذه العبارة: آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۲۹ «الصَّلاةَ يا أَهْلَ الْبَيْتِ. «إِنَّما يُرِيـدُ اللَّهُ لِيُـذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً». وهذا العمل اسـتمر إلى ستة أشـهر بلا انقطاع «۱». هـذه الروايـة أعلاه نقلت أيضاً عن أبى سـعيد الخـدرى حيث يقول أيضاً: «إنّ النبى الأكرم كان يعمل هـذا العمل لمدّة ثمانية أشـهر» «۲». ولعلّ النبى الأكرم صـلى الله عليه و آله قـد اسـتمر على هـذا العمل أكثر من هـذه المدّة ولكن أنس ابن مالك اقتصـر على سـتة أشـهر وأبو سعيد الخدرى اقتصر على ثمانية أشهر «۳». وعليه فـإنّ هـدف النبى فى فصـل أهل البيت عن نسائه وتعيين المصـداق الكامل والواضح لكلمة «أهل البيت» هو بيان هذه الحقيقة للمسـلمين بشـكل واضح وجلى بحيث لا نجد مورداً آخر قـام النبى صـلى الله عليه و آله بتكرار عمل معيّن إلى هـذه الدرجـة، فهل أن كلّ هـذه التأكيـدات والتوصـيات والتوضـيحات لا تكفى للقول بأن أهل البيت هم هؤلاء الخمسة؟ وهل من الصـحيح أن نفسّـر هذه الآية بتفسيرات بعيدة عن أجواءها؟ لماذا يذهب البعض فى مثل هـذه القضـية الواضـحة كالشـمس فى رابعـة النهار إلى مذاهب متفرقة ويوقعوا أنفسـهم والآخرين فى مزالق الضـلالة والإنحراف؟ الجواب على هـذا السؤال واضـح أيضاً، وهو أن التفسـير بالرأى والمسـبوقات الفكرية لهؤلاء تشـكل حجاباً سـميكاً على بصـيرتهم فلا يدركوا معه ما يخالف نظراتهم المسبقة حتّى وإن كانت كوضح الصبح أو لا يريدون أن يقبلوا بالحقيقة. ربّنا! نسألك أن تأخذ بأيدينا فى طريق الهداية والحقّ دائماً ولا تحرمنا من أنوار هدايتك لحظة واحدة. إلهنا! جنبنا من الوقوع فى التفسير بالرأى وخاصة بالنسبة إلى القرآن الكريم والمعارف الدينية وإعنا بالبرهان القاطع على الوصول إلى الحقّ والحقيقة. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۳۰

الجواب على الأسئلة

الجواب على الأسـئلة قد تثار بعض الأسـئلة وعلامات الإسـتفهام حول آية التطهير، حيث نسـتعرض هنا نماذج من هذه الأسـئلة ونجيب عليها: السؤال الأوّل: إنّ أكثر ما تدلُّ عليه آية التطهير هو عصـمة أهل البيت، أى الإمام على، وفاطمة والحسن والحسـين عليهم السـلام وعلى رأسهم النبى الأكرم صلى الله عليه و آله، ولكن الآية محل البحث لا ترتبط بمسألة الإمامة والولاية. وبعبارة اخرى: إننا نبحث هنا عن الآيات الشـريفة التى تدلُّ على ولاية وإمامة أميرالمؤمنين عليه السـلام، والآية المذكورة لا تدلُّ على هذا الأمر بل غاية ما تدلُّ عليه هو عصـمة أهل البيت، فلماذا نسـتدلّ بهـذه الآيـة الشـريفة على الإمامـة؟ الجواب: لو ثبت مقام العصـمة لأهل البيت عليهم السـلام فإنّ الإمامـة سوف تثبت لهم أيضاً، لأنه كما تقـدّم أن الطاعة للإمام هى مطلقة وغير مقيّدة بقيد أو شـرط، ولا يمكن تحقق هذا المعنى من الطاعـة إلّالمن كان يتحلّى بمقام العصـمة، أى أن الإمام يجب أن يكون معصوماً، ومن جهة اخرى فلو تقرر أن يكون الإمام منتخباً من الناس أو منصوباً من قبل غيره فإنّه مع وجود المعصوم لا ينبغى التمسّك بإطاعـة غير المعصوم. يقول تبارك وتعالى فى الآيـة ۱۲۴ من سورة البقرة فى حديثه عن النبى إبراهيم عليه السلام عندما نصبه اللَّه تعالى إماماً للناس بعد أن نجح فى الإبتلاءات والإمتحانات الصعبة وبعد أن كان يتحلّى بمقام النبوّة وكان من اولى العزم وخليلًا للرحمن، فإنّ إبراهيم بعد أن نال مقام الإمامة طلب من اللَّه تعالى استمرار الإمامـة فى ذرّيتـه «وَ مِنْ ذُرِّيَّتِى» فأجـابه اللَّه تعـالى: «لاـ يَنـالُ عَهْدِى الظَّالِمِينَ». ومن هنـا نعلم أن العصـمة جزءٌ لاـ يتجزأ من الإمامـة، والأشـخاص الذين تلوثوا بالظلم لا يصـلحون لهذا المقام الشـريف حتّى لو كانوا قد انحرفوا وتلوثوا بالمعصـية فى أزمنة سابقة. السؤال الثـانى: سـلمنا أن الإمـام يجب أن يكون معصوماً، ولكن هـل يعنى هـذا أن كـلّ معصوم إمـام؟ ألم تكن فاطمـة الزهراء عليها السـلام معصومة، إذن فلماذا لم تكن إماماً؟ الجواب: إنّ العصمة بالنسبة إلى النساء لا تستلزم مقام الإمامة، ولكنها بالنسبة إلى آيات الولاية فى

القرآن، ص: ۱۳۱ الرجال هناك ملازمة بينهما، ولهذا لا نجد معصوماً بين رجال العالم غير النبيّ والأئمّة الطاهرين عليهم السلام. السؤال الثالث: تقدّم فى الأبحاث السابقة أنّ اختلاف الضمائر فى آية التطهير مع الضمائر قبلها وبعدها والتى تتحدّث فيها الآية الشريفة عن نساء النبى صلى الله عليه و آله هو السبب فى أن يكون المخاطب فى آية التطهير غير نساء النبى، فى حين أننا نجد مثيلًا لهذا الإختلاف فى الضمائر فى قصة البشارة لإبراهيم عليه السلام بالولد فى شيخوخته، لأنّ المخاطب فى الآية الشريفة هو زوجة النبيّ إبراهيم عليه السلام فى قوله تعالى: «قالُوا أَ تَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَ بَرَكاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ». «۱» فطبقاً لهذه الآية أنّ المخاطب بضمير «عليكم» هو زوجة النبيّ إبراهيم. الجواب: إنّ المخاطب فى جملة «أتعجبين» هو زوجة إبراهيم فقط، ولهذا ورد الفعل بصورة المفرد للمخاطب المؤنث، ولكنّ المخاطب بكلمة «عليكم» هو جميع أفراد اسرة النبيّ إبراهيم من الزوج والزوجة، فى حين أن المخاطب فى آية التطهير وطبقاً للأدلّة السابقة لا يمكن أن يكون نساء النبى لا بالإستقلال ولا بالإنضمام إلى الخمسة أصحاب الكساء. السؤال الرابع: إذا كان المخاطب فى آية التطهير هو الخمسة من أصحاب الكساء فقط، إذن فلماذا وردت آية التطهير ضمن الآية التى تتحدّث عن نساء النبى؟ الجواب: إنّ آيات القرآن الكريم كما ذكر العلّامة الطباطبائى «۲» وآخرون لم تنزل فى وقت واحد، بل كانت الجمل المذكورة تنزل أحياناً فى آية واحدة على فترات متباعدة، حيث إنّ آيات القرآن نزلت بحسب الحاجة والحوادث الواقعة، وعلى هذا الأساس فمن الممكن أن تكون الآية التى تتحدّث عن نساء النبى صلى الله عليه و آله قد نزلت فى فترة معيّنة ثمّ نزلت بعد ذلك آية التطهير وبعد طلب النبيّ الكريم المبنى على طهارة أهل البيت، وبعد ذلك نزلت آيات اخرى تتعلق بظروف خاصّة وحوادث معيّنة اخرى، وعليه فلا يلزم من ذلك أن يكون هناك ارتباط وثيق بين آيات القرآن الكريم أجمع. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۳۲ النتيجة: إن آية التطهير تدلُّ من جهة على عصمة الخمسة من أصحاب الكساء عليهم السلام، وتدلُّ أيضاً على ولاية وإمامة أميرالمؤمنين عليه السلام من جهة اخرى. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۳۳

آية المودة

اشارة

آية المودة ۷ [سورة الشورى (۴۲): آية ۲۳] وَ جَعَلْنا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا لَمَّا صَبَرُوا وَ كانُوا بِآياتِنا يُوقِنُونَ (۲۴) «سورة الشورى/ الآية ۲۳»

أبعاد البحث

أبعاد البحث عندما نستعرض آراء ونظرات علماء أهل السنّة ومفسّريهم حول هذه الآية نجد أنهم قد تورطوا فى ظاهرة التفسير بالرأى نتيجة المسبوقات الفكرية والذهنية لديهم، ولهذا نرى أن تفسيرهم لهذه الآية الشريفة عجيب وغريب جدّاً حيث سنتطرق إليه لاحقاً، وأما علماء الشيعة فنجد لديهم تفسيراً واضحاً وجليّاً لهذه الآية الشريفة من خلال الإستيحاء من تعاليم أهل البيت عليهم السلام.

نظرة إلى الآيات السابقة

نظرة إلى الآيات السابقة ونرى من اللازم لأجل توضيح المطلب فى تفسير آية المودّة أن يكون لدينا بحث إجمالى حول الآية السابقة، أى الآية ۲۲ من سورة الشورى، وكذلك صدر آية المودّة الذى لم نذكره آنفاً. تقول الآية: «وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ». بعد أن ذكر اللّه تعالى فى الآيات السابقة عاقبة الظالمين تتطرق هذه الآية لذكر مستقبل آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۳۴ المسلمين الذين يتحركون من موقع الإيمان والعمل الصالح ولا يقنعون بمجرد الشهادة بالتوحيد ونبوّة النبى الأكرم بل يتحركون على مستوى

الممارسة والعمل للإتيان بالخيرات والأعمال الصالحة، وفى هذه الآية الشريفة وضمن بيان العاقبة الحسنة للمؤمنين هؤلاء تقرر ثلاثة أنواع مهمة من الثواب الاخروى المعدّ لهم: ١- «فِي رَوْضاتِ الْجَنّاتِ» فأوّل ثواب يحصل عليه هؤلاء المؤمنين فى الآخرة هو دخولهم إلى الجنّة. سؤال: أين تقع «روضات الجنّات»؟ الجواب: عندما نستقرى الآيات القرآنية فإننا لا نجد هذه العبارة سوى فى آية ٢٢ من سورة الشورى، والعرب يطلقون على الحدائق الطرية والبساتين النضرة كلمة «روضة» وجمعها «روضات». وبالطبع أحياناً تطلق هذه الكلمة على محل اجتماع الماء، ولكن المراد بكلمة «روضة» فى هذه الآية هو المعنى الأوّل، إذن فروضات الجنّات تعنى بساتين الجنّة اليانعة. سؤال: نظراً إلى أن جميع أماكن الجنّة ومناطقها على شكل بساتين وحدائق نضرة ويانعة، فما معنى عبارة «فى روضات الجنّات»؟ الجواب: يستفاد من العبارة أعلاه أنه مضافاً إلى دخولهم الجنّة فإنّ بساتين خاصّة تكون من نصيب هؤلاء المؤمنين. والنتيجة هى أن أوّل ثواب وامتياز للمؤمنين الذين يعملون الصالحات هو «روضات الجنّات». ٢- «لَهُمْ ما يَشاءُونَ» فإنّ المؤمنين الذين يعملون الصالحات مضافاً إلى الإمتياز الأوّل وسكنهم فى روضات الجنّات فإنّهم ينالون هناك كلّ ما يشاءون، وفى الحقيقة أننا لا نجد مسألة يمكن أن تتصور أعلى من هذا المعنى بالنسبة إلى النعم المادية، بحيث إن الإنسان ينال كلّ ما يريده ويطلبه. ٣- «عِنْدَ رَبِّهِمْ» ويشمل هذا النِعم المادية والمعنوية فى الجنّة، فمن حيث النِعم المادية فقد تقدّم أن المؤمنين الذين عملوا الصالحات يعيشون فى أحسن الأحوال، ومن الجهة المعنوية آيات الولاية فى القرآن، ص: ١٣٥ كذلك أيضاً لأنهم يعيشون مقام القرب الإلهى «عند ربّهم» وهو المقام الذى ذكر للشهداء فى سورة آل عمران الآية ١۶٩، وأما المراد بعبارة «عند ربّهم»، وما هى البركات المترتبة على هذا المقام؟ فغير معلوم لنا. «ذلِكَ هُوَ الْفَضلُ الْكَبِيرُ» فبما أن هؤلاء المؤمنين يعيشون فى أفضل الحالات المادية والمعنوية فى روضات الجنّات فلذلك عبّر اللَّه تعالى عن هذا المقام بأنه «فضل كبير»، وعندما يطلق اللَّه تعالى هذه الكلمة على نعمة وموهبة من المواهب الإلهية يتبيّن من ذلك عظمة هذه النعمة والموهبة بحيث تفوق حدّ التصور. والنتيجة: أن معيار العبودية للَّه تعالى أمران: الإيمان والعمل الصالح، وعليه فإنّ الامور الاخرى من قبيل العلم والثروة والقدرة والإعتبار الإجتماعى وأمثال ذلك لا تكون ذات قيمة إلّاإذا قيست بهذا المعيار وتحرّك الإنسان معها فى خطّ الإيمان والعمل الصالح. «ذلِكَ الَّذِى يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ» ففى هذه الآية الشريفة تكرر القول بأن الامور المذكورة سابقاً «روضات الجنّات»، «لهم ما يشاءُون» و «عند ربّهم» هى مواهب يبشّر اللَّه تعالى بها المؤمنين من ذوى الأعمال الصالحة لكى تساهم هذه البشارة فى رفع ثقل الطاعة وتحمل المسؤولية وتمنح الإنسان قوّة فى خط التصدى للأهواء والشهوات. ومع الإلتفات إلى ما ذكرنا أعلاه حول الآية الشريفة، نبدأ بشرح وتفسير آية المودّة:

الشرح والتفسير: مودّة أهل البيت، أجر الرسالة

الشرح والتفسير: مودّة أهل البيت، أجر الرسالة «قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً» لاشكّ أن نبى الإسلام صلى الله عليه و آله تحمّل فى طريق إبلاغ الرسالة ونشر الدعوة السماوية، أتعاباً كثيرة ومشقّات باهظة ولكنه بالرغم من ذلك لم يطلب أجراً مقابل هذه الأتعاب والمشقّات، وعندما جاءه بعض المسلمين وقالوا له: إذا كنت تشكو من فاقة ونقص مالى فإننا نضع بين يديك أموالنا بدون قيد أو شرط، فنزلت الآية أعلاه «١» آيات الولاية فى القرآن، ص: ١٣۶ وأكدّت على أن النبى لا- يريد أجراً فى مقابل أداء الرسالة وتبليغ الدعوة. «إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى» وهنا يستثنى القرآن الكريم من الأجر شيئاً واحداً، وهو أن نبى الإسلام لا يطلب من المسلمين شيئاً بعنوان أجر الرسالة إلّا «المودّة» لأقربائه وأرحامه. والنتيجة هى أن نبى الإسلام لم يطلب شيئاً بعنوان أجر فى مقابل أتعابه وزحماته للإسلام والمسلمين سوى أمراً واحداً وهو «مودّة أقربائه وأرحامه».

من هم القربى؟

من هم القربى؟ إنّ جميع الأبحاث التى تدور حول هذه الآية الشريفة تتركز على كلمة «القربى» وتفسيرها، فمن هم القربى فى هذه

الآيـة والذين طلب رسول اللّه من المسـلمين مودّتهم ومحبّتهم بعنوان أجر الرسالة؟ بعض العلماء والمفسّرين مرّوا على هذه الآية مرور الكرام ولم يتعبوا أنفسـهم فى تدبّرها والتأمل فيها، ولعلّ ذلك لأنهم لم يجدوا فيها إنسجاماً مع تصوراتهم القبلية ومسبوقاتهم الفكرية، فى حين أن الآية الشـريفة عميقة المغزى، ولأجل أن ندرك عظمة هذه الآية بما فيها من معانٍ عميقة علينا أن نسـتوحى ونسـتعين لهذا الغرض من الآيات القرآنية الاخرى التى تتحدّث فى هذه المسألة على لسان سائر الأنبياء عليهم السـلام. لو أمعنّا النظر فى سورة الشعراء لرأينا أن مسألـة أجر الرسالـة قـد طرحت قبل نبى الإسـلام على لسان خمسـة من الأنبياء العظام وهم: نوح، هود، صالح، لوط، وشـعيب عليهم السـلام، ولكن هؤلاء الأنبيـاء لم يـذكروا فى اسـتغنائهم عن الأجر مسألـة المودّة فى القربى، حيث ذكروا جميعاً هـذه المسـألة بقولهم: «وَ ما أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلى رَبِّ الْعالَمِينَ» «۱». وهنا يثار هذا التساءل: كيف لم يطلب هؤلاء الأنبياء أجراً فى مقابل أداء الرسالة ولكن آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۳۷ رسول الإسلام طلب الأجر عليها بعنوان «المودّة فى القربى»؟ هل أنّ مقام هؤلاء الأنبياء أعلى من مقام نبى الإسلام؟ بلا شكّ أن محمّد المصطفى أفضل من جميع الأنبياء، ولهذا ورد فى القرآن الكريم أن كلُّ نبيٍّ من الأنبياء يأتى يوم القيامة شاهداً على امّته ولكنّ نبى الإسـلام يأتى شاهداً على جميع هؤلاء الشهداء «فَكَيْفَ إِذا جِئْنا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَـهِيدٍ وَ جِئْنا بِكَ عَلى هؤُلاءِ شَهِيداً» «۱». والحقيقة أن هذه المسألة تزداد غموضاً وعمقاً، فكيف يطلب نبى الإسـلام الذى هو أفضـل الأنبيـاء الإلهيين أجراً على عمله فى حين أن جميع الأنبياء لم يطلبوا أجراً من أقوامهم؟ الحقيقـة أن الآيـة الشـريفة تحتاج إلى مزيـد من البحث والدقّـة والتـدبّر، رغم أن البعض قد تهاون فى ذلك ومرّ عليها مرور الكرام ليمنع من يقظة الضـمير ولئلّا يبتلى بعذاب الوجدان. سؤال: ما هو غرض النبى الأكرم صـلى الله عليه و آله من طلب هـذا الأجر؟ هل أنه يهـدف من طلبه هذا إرضاء مصالحه الشخصـية، أو أنه يهـدف من وراء ذلك إلى تحقيق غايات مقدسـة اخرى يعود نفعها على المسـلمين أنفسـهم؟ الجواب: وفى مقام الجواب على هذا السؤال نرى من الضـرورى أن نضع آيتين من القرآن الكريم إلى جانب آيـة المودّة لكى تفسّر الآيات بعضـها بعضاً: ۱- نقرأ فى الآية الشريفة ۴۷ من سورة سبأ: «قُلْ ما سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَ هُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ». هـذه الآيـة الشـريفة توضح بعض الإبهام فى آية المودّة حيث يتّضح أن نبى الإسلام صلى الله عليه و آله لم يطلب أجراً من قومه كما هو حال سائر الأنبياء، إلّاأن مسألة «المودّة فى القربى» فى الحقيقة تعود للناس أنفسـهم. ۲- ونقرأ فى الآية ۵۷ من سورة الفرقان والتى هى فى الحقيقة مفسّرة للآية ۴۷ من سورة سبأ حيث تبيّن الفائـدة والنفع من «المودّة فى القربى»: «قُلْ ما أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلى رَبِّهِ سَبِيلًا». آيات الولايـة فى القرآن، ص: ۱۳۸ فالآية السابقة بيّنت على أن أجر الرسالة لم يكن بدافع المصلحة الشخصـية للنبى صـلى الله عليه و آله، بل يعود النفع فيها للناس، وهذه الآية الشريفة تبيّن أن مسألة أجر الرسالة يستوحى مقوّماته من استمرار الأهداف الإلهية من الرسالة، وفى الحقيقة أن النفع يعود إلى أصل الدين. النتيجة هى أن مسألة «أجر الرسالة» لم يكن يقوم على أساس النفع الشخصى لنبى الإسـلام بل كان النبىّ الأكرم صـلى الله عليه و آله كسائر الأنبياء فى عدم طلبه الأجر الشخصى من الناس، ولكنّ أجر الرسالة المذكور فى آية المودّة هو فى الحقيقة باعث على اسـتمرار الرسالة ودوام الدين، ومع الإلتفات إلى هذه الحقيقة وهى أن «مودّة القربى» لها هذا الإعتبار الكبير بحيث تمثّل عاملًا مهماً لاسـتمرار الرسالـة، فهل يصـحّ التعامل مع هـذه الآية الشـريفة من موقع عدم الإهتمام بالتدبّر فيها حذراً من انقلاب الآراء والأفكار المسبقة؟

تفسير «القربى» فى نظر الشيعة

تفسـير «القربى» فى نظر الشـيعة يتفق علماء الشـيعة على أن المراد من «القربى» فى هذه الآية الشـريفة هم أهل بيت النبوّة عليهم السلام، ولاشكّ أن «الولايـة» هى اسـتمرار للرسالـة وعدل النبوّة، ولهذا فإنّ هذا الأجر «مودّة القربى» ينسـجم مع الرسالة، مضافاً إلى أن الولاية تقود النـاس فى خـطّ الإيمان والتقوى والإنفتاح على اللّه تعالى. إذا فسّرنا آيـة المودّة وفقاً لما ذكره علماء الشـيعة ومفسّروهم فسوف يتّضـح جيـداً المعنى الكامـل فى آيـة المودّة مضافاً إلى الآيـات الاـخرى المتعلقـة بهـا، وسوف يتبين أن الإرتباط فيما بينها هو ارتباط

منطقى وصحيح، والملفت للنظر أن دعاء الندبة الذى هو فى الحقيقة دورة كاملة من المعارف الإلهية المشحونة بالولاية يذكر فى مضامينه الآيات الثلاث المذكورة آنفاً، ويستنتج منها نتيجة مهمة ويتّضح أن الأئمّة هم الطرق والوسائل إلى اللّه تعالى والذين يقودون الناس إلى رحمة اللّه ورضوانه. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۳۹

نظرات أهل السنّة فى معنى «القربى»

نظرات أهل السنّة فى معنى «القربى» وقد ذكر أهل السنّة تفاسير مختلفة لهذه المفردة القرآنية لا تنسجم كلّها مع الآية الشريفة، وإليك بعض النماذج منها: ۱- قيل إن المراد من «القربى» هو محبة أهل بيت النبى صلى الله عليه و آله ومودتهم ولكن من دون الولاية والإمامة والخلافة، أى الإكتفاء بالإرتباط العاطفى والعلاقة الظاهرية فقط بأهل بيت النبى صلى الله عليه و آله. ولكن هل يمثل هذا المعنى والمفهوم من المودّة عدلًا للرسالة؟ هل أن المحبة العاطفية فقط وبدون الولاية والإمامة يمكنها أن تكون أجراً للرسالة وبمثابة العدل لها؟ مضافاً إلى ذلك كيف يطلب نبى الإسلام صلى الله عليه و آله أجر الرسالة بالمعنى الذى ذكروه لها، فى حين أن جميع الأنبياء السابقين لم يطلبوا من أقوامهم مثل هذا الأجر بل كانوا يطلبون أجرهم من اللّه تعالى؟ وعليه فإنّ مثل هذا التفسير لا يمكن قبوله. ۲- وذهب آخرون إلى أن المراد من «القربى» هو الأعمال الصالحة التى تقرب الإنسان من اللّه تعالى، وعليه فإنّ «المودّة فى القربى» تعنى العشق والشغف بالأعمال الحسنة والرغبة فى الصلاة، الصوم، الحجّ، الجهاد، صلة الرحم، احترام الكبار وأمثال ذلك، فهذه الأعمال الصالحة والسلوكيات الحسنة هى التى تمثل أجر الرسالة. ۳- وذهب البعض إلى أن كلمة «فى» الواردة فى هذه العبارة بمعنى «اللام»، وفى هذه الصورة يكون معنى الآية هو «أن أجر رسالتى وما عملته فى تبليغ الرسالة الإلهية لكم هو أن تحبوننى لأننى من أرحامكم وأقرباءكم» ثمّ ذكروا شجرة النسب للنبى صلى الله عليه و آله وتفاصيل ارتباطه النسبى مع قريش لبيان مقصودهم بحيث تبيّن أن جميع القبائل العربية يرتبطون بشكل أو بآخر مع النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله فى النسب. ولكن هذا التفسير واضح البطلان لأنه: أوّلًا: إن استعمال «فى» بمعنى «اللام» قليل جداً ونادر فى لغة العرب وليس هناك دليل وشاهد على أن المراد من العبارة المذكورة هو هذا المعنى. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۴۰ ثانياً: إن محبة النبى صلى الله عليه و آله لوحدها لا تمثل عدل النبوّة والرسالة ويجب أن يكون أجر الرسالة متناسبة مع الرسالة نفسها. فهل أن قوله «عليكم أن تحبوننى ولا تؤذوننى لأننى من أقربائكم» يمثل عدل الرسالة؟ ألا يكون مثل هذا التفسير باعثاً على هبوط المعنى السامى للآية الشريفة؟ ۴- والتفسير الآخر الذى هو أوهن من التفسير السابق هو أن يقال: إنّ المراد من الآية الشريفة هو «المودّة فى قرباكم وأن أجر رسالة النبى هو أن تحبّوا أقرباءكم وأرحامكم». الإنسان يجد فى نفسه رغبة شديدة فى عدم تصديق وجود مثل هذا التفسير لدى هؤلاء العلماء، ولكنّ مع الأسف نجد البعض يصرّحون بذلك. إنّ بطلان هذا الرأى هو أوضح من أن يحتاج إلى كلام، فهل أنّ مودّة الأقرباء للإنسان المسلم تمثل عدل للرسالة؟ وهل أن مودّة الأقرباء تعتبر استمراراً للنبوّة؟ أجل، عندما نتعامل مع الآيات الشريفة بسذاجة وسطحية ونحكّم المسبوقات الفكرية عليها فسوف نبتلى بمثل هذه الأخطاء والتفاسير التعسفية. فهل أن هذا التفسير والتفسير السابق يتناسب وينسجم مع الآية الشريفة، أو أن كلّ إنسان له اطلاع قليل على لغة العرب وبلاغتهم سوف يلتفت إلى عدم انسجام مثل هذه التفاسير مع الآية الشريفة؟ ولهذا السبب فإنّ هؤلاء العلماء أنفسهم اعترفوا أن هذه التفاسير مجازية وغير حقيقية، أو أنها من قبيل الإستثناء المنقطع وهو أيضاً بدوره نوع من المجاز. لماذا نفسّر الآية القرآنية بشكل يوقعنا فى هوة المعانى المجازية وغير الحقيقية؟ لماذا لا نفسر المودّة فى القربى بمعنى الولاية والإمامة والذى ينسجم تماماً مع الآية محل البحث وسائر الآيات المتعلّقة بها؟

اعتراف مفروض

اعتراف مفروض ومن عجائب الأيّام أن الكثير من مفسّرى أهل السنّة رووا حديثاً مفصّلًا عن النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله فى ذيل

هذه الآية الشريفة حول محبّة أهل البيت ومودتهم، بحيث إنّ الإنسان آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۴۱ عندما يقرأ هذا الحديث الطويل والجذّاب ويتفكر قليلًا فى مضامينه السامية ومعانيه الراقية يمتلكه العجب والحيرة من تلكم التفاسير الجوفاء والبعيدة عن روح الآية الشريفة وأجواءها. وهنا ننقل ما أورده الفخر الرازى فى تفسيره من الحديث النبوى حيث يقول: «نَقَلَ صاحِبُ الكَشّافِ «۱» عَنِ النَّبِيِّ الأكرم صلى الله عليه و آله قوله (ثمّ يورد اثنى عشر فقرة جذّابة وعميقة المضامين فى هذا الحديث الشريف). ۱- مَنْ ماتَ عَلى حُبِّ آلِ مُحَمَّدٍ ماتَ شَهيداً. فهل أن مثل هذه المحبّة هى محبّة عادية وطبيعية وفارغة من الولاية والإمامة؟ إذا كانت كذلك فهل يعقل أن يكون هذا المحبّ فى صفوف الشهداء؟ أو أن المراد من هذه المحبّة هى الحالة التى تدفع الإنسان فى مدارج الكمال والمعنويات إلى أن يصل إلى مرتبة الشهداء، وهى المحبّة المشروطة بالولاية والإمامة؟ ۲- أَلا وَمَنْ ماتَ عَلى حُبِّ آلِ مُحَمَّدٍ ماتَ مَغْفُوراً لَهُ. ما هى هذه المحبّة التى تعمل على تطهير الإنسان من الذنوب والآثام بحيث أنه عندما يحين أجله فإنه سيموت طاهراً من كلّ ذنب وستغفر له جميع الذنوب والمعاصى؟ هل أن مثل هذه المحبّة والمودّة هى محبّة اعتيادية؟ ۳- أَلا وَمَنْ ماتَ عَلى حُبِّ آلِ مُحَمّدٍ ماتَ تائِباً. أى أن هذه المحبّة تقع بديلًا للتوبة، فلو أن الإنسان لم يوفق للتوبة من الذنوب فى هذه الدنيا وكان محبّاً لأهل البيت فإنه يموت كما يموت التائب من الذنوب، فما هى حقيقة هذه المحبّة؟ ۴- أَلا وَمَنْ ماتَ عَلى حُبِّ آلِ مُحَمَّدٍ ماتَ مُؤْمِناً مُسْتَكْمِلَ الْإيمانِ فهل يعقل أن يرتبط الإنسان بأهل البيت عليهم السلام برابطة اعتيادية وطبيعية ثمّ يفضى ذلك إلى كمال الإيمان؟ من المسلّم وجود مضمون عميق فى هذه الكلمات بحيث يؤدى بالإنسان إلى الترقّى آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۴۲ والسير فى خطّ الإيمان والتقوى ليصل بالتالى إلى أعلى مرتبة منه. ۵- أَلا وَمَنْ ماتَ عَلى حُبِّ آلِ مُحَمّدٍ بَشَّرَهُ مَلَكُ الْمَوْتِ بِالْجَنَّةِ ثُمَّ مُنْكِرٌ وَنَكيرٌ ونتساءل: ما هذه المحبّة والمودّة التى تسبب فى أن ينال الإنسان البشارة بالجنّة عند موته؟ ۶- أَلا وَمَنْ ماتَ عَلى حُبِّ آلِ مُحَمّدٍ يُزَفُّ إِلَى الْجَنَّةِ كَما تُزَفُّ الْعَرُوسُ إِلى بَيْتِ زَوْجِها أى سوف يقاد إلى الجنّة باحترام فائق وتقدير كبير، أجل فإنّ إكسير محبّة آل محمّد عليهم السلام له مثل هذه الآثار والمعطيات العجيبة. ۷- أَلا وَمَنْ ماتَ عَلى حُبِّ آلِ مُحَمَّدٍ فُتِحَ لَهُ فِى قَبْرِهِ بابانِ إِلَى الْجَنَّةِ سؤال: لماذا يفتح له بابان إلى الجنّة؟ الجواب: لعلّ إحداهما ببركة النبوّة والاخرى ببركة الولاية والإمامة. ۸- أَلا وَمَنْ ماتَ عَلى حُبِّ آلِ مُحَمّدٍ جَعَلَ اللَّهُ قَبْرَهُ مَزارَ مَلائِكَةِ الرَّحْمَةِ هل يعقل أن تكون المحبّة العادية سبباً فى تحويل قبر المؤمن إلى مزار للملائكة؟ ۹- أَلا وَمَنْ ماتَ عَلى حُبِّ آلِ مُحَمّدٍ مات عَلَى السُّنَّةِ وَالْجَماعَةِ فى هذه العبارات المذكورة أعلاه، نرى بوضوح آثار المحبّة والمودّة لأهل البيت، ثمّ إن الحديث الشريف يذكر ثلاث عبارات اخرى تتحدّث عن العاقبة السيئة لبغض وعداوة أهل البيت عليهم السلام. ۱۰- أَلا وَمَنْ ماتَ عَلى بُغْضِ آلِ مُحَمَّدٍ جاءَ يَوْمَ الْقِيامَةِ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ آيِسٌ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إنّ من يعيش البغض لآل محمّد صلى الله عليه و آله من شأنه أن يهوى إلى أسفل درجات الشقاء بحيث يكون آيس من رحمة اللَّه. ۱۱- أَلا وَمَنْ ماتَ عَلى بُغْضِ آلِ مُحَمَّدٍ ماتَ كافِراً هذا الأثر السيىء لبغض آل محمّد هو أسوأ مما قبله. ۱۲- أَلا وَمَنْ ماتَ عَلى بُغْضِ آلِ مُحَمَّدٍ لَمْ يَشُمَّ رائِحَةَ الْجَنَّةِ آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۴۳ والجدير بالذكر أن رائحة الجنّة كما ورد فى بعض الروايات تصل إلى مسافة ألف عام «۱». وطبقاً لهذه الرواية الشريفة فإنّ معنى العبارة أعلاه أن الشخص الذى يعيش حالة البغض لآل محمّد ليس فقط أنه يكون محروماً من دخول الجنّة، بل سوف يبتعد عنها بمسافة ۵۰۰ عام بحيث لا يتمكن من شم رائحتها، والخلاصة أن مثل هذا الشخص بعيد عن الجنّة جداً. كيف يستطيع الإنسان أن يصدّق بأن عالماً كبيراً مثل الفخر الرازى يروى هذه الرواية الجميلة والعميقة المضمون والمحتوى وبكلّ هذه المعطيات المهمة والآثار الجليلة ثمّ يفسّر المحبّة والمودّة ومن دون التدبّر فى هذه المضامين بالمحبّة الظاهرية والعاطفة الطبيعية؟ والأعجب من ذلك أنه بعد أن نقل الرواية المذكورة آنفاً شرع بتوضيح المراد من آل محمّد عليهم السلام الذين هم محور هذه الرواية فقال: «هذا هو الذى رواه صاحب الكشاف وأنا أقول: آل محمّد صلّى اللَّه عليه وسلم هم الذين يؤول أمرهم إليه، فكلّ من كان أمرهم إليه أشدّ وأكمل كانوا هم الآل، ولا شك أن فاطمة وعلياً والحسن والحسين كان التعلق بينهم وبين رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وسلم أشدّ التعلقات وهذا كالمعلوم بالنقل المتواتر» «۲». من الملفت للنظر هو أن هذه العبارات ذكرها عالم سنّى متعصب، والمفهوم من هذه الكلمات هو أقرب

ما يكون إلى ما يقوله الشيعة بحيث إننى عندما كنت أقرأ هذه الكلمات شككت فى لحظة أن هذا الكتاب الذى أقرأه هل هو من تفاسير السنّة أو الشيعة؟ فلعلنى أقرأ تفسيراً لأحد علماء الشيعة، ولكن عندما نظرت إلى الغلاف انتبهت إلى أننى أقرأ تفسير الفخر الرازى. سؤال: نظراً لما ورد فى متن آية المودّة وكذلك ما ورد فى الآيات الاخرى المرتبطة بها آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۴۴ وبالتأمل والدقّة فى الرواية الشريفة المذكورة آنفاً، هل يعقل أن تكون المحبّة والمودّة التى هى محور البحث فى الآية الكريمة والرواية الشريفة يراد منها المحبّة العادية بدون الولاية والإمامة؟ ألا يمكن أن نقطع ونتيقن بأن المراد من المودّة هنا هو الولاية والإمامة التى هى استمرار للرسالة وعدل النبوّة؟ لولم يكن كذلك فما هو التفسير المناسب الذى يمكن بواسطته تفسير الآيات والروايات المذكورة فى محل البحث؟ علينا أن نشكر اللّه تعالى على ما وفقنا لمحبّة وولاية أهل البيت عليهم السلام وكذلك نشكر والدينا اللذين غرسا فى قلوبنا ولاية آل محمّد عليهم السلام.

تفسير المودّة فى كلمات الإمام الصادق عليه السلام

تفسير المودّة فى كلمات الإمام الصادق عليه السلام ورد عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: «ما أَحَبَّ اللَّهَ مَنْ عَصاهُ» «۱». وعلى هذا الأساس فإنّ الإنسان الذى يتحرّك فى سلوكه الفردى والإجتماعى من موقع المخالفة للإمام على عليه السلام فإنه لا يحبّه قطعاً، ولهذا فإنّ المحبّة الحقيقية هى التى تقود الإنسان فى خط الطاعة والعبودية للّه تعالى، ولهذا السبب نقول أن المحبّة والمودّة بدون الإتباع العملى والطاعة والعبودية هى أساساً ليست بمحبّة حقيقية ومودّة واقعية. وهنا نلفت النظر إلى هذه القصة: كان «حاجب» أحد الشعراء الماهرين ويتمتع بقريحة جيدة وصفاء قلب، وأحياناً كان يقوم بنضم بعض الأبيات الشعرية على مذاق العوام، وفى أحد الأيّام أنشد قصيدة فى وصف التعلّق بأميرالمؤمنين على عليه السلام وقال: آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۴۵ يا حاجب إذا كانت المعاملة فى الحشر مع على فأذنب ما شئت فإنى ضامن أى أن حبّ علىّ عليه السلام كافل للنجاة يوم القيامة حتّى لو غرق الإنسان فى بحر الذنوب، وبهذا تكون المحبّة للإمام علىّ عليه السلام كما وردت فى الشعر أعلاه بمثابة ضوء أخضر للمذنبين ليرتكبوا ما يشاؤون من الذنوب والمعاصى. وفى نفس الليلة رأى هذا الشاعر الإمام على عليه السلام فى عالم الرؤيا فقال له الإمام عليه السلام: - يا حاجب ما هذا الشعر الذى قلته؟ فقال حاجب: وكيف أقول؟ فأصلح له الإمام هذا البيت من الشعر وقال: يا حاجب إذا كانت المعاملة فى المحشر مع علىّ فأخجل من على وقلل من الذنب وعليه فإنّ المحبّة والمودّة هنا بمعنى التحرّك فى خطّ الطاعة والرسالة والتقوى والإبتعاد عن الذنوب.

تفسير آية المودّة من خلال الروايات

تفسير آية المودّة من خلال الروايات لقد وردت فى شرح وتفسير هذه الآية الشريفة روايات مختلفة من طرق الشيعة والسنّة، وفيما يلى نماذج من هذه الروايات: ۱- نقل «أحمد» من كبار علماء أهل السنّة فى كتابه «فضائل الصحابة» عن سعيد ابن جبير عن عامر هذه الرواية: لَمَّا نَزَلَتْ «قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِى الْقُرْبى» قالُوا: يا رَسُولَ اللَّهِ؟ مَنْ قَرابَتُكَ؟ مَنْ هؤُلاءُ الَّذِينَ وَجَبَتْ عَلَيْنا مَوَدَّتُهُمْ؟ قالَ: عَلِيٌّ وَفاطِمَةُ وَ ابْناهُما، وقالَها ثَلاثاً. «۱» آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۴۶ ونستوحى من هذه الرواية الشريفة عدّة امور: الأوّل: إنّ الرواية أعلاه تصرّح بأن المراد من القربى فى هذه الآية هم أهل بيت النبى صلى الله عليه و آله لا النبى نفسه ولا أقرباء المسلمين ولا مطلق الأعمال الصالحة والخيّرة. مضافاً إلى أن كلمة القربى هنا لا تستوعب جميع أقرباء النبى صلى الله عليه و آله، بل تتحدّد بأشخاص معدودين ذُكرت أسماءهم فى هذه الرواية. الثانى: ونستوحى أيضاً أن هذا السؤال والإستفهام عن القربى كان يدور فى أذهان الصحابة أيضاً ولذلك لم يتوجّهوا صوب الإحتمالات الواهية التى ذكرها بعض علماء أهل السنّة بل فهموا بصورة مباشرة من المودّة هنا هى مودّة أهل بيت النبى صلى الله عليه و آله، وكذلك أدركوا أن الآية لا تقصد بالقربى جميع أقرباء النبى صلى الله

عليه و آله ولـذلك طلبوا من النبى الأكرم صـلى الله عليه و آله أن يحـدّد لهم هؤلاء الـذين وجبت مودّتهم. الثالث: أن أصـحاب النبى صلى الله عليه و آله فهموا من هـذه الآية وجوب المودّة والمحبّة للقربى كما ذهب إليه جميع علماء الشـيعة وكذلك أهل السـنّة أيضاً، ومع غض النظر عن التفاسير الواردة فى كلمة «القربى» فإنّهم يرون وجوب مودّة أهل البيت عليهم السلام ومحبتهم، ولكن نكرر السؤال هنا وهو: لماذا وجبت محبّة أهل بيت النبى صلى الله عليه و آله؟ هل أن هذه المسألة حال بعض الأحكام الشرعية التى لا ندرك مغزها وفلسـفتها، أى من قبيل الامور التعبديـة؟ أو ليست كـذلك بل الغرض منها واضح وهو أن هذه المحبّة تقع مقدمة لسـلوك الإنسان فى خط الإطاعة لهؤلاء العظماء واتباعهم؟ إذا أردنا أن يكون لدينا تفسير صحيح لآية المودّة وسائر الآيات المرتبطة بها بالإستعانة بالرواية المطوّلـة التى ذكرهـا الفخر الرازى والروايـة المـذكورة آنفـاً والروايـات التى سـتأتى لاحقاً، لوجـد القوم بأن الحكمـة فى هـذه المحبّة والمودّة هى ما يقود الإنسان نحو الولايـة والحكومـة والخلافـة، الولايـة التى تقع رديفاً للرسالة وعدلًا للنبوّة، فكما أن الرسالة هى عماد الإسـلام فكذلك الولاية هى أساس قوامها واسـتمرارها. ولاسـيما إذا التفتنا إلى هذه الحقيقة، وهى أن رسول اللّه صـلى الله عليه و آله بـالرغم من وجود أقربـاء وأرحـام مثـل العبّـاس وأولاده وكـذلك أولاد أبى طالب وسائر أبناء عبـدالمطلب وأحفاده آيات الولايـة فى القرآن، ص: ۱۴۷ فإنه أشار بالتحديـد إلى علىّ وفاطمـة والحسن والحسـين عليهم السـلام، فهـذا يمكنه أن يكون قرينـة قويّـة على أن المراد بالمودّة هنا هى الولايـة والإمامـة، حيث إنّ المحبّة العادية تشـمل جميع أقوام النبى ويجب على الإنسان مودّتهم أجمع. ۲- أورد المرحوم الطبرسى فى «مجمع البيان» عن الحاكم الحسكانى فى «شواهد التنزيل» نقلًا عن أبى امامة الباهلى الرواية التالية عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله ونقرأها أيضاً فى مضـمونه فى دعاء الندبـة حيث يقول: «إنَّ اللَّهَ تَعالى خَلَقَ الانْبياءَ مِنْ أَشْـجارٍ شَتّى وَخَلَقَ أَنَا وَعَلِيّاً مِنْ شَـجَرَةٍ واحِدَةٍ فَانَا أَصْلُها وَعَلِيٌّ فَرْعُها وَفاطِمَةُ لِقاحُها وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ ثِمارُها وَ أَشْياعُنا أَوْراقُها، فَمَنْ تَعَلَّقَ بِغُصْنٍ مِنْ أَغْصانِها نَجا وَمَنْ زاغَ عَنها هَوى وَلَوْ أَنَّ عبـداً عَبَـدَ اللَّهَ بَيْنَ الصَّفـا وَالْمَرْوَةِ الْفَ عـام ثُمَّ الْفَ عام ثُمَّ الْفَ عام حَتّى يَصـيرَ كَالشَّنِّ الْبالى «۱» ثُمَّ لَمْ يُـدْرِكَ مَحَبَّتَنـا كَبَّهُ اللَّهُ عَلى مِنْخَرَيْـهِ فِى النَّارِ ثُمَّ تَلاـ «قُـلْ لاـ أَسْـئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَـوَدَّةَ فِى الْقُرْبى». «۲» فى هذه الرواية الشـريفة نلاحظ عدّة نقاط: الأوّل: إنّ هذه الرواية أيضاً تصرّح بأن «المودّة بالقربى» هى مودّة أهل البيت الطاهرين عليهم السلام، وتدلُّ بصورة جليّـة وبتعبيرات مثيرة جـدّاً على أن هـذه المحبّـة والمودّة ليست اعتياديـة بل هى المحبّـة التى تفضـى إلى الولايـة والخلافة. الثانى: إنّ الروايـة المذكورة آنفاً ترسم فى الحقيقة معالم «الشـجرة الطيبة» «۳» الواردة فى القرآن الكريم، وأحد تفاسـير الشـجرة الطيبة يماثل فى مضمونه ما ورد فى هذه الرواية. الثالث: إنّ أوراق الأشجار تقوم بحفظ وحراسة الثمار، فلو لم تكن للشجرة أوراق فإنّ الثمار ستتعرض للذبول فى مقابل أشـعة الشـمس وسائر الآفات المحتملة. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۴۸ إنّ وظيفة الشـيعة وفقاً لهذه الرواية الذين يمثّلون أوراق هذه الشـجرة الطيبة هى حفظ وحراسة الثمار الطيبة لهذه الشـجرة، أى الإمامة والولاية والزعامة. الرابع: ويسـتفاد من هذه الروايـة أيضاً أن العبادة بين الصـفا والمروة لها شأن خاص لا يوجـد فى سائر أماكن المسـجد الحرام، ولكن حتّى هـذه العبادة فى هـذا المكـان المقـدّس لاـ تسـاوى شـيئاً بـدون الولايـة. الخامس: نكرر أيضاً أنه لو كان المراد من المحبّـة فى هـذه الروايـة وسائر الروايات المشابهـة هى المحبّـة العاديـة فـإنّ هالـة من الإبهـام والغموض سـتحيط بجميع هـذه الأحاديث والروايات، ولكن إذا فسّـرنا المودّة هنا بالولايـة والإمامة فسـيرتفع ذلك الغموض ويتّضح المعنى بصورة جليّة. ۳- يروى السـيوطى فى «الـدرّ المنثور» رواية معروفة عن الإمام زين العابـدين حيث يقول: «عنـدما أنزلوا اسـارى كربلاـء فى مكان من المسـجد الجامع جاء شـيخ ودنا من نساء الحسـين وعياله فقال: الحمد للّه الذى قتلكم وأهلككم وأراح البلاد من رجالكم وأمكن أميرالمؤمنين (يزيد) منكم. فقال له على بن الحسـين عليهما السلام: - يا شـيخ هل قرأت القرآن؟ قال: نعم. قال: فهل عرفت هذه الآية «قُلْ لا أَسْـئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِى الْقُرْبى»؟ قال: نعم. قال على: فنحن أهـل القربى يا شـيخ. قال: فبكى الشـيخ ساكتاً نادماً على ما تكلم به وقال: باللّه إنكم هم؟ فقال علىّ ابن الحسـين: تاللّه إنا لنحن من غير شـك وحـقّ جـدّنا رسـول اللّه ...» «۱». إنّ مجمـوع هـذه القرائن والشواهـد تـدلُّ على أن المودّة المـذكورة فى الآيـة الشـريفة والروايات المتعلّقة بها لا يمكن أن تكون مودّة عادية ومحبّة بمعنى التعلّق العاطفى فقط. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۴۹

ملاحظات مهمة

ملاحظات مهمة ۱- وفقاً لبعض آيات القرآن الكريم فإنّ المحبّة يجب أن تقود الإنسان للطاعة والعبودية، حيث يقول تبارك وتعالى فى الآية ۳۱ من سورة آل عمران: «قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ». وعلى هذا الأساس فإنّ الإنسان إذا أحبّ شخصاً وجب عليه إطاعته، ونحن عندما ندّعى محبّة أهل البيت عليهم السلام يجب علينا اتباعهم واطاعتهم وإلّا فإنّ إدّعاءنا المحبّة والمودّة لا يكون صادقاً، وسنتطرق لاحقاً إلى شرح أكثر حول معطيات هذه الآية الشريفة. ۲- تقدّم أن آية المودّة تدلُّ مع قطع النظر عن جميع الروايات والآيات الاخرى على ولاية وإمامة أميرالمؤمنين والأئمّة المعصومين عليهم السلام ومع الأخذ بنظر الإعتبار الروايات الواردة فى شأن نزولها فإنّ دلالتها ستكون أوضح بكثير، وإذا وضعنا هذه الآية إلى جانب الآيات الاخرى المتعلّقة بالولاية مثل آية إكمال الدين، آية التبليغ، آية الصادقين وآيات مماثلة اخرى فإنّ دلالتها ستكون واضحة جدّاً. ۳- أما الآلوسى المفسّر المعروف من أهل السنّة فقد ذكر إشكالين فى تفسيره «روح المعانى» وقد اتّضح جوابهما من خلال الأبحاث السابقة، ولذلك سنكتفى هنا بذكر هذين الإشكالين فحسب: الف: كيف طلب رسول اللَّه صلى الله عليه و آله من المسلمين محبّة ومودّة ذوى القربى بعنوانها أجر الرسالة فى حين لم يطلب سائر الأنبياء مثل هذا الأجر من أقوامهم؟ والجواب على هذا السؤال كما تقدّم هو أن هذا الأجر يعود بالفائدة على جميع أفراد المجتمع الإسلامى لا على الرسول صلى الله عليه و آله نفسه. ب: لو سلّمنا بأن المراد من القربى هنا هم أهل بيت النبى صلى الله عليه و آله والمفروض محبّتهم ومودّتهم، ولكن ما العلاقة بين هذه المودّة من جهة وبين الإمامة والخلافة من جهة اخرى كما يدّعى الشيعة؟ والجواب على هذا السؤال أيضاً واضح، حيث إنّ أجر الشىء لابدّ وأن يماثله فى القيمة آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۵۰ ويتطابق معه فى الإعتبار، والمحبّة التى تفضى إلى الولاية والإمامة هى التى تنسجم وتتناسب مع الرسالة، وأما المحبّة العادية والفارغة من الولاية فلا شكّ أنها بعيدة عن مضمون الرسالة، وبما أننا نعتقد بأن اللَّه تعالى حكيم ويجازى الأعمال بمثلها وبما يناسبها من الجزاء، وكذلك النبى الأكرم صلى الله عليه و آله حكيم أيضاً ولا يطلب إلّاالأجر المناسب أيضاً، يكون المراد بلا شكّ من المحبّة مورد البحث هو الإمامة والولاية.

معطيات آية المودّة

معطيات آية المودّة ماذا تعنى المودّة المذكورة فى الآية الشريفة بعنوان أجر الرسالة؟ وماذا يفهم من حبُّ على عليه السلام وذريته الطاهرين عليهم السلام؟ وفى مقام الجواب ينبغى القول أن المحبّة والمودّة على نحوين: ۱- المحبّة الكاذبة والزائفة. ۲- المحبّة الحقيقية والواقعية. ومن أجل توضيح المطلب بصورة جليّة ينبغى التوغل إلى أعماق النفس ونرى الدافع لمثل هذه المحبّة والمودّة. فلماذا نحبّ الإمام على؟ هل لأجل أمواله، أو لأجل كمالاته الإنسانية والمعنوية، أو لأجل علمه، أو لشجاعته، أو لكرمه وتقواه، أو لإيثاره وتضحيته، أو لجهاده وحمايته النبى الأكرم صلى الله عليه و آله، أو لأجل امور اخرى؟ إذا كنّا نحبّ الإمام على لأجل القيم الأخلاقية والمثل الإنسانية التى كان يعتقد بها، فهل نشعر فى أنفسنا باشعاعة من تلك القيم الرفيعة؟ فإن لم نشعر بذلك فمثل هذه المحبّة والمودّة كاذبة وزائفة، وإن كانت فينا بارقة من هذه القيم والمُثل الإنسانية فإنّ المودّة هنا تكون حقيقية وواقعية. ينبغى أن نمتحن أنفسنا بهذا المعيار والملاك ونتحرك نحو تشخيص نوع المحبّة والمودّة فينا نحو الإمام على بهذا المقياس لكى لا نعيش التوهم الزائف وندّعى كذباً حبُّ على بن أبى طالب، ولو كنّا نعيش مثل هذه المحبّة الزائفة فعلينا تغييرها والسعى نحو التحلّى بالمحبّة من آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۵۱ النوع الثانى ونتحرك فى سبيل تقويتها وترشيدها. إنّ أحد القيم التى كان أميرالمؤمنين عليه السلام ملتزماً بها بشدّة هى تقديم الضابطة على الرابطة، والمثال على ذلك هو قصّة الحديدة المحماة التى سمعتموها مراراً، ولكن لا بأس باستعراضها مرّة اخرى: عندما وصلت الخلافة إلى الإمام على عليه السلام بعد سنوات من السكوت والمظلومية والجلوس فى

البيت جاء إليه أخوه عقيل، وكان فقيراً ومعيلًا، من المدينة إلى الكوفة لعلّه يحصل على نصيب أوفر من بيت المال، وكان الإمام حينذاك يتناول عشاءه على سطح البيت لشدّة حرارة الجوّ فى مدينة الكوفة ولكنّ عشاءه لم يكن شبيهاً بعشاء السلاطين والامراء ولذلك لم يشاركه عقيل فى تناول العشاء وقال لأخيه: أعطنى ما أقضى دينى وعجّل سراحى حتّى أرحل عنك، قال: فكم دينك يا أبا يزيد؟ قال: مائة ألف درهم، قال: لا واللّه ما هى عندى ولا أملكها ولكن اصبر حتّى يخرج عطائى فاواسيكه ولولا أنّه لابدّ للعيال من شىء لأعطيتك كلّه، فقال عقيل: بيت المال فى يدك وأنت تسوّفنى إلى عطائك؟ وكم عطاؤك؟ وما عساه يكون ولو أعطيتنه كلّه؟ فقال: ما أنا وأنت فيه إلّابمنزلة رجل من المسلمين. وكانا يتكلمان فوق قصر الأمارة مشرفين على صناديق أهل السوق فقال له على: إن أبيت يا أبا يزيد ما أقول فأنزل إلى بعض هذه الصناديق فاكسر أقفاله وخذ ما فيه، فقال: وما فى هذه الصناديق؟ قال: فيها أموال التجار، قال أتأمرنى أن أكسر صناديق قوم قد توكّلوا على اللّه وجعلوا فيها أموالهم؟ فقال أميرالمؤمنين عليه السلام: أتأمرنى أن أفتح بيت مال المسلمين فأعطيك أموالهم وقد توكّلوا على اللّه وأقفلوا عليها؟ وإن شئت أخذت سيفك وأخذت سيفى وخرجنا جميعاً إلى الحيرة فإنّ بها تجاراً مياسير فندخلنا على بعضهم فأخذنا ماله، فقال: أوسارقاً جئت؟ قال: تسرق من واحدٍ خير من أن تسرق من المسلمين جميعاً «۱». ثمّ إنّ الإمام على عليه السلام أحمى حديدة وقرّبها من يد أخيه عقيل فلمّا رأى عقيل أن أخاه آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۵۲ غير مستعد لخروج عن خطّ العدالة ولو للحظة واحدة نهض قائماً وغادر المكان. أين نجد فى تاريخ البشرية أن سلطاناً مقتدراً وبيده اختيار الخزانة يتصرف مثل هذا التصرف مع أخيه من أجل حفظ العدالة؟ إلهنا، وفقّ المسؤولين فى حكوماتنا الإسلامية ليكونوا مثل أمير الأحرار ويتحركوا فى أداء مسؤولياتهم من موقع تقديم «الضوابط» على «الروابط».

مراتب المحبّة

مراتب المحبّة إنّ للمحبّة كما فى سائر الامور مراتب متعدّدة ومراحل مختلفة، ومحبّة الناس لأميرالمؤمنين عليه السلام ليست بمرتبة واحدة، فبعضهم يعيش المحبّة الكاذبة فهى مجرد لقلقة لسان ولا تمتد بجذورها إلى القلب، والبعض الآخر تمتد محبّتهم إلى قلوبهم ولكنّها ليست عميقة الجذور بل سطحية، والطائفة الثالثة تمتد محبّتهم إلى أعماق قلوبهم بحيث تستوعب جميع وجودهم ونفوسهم وترسم معالم شخصيتهم بلون المحبوب، فسلوك مثل هؤلاء الأشخاص هو سلوك علوى، وكلامهم كلام علوى، وأخلاقهم أخلاق علوية، والخلاصة أن كلَّ وجودهم وأفعالهم وسلوكياتهم تفوح برائحة الإمام على، وهذه أعلى مراتب المحبّة، المرحلة التى يجد الإنسان نفسه غير مستعد لأن يبادل هذه المحبّة بأىِّ شىء آخر بل يجد نفسه مستعداً للتضحية بنفسه من أجل هذه المحبّة والمودّة. وكمثال على هذه المحبّة الخالصة نذكر هذا النموذج:

ميثم التمّار، العاشق الخالص

ميثم التمّار، العاشق الخالص فى أحد الأيّام قال الإمام على عليه السلام لأحد عشاقه الذى كان يعيش الولاء المطلق له: - سوف تُصلب فى المستقبل القريب بسبب دفاعك عنى وحبّك لى فكيف يكون حالك حينئذٍ؟ ولكنّ هذا العاشق لم يتردد لحظة ولم يشعر بشىءٍ من الخوف ولم يتهرب من المسؤولية والولاية بل أظهر السرور البالغ وقال: سيّدى أين المكان الذى سوف اصلبُ فيه؟ آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۵۳ فأشار الإمام على عليه السلام إلى نخلة من نخيل الكوفة وقال: سوف تُصلب على جذع هذه النخلة. هذا العاشق الخالص لم يبتعد عن الإمام ولم يهرب من تلك المدينة ويترك أهله وديارة بل أزداد حبّاً وعشقاً للإمام على. كان فى كلّ يوم يتوجّه إلى تلك النخلة ويهتم بعنايتها وسقيها ويصلّى ركعتين عندها ويتحدّث معها حديث العاشق لمعشوقه: - أيتها النخلة لقد خُلقت لى وخلقت لك وسوف يصلب بدنى على جذعك بسبب حبّى للإمام على عليه السلام ... «۱» أين نحصل على مثل هذا الإنسان العاشق فى تاريخ البشرية؟ وحان اليوم الموعود وتمّ صلب هذا العاشق على ذلك الجذع ولكنّ عشقه لمحبوبه لم يخفّ لحظة بل أزداد

توهجاً واشتعالًا وشرع بذكر فضائل ومناقب الإمام على عليه السلام حتّى أن الأعداء لم يتحملوا منه ذلك وأمروا بقطع لسانه وهكذا ضحّى بنفسه فى سبيل مراده. سؤال: أليست التقية واجبة فى نظر الإسلام؟ إذن فلماذا لم يستخدم هؤلاء الأشخاص عنصر التقية للمحافظة على أنفسهم واجتناب إلقاء أنفسهم فى التهلكة؟ الجواب: إنّ التقية كما هى واجبة فى بعض الموارد فكذلك تكون حراماً فى موارد اخرى، فعندما يتعرض أساس الدين والمذهب للخطر وتسود الظلمة والإنحراف جميع أرجاء المجتمع الإسلامى ويتعرض الأحرار للسجن والقتل فحينذاك يجب على من يتمكن من إيصال صوته إلى الناس أن يفضح قوى الإنحراف هذه ويتصدى بكلّ وسيلة لجهاز الحكم، وفى هذه الصورة فإنّ التقية ليست فقط غير واجبة بل إذا تستر الإنسان المسلم بالتقية فإنه يكون قد ارتكب معصية كبيرة. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۵۵

آية المباهلة

اشارة

آية المباهلة ۸ [سورة آل‌عمران (۳): آية ۶۱] خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ (۳) «سورة آل عمران/ الآية ۶۱»

أبعاد البحث

أبعاد البحث إنّ آية المباهلة هى إحدى الآيات الاخرى المتعلّقة بولاية أميرالمؤمنين عليه السلام والحسن والحسين عليهما السلام، فى هذه الآية الشريفة التى تتحدّث عن موضوع المباهلة بين المسلمين ونصارى نجران تثبت من جهة حقّانيّة الإسلام ورسوله الكريم صلى الله عليه و آله ومن جهة اخرى تبين سمو مقام أهل بيت النبى عليهم السلام وعلو درجتهم، ومن جهة ثالثة بالإمكان إثبات ولاية وخلافة أميرالمؤمنين عليه السلام بواسطتها.

مقدّمة

اشارة

مقدّمة قبل الشروع بتفسير آية المباهلة الشريفة نرى من اللازم التنبيه على نقطتين:

۱- المباهلة آخر الدواء

۱- المباهلة آخر الدواء إنّ الآيات ۳۵ إلى ۶۰ من سورة آل عمران تتحدّث عن النبى عيسى عليه السلام وتذكر فى آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۵۶ طياتها قصة ولادة هذا النبى الكريم ومقاماته المعنوية وشخصية امّه وفضائلها الكريمة وحديثه مع الملائكة والمائدة السماوية ومسائل اخرى، وبعد كلّ هذه الأبحاث المطوّلة عن النبى عيسى عليه السلام يوصى اللَّه تبارك وتعالى نبى الإسلام ويقول بأن النصارى بعد بيان كلّ هذه الامور بشكل منطقى ومستدل لو لم يقبلوا الإسلام واختاروا طريقاً آخر وأصرّوا على عنادهم فعليك بمباهلتهم ليتّضح الحقّ.

۲- ماذا تعنى المباهلة؟

۲- ماذا تعنى المباهلة؟ «المباهلة» من مادة «بَهْل» ويعنى فى لغة العرب ترك الشىء، والعرب عندما تلد الناقة يشدون على ثدييها لئلّا

يشرب طفلها جميع اللبن فى ضرعها ولكن أحياناً يفتحون الضرع ليشرب طفل الناقة ما يشاء من اللبن، فيقال حينئذٍ لهذه الناقة التى انفتح ضرعها «ابل باهل». وأما فى الإصطلاح فلها معنى آخر فهو: عندما يتقدم شخصان للحوار فيما بينهما بأدلة عقلية ومنطقية ولا يستطيع أحدهما إقناع الآخر برأيه وعقيدته فهنا يحقّ لكلٍّ واحد منهما أن يباهل الآخر ويقول: «إذا كنت أنا على الحقّ وأنت على الباطل فعليك غضب اللَّه»، ويكرر الآخر هذه العبارة، فيقال لهذا العمل مع توفر شرائطه «مباهلة». ومن الواضح أن هذا المعنى الإصطلاحى يرتبط بالمعنى اللغوى لأن الشخص الذى يدّعى أنه على حقّ يقول: إننى أترك الطرف الآخر لقضاء اللَّه واحيله إلى قدرة اللَّه.

الشرح والتفسير: الدعوة إلى المباهلة

الشرح والتفسير: الدعوة إلى المباهلة «فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ ما جاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ» أى: أيّها النبى بعد البحث والمناقشة مع هؤلاء النصارى عن عيسى ابن مريم عليهما السلام وبعد تقديم الأدلّة المتقنة والبراهين الساطعة حول تفاصيل حياة عيسى ابن مريم فإنهم إذا أصرّوا مع ذلك على عنادهم ولجاجتهم ولم يبصروا الحقّ والحقيقة فهناك طريق آخر لاستمرار الدعوة الإلهية وهو اختيار المباهلة معهم. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۵۷ «فَقُلْ تَعالَوْا نَدْعُ أَبْناءَنا وَ أَبْناءَكُمْ وَ نِساءَنا وَ نِساءَكُمْ وَ أَنْفُسَنا وَ أَنْفُسَكُمْ». فى هذا المقطع من الآية الشريفة يعيّن القرآن الأشخاص الذين سيشتركون فى مراسم المباهلة، وعليه يوجّه الخطاب إلى النبى الأكرم ويقول: أيّها النبى قل لهؤلاء تعالوا لنتباهل وليأتى كلُّ طرف منا بأربع فئات من جماعته وأهل ملّته ليشتركوا فى هذه المراسم: ۱- رئيس المسلمين، أى النبى الأكرم صلى الله عليه و آله من جهة ورئيس نصارى نجران من جهة اخرى. ۲- أبناءنا وأبناءكم. ۳- نساءنا ونساءكم. ۴- أنفسنا وأنفسكم. وسيأتى فى الأبحاث اللاحقة الكلام عن المراد من «أبنائنا» و «نسائنا» و «أنفسنا» بشكل مفصل. «ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكاذِبِينَ» فبعد أن ذكرت الآية الشريفة الطوائف الأربع المفروض اشتراكهم فى مراسم المباهلة، ذكرت كيفية إجراء هذه المراسم بأن تتم بهذه الصورة: إن كلُّ شخص كاذب ويدّعى أنه على الحقّ كذباً وزوراً فإن عليه لعنة اللَّه وعذابه، ليتّضح الحقّ للناس وتتجلّى معالم الحقيقة للجميع.

هل تحققت المباهلة؟

هل تحققت المباهلة؟ وهنا يثار سؤال: هل تحققت مراسم المباهلة وفقاً للشروط التى ذكرها القرآن الكريم؟ وفى صورة تحقّقها فماذا كانت النتيجة؟ الجواب: إنّ القرآن الكريم لم يذكر شيئاً عن وقوع المباهلة فى الواقع الخارجى ولا يمكننا استيحاء وقوعها من سياق الآيات الكريمة، ولكنّ هذه الواقعة معروفة ومشهورة فى تاريخ الإسلام. فطبقاً لما ذكرته كتب المؤرخين أن النبى الأكرم صلى الله عليه و آله طرح موضوع المباهلة وكيفيتها مع نصارى نجران وعيّن اليوم الخاصّ لإجراء المباهلة، ولكنّ الاسقف الأعظم للنصارى الذى يعدّ أعلى مقام دينى لدى النصارى قال لهم: آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۵۸ «انظروا محمّداً فى غدٍ، فإن غدا بولده وأهله فاحذروا مباهلته. وإن غدا بأصحابه فباهلوه فإنه على غير شىء». وعلى أيّة حال فقد حل اليوم الموعود وشاهد النصارى النبى الأكرم صلى الله عليه و آله قادماً ومعه طفلين هما الحسن والحسين عليهما السلام وكذلك على وفاطمة عليهم السلام، فقال الأسقف الأعظم عندما رأى هذا المنظر: «إنى أرى وجوهاً لو دعوا اللَّه لاستجاب لهم وفى ذلك هلاككم» «۱». وهكذا امتنع من المباهلة ووافق النبى الأكرم على انسحابهم وتراجعهم. لقد ذكرت كتب التواريخ قصة المباهلة بشكل مختصر كما مرّ آنفاً، يقول أبوبكر الجصّاص من علماء القرن الرابع الهجرى فى كتابيه «أحكام القرآن» و «معرفة علوم الحديث» عبارتين جميلتين فى هذا الصدد: ۱- قال فى كتاب «أحكام القرآن»: إنّ رواة السّير ونقلة الأثر لم يختلفوا فى أنّ النبى صلى الله عليه و آله أخذ بيد الحسن والحسين وعلى وفاطمة ودعا النصارى الذين حاجّوه إلى المباهلة «۲». ۲- ويقول أيضاً فى كتاب «معرفة علوم الحديث»: قد تواترت الأخبار فى التفاسير عن عبداللَّه

بن عبّاس وغيره أنّ رسول اللّه صلى الله عليه و آله أخذ يوم المباهلة بيد على والحسن والحسين وجعلوا فاطمة ورائهم ثمّ قال: هؤلاء أبناؤنا وأنفسنا ونساؤنا «۳». وعلى هذا الأساس هناك روايات وأحاديث كثيرة جدّاً فى شأن نزول وتفسير آية المباهلة حيث نكتفى هنا بذكر رواية واحدة منها: آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۵۹ جاء فى كتاب صحيح مسلم فى باب «فضائل الصحابة» رواية مثيرة وجذّابة رواها سعد بن أبى وقاص: أن معاوية قال لسعد: «ما منعك أن تسبّ أباتراب «۱»؟ قال: أما ما ذكرت ثلاثاً قالهن رسول اللّه فلن أسبّه لئن تكون لى واحدة منها أحبّ إلىّ من حمر النعم، ثمّ ذكر قصة تبوك عندما استخلف النبى علياً على المدينة، فلما قال الإمام على: أتخلّفنى على النساء والأطفال؟ قال له رسول اللّه: «ألا ترضى أن تكون منى كهارون من موسى إلّاأنه لا نبى بعدى، والثانية فى معركة خيبر عندما أرسل رسول اللّه الأوّل والثانى لفتح خيبر فرجعا آيسين فقال رسول اللّه صلى الله عليه و آله: «لأعطينّ الراية غداً لرجل لا يملّ من الحرب ولا- يدير ظهره للعدو». فتطاولت الأعناق لذلك، فنظر رسول اللّه فيهم فلم ير علياً، فسأل عنه فقيل: هو أرمد، فقال: علىّ به، فجاء الإمام على فتفل رسول اللّه فى عينه فشفى من ساعته فدفع إليه الراية وكان الفتح على يده. وأما «الثالثة» فهى لما نزلت هذه الآية «قل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ...» حيث دعا رسول اللّه علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال: اللّهم هؤلاء أهلى ... وقال سعد بعد ذلك لمعاوية: هل يحقّ لى بعد هذا أن أسبّ علياً؟ فسكت معاوية وندم على مقولته» «۲».

من هم أبناءنا، نساءنا، أنفسنا؟

من هم أبناءنا، نساءنا، أنفسنا؟ لا خلاف ظاهراً بيننا وبين أخوتنا من أهل السنّة فى أن المراد من «نساءنا» هو فاطمة الزهراء بنت رسول اللّه عليها السلام وكذلك اتّفق علماء الشيعة وأهل السنّة أن المراد من «أبناءنا» الحسن والحسين عليهما السلام. وعلى هذا الأساس فإن المحور الأصلى فى هذا البحث يدور حول تفسير كلمة «أنفسنا» آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۶۰ ولذلك نرى من الضرورى تفصيل البحث حول هذه العبارة. يقول القاضى نوراللّه الشوشترى فى كتابه القيّم «احقاق الحقّ»: أجمع المفسّرون على أن «أبناءنا» إشارة إلى الحسن والحسين عليهما السلام و «نساءنا» إشارة إلى فاطمة عليها السلام و «أنفسنا» اشارة إلى على عليه السلام. وذكر آية اللّه العظمى المرعشى فى حاشيته على هذا الكتاب نقلًا عن ستين كتاباً «من كتب أهل السنّة» ما يؤيد هذا المطلب «۱»، والمفهوم من هذا الكلام واضح جدّاً بحيث ذكره أهل السنّة قاطبة فى كتبهم. ولكن مع الأسف نجد أن بعض مفسّرى أهل السنّة وعلى الرغم جميع هذه الروايات تورطوا بشراك التعصّب والتفسير بالرأى فذكروا تفسيرات مدهشة لهذه الآية الشريفة، ونكتفى هنا بذكر نموذجين منها: ۱- يقول الألوسى فى «روح المعانى» بعد اعترافه بعدم وجود شخص آخر مع النبى صلى الله عليه و آله فى المباهلة غير على وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام ومع تأكيده بأنه لا- ينبغى لكلّ إنسان مؤمن الشك فى هذه المسألة يستعرض دليل علماء الشيعة ويدّعى أن المراد من «أنفسنا» هو النبى نفسه، وأما الإمام على فيندرج فى كلمة «أبناءنا» لأن العرب تطلق على الصهر كلمة الابن أيضاً «۲». وجواب هذا الكلام واضح جدّاً، لأنه طبقاً لهذه الآية الشريفة فإنّ النبى الأكرم صلى الله عليه و آله قد دعى: أبناءنا وأنفسنا ونساءنا، فلو كان المراد من «أنفسنا» هو النبى نفسه فماذا يعنى أن يدعو الإنسان نفسه إلى المباهلة؟ ونظراً إلى أن القرآن الكريم هو أفصح بيان فى اللغة العربية فمن المسلّم أنه لا يذكر كلاماً غير فصيح مثل هذا الكلام ولا يأمر النبى صلى الله عليه و آله بأن يدعو نفسه، إذن فالمراد من «أنفسنا» لا- يمكن أن يكون هو النبى صلى الله عليه و آله نفسه قطعاً، مضافاً إلى أننا لم نقرأ فى كلام العرب أنهم يطلقون آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۶۱ كلمة الإبن على الصهر، ومثل هذا الإستعمال غريب جدّاً ويحمل على المجاز البعيد. ولا نستغرب من هذه التأويلات والآراء التى هى من إفرازات التعصّب الأعمى بحيث إن مثل هذا التعصّب قد يدفع الإنسان أحياناً ومن أجل حفظ عقائده والدفاع عنها أن يفرض آراءه وعقائده هذه على القرآن الكريم. ۲- والأعجب من ذلك من نراه من نظرية «محمّد عبده» فى تفسير المنار، فعندما يصل إلى هذه الآية يقول فى تفسيرها: الروايات متّفقة على أنّ النبى صلى الله عليه و آله اختار للمباهلة عليّاً وفاطمة وولديهما ويحملون كلمة نسائنا على فاطمة وكلمة أنفسنا على علىٍّ فقط ومصادر هذه الروايات الشيعة ومقصدهم منها

معروف «۱». والواقع أن كلام محمّد عبده هذا عجيب جدّاً ومتناقض مع صدر الآية وذيلها، لأنه ادّعى فى بداية كلامه اتفاق الروايات على هذا المطلب ولكنه فى ذيلها ينسب هذا الرأى إلى الشيعة. ومضافاً إلى ذلك «كما تقدّم سابقاً» أنّ هذا الكلام مجانبٌ للصواب لأن أكثر الروايات المذكورة وخلافاً لمدّعاه مذكورة فى مصادر أهل السنّة. ونحن لا نملك فى مقابل هذا الكلام الواهى سوى إظهار التأسف. وعلى أيّة حال فإنّ آية المباهلة كما تقدّم بيانه من الآيات المحكمة والصريحة التى تدلُّ دلالة واضحة على ولاية أميرالمؤمنين عليه السلام وأبنائه الطاهرين عليهم السلام. سؤال: صحيح أن آية المباهلة تعد فضيلة كبيرة لأميرالمؤمنين علىّ بن أبى طالب عليه السلام، ولكن ما هو ارتباطها بمسألة الولاية والإمامة لأميرالمؤمنين حيث إن البحث هنا يتعلق بالآيات التى تتحدّث عن الولاية والإمامة؟ الجواب: رأينا فيما سبق أن المراد «أنفسنا» فى آية المباهلة هو الإمام علىّ بن أبى طالب عليه السلام، وعندما يخاطب النبى الأكرم صلى الله عليه و آله ابن عمه الإمام على عليه السلام بأنه «نفسه» فهل أن آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۶۲ مقصوده من ذلك هو المعنى الحقيقى للنفس أو المعنى التنزيلى والإعتبارى؟ لاشكّ أن المعنى الحقيقى غير مقصود هنا، أى أن على ليس هو النبىّ نفسه، إذن فالمراد من ذلك أن الإمام علىّ عليه السلام يتمتع بالفضائل والكمالات والمقامات المعنوية التى يتمتع بها الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله، فهو كالنبى فى الشجاعة والرشادة والشهامة والتقوى والإيثار وسائر الكمالات والمقامات المعنوية الاخرى، والنتيجة هى أن الإمام على عليه السلام نازل منزلة النبى صلى الله عليه و آله فى المقامات والكمالات وتالى تلوه. ومع الإلتفات إلى هذا المطلب يتّضح أن الخليفة بعد رسول اللَّه صلى الله عليه و آله والذى لابدّ وأن يكون منصوباً من اللَّه تعالى أو الامّة الإسلامية هو الشخص الذى يحوز هذه المقامات ويكون مثل النبى فى سماته وكمالاته أو فى مرحلة دانية منه. ألا ينبغى أن يكون الشخص الذى ينتخبه الناس لهذا المقام أو يكون منصوباً بالنصب الإلهى لهذا المقام كالنبى صلى الله عليه و آله فى فضائله وكمالاته وخاصة فى مسألة التقوى والعصمة؟ ومع فرض وجود مثل هذا الشخص ألا يكون قبيحاً لدى العقل انتخاب أشخاص آخرين لهذا المقام؟ وعلى هذا الأساس فإنّ انطباق كلمة «أنفسنا» على الإمام على عليه السلام يؤدى إلى تجسير العلاقة بين هذا المعنى وبين مفهوم الولاية والإمامة، وبذلك يتم إثبات الولاية لأميرالمؤمنين. ربّنا: وفقنا لمعرفة قدر هذه النعمة العظيمة وهى ولاية أهل البيت عليهم السلام وارزقنا عنايتهم فى الدنيا وشفاعتهم فى العقبى. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۶۳

آية سورة الدهر

اشارة

آية سورة الدهر ۹ [سورة الإنسان (۷۶): الآيات ۵ الى ۱۰] فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلاً غَيْرَ الَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزاً مِنَ السَّماءِ بِما كانُوا يَفْسُقُونَ (۵۹) «سورة الدهر/ الآيات ۵- ۱۰»

أبعاد البحث

أبعاد البحث إن أحد الفضائل والمناقب المهمة للإمام على عليه السلام بل فضائل أهل البيت ومناقبهم هو ما ورد فى آيات سورة الإنسان حيث تحدّث القرآن الكريم فى ثمانية عشر آية من ۳۱ آية من هذه السورة حول هذه الفضيلة العظيمة، وبعض الآيات الشريفة هذه تحدّثت عن أصل القضية، وهناك أربعة عشر آية اخرى تحدّثت عن جزاء وثواب هذا العمل العظيم الذى قامت به هذه الاسرة الطاهرة، وسوف يأتى تفاصيل هذه الواقعة وتفسير هذه الآيات الكريمة لاحقاً.

شأن النزول

شأن النزول لقد ذكرت كتب التفسير شأن نزول هذه الآيات محل البحث، وقد أورد العلّامة الأمينى آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۶۴ فى كتابه «الغدير» شأن نزولها من أربعة وثلاثين كتباً من كتب أهل السنّة «۱»، ونقل القاضى نوراللّه الشوشترى هذا المطلب من ۳۶ كتاباً من كتبهم «۲»، وعلى هذا الأساس فإنّ شأن النزول لهذه الآيات متواتر تقريباً، وخلاصة ما ورد فى شأن نزولها والمتّفق عليه فى جميع المصادر الروائية والتفسيرية هو مايلى: إنّ الحسن والحسين مرضا فعادهم رسول اللّه صلى الله عليه و آله فى ناس معه فقالوا: يا أبا الحسن لو نذرت على ولدك، فنذر على وفاطمة وفضة إن برءا مما بهما أن يصوموا ثلاثة أيّام فشفيا وما معهم شىء فاستقرض علىّ ثلاثة أصوع شعير فطحنت فاطمة صاعاً واختبزت خمسة أقراص على عددهم فوضعوها بين أيديهم ليفطروا فوقف عليهم سائل فقال: السَّلامُ عَلَيْكُمْ يا اهْلَ بَيْتِ محمّد مسكينٌ من مساكين المسلمين أطعمونى أطعمكم اللّه من موائد الجنّة، فآثاروه وباتوا لم يذوقوا إلّاالماء «۳»، فأصبحوا صياماً فلما أمسوا ووضعوا الطعام بين أيديهم وقف عليهم سائل يتيم فآثاروه ووقف عليهم أسير «۴» آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۶۵ فى الثالثة ففعلوا مثل ذلك فلما أصبحوا أخذ علىّ بيد الحسن والحسين وأقبلوا إلى رسول اللّه صلى الله عليه و آله فلما أبصرهم يرتعشون كالفراخ من شدّة الجوع قال: ما أشد ما يسوؤنى ما أرى بكم وقام وانطلق معهم فرأى فاطمة فى محرابها قد التصق ظهرها ببطنها وغارت عيناها فساءه ذلك فنزل إليه جبرئيل وقال: خذها يا محمّد هنئك اللّه فى أهل بيتك فأقرأه السورة.

الشرح والتفسير: الخصائص الخمسة لأهل البيت عليهم السلام

الشرح والتفسير: الخصائص الخمسة لأهل البيت عليهم السلام إنّ أربعة آيات من الآيات الثمانية عشر فى هذه السورة تتحدّث عن أصل العمل الذى قام به هؤلاء الأشخاص، وأربعة عشر آية منها تتحدّث عن الأجر والثواب الإلهى الذى ينتظر هؤلاء، وفى البداية نستعرض تفسير الآيات الأربع منها حيث يشير القرآن فيها إلى خمس خصال من فضائل ومناقب أهل البيت عليهم السلام: ۱- الوفاء بالعهد «يُوفُونَ بِالنَّذْرِ» فأوّل عمل أخلاقى لهؤلاء هو الوفاء بالنذر بحيث ينبغى أن يكون هذا العمل اسوة لسائر أتباعهم وشيعتهم، حيث نرى بعض أفراد الشيعة ينذرون فى حالة مواجهتهم للمصائب والبلايا والمشاكل ولكنهم عند زوال هذه البلايا والمشاكل ويحين وقت العمل بالنذر فإنهم يتحركون من موقع التغافل وعدم الإهتمام، فتارةً يشككون فى صيغة النذر، واخرى يترددون فى التنفيذ العملى للنذر، والخلاصة يمتنعون من الوفاء بالنذر بكلِّ ذريعة، كما هو الحال عندما يواجه الشخص خطراً محدقاً بحيث يكون احتمال بقائه على قيد الحياة قليلًا جدّاً، فحينئذٍ يتوجه إلى اللّه تعالى بالنذر الثقيل ويعاهده على العمل به ثمّ يتفق أن ينجو من هذا الخطر، وعندها يتوجه هذا الشخص إلى مرقد الإمام الذى نذر له ذلك النذر ويقول مخاطباً له: أيّها الإمام، لقد نذرت فى تلك اللحظات الخطيرة نذراً ثقيلًا، فلماذا صدّقت بكلامى وطلبت من اللّه أن ينقذنى؟ أجل، إن بعض المسلمين هم مصداق الآية الشريفة: آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۶۶ «فَإِذا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذا هُمْ يُشْرِكُونَ» «۱». ولكن أهل البيت عليهم السلام لم يكونوا كذلك، فهم لا يكتفون بالوفاء بالنذر فقط بل يوفون بجميع تعهّداتهم والتزاماتهم الأخلاقية ومسؤولياتهم الإجتماعية، لأن ذلك من علامات الإيمان «۲» والمسلم الحقيقى يجب أن يتصف بهذه الصفة الأخلاقية وهى الوفاء بالعهد والنذر حتّى لو كان ذلك بضرره. ۲- الخوف من القيامة «وَ يَخافُونَ يَوْماً كانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً» والخصلة الثانية من خصائص هؤلاء الأشراف والأولياء هو أنهم يخافون من يوم القيامة، وطبعاً ليس ذلك بسبب خوفهم من احتمال أن يتوجه إليهم ظلم بحقّهم بل يخافون من محكمة العدل الإلهية لأن جميع أعمال الإنسان الصغيرة والكبيرة ستعرض فى ذلك اليوم ويُحاسب عليها الإنسان كما ورد فى قوله تعالى «فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ* وَ مَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ» وهذا هو الذى يخيفهم ويثير فى أنفسهم الفزع والخشية لأن ذلك اليوم يُحاسب الإنسان على ما قدّم وأخر، وفى تلك المحكمة الإلهية سيحاسب الصغير والكبير، المرأة والرجل، الغنى والفقير، العالم والجاهل، والخلاصة جميع أفراد البشرية، فالإعتقاد بتحقّق ذلك اليوم المهيب يثير فى الإنسان الخوف والرهبة. ۳- معونة الفقراء والمساكين «وَ يُطْعِمُونَ الطَّعامَ عَلى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَ يَتِيماً وَ أَسِيراً» الخصلة الثالثة التى ذكرتها هذه الآيات الشريفة لأهل البيت عليهم

السلام والتى تعتبر محور هذا البحث هو مواساتهم للمساكين وتقديمهم يد العون للمحرومين فى المجتمع الإسلامى، فهؤلاء الأولياء بالرغم من احتياجهم إلى الطعام نراهم يؤثرون الفقراء والمساكين على أنفسهم ويقدمون ما لديهم من الطعام إلى المسكين واليتيم والأسير، وفى هذه الآية الشريفة إشارة إلى ثلاث طوائف من المحرومين والمحتاجين فى المجتمع: آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۶۷ الف- «المسكين» وهذه الكلمة مشتقة من مادّة «سكون» أى الفقر والحاجة الشديدة بحيث تدع الإنسان ساكناً وقابعاً إلى الأرض من شدّة الحاجة والفاقة، فيجب على المسلمين والمؤمنين أن يأخذوا بيد هؤلاء المحرومين والفقراء والمساكين الذين لا يستطيعون أن يوفروا لأنفسهم وأهلهم ما يحتاجونه من أوّليّات الحياة والمعيشة، وأن يمدوا يد العون لهؤلاء المحرومين ويشاركوهم فى النعم التى يعيشون فيها ويواسونهم بها. ب- «اليتيم» وهو الطفل الذى فقد وليه وأباه، فرغم أنّ اليتيم قد لا يكون محتاجاً من الناحية المادية ولكنه يعيش أزمة عاطفية وهو فى أشد الحاجة إلى المحبّة والحنان من الآخرين، وقد ذكروا أنه فى إحدى الزلازل التى وقعت أخيراً وكثرت فيها الضحايا من أهالى المدينة أو القرية عثروا على صبى فقد خمسين شخصاً من عائلته وأرحامه كالأب والامّ والأخوات والاخوة والأعمام والعمات والخالات وذرياتهم، والخلاصة أنه فقد جميع أرحامه وأقربائه، فمثل هذا الشخص يعيش الحاجة الشديدة إلى المحبّة والعاطفة وسوف ينهار حتماً إن لم يجد من يعوّضه عن هذه الخسارة المعنوية والروحية. ج- «الأسير» ومعناه واضح حيث يقال للشخص الذى ابتعد عن بيته ووطنه ومدينته وعاش فى بلد آخر غريباً ووحيداً، فيمكن للأسير أن يكون ثرياً فى وطنه ولكنه بعد وقوعه فى الأسر فانه يستحق المساعدة والمحبّة. وعلى أيّة حال فإنّ الإنسان المؤمن والمسلم يجب أن يمد يد العون فى دائرة استطاعته وامكانيته إلى جميع الأفراد المحرومين والمتضررين فى المجتمع، وفى هذا الزمان قد لا يوجد مصداق لأحد هذه الطوائف الثلاث المذكورة فى الآية الشريفة، ولكن هناك طوائف اخرى تعيش الفاقة والحاجة الشديدة إلى المساعدة والمعونة، المرضى بالسرطان، والجذام والأمراض المزمنة الاخرى، السجناء، البنات اللواتى فى سن الزواج ولكنهنّ محرومات من الذهاب إلى بيت العرس لفقدانهن الجهيزية ووسائل المعيشة، وهناك طوائف اخرى محتاجة أيضاً. فهل نحن نتحرك من موقع الإيثار والشفقة على هؤلاء المحرومين كما رأينا فى سلوك أهل البيت عليهم السلام؟ آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۶۸ هل نعلم بحالة الجيران وما هم عليه من الفاقة والحاجة؟ هل نعلم بكيفية معيشتهم وإفطارهم وسحورهم؟ هل نحن مطلعون على أحوال وأوضاع أرحامنا وأقربائنا؟ إذا كان جواب هذه الأسئلة بالنفى (والعياذ باللَّه) هل يمكننا مع ذلك أن ندّعى بأننا من شيعة أهل البيت؟ ۴- الإخلاص «إِنَّما نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزاءً وَ لا شُكُوراً» الفضيلة الرابعة للإمام على وزوجته وطفليه هى مسألة «الإخلاص» للَّه تعالى فى عملهم هذا، وهى فضيلة عظيمة جدّاً، حيث قالوا: إننا نتقدم إليكم بهذه المساعدة والمعونة تقرباً إلى اللَّه تعالى وطلباً لرضاه ومن دون أى دافع آخر من الدوافع الدنيوية ولذلك لا نطلب منكم شيئاً دنيوياً ولا نتوقع منكم حتّى الشكر. عندما نقرأ هذه الكلمات ونكررها فى أذهاننا هل يمكننا أن نتصور أن إنساناً من أفراد المجتمع يمكنه أن يدّعى هذا الإدعاء غير الأولياء؟ والأكثر من ذلك لو أن الطرف المقابل تحرك نحوهم من موقع الإهانة وتجاسر عليهم بدل أن يتقدّم إليهم بالشكر فإن حالهم لا يتفاوت أبداً عن السابق. إنّ الإخلاص هو جوهر العمل الصالح، ولذلك أكد عليه الإسلام كثيراً وتقدّم إلى المسلمين بتعليماته وتوصياته أن يهتموا بكيفية العمل لا بكميته وعدده، أى أن ركعة واحدة يصليها المسلم بإخلاص أفضل عند اللَّه من ألف ركعة يصليها بدون إخلاص. ۵- الخوف من اللَّه «إِنَّا نَخافُ مِنْ رَبِّنا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً» الخامس من خصائص هؤلاء هو: الخوف من اللَّه تعالى. ولعلك تسأل: تقدّم فى الخصلة الثانية أنهم يخافون من المعاد والقيامة وهنا نجد الخوف من اللَّه تعالى فما هو الفرق بينهما؟ آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۶۹ الجواب: لا يلزم أن يكون الخوف من اللَّه تعالى متلازماً ومتزامناً مع الخوف من جهنم والقيامة والعذاب الاخروى بل يمكن أن يعيش الإنسان الخشية والهيبة من عظمة اللَّه، فعندما يفكر الإنسان المؤمن بعظمة اللَّه تعالى فإنّ الخوف والخشية والمهابة تسرى فى جميع أركان وجوده ومفاصل بدنه، ويكون حاله كما لو توجه لملاقاة شخصية مهمة وأراد أن يقول له شيئاً، فمن المحتمل أن تستولى عظمة ذلك الشخص عليه فلا يستطيع النطق والكلام حينها رغم أن ذلك الشخص هو إنسان عطوف وحسن الأخلاق جدّاً، وعليه فإنّ هذه الخصلة الخامسة تتفاوت

مع الخصلة الثانية والخوف من اللّه تعالى يراد به هنا الخوف من عظمة اللّه وكبريائه.

آيات الأجر والثواب

آيات الأجر والثواب تقدّم أنّ فى هذه السورة أربعة عشر آية من آياتها تتحدّث عن الأجر العظيم الذى ينتظر هؤلاء الأولياء جزاءاً لإيثارهم وتضحيتهم اتجاه المحرومين، ولا نجد فى القرآن الكريم مثل هذا الثواب العظيم بأى عمل من الأعمال الصالحة التى تصدر من المؤمنين، بمعنى أننا نرى أن خمسة عشر نوعاً من الثواب ورد بصورة متوالية فى هذه السورة، ولو أمعنا النظر أكثر فى هذه الآيات الأربعة عشر لوجدنا عشرين نوعاً من الثواب على ذلك العمل، وسوف نستعرض هذه المثوبات فى ۱۲ فقرة لاحقاً، ولكن قبل بيان هذه المثوبات نرى من الضرورى تقديم مقدّمة:

المقارنة بين الثواب الدنيوى والاخروى

المقارنة بين الثواب الدنيوى والاخروى بلا شكّ أنّ نعم ومواهب الآخرة تختلف عن نعم ومواهب الدنيا، لأنه بالرغم من استخدام الألفاظ البشرية والقوالب الدنيوية فى شرح وتوضيح تلكم المواهب الاخروية ولكن يبقى مفهومها ومحتواها له ماهية غيبية واخروية، وعلى هذا الأساس فما نسمعه ونتصوره من النعم والمواهب الاخروية ليس سوى شبح من حقائق ذلك العالم، ولا ينبغى أن نتوقع إدراك حقائق تلك النعم فى هذه الدنيا كما هو الحال فى الجنين فى بطن امّه حيث لا آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۷۰ يمكنه إدراك حقائق هذا العالم الدنيوى مهما بالغت امّه فى إفهامه حسب الفرض ومهما كان ذكياً كابن سينا، فإنه لا يستطيع تصور ما يجرى فى هذا العالم سوى اشباح وأوهام، ولذلك ورد عن النبى الأكرم صلى الله عليه و آله قوله: «إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: اعْدَدْتُ لِعِبادِيَ الصّالِحِينَ ما لا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلا اذُنٌ سَمِعَتْ، وَلا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ» «۱». وعلى هذا الأساس فمن الممكن أن يكون لكلمة معنىً خاص فى عالمنا الدنيوى هذا ولكنه يحمل معنىً آخر عند استعماله فى مورد النعم والمواهب الاخروية فى الجنّة، وسيأتى توضيح أكثر فى البحوث اللاحقة حول هذا الموضوع. وبعد بيان هذه المقدّمة نستعرض النعم الاثنى عشر فى الجنّة لهؤلاء الأولياء:

النعم الاثنا عشر فى الجنّة

النعم الاثنا عشر فى الجنّة ۱- السكينة والهدوء النفسى «فَوَقاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذلِكَ الْيَوْمِ وَ لَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَ سُرُوراً» فأوّل نعمة ينالها هؤلاء الأولياء فى الجنّة هى نعمة الإستقرار والهدوء النفسى حيث يدفع عنهم اللّه تعالى شرور ذلك اليوم ومشكلاته ومصاعبه ويغرقهم فى أجواء الفرح والسرور، ويتّضح من ذكر الآيات الشريفة نعمة الهدوء النفسى والسكينة الروحية باعتبارها أوّل نعمة من النعم الإلهية فى الجنّة كونها نعمة مهمة وثمينة جدّاً، والحقيقة هى أنها كذلك حيث إنّ الاطمئنان الروحى للإنسان يمثل أغلى شىء يناله الشخص فى الدنيا والآخرة، ويتبين هذا المعنى فى الأشخاص الذين يمتلكون مختلف المواهب والنعم فى الدنيا ولكنهم لا يعيشون الإستقرار والهدوء النفسى فإنّ هذه النعم والإمكانات المادية والدنيوية تتحول إلى أدوات لتثوير حالة القلق والإضطراب والعذاب النفسى لهؤلاء، ولهذا نرى أن الكثير من الأثرياء وأبناء الامراء قد يتوجهون نحو الإنتحار للتخلص من عناصر القلق والإضطراب النفسى، ويقال آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۷۱ أن إحدى الغابات فى أمريكا الواقعة إلى جانب إحدى المدن الامريكية تسمّى غابة الانتحار حيث يتوجه إليها الأشخاص الأثرياء الذين يمتلكون كلّ شىء فى الدنيا سوى الإستقرار والهدوء النفسى وينتحرون هناك ويقضون على حياتهم البائسة. وفى المقابل نرى أن بعض الأشخاص بالرغم من كونهم يعيشون الفقر المدقع ولا يمتلكون من وسائل الحياة إلّاالقليل جدّاً ومع ذلك يعيشون الإستقرار الروحى فى درجات عالية فى حياتهم الفردية والإجتماعية. فلو أنك تسأل: كيف يمكن تحصيل هذه النعمة المهمة فى حركة الحياة؟ نقول: إنّ اللّه تبارك وتعالى ذكر فى الآية ۸۲ من سورة الأنعام أن هذه النعمة العظيمة تكون من

نصيب المؤمنين الـذين يتحركون فى خـط الطاعـة والتقوى: «الَّذِينَ آمَنُوا وَ لَمْ يَلْبِسُوا إِيمانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَ هُمْ مُهْتَـدُونَ». وفى الآيـة ۲۸ من سورة الرعـد يقرر أن ذكر اللَّه وعـدم الغفلـة عنه بمثابـة المنبع الـدائم للخير والبركة والأمن والإستقرار النفسـى. ۲- بساتين الجنّة «وَ جَزاهُمْ بِما صَبَرُوا جَنَّةً وَ حَرِيراً». وإحـدى المواهب الاخروية للأفراد هى أنهم يسـكنون فى بساتين الجنّة التى تختلف فى جميع امورها عن بساتين الـدنيا، تلك البساتين التى يجرى من تحتها الأنهار، والأشـجار الخضـراء اليانعة طوال السـنة وتؤتى ثمارها فى جميع الفصول، الأشـجار التى لاـ تحتـاج لقطف ثمارهـا أن يتحمـل الإنسان بعض التعب فى ذلك بل تحضـر بنفسـها بمجرد إرادة الإنسان المؤمن وتضع نفسـها بين يديه. ۳- الراحـة والرفاهيـة «مُتَّكِئِينَ فِيها عَلَى الْأَرائِكِ». «أرائك» جمع «أريكة» والأصل فيها التخت الذى تجلس عليه العروس ثمّ اطلقت على جميع الكراسـى الجميلة، فأهل الجنّة يجلسون فى بساتينها على أرائك جميلة ويتكئون عليها ويتنعمون بنعيم الجنّة، وعبارة «متكئين» تعبير ظريف وجميل لأن الإنسان لا يعيش هـذه الحالـة من الجلوس متكئاً على الأريكة إلّاوهو ناعم البال مرتاح الضـمير آمن الخاطر، فلو كان قلقاً ومضـطرباً فإنه لا يمكنه الجلوس فى مثل هذه الحالة والإتكاء على الأريكة بل تراه يقوم ويقعـد ويتحرك من هنا ومن هناك. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۷۲ ۴- الأجواء المعتدلة والنسيم العليل «لا يَرَوْنَ فِيها شَمْساً وَ لا زَمْهَرِيراً». هواء الجنّة معتـدل جدّاً فليس هناك شـمس الصـحراء المحرقة ولا يحتاج الإنسان إلى أجهزة التبريد، وليس الجو بارداً جـدّاً ليحتـاج الإنسـان أجهزة للتدفئـة بـل يعيش الإنسـان هنـاك الربيع الـدائم والنسـيم العليل، ولا شكّ أن فى الجلوس والاتكاء على الأرائك الجميلة فى مثل هذا الجو الناعم وتحت ظلال الأشـجار المثمرة واليانعة، لذّة لا توصف وسـعادة لا تتصور. سؤال: هذه الآيات الشـريفة تنفى وجود الشـمس فى الجنّة، ولكن الآيـات اللاحقـة تتحـدّث عن وجود ظلال لأشـجار الجنّة، فلو لم تكن هناك شـمس فكيف يُعقل أن تكون هناك ظلال للأشـجار، أليس هذا من التناقض؟ الجواب: أوّلًا: إنّ القرآن لا يقول أن فى الجنّة لا يوجد شمس، بل يقول أن أهل الجنّة لا يرون الشـمس، أى أن أشـجار الجنّة متراكمـة الأغصان وكثيفـة الأوراق إلى درجـة أن أهل الجنّة لا يرون الشـمس بسـبب كثافـة هـذه الأشـجار وارتفاعها. ثانياً: إنّ المراد بقوله «لا يَرَوْنَ فِيها شَـمْساً» أنهم لا يحسون بحرارة الشـمس الشديدة، فالآية لا تنفى وجود شمس معتدلة، وعليه فلا يوجد هناك تناقض فى البين. ۵- الظلال والفواكه «وَ دانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلالُها وَ ذُلِّلَتْ قُطُوفُها تَـذْلِيلًا». إنّ أشـجار الجنّة تظلل على هؤلاء المؤمنين بأغصانها وتدنى إليهم ثمارها حتّى ينالون منها ما يشاؤون دون أن يتعبوا أنفسـهم فى الصعود عليها وقطف ثمارها. ۶- الخدم من الغلمان «وَ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدانٌ مُخَلَّدُونَ». وكلّما أرادوا شـيئاً أمروا الخدم والغلمان من الولـدان المخلـدون الـذين هم فى جمالهم كاللؤلؤ المنثور ليحققوا لهم ما يريـدون، بل لا يحتاج هؤلاء الغلمان إلى الأمر والنهى لأنهم يتحركون من موقع الخدمة لصاحبهم وسيّدهم دائماً. ۷- الثياب الجميلة جدّاً «عالِيَهُمْ ثِيابُ سُـنْدُسٍ خُضْرٌ وَ إِسْتَبْرَقٌ». حيث يلبس أهل الجنّة أنواع الملابس الجميلة والبرّاقة والمصـنوعة من الحرير الناعم ومن السـندس والإسـتبرق، فحتّى الملابس التى كانت حرام عليهم فى الـدنيا فإنه يباح لهم لبسـها وارتداؤها فى الآخرة. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۷۳ ۸- الزينة «۱» «وَ حُلُّوا أَساوِرَ مِنْ فِضَّةٍ». فيباح لهم فى الجنّة التزيّن بأنواع الزينة ولبس الأسورة من الذهب والفضة. ۹- أدوات الضيافة الراقية «وَ يُطافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَ أَكْوابٍ كانَتْ قَوارِيرَا». إنّ الأدوات التى يسـتخدمها الإنسان فى تناول غـذائه والآنية التى يسـتخدمها فى طعامه لها أهمية خاصّة، فلو أن أفضـل الأغذية وأطيب الأطعمة والأشـربة وضـعت فى آنية وأقداح غير مناسبة ووسخة فإنّ ذلك بإمكانه أن يسلب الشهية من الإنسان حتّى لو كان جائعاً، ولكن على العكس من ذلك إذا كان الغـذاء عادياً ولكن تمّ تقـديمه بآنيـة جميلـة ومناسـبة ونظيفة فإنّ ذلك من شأنه أن يثير فى الإنسان الشـهيّة للأكل، ولـذلك نجد أن آنية الجنّة وأكوابها التى يسـتخدمها أهالى الجنّة مصـنوعة من الفضة والذهب والبلور وعلى هيئـة جميلـة وجذّابـة جدّاً، وطبعاً الفضة فى ذلك العالم تختلف عن الفضة فى هذه الدنيا حيث إن تلك الآنية من الفضة شـفافة كالزجاج. ۱۰- أنواع النِعم والمواهب «وَ إِذا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً». فعنـدما يرد المؤمن الجنّة ويرى المواهب العظيمـة والنِعم الكـثيرة الـتى توضع تحت اختيـاره فـإنه يرى مـا لاـ يمكن وصـفه من النعيم. ۱۱- الملـك العظيم «وَ مُلْكاً كَبِيراً» إنّ أهـل الجنّة بالنسـبة إلى الإمكانـات والخـدم والحشم والمنزلـة العظيمـة التى لـديهم يعيشون الملـك والسـلطنة العظمى وكـأن كلّ واحـد منهم يعيش السـلطنة

والملك على دولة مستقلة ومملكة عظيمة. ۱۲- أنواع المشروبات: إنّ إحدى النعم والمواهب المقررة لأهل الجنّة والتى ذكرها القرآن فى موارد متعدّدة هى أنواع الخمور والمشروبات الخاصة بأهل الجنّة، الخمر الذى لا يزيل عقل الإنسان بل يثير فيه روح النشاط والوجد والسرور، ونقرأ فى هذه الآيات من آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۷۴ سورة الدهر أن هناك ثلاث أنواع من الأشربة فى الجنّة: ألف- شراب الكافور «إِنَّ الْأَبْرارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كانَ مِزاجُها كافُوراً». وهنا تتحدّث الآية عن شرابٍ ممزوج بعطر الكافور وهو المادة التى تضاف إلى الماء فى تغسيل الميت ولها خاصية مضادّة للتعفن، ولكنها تستخدم فى لغة العرب بمعنى أوسع، فتطلق على كلّ شىء معطر ذى رائحة طيبة، وعليه فالمراد من شراب الكافور هو الشراب المعطّر الذى يثير لدى أهل الجنّة لذّة كبيرة عند تناوله. ب- شراب الزنجبيل «وَ يُسْقَوْنَ فِيها كَأْساً كانَ مِزاجُها زَنْجَبِيلًا». الزنجبيل أيضاً يستعمل فى معناه المتداول والمعروف وكذلك بمعنى عطور خاصّة، ولكن هنا ورد بالمعنى الثانى حيث يتناول أهل الجنّة شراباً ممزوجاً بعطر الزنجبيل. ج- الشراب الطهور «وَ سَقاهُمْ رَبُّهُمْ شَراباً طَهُوراً». النوع الثالث من أنواع الأشربة التى يتناولها أهل الجنّة هو الشراب الطهور حيث يسقيهم اللَّه تعالى هذا الشراب فى الجنّة. هذه التعبيرات المتنوعة فى مفردة الشراب تستحق الدقّة والتأمل، فعندما يتحدّث عن شراب الكافور يعبر عنه بجملة «يشربون» أى أن أهل الجنّة يتناولون هذا الشراب بأيديهم، أما فى مورد شراب الزنجبيل وردت العبارة بجملة «يسقون» أى أن خدم الجنّة يقدّمون هذا الشراب لهؤلاء المؤمنين، وبالنسبة إلى الشراب الطهور ورد التعبير ب «سقاهم ربّهم» أى أن اللَّه تعالى هو الذى يسقيهم هذا الشراب الطاهر فى الجنّة.

ماذا يعنى الشراب الطهور؟

ماذا يعنى الشراب الطهور؟ ورد فى رواية أن أهل الجنّة عندما يشربون هذا الشراب فإنه: «يُطَهِّرُهُمْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَوَى اللَّهِ» «۱». ويقول النبى الأكرم صلى الله عليه و آله فى حديث آخر عن آثار هذا الشراب الطهور فى نفوس أهل آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۷۵ الجنّة أنه: «فَيُطَهِّرُ اللَّهُ بِهَا قُلُوبَهُمْ مِنَ الْحَسَدِ». «۱» إنّ الحسد يُعد أحد الرذائل الأخلاقية التى يبتلى بها البشر فى حركة الحياة الدنيا، فأحياناً يمتلك الإنسان جميع النعم الدنيوية والإمكانات المعيشية فى هذه الحياة ولكنه مع ذلك لا يتحمل أن يرى الآخرين يمتلكون أيضاً مثل هذه الإمكانات والنعم ويعيشون براحة وسعادة، فالحسد بمثابة السجن الذى يسلب من الحاسد طعم الراحة والإستقرار ويورده فى وادى الضلالة والشقاء، وعلى أيّة حال فإنّ أحد المعطيات المهمّة للشراب الطهور هى إزالة هذه الرذيلة من واقع الإنسان وتطهير قلبه من هذه الصفة الأخلاقية الذميمة. سؤال: إنّ الآيات الشريفة محل البحث قد ذكرت نِعم ومواهب مختلفة وتطرّقت إلى ذكر التفاصيل والجزئيات لبعض هذه النِعم بصورة دقيقة ولكنّها لم تذكر أحد النِعم المهمّة التى طالما ذكرها القرآن الكريم لأهل الجنّة، وهى النعمة التى تخطر على بال كلّ إنسان، أى نعمة «حور العين» فلا نجد كلاماً حول هذه النعمة المهمة فى هذه الآيات الشريفة، فما هو السبب فى ذلك؟ الجواب: يرى بعض المفسّرين «۲» أنّ الآيات الشريفة أعلاه نزلت لتتحدث عن فاطمة الزهراء عليها السلام، ولم يذكر اللَّه تعالى نعمة «حور العين» فيها احتراماً لفاطمة الزهراء، وهذا شاهد آخر فى شأن نزول هذه الآيات وأنها نزلت فى الإمام على عليه السلام وأهل بيته، وإلّا فلا مبرر لعدم ذكر الحور العين فى عداد النعم والمواهب الإلهية فى الجنّة. والخلاصة أنّ هذه النِعم الإثنى عشر الواردة ضمن أربعة عشر آية من هذه السورة خاصة ب «الأبرار» الذين يقف على رأسهم الإمام على وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام.

شبهات وردود

اشارة

شبهات وردود آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۷۶ ومع الأسف فإنّ البعض طرح فى ذيل هذه الآيات المتعلّقة بفضائل أهل البيت عليهم السلام وكذلك آيات الولاية والإمامة شبهات وعلامات استفهام لا نشاهد مثيلها لدى تفسيرهم لسائر آيات القرآن الكريم، وطبعاً فإنّ الغرض من طرح هذه الشبهات معلوم مسبقاً، لأنهم إذا قبلوا بأن هذه الآيات واردة فى فضائل الإمام على وسائر الأئمّة عليهم السلام فلابدّ أن يقولوا بإمامتهم وخلافتهم بعد رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، لأنه كما تقدّم سابقاً أن الإمامة لو كانت انتصابية من اللَّه تعالى فإنه عزّوجلّ لا يختار أىّ شخص لهذا المقام سوى الأفضل والأعلم والأشجع، ولا يمكن أن يترك الأفضل ويختار المفضول فإنّ ذلك على خلاف مقتضى الحكمة الإلهية، وإذا كانت الإمامة انتخابية فإنّ العقلاء ينبغى أن يختاروا لهذا المقام الأفضل من بين الأفراد، ومع وجود الأفضل لا يصحّ أن يختاروا المفضول، ولكن هذه الحقيقة تتقاطع مع أهواء البعض ومسبوقاتهم الفكرية، ولذلك يتحركون فى تفسيرهم لهذه الآيات من موقع التشكيك بهذه الفضائل أو السعى لتهميش هذه المناقب الواردة فى هذه الآيات لئلّا يتورّطوا بعذاب الوجدان وتأنيب الضمير، ومن هنا نستعرض بعض هذه الشبهات والذرائع التى تمسّكوا بها:

۱- سورة الإنسان مكّية

۱- سورة الإنسان مكّية قالوا: إنّ سورة الدهر لم تنزل بالمدينة بل فى مكّة، ومن المعلوم أن الإمام الحسن والحسين عليهما السلام قد ولدوا بعد الهجرة فى السنة الثانية والثالثة من هجرة النبى إلى المدينة، وعليه فإنّ زمان نزول هذه السورة كان قد سبق ولادة هذين السيّدين بعدّة سنين، فما ذكر فى شأن نزولها لا يتناسب مع كونها مكّية، ولذلك ذهب البعض إلى أن شأن نزول هذه الآيات كالتالى: «جاء رجل من الحبشة إلى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فقال له رسول اللَّه: سل واستفهم، فقال: يا رسول اللَّه: فضلتم علينا بالألوان والصور والنبوّة، أفلا رأيت إن آمنت بما آمنت به وعملت بمثل ما عملت به إنى لكائن معك فى الجنّة؟ قال: نعم والذى نفسى بيده انه ليُرى آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۷۷ بياض الأسود فى الجنّة من مسيرة ألف عام» «۱» ثمّ نزلت عليه السورة «هل أتى» «۲». والخلاصة أن ما ذكر فى سبب النزول السابق لا- يتناسب مع كون السورة مكّية. الجواب: أوّلًا: إنّ الكثير من المفسّرين والمحدّثين والمؤرّخين يرون أن سورة الدهر نزلت فى المدينة، وقد صرّح البعض بهذا المعنى ولكن البعض الآخر لم يصرّحوا بذلك بل ذكروا أن شأن نزولها كان فى على وأهل بيته عليهم السلام وهذا يدلّ بالملازمة أن سورة الدهر مدنيّة. وقد ذكر القاضى نوراللَّه الشوشترى فى المجلد الثالث من كتابه «احقاق الحقّ» الصفحة ۱۵۷ فصاعداً أسماء هؤلاء العلماء الذين نشير إلى طائفة منهم: ۱- «الزمخشرى» وهو من المفسّرين المعروفين لدى أهل السنّة ومن مشاهيرهم فقد صرّح فى كتابه المعروف «الكشّاف» بأن سورة الإنسان مدنية «۳». ۲- «الواحدى» وهو عالم آخر من مشاهير أهل السنّة حيث اختار هذا الرأى فى «أسباب النزول» «۴». ۳- «ابن الجوزى» هو الآخر من علماء أهل السنّة حيث يرى مدنية سورة الدهر «۵». ۴- «الگنجى» حيث اختار هذه النظرية فى كتابه «كفاية الطّالب» «۶». ۵- «الطبرى» حيث اختار هذه الرأى فى «ذخائر العقبى» «۷». ۶- «الآلوسى» يرى أيضاً بأن هذه السورة مدنية «۸». ۷- «الفخر الرازى» الذى هو أشهر مفسّرى أهل السنّة حيث اختار هذه النظرية آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۷۸ أيضاً «۱». ۸- «القرطبى» المفسّر المعروف حيث ذكر فى تفسيره هذه العبارة: ذكر الثّعلبى فى تفسيره: وقال أهل التفسير انّها نزلت فى على وفاطمة وجارية لهما اسمها فضّة «۲». وقال أهل التفسير أنها نزلت فى علىّ وفاطمة وجارية لهما اسمها فضة. والخلاصة انه طبقاً لشهادة علماء الإسلام هؤلاء فإنّ سورة الدهر مدنية بلا شكّ. ثانياً: ويستفاد من الآية الشريفة «وَ يُطْعِمُونَ الطَّعامَ عَلى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَ يَتِيماً وَ أَسِيراً» أن هذه السورة مدنية، لأن الأسير لم يكن له وجود فى مكّة حينذاك بل وجد بعد هجرة النبى الأكرم صلى الله عليه و آله والمسلمين إلى المدينة وتشريع حكم الجهاد وبعدما حدثت معارك وغزوات النبى صلى الله عليه و آله، وعليه فإنّ وجود كلمة «أسير» فى هذه الآيات يدلُّ على أن هذه السورة مدنية. وأمّا ما ذكر فى شأن النزول من الغلام الحبشى فإنه لا يتناسب إطلاقاً مع آيات سورة الدهر، لأنّ شأن النزول هذا ليس له ارتباط بإطعام المسكين واليتيم والأسير، وعليه فإنه لا ينسجم مع آيات هذه السورة ولا ينبغى الإعتناء بما يخالف القرآن الكريم من شأن النزول.

۲- التعارض بين الوجوب والإستحباب

۲- التعارض بين الوجوب والإستحباب وهنا يثار سؤال: هل يليق بالإمام على عليه السلام أن يدفع طعامه وطعام أهل بيته الذين تجب نفقتهم عليه إلى السائل؟ فى حين أن اللَّه تعالى يقول فى الآية ۲۱۹ من سورة البقرة ضمن الإجابة على السؤال الذى تقدّم به بعض المسلمين إلى النبى صلى الله عليه و آله عمّا يصحّ لهم إنفاقه، فقال: آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۷۹ «قُلِ الْعَفْوَ» أى ما زاد على الضرورى واللازم فى حياة الإنسان. فإذا كانت آيات سورة الدهر نزلت فى حقّ علىّ وأهل بيته عليهم السلام إذن فلماذا تبرع الإمام بالطعام الذى يحتاجونه إلى السائل؟ الجواب: إنّ هذا الكلام يثير العجب واقعاً وخاصّةً فيما لو صدر من شخص يدّعى المعرفة والعلم، لأنّ مثل هذه المعاذير والحجج تشير إلى معالم الجهل وعدم الإطلاع، وتوضيح ذلك أن «الإنفاق» شىء و «الإيثار» شىء آخر، ومع الأسف أن من يطرح هذا الإشكال لا يدرك التفاوت بين الإنفاق والإيثار. ونقرأ فى الآية التاسعة من سورة الحشر فى وصف الأنصار: «وَ يُؤْثِرُونَ عَلى أَنْفُسِهِمْ وَ لَوْ كانَ بِهِمْ خَصاصَةٌ». إنّ بعض الأشخاص قد يصلون فى مرتبة الكمال المعنوى إلى درجة ومقام «الإيثار»، فعلى رغم حاجتهم الشديدة ينفقون ما يحتاجونه على الآخرين. وقد ورد فى شأن نزول هذه الآية: «أن شخصاً أتى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فشكى إليه الجوع، فبعث رسول اللَّه صلى الله عليه و آله إلى منزله، فقالت له زوجته: ما عندنا إلّاالماء، فقال رسول اللَّه: من لهذا الرجل الليلة؟ فتعهده رجل من الأنصار وصحبه إلى بيته ولم يكن لديه إلّاالقليل من الطعام لأطفاله، وطلب أن يؤتى بالطعام إلى ضيفه وأطفأ السراج، ثمّ قال لزوجته: نوّمى الصبية، ثمّ جلس الرجل وزوجته على سماط الطعام فتظاهروا بالأكل ولم يضعوا شيئاً فى أفواههم، وظنّ الضيف أنهم يأكلون معه، فأكل حتّى شبع وناموا الليلة، فلما أصبحوا قدموا على رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فنظر إليهم وتبسّم (دون أن يتكلم)، فنزلت الآية أعلاه وأثنت على إيثارهم» «۱». وعلى هذا الأساس فإن من يطرح مثل هذه الشبهة فإنه لم يقرأ جميع آيات القرآن الكريم، وإلّا فلا ينبغى الشكّ بأن مقام الإيثار أعلى مرتبة من مقام الإنفاق بحيث لا يناله إلّا من اوتى حظاً عظيماً من الإيمان والخلوص، ولذلك يعد الإيثار من الصفات الخاصّة بالمؤمنين الحقيقيين. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۸۰ مضافاً إلى أن الإمام على عليه السلام كما ورد فى قصة سورة الدهر لم يقدم إلى السائل سوى طعامه فقط لا طعام جميع أفراد الاسرة، ثمّ إنّ فاطمة الزهراء عليها السلام قدّمت طعامها إلى السائل بكلّ اختيار ورغبة وهكذا صنع الحسن والحسين عليهما السلام وهذا يدلُّ على غاية الإيثار الذى يذكره القرآن الكريم من موقع الثناء والمدح. وأمّا فى مورد قوله تعالى «قُلِ الْعَفْوَ» فهناك نظريتان فى المراد منها، إحداهما أن المراد من «العفو» هو الشىء الزائد عن حاجة الإنسان «۱»، ولكن الإحتمال الثانى هو أن يكون «الْعَفْوُ هُوَ الطَّيِّبُ مِنَ الْمالِ» ولذلك لابدّ من التصدّق على الفقير والمسكين من هذا النوع من الأموال «۲» لا كلّ ما زاد عن حاجة الإنسان واستغنى عنه فى حياته فإنّه يقوم بالتصدّق به إلى الفقراء، لأنه فى هذه الصورة سوف لا يصل إلى حقيقة البر والإحسان فى قوله تعالى «لَنْ تَنالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ» «۳». وعليه فإنّ قوله «قُلِ الْعَفْوَ» يحتمل قوياً أن يراد به التوصية ببذل أفضل ما بأيدى الإنسان من أموال ووسائل إلى الفقراء لا أنه يتصدّق بما لا يحتاج إليه، وهذا هو معنى الإيثار الذى أشارت إليه آيات سورة الدهر. وبالإلتفات إلى ما تقدّم آنفاً فإننا لا نجد تنافياً بين آية «قُلِ الْعَفْوَ» وبين شأن نزول آيات سورة الدهر، بل وأكثر من ذلك فإنها منسجمة معها ومؤيدة لها.

۳- آيات سورة الدهر عامة أو خاصّة؟

۳- آيات سورة الدهر عامة أو خاصّة؟ سؤال: هل أن آيات سورة الدهر التى وردت فى وصف «الأبرار» وما ذكر من أنواع المثوبات والجزاء فى الجنّة لهؤلاء تختص بالإمام على عليه السلام وزوجه وابنيه، أو هى عامة وشاملة لجميع الأشخاص الذين يتصفون بصفة «الأبرار»؟ وإذا كان الإحتمال الثانى هو آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۸۱ المتعيّن «۱» إذن فلماذا نحصر الآيات الشريفة بأهل بيت

النبوّة؟ الجواب: أوّلًا: إنّ الشواهد والقرائن الموجودة فى الآيات الشريفة لا يمكن تطبيقها على جميع الأبرار، بل تنطبق على أبرار معينين، مثلًا يستفاد من هذه الآيات أن الأبرار المقصودين فيها هم الذين نذروا للّه تعالى وعملوا بذلك النذر وتحركوا من موقع الإيثار العظيم فى إنفاقهم على المسكين واليتيم والأسير، وعليه فإنّ الآيات محل البحث لا تستوعب الأبرار الذين لم يتصفوا بهذه الصفات كالنذر وأشباهه. ثانياً: على فرض أن الآيات المذكورة عامّة وشاملة لجميع الأبرار ولكن بدون شك أنها شاملة لشأن نزولها أيضاً بل إنّ الإمام علىّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام من أبرز مصاديق الأبرار قطعاً. والخلاصة إنّ آيات سورة الدهر تعد من مناقب أهل البيت عليهم السلام وفضائلهم ومن معالم أحقيتهم لمقام الإمامة والخلافة بعد رسول اللّه صلى الله عليه و آله.

توصيات الآية

۱- أهميّة إسداء المعونة إلى المحتاجين

۱- أهميّة إسداء المعونة إلى المحتاجين إنّ المحور الأساس الذى تدور حوله الآيات الثمانية عشر فى هذه السورة والذى استوجب كلّ هذه المثوبات العظيمة هو مسألة إسداء يد العون إلى المحتاجين والمحرومين، وهذا يدلُّ بوضوح على أهميّة هذه المسألة فى دائرة المفاهيم القرآنية وأن اللّه تعالى يولى أهمية خاصّة إلى هذا الموضوع، فكلُّ من أراد الدخول تحت مظلّة عناية اللّه ورحمته الواسعة يجب أن يهتم بقضاء حوائج المحتاجين وإشباع جوعة الجائعين ورفع حرمان المحرومين، ولو انه ارتفع فى مدارج الكمال أكثر من ذلك وتحرّك من موقع الإيثار إلى المحتاجين فلا شكّ أنّ عناية اللّه ولطفه ورحمته ستشمل هذا الإنسان، ومن أجل توضيح هذا الموضوع وبيان أهمية مساعدة المحرومين والمحتاجين نذكر روايتين فى هذا المجال: آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۸۲ ۱- يقول الإمام على عليه السلام فى كتابه ووصيته إلى ابنه الإمام الحسن عليه السلام: وَاعْلَمْ أَنَّ امَامَكَ عَقَبَةً كَؤُوداً، الْمُخِفُّ فِيهَا احْسَنُ حَالًا مِنَ الْمُثْقِلِ، وَ الْمُبْطِىءُ عَلَيْهَا اقْبَحُ حَالًا مِنَ الْمُسْرِعِ، وَانَّ مَهْبِطَكَ بِهَا لَا مَحَالَةَ امَّا عَلَى جَنَّةٍ أَوْ عَلَى نَارٍ، فَارْتَدْ لِنَفْسِكَ قَبْلَ نُزُولِكَ، وَوَطِّىءِ الْمَنْزِلَ قَبْلَ حُلُولِكَ، فَلَيْسَ بَعْدَ الْمَوْتِ مُسْتَعْتَبٌ، وَلَا إِلَى الدُّنْيَا مُنْصَرَفٌ «۱». وهكذا نرى أن أفضل وسيلة لعبور هذا المضيق الخطر والعقبة الكؤود وأفضل زاد لسفر القيامة والورود فى صحراء المحشر هو مساعدة الفقراء والمحتاجين والإحسان إليهم، فهذا العمل فى الحقيقة يشبه ما إذا دفعنا ما نحتاجه فى صحراء المحشر إلى هؤلاء الفقراء والمساكين فى الدنيا ليحملوه عنا ثمّ يعيدونه إلينا فى ذلك اليوم العسير، فهل هناك أفضل من هذه المعاملة المربحة؟ ۲- وينقل المحدّث الكلينى وهو من كبار علماء الشيعة حديثاً فى الكافى عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: ثَلَاثٌ مَنْ اتَى اللَّهَ بِوَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ اوْجَبَ اللَّهُ لَهُ الْجَنَّةَ؛ الْانْفاقُ مِنْ اقْتَارٍ «۲»، وَالْبِشْرُ لِجَمِيعِ الْعَالَمِ «۳»، وَالْانْصَافُ مِنْ نَفْسِهِ. «۴» وهكذا ندرك أهمية أن يرى الإنسان حقّه وحقوق الآخرين بعين واحدة وينصف الناس من نفسه، ولهذا ورد فى رواية اخرى قوله عليه السلام: انَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمَرْءَ الْمُسْلِمَ الَّذِى يُحِبُّ لَاخِيهِ ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ وَيُكْرِهُ لَهُ مَا يُكْرِهُ لِنَفْسِهِ. «۵» آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۸۳

۲- المعيار فى العمل ليس كميّته

۲- المعيار فى العمل ليس كميّته والشىء الآخر الذى يمكن أن نستوحيه من آيات سورة الدهر هى أن الإسلام يرى أن المعيار الصحيح للأعمال يكمن فى كيفية العمل لا كميته ومقداره، لأن جميع ما أنفقه هؤلاء الأولياء فى هذه الاسرة الطاهرة لا يتجاوز عدّة كيلوغرامات من الشعير، ولكن بما أن هذا العمل كان متوائماً مع الأخلاص وكان بدافع رضا اللّه تعالى فقط فإنّ هذا الدافع هو الذى رفع قدر ذلك العمل وترتبت عليه تلك المثوبات العظيمة التى وردت فى هذه السورة، فعنصر «الإخلاص» يحقّق معجزة فى تغيير ماهيّة العمل، فأحياناً يوصل قيمة العمل إلى ألف ضعف وأحياناً اخرى إلى مليون ضعف وثالثة إلى مليارد ضعف، وقد يصل بالعمل

أحياناً إلى ما يستوعب فى قيمته جميع عبادات الجن والانس إلى يوم القيامة «۱»، وعلامة مثل هذا الأخلاص هى أن الإنسان الذى يتحرك فى عمله من موقع الإخلاص لا يرى سوى اللَّه تعالى فى عمله هذا ولا يتوقع أجراً من أحد غيره بل لا يتوقع الشكر عليه، وقد يصل الإنسان بدرجة من الإخلاص أن يتساوى عنده الشكر مع الإهانة فلا يفرح بالشكر ولا يتألم من السبّ والإهانة فى مقابل هذا العمل، فهنيئاً لمن يعيش هذا المقام وهذه الروحية المخلصة.

۳- إنعكاس آيات سورة الدهر فى الأشعار

۳- إنعكاس آيات سورة الدهر فى الأشعار إنّ شأن نزول آيات سورة الدهر فى الإمام على عليه السلام وأهل بيته عليهم السلام كان إلى درجة من الوضوح والبداهة حتّى أننا نجدها فى أشعار الشعراء أيضاً، حيث نقرأ فى أشعار محمّد بن إدريس المطلبى الشافعى الذى هو من أئمّة أهل السنّة «۲» أنه قال هذه الأشعار فى الإمام آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۸۴ على عليه السلام: إلى مَ إلى مَ وَحَتّى مَتى اعاتَبُ فِى حُبِّ هذَا الْفَتى وَهَلْ زُوِّجَتْ فاطِمُ غَيْرَهُ وفِى غَيْرِهِ هَلْ أَتى «هَلْ أَتى»؟ «۱» آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۸۵

آية التوبة لآدم

اشارة

آية التوبة لآدم ۱۰ [سورة البقرة (۲): آية ۳۷] قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلًا (۲) «سورة البقرة/ الآية ۳۷»

أبعاد البحث

أبعاد البحث الآية الشريفة أعلاه تبين من جهة بعض زوايا قصة آدم عليه السلام ومن جهة اخرى تعتبر دليلًا مهماً على مشروعية التوسل وطلب الشفاعة، ومن جهة ثالثة تتحدّث عن عنصر التوبة والإنابة إلى اللَّه تعالى، وتعدّ من آيات الفضائل للخمسة الطاهرين ومضافاً إلى الامور المذكورة آنفاً فى هذه الآية الشريفة فهناك روايات واردة فى كتب العامّة والخاصّة تشير إلى ارتباط هذه الآية الشريفة بأهل البيت عليهم السلام كما سيتّضح ذلك فى طيّات البحث.

الشرح والتفسير: التوبة والإنابة إلى اللَّه تعالى

الشرح والتفسير: التوبة والإنابة إلى اللَّه تعالى «فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِماتٍ فَتابَ عَلَيْهِ» فبعد أن جرى ما جرى من وسوسة إبليس وإخراج آدم وحواء من الجنّة التفت آدم إلى أنه ظلم نفسه، وبسبب وساوس الشيطان تمّ إخراجه من تلكم الأجواء المرفّهة وذلك النعيم العظيم حيث خرج بعدها إلى أجواء المشقّة والبلاء فى الحياة الدنيا، ثمّ إنّ آدم فكّر هنا وصمم على جبران الخطأ الذى صدر منه وتوجه آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۸۶ بكلِّ وجوده إلى اللَّه تعالى فى حالة من الندم الشديد والحسرة العظيمة، فشمله لطف اللَّه تعالى فى هذا الحال كما تقول الآية الشريفة: «فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِماتٍ فَتابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ». وأما ما هى هذه الكلمات وما هو المراد منها؟ فسيتّضح ذلك فى المباحث اللاحقة. «إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ» التوبة فى الأصل بمعنى «الرجوع» ووردت فى الآيات القرآنية بمعنى الرجوع من الذنب، هذا فيما لو نسبت هذه الكلمة إلى الشخص المذنب، ولكن أحياناً تنسب هذه الكلمة إلى اللَّه تعالى وتعنى حينئذٍ الرجوع بالرحمة على العبد، أى الرحمة التى سلبت من العبد بسبب معصيته وارتكابه للذنب تعود إليه عندما يتحرك هذا الإنسان فى خطّ الطاعة والإنابة إلى اللَّه تعالى. وعلى أيّة حال فإنّ الجملة أعلاه «انَّهُ هُوَ التَّوّابُ الرَّحيمُ» هى السبب فى قبول توبة آدم.

دروس من قصة آدم وحواء

دروس من قصة آدم وحواء ونستوحى دروساً مهمة من قصة آدم وحواء الواردة فى العديد من الآيات القرآنية الكريمة «۱» وتتضمن مفاهيم بنّاءة ومؤثرة فى حياة الإنسان المعنوية والأخلاقية ينبغى الإلتفات إليها: ۱- إنّ اللَّه تعالى يقرّر جعل آدم بعنوانه خليفة اللَّه فى الأرض «إِنِّى جاعِلٌ فِى الْأَرْضِ خَلِيفَةً» «۲». فما هى الشروط التى لابدّ أن تتوفر فى هذا الخليفة؟ وهل أن جميع أفراد البشر هم خلفاء اللَّه، أو أن هذا المقام السامى وهذا اللباس الفاخر لا يناله ولا يرتديه إلّامن اوتى حظاً عظيماً منهم؟ لابدّ من التدبّر فى الآيات الشريفة لمعرفة هذه الامور والمعارف المهمة. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۸۷ ۲- إنّ الملائكة سألوا اللَّه تعالى من موقع الإستفهام لا من موقع الإعتراض: «أَ تَجْعَلُ فِيها مَنْ يُفْسِدُ فِيها وَ يَسْفِكُ الدِّماءَ» «۱». فمن أين علمت الملائكة بسوابق الإنسان وأنه سيرتكب الجرائم فى الأرض؟ ۳- إنّ اللَّه تعالى خاطب الملائكة بقوله «إِنِّى أَعْلَمُ ما لا تَعْلَمُونَ» «۲» ثمّ إنه تعالى علّم الأسماء لآدم ثمّ سأل الملائكة عن هذه الأسماء فأظهروا جهلهم بها وعدم اطلاعهم عليها، وهنا أمر اللَّه تعالى آدم أن يعلمهم بالأسماء فعندما علّمهم وعرّفهم بها أدرك الملائكة خطأهم واعترفوا بجهلهم وقصورهم، فهنا قد يتساءل: ما هو علم الأسماء؟ ماذا كان يتضمن العلم بأسرار الخلقة والكائنات بحيث رفع مقام آدم إلى تلك الدرجة السامية؟ ۴- ثمّ إنّ اللَّه تعالى أمر جميع الملائكة بالسجود لآدم «قُلْنا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا» «۳» فكيف نال آدم ذلك المقام الرفيع بحيث أصبح مسجوداً لجميع الملائكة؟ ومن هنا ندرك التفاوت والفرق بين المذهب الذى يرفع من قدر الإنسان إلى ذلك المستوى الرفيع وبين المذاهب الأرضية التى تهبط بالإنسان إلى مستوى القردة والحيوانات. ۵- فى بداية الخلقة سكن آدم وحواء الجنّة، فأين كانت هذه الجنّة؟ هل كانت بستان من بساتين الدنيا، أو أنها جنّة الآخرة؟ وفى هذه الصورة كيف تمّ إخراج آدم وحواء منها؟ ۶- كيف استطاع الشيطان خداع آدم؟ وبأى شكل تمكّن الشيطان من دفع آدم باتجاه التلوّث بالخطيئة وترك الأولى «أى العمل الذى تركه أولى من فعله»؟ ۷- عندما أكل آدم من الشجرة الممنوعة فإنه وجد نفسه عرياناً وسقطت جميع ملابسه عنه ولهذا اضطر إلى التستر بأوراق الشجر فماذا كانت الشجرة الممنوعة؟ ومن أين صنعت تلك الملابس وما هو جنسها ونوعيتها؟ ۸- عندما وجد آدم نفسه عرياناً التفت إلى خدعة الشيطان وندم على فعله. ۹- ولأجل جبران خطئه وجب عليه التوبة والإنابة إلى اللَّه تعالى، وينبغى عليه آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۸۸ لتحقيق هذا الغرض أن يتقرب إلى اللَّه تعالى بشخص معيّن فمن هو هذا الشخص؟ ۱۰- ورغم أن توبة آدم قد قُبلت ولكنه اخرج من الجنّة وسكن فى الأرض، فهل أنه سكن الجنّة هو وزوجته بشكل مؤقت من البداية، أو أن المقرر أن يخلّد فيها ولكنه بسبب ارتكابه لترك الأولى اخرج منها؟ إنّ النقاط العشرة المتقدّمة تحتاج جميعها إلى دراسة دقيقة وبحث وافر ومفصّل، ولكننا هنا سنشير فقط إلى النقطة التاسعة منها بما يتناسب مع الآية مورد البحث، أى مسألة توسل آدم فى هذه الآية.

توسل النبى آدم

توسل النبى آدم عندما تم إسكان آدم وحواء فى الجنّة أباح لهما اللَّه تعالى الإستفادة من جميع النعم والمواهب فيها إلّاشجرة واحدة أمره بالإبتعاد عنها وعدم تناول شىء منها، وهكذا استمر آدم وحواء فى حياتهما السعيدة فى الجنّة ولم يقتربا من الشجرة الممنوعة، ولكنّ الشيطان الذى تلّقى ضربة قاصمة عند خلق آدم وتمّ إخراجه من الجنّة وأصبح مورد اللعنة الأبدية كان يتحين الفرصة للانتقام من آدم، ولهذا شرع بالوسوسة لآدم وحواء ليدفعهما نحو الشجرة الممنوعة والتلوّث بالخطيئة. ونعلم أن الشيطان عندما يوسوس للإنسان بالخطيئة فإنه لا يتقدم بالإنسان باقتراح ممارسة الذنب بصورة مباشرة بل يغطّى الذنب بأقنعة زائفة وبرّاقة وجذّابة بحيث إنّ الإنسان عندما يتحرّك نحو الذنب يتصور أنه يقدم على عبادة ويؤدى وظيفته الشرعية كما يحدّثنا القرآن الكريم عن ملكة سبأ وقومها المشركين الذين كانوا يعبدون الشمس: «وَجَدْتُها وَ قَوْمَها يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ أَعْمالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ» «۱». آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۸۹ وعلى هذا الأساس تقدّم الشيطان فى خداعه ووسوسته لآدم بالقول:

«هَلْ أَدُلُّكَ عَلى شَجَرَةِ الْخُلْدِ» «۱». إنّ الإنسان يطلب البقاء والخلود بفطرته ويفزع من الفناء والعدم، والأشخاص الذين يعيشون الخوف من الموت فإنهم يتصورون أن الموت يعنى الفناء والعدم، ولكنّ المؤمنين وأتباع أهل البيت لا يرون الموت سوى قنطرة ينتقلون منها إلى عالم أكبر وأوسع، ولذلك فلا يشعرون بالخوف من الموت. وعلى أيّة حال فإنّ الشيطان وبهذه الحيلة والخدعة من أن الشجرة الممنوعة تورث البقاء والخلود فى الجنّة استطاع إغفال آدم عن النهى الإلهى وجرّه إلى التناول من الشجرة، ثمّ إنّ آدم أدرك خدعة الشيطان وندم بشدّة على ما صدر منه وأراد التوبة إلى اللّه والإنابة إليه ولكنه لم يكن يعرف طريق التوبة هذا، فعلّمه اللّه تعالى كيفية التوبة والتوسل بأن ألقى إليه كلمات استخدمها آدم فى عملية التوبة، فكانت النتيجة أن قبل اللّه تعالى توبته وأعاده إلى مقامه الكريم لدى اللّه تعالى، واستطاع آدم بهذه التوبة أن يوجّه ضربة قاصمة اخرى للشيطان الرجيم والعدو الرئيسى للإنسان.

ماذا كانت الكلمات؟

ماذا كانت الكلمات؟ أما المراد من «الكلمات» التى تلّقها آدم من اللّه تعالى وتوسل بها إلى اللّه ليقبل توبته فهناك آراء مختلفة فى تفسيرها، ونكتفى هنا بالإشارة إلى ثلاث نظريات منها: ۱- إنّ المراد من الكلمات هو ما ورد فى الآية ۲۳ من سورة الاعراف فى قوله تعالى: «رَبَّنا ظَلَمْنا أَنْفُسَنا وَ إِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنا وَ تَرْحَمْنا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخاسِرِينَ». فعندما نطق آدم وحواء بهذه الكلمات قبل اللّه تعالى توبتهما «۲». آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۹۰ ۲- إنّ المراد من الكلمات كما يرى «مجاهد» هى هذا الدعاء: اللّهُمَّ لا الهَ إلّاانْتَ، سُبْحانَكَ وَبِحَمْدِكَ رَبِّ انّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَاغْفِرْ لِى انَّكَ خَيْرُ الْغافِرِينَ. اللّهُمَّ لا الهَ إلّاانْتَ، سُبْحانَكَ وَبِحَمْدِكَ رَبِّ انّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَارْحَمْنِى، انَّكَ انْتَ ارْحَمُ الرّاحِمِينَ. اللّهُمَّ لا الهَ الّا انْتَ، سُبْحانَكَ وَبِحَمْدِكَ رَبِّ انّى ظَلَمْتُ نَفْسِى، فَتُبْ عَلَىَّ انَّكَ انْتَ التَّوّابُ الرَّحِيمُ. «۱» ۳- إنّ المراد من الكلمات هو: النبى محمّد، الإمام علىّ، فاطمة، الحسن والحسين عليهم السلام أى أن آدم توسل إلى اللّه تعالى بهؤلاء الخمسة الطاهرين واستشفع إلى اللّه بهم فقبل اللّه تعالى توبته ببركتهم «۲». وهناك أحاديث كثيرة وردت فى مصادر الشيعة وأهل السنّة تؤيد النظرية الثالثة هذه، رغم إمكانية الجمع بين النظريات الثلاث المذكورة آنفاً ولا منافاة فيما بينها، أى أن آدم توسل بهؤلاء الخمسة الأطهار، ولكنّ صيغة التوبة وردت على لسانه كما رأينا فى النظرية الاولى والثانية. وكما رأينا أن بعض علماء أهل السنّة رجّحوا النظرية الثالثة التى هى مورد اتفاق علماء الشيعة وأوردوا روايات تدلُّ على هذا المطلب، نشير هنا إلى ثمانية منهم: ۱- العلّامة البيهقى فى كتاب دلائل النبوّة «۳». ۲- العلّامة ابن عساكر فى المسند «۴». ۳- العلّامة السيوطى فى تفسير الدرّ المنثور «۵». ۴- العلّامة السيوطى فى جمع الجوامع «۶». ۵- العلّامة الكاشفى فى معارج النبوّة «۷». آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۹۱ ۶- العلّامة القندوزى فى ينابيع المودّة «۱». ۷- العلّامة ابن المغازلى فى المناقب «۲». ۸- العلّامة النطنزى فى الخصائص العلويّة «۳». ونكتفى هنا بذكر عدّة نماذج من هذه الروايات الشريفة: الف) ينقل ابن المغازلى عن ابن عبّاس قوله: سُئِلَ رَسُولُ اللّه صلى الله عليه و آله عَنِ الْكَلِماتِ التى تَلَقّاها آدَمَ، قال: سَئَلَهُ آدَمُ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ وَعَلِىٍّ وَفاطِمَةَ وَالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ الّا ما تُبْتَ عَلىّ فَتابَ عَلَيْهِ. «۴» ب) وينقل ابن عساكر فى مسنده عن الخليفة الثانى قوله: قالَ آدَمُ: اسْئَلُكَ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ الّا غَفَرْتَ لِى- إلى قوله عليه السلام- وَلَوْ لا هُوَ ما خَلَقْتُكَ. «۵» ورغم أن عمر بن الخطاب لم ينسب هذه الرواية إلى النبى الأكرم ولكنّ مثل هذه المفاهيم والمطالب لا يطلّع عليها غير النبى أو الإمام المعصوم عليهم السلام ولذلك فمن المسلّم أنه سمعها من نبى الإسلام صلى الله عليه و آله. ج) وينقل العلّامة النطنزى هذه الرواية فى «الخصائص العلوية»: إنَّ الْكَلِماتِ الَّتى تَلَقّاها آدَمُ مِنْ ربِّه: اللّهُمَّ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ وَعَلِىٍّ وَفاطِمَةَ وَالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ الّا تُبْتَ عَلَيْهِ فَتابَ اللّهُ عَلَيْهِ. «۶» وفى ذيل هذه الرواية ورد أنه عندما قُبلت توبة آدم صنع آدم لنفسه خاتماً وكتب على فصه اسم نبى الإسلام بعنوان «رسول اللّه» واسم على بن أبى طالب بعنوان «أميرالمؤمنين». آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۹۲ الخلاصة أنه طبقاً للروايات الكثيرة الواردة فى كتب الفريقين «وما ذكر آنفاً كانت نماذج من روايات كثيرة فى هذا الباب» أن المراد من الكلمات التى توسل بها آدم إلى اللّه تعالى وقبلت توبته ببركة هذه الكلمات هم «الخمسة الأطهار» فهل أن هذا المقام السامى فى عالم الوجود تحقّق لشخص

آخر غير أهل البيت عليهم السلام؟ ألا تدلّ هذه الفضيلة العظيمة على أن هؤلاء الأشخاص هم أفضل البشر على الإطلاق؟ إذا كان كذلك (وهو كذلك حتماً) وأراد اللّه تعالى أن يختار خليفة لنبيّه الكريم فهل يعقل أن تسمح حكمة اللّه تعالى بأن يكون أشخاص آخرون خلفاء لرسول اللّه مع وجود الشخص الأفضل؟ وإذا أراد الناس أن يختاروا لأنفسهم شخصاً بعنوانه إماماً وخليفة عليهم فهل يجيز العقل أن يختار العقلاء أشخاصاً آخرين مع وجود الأفضل منهم؟ والحكم إليكم.

هل أن التوسل مشروع؟

هل أن التوسل مشروع؟ مع الأسف أن مكّة المكرمة والمدينة المنورّة ومقدّرات هاتين المدينتين المباركتين قد وقع بيد الوهابيين الذين يعيشون الإعتقادات الجافّة والخشنة ويرتدون ثياب القداسة الزائفة فى مخالفتهم الشديدة لمسألة التوسل هذه ويمنعون المسلمين من زيارة قبر النبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله والتوسل بمقامه وكرامته عند اللّه تعالى وكذلك زيارة قبور أئمّة البقيع الطاهرين عليهم السلام وسائر عظماء الإسلام المدفونين فى البقيع، فمن أين لهم الحقّ فى تحميل عقائدهم الخشنة على سائر المسلمين حتّى على الكثير من أهل السنّة أيضاً؟ لو كان لهم مثل هذا الحقّ فلماذا لا يتحركون لفرض كيفية الصلاة التى يعتقدون بها فى وجوب التكتف على سائر المسلمين؟ هذه بعض الأسئلة وعلامات الإستفهام التى تراود كلّ مسلم يزور مكّة والمدينة ولا يجد جواباً لها ... أجل إن الوهابيين يخالفون بشدّة مسألة التوسل ويرون أنها تتنافى مع التوحيد وأنها من قبيل الشرك باللّه تعالى! وقد حان الكلام لبحث مسألة التوسل ومشروعيته من خلال الآيات القرآنية وروايات المعصومين عليهم السلام. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۹۳

أقسام التوسل

أقسام التوسل للتوسل أقسام مختلفة: ۱- تارةً يكون المخاطَب لنا هو النبى أو الإمام نفسه، من قبيل ما ورد فى دعاء التوسل حيث يخاطب الداعى كلُّ واحد من المعصومين فرداً فرداً ويطلب من هؤلاء الطاهرين أن يشفعوا له عند اللّه بما لديهم من الجاه والمقام والكرامة عنده، ففى هذا النوع من التوسل نحن نطلب حاجتنا فى الحقيقة من اللّه تعالى ونجعل هؤلاء المعصومين وسائط فى هذا الطلب. ۲- وتارةً اخرى يكون المخاطَب هو اللّه تعالى، ولكنّ الداعى يخاطب اللّه تعالى بحقّ الشخص الذى يعتبره وجيهاً عند اللّه ليضمن استجابة حاجته وطلبه كما توسل آدم إلى اللّه تعالى بالخمسة الطاهرين: «اللّهُمَّ يا حَميدُ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ وَيا عالِيُ بِحَقِّ عَلِيٍّ وَيا فاطِرُ بِحَقِّ فاطِمَةَ وَيا مُحْسِنُ بِحَقِّ الْحَسَنِ وَيا قَديمَ الْاِحْسانِ بِحَقِّ الْحُسَيْنِ». وفى هذا النحو من التوسل يطلب المتوسل حاجته من اللّه أيضاً ويجعل كرامة هؤلاء الأولياء واسطة لضمان الإستجابة. ۳- وفى قسم ثالث يكون اللّه تعالى هو المخاطَب أيضاً ولكننا نقسم عليه بحقّ الشخص الذى له وجاهة عند اللّه ليستجيب لنا دعاءنا ويقضى حاجتنا، من قبيل أن يقال: إلهنا نقسم عليك بنبى الإسلام أو بالقرآن الكريم أو بغير ذلك من المقدّسات، إلّاما قضيت حاجتنا. ولكنّ الوهابيين يحرّمون جميع أقسام وأنواع التوسل هذه ويعتبرونها نوعاً من الشرك، وهنا نلفت النظر إلى بعض مقولات رموزهم وعلمائهم: ۱- يقول محمّد بن عبدالوهاب فى كتابه «التوحيد» الذى ينبغى أن يسمّى بكتاب «الشرك»: إنّ هذا الشّرك الأكبر «۱» (أى التوسل). آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۹۴ ۲- يقول الصنعانى أحد علماء الوهابية أيضاً: من توسّل بمخلوق فقد أشرك مع اللّه غيره واعتقد ما لا يحلّ اعتقاده. «۱» ۳- ويقول ابن تيمية المؤسس الحقيقى للفكر الوهابى: من توسّل بعظيم عند اللّه ... فهذا من أفعال الكفّار والمشركين. «۲» والخلاصة هى أن من يعتقد بمذهب الوهابية يرى أن أى نوع من التوسل هو شرك باللّه تعالى وأن المتوسل منحرف عن الإسلام الحقيقى، ولذلك يتحركون فى مكّة والمدينة بذريعة «الشرك» و «البدعة» من موقع إلحاق الأذى وإيجاد المشاكل لحجاج بيت اللّه الحرام وزوار المدينة المنورّة.

مقام التوحيد ومكانته السامية

مقام التوحيد ومكانته السامية ولأجل بيان هذه الحقيقة وهى أن التوسل لا يتنافى إطلاقاً مع التوحيد نرى من اللازم فى البداية توضيح معنى التوحيد وبيان مقامه السامى فى دائرة المعتقدات الإسلامية، وباعتقادنا أن التوحيد هو أصل وأساس الدين ويلعب دوراً أساسياً فى جميع الامور المتعلّقة بالدين والسلوك الدينى، إنّ اللَّه تعالى واحد، وجميع الأنبياء دعوا أقوامهم إلى شىء واحد، وأن جميع الناس سوف يبعثون بعد الموت، وأن الكعبة هى قبلة المسلمين، والقرآن لدى جميع المسلمين واحد، والخلاصة أن التوحيد يمثل الأصل والأساس لجميع اصول الدين وفروعه، ولهذا فإنّ التوحيد ليس أصلًا من اصول الدين فقط بل يستوعب جميع اصول الدين وفروعه، والتوحيد بمثابة خيط المسبحة الذى يربط جميع حباتها بحيث لولا التوحيد لا يبقى للدين من معنى كما أنه لولا خيط المسبحة لا يبقى معنى لوجود المسبحة، وبالالتفات إلى هذا المعنى للتوحيد ومكانته العليا بين العقائد والمفاهيم الإسلامية فإننا نعتقد بأن كلّ أمر يتنافى مع التوحيد فهو مرفوض ومردود. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۹۵

أقسام التوحيد

أقسام التوحيد للتوحيد أقسام ومراتب متعدّدة، ونشير هنا إلى أربعة مراتب مهمّة للتوحيد: ۱- توحيد الذات: يعنى الإعتقاد بأن اللَّه تعالى واحد فى ذاته، وليس المراد بأنه واحد فى العدد أى موجود واحد لا إثنين لأنه على أساس المعنى الأوّل للتوحيد أن اللَّه واحد، بمعنى أن الإنسان لا يتصور له شبيه ومثيل، ولكن على المعنى الثانى يمكن تصور الشبيه والمثيل رغم انعدام الوجود الخارجى لهذا الشبيه. وعلى هذا الأساس فإنّ الآية الاولى من سورة التوحيد «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» تفسر بمعنى قوله تعالى فى هذه السورة أيضاً «لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ» فلا نظير له ولا شبيه ولا يمكن تصور النظير والشبيه له. ۲- توحيد الصفات: فجميع صفات اللَّه تعالى تعود إلى حقيقة واحدة، فليست صفة العلم شيءٌ آخر غير القدرة، والقدرة الإلهية أيضاً ليست شيئاً آخر غير الأزلية، وهكذا سائر الصفات الاخرى تعود فى الحقيقة على الذات، ولكن بالنسبة إلى الإنسان فيمكن القول أن علمه فى روحه، وشجاعته وقدرته فى عضلاته، ورحمته فى قلبه، ولا يصحّ هذا القول بالنسبة إلى اللَّه تعالى فإنّ ذاته المقدسة هى علم وقدرة وحياة وغير ذلك. ۳- توحيد الأفعال: إنّ كلُّ فعل أو حركة أو ظاهرة فى هذا العالم هى فى الواقع من تجلّيات الذات المقدسة ولا شىء بإمكانه أن يؤثر فى عالم الوجود بدون إذنه ومشيئته «لا مُؤَثِّرَ فِي الْوُجُودِ الَّا اللَّهُ» فعندما تحرق النار شيئاً فإنّ ذلك بإذن اللَّه، ولذلك رأينا أن نار نمرود لم تستطع إحراق إبراهيم لأن اللَّه تعالى لم يأذن لها بذلك، وعندما يطفىء الماء النار فذلك أيضاً بمشيئة اللَّه، وكلُّ ما نعمل من عمل فإن ذلك بإذن اللَّه لأنه تعالى هو الذى أقدرنا على ذلك ومنحنا الإختيار والحرية والقدرة والعقل لنتصرف كيف ما نريد، فكلُّ ذلك حصلنا عليه من اللَّه تعالى، وكلُّ حركة من حركاتنا تعود إلى ذاته المقدسة، والخلاصة أن المؤثر للاستقلال هو اللَّه تعالى وما بقى من الأسباب فليس لها قدرة على التأثير إلّابمشيئة اللَّه وإرادته. ۴- توحيد العبادة: إنّ العبادة لا ينبغى أن تكون إلّالِلَّه تعالى ولا يوجد موجود يليق آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۹۶ بالعبادة غير اللَّه تعالى، كما يشاهد من بعض الشيعة عندما يدخلون المشاهد المشرّفة لأحد الأئمّة الأطهار عليهم السلام فإنّهم يقبلون الأرض أو عتبة الباب، فهو فى الحقيقة من قبيل سجدة الشكر للَّه تعالى أنه وفقهم لزيارة أوليائه لا أنها سجود للإمام (والعياذ باللَّه) لأن الشيعة لا يعتقدون بأى موجود يستحق العبادة والسجود غير اللَّه تعالى ولا يسجدون لغير اللَّه، ولذلك نوصى الشيعة أن يتركوا هذا العمل أيضاً أى سجدة الشكر أمام الضريح المقدّس دفعاً لهذا التوهم وألا يكون ذلك ذريعة بيد البعض ليتحركوا ضد الشيعة من موقع التهويل والإتهام، وعلى أيّة حال فإنّ العبادة لا تكون إلّالِلَّه تعالى. هذه المراتب الأربع للتوحيد تعتبر المراتب الأصلية للتوحيد رغم وجود مراتب اخرى متفرعة عليها نظير: توحيد الحاكمية «۱»، توحيد الشارعية «۲»، توحيد المالكية «۳»، وأمثال ذلك «۴». ومن هنا يتضح أن الإنسان المسلم إذا اعتقد بما ذكر أعلاه من حقيقة التوحيد فإنه كامل الإيمان وموحد فى نظر الإسلام، ولكن الوهابيين الذين يدّعون التوحيد ويرفضون الشرك لم يدركوا عمق هذه المراتب للتوحيد الواردة فى تعاليم أئمّة أهل البيت عليهم السلام ولذلك فهم يتهمون الآخرين بالشرك دائماً.

الأشاعرة والتفسير الخاطىء للتوحيد الأفعالى

الأشاعرة والتفسير الخاطىء للتوحيد الأفعالى الأشاعرة وهم أحد مذاهب أهل السنّة عندما لم يستوعبوا الفهم الصحيح للتوحيد آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۹۷ الأفعالى ذهبوا إلى الجبر وأن الإنسان مجبور على أفعاله، لأنهم تصوروا إنّ الإنسان إذا كان مختاراً فى أفعاله فإنّ ذلك يعنى الشرك فى دائرة التوحيد الأفعالى، فى حين أن هذه العقيدة (وهو الجبر) تثير علامات الإستفهام فى كافة اصول العقيدة من النبوّة والقيامة والإمامة والعبادات التى أمر بها الإسلام. والحقيقة أن الإنسان لو كان مخيّراً ومجبوراً فى أفعاله وكان يعيش فقدان الإرادة والإختيار فى حركته فى الحياة فما معنى مؤاخذته ومساءلته يوم القيامة؟ كيف يمكننا توجيه عقاب المذنبين وثواب المطيعين فى الحياة الآخرة؟ لأن كلًا من المطيع والعاصى كانا يتحركان فى سلوكهما من دون اختيار وإرادة، فلا المذنب اختار أن يكون مذنباً ولا المطيع اختار أن يكون مطيعاً، فلماذا إذن يستحق الأوّل العقوبة والثانى المثوبة؟ إذا قلنا بالجبر فلا ينبغى لأى محكمة أن تعاقب المجرم على جريمته لأنه مجبور حسب الفرض على ذلك. هل يصحّ أن نعاقب النار على إحراقها لإنسان برىء؟ هل يعقل أن نحاكم البحر ونقضى عليه بالعقاب الصارم لأن إنساناً بريئاً غرق فى مياهه؟ هل يمكننا محاكمة الكهرباء فيما لو أدّت إلى قتل شخص برىء؟ بديهى أن جواب هذه الأسئلة بالنفى وستكون مثل هذه المحاكمة مضحكة ومدعاة للسخرية، وهكذا حال الإنسان المجبور على أفعاله فإنه يكون حاله حال الماء والنار والكهرباء فيما لو أقدم على ارتكاب جريمة. والملفت للنظر أن أصحاب هذه النظرية يخالفون نظريتهم فى مقام العمل والممارسة، فلو أن أحداً صفعهم لرأيناهم يعترضون عليه، ولو أنّ لصاً دخل إلى بيوتهم وسرق منها شيئاً لقاموا بتقديمه إلى المحكمة، فى حين أن الإنسان إذا كان مجبوراً وفاقداً للإرادة فلا معنى للاعتراض والشكاية، ولكننا نرى هذا التناقض بوضوح بين قول أصحاب عقيدة الجبر وبين أفعالهم وممارساتهم. لعلّ القارئ العزيز يتصور أن هذه المطالب ما هى إلّاأفكار وتوهمات تجول فى مدارات آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۹۸ الذهن فقط من دون أن يكون لها رصيد واقعى من الأشخاص المؤيدين لها، ولكن مع الأسف فهناك الكثير من الأشخاص المغفلين الذين يتحركون فى دائرة العقيدة والمذهب من موقع الدفاع الشديد عن هذه النظرية الباطلة وقد كتبوا فى ذلك كتباً متنوعة. أجل، فإنّ هؤلاء الأشخاص عندما لم يستطيعوا إدراك مغزى التوحيد الأفعالى ذهبوا إلى الجبر وغفلوا عن أن اللّه تعالى هو الذى وهب للإنسان الإختيار والإرادة، وعندما نقول أن الإنسان حرٌّ ومختار فى أفعاله فإنما ذلك على أساس أنّ كلّ هذه الامور متصلة باللّه تعالى وبمشيئته، وبذلك لا يكون هناك تقاطعاً بين اختيار الإنسان والتوحيد الأفعالى. وقد ذهب الأشاعرة والجبرية إلى أكثر من ذلك، فقد أنكروا عالم الأسباب والمسببات وقالوا: إنّ النار لا تحرق أبداً بل اللّه تعالى هو الذى يحرق، وكذلك ذهبوا إلى أن الحجر لا يكسر الزجاج بل بمجرد أن يقترب منه ويمسه فإنّ اللّه تعالى يقوم بكسر الزجاج. أجل، فإنهم أنكروا مثل هذه الامور البديهية بسبب تفسيرهم الخاطىء للتوحيد الأفعالى، ورأينا أن التوحيد الأفعالى لا يتنافى إطلاقاً مع إختيار الإنسان وإرادته، وكذلك لا يتنافى مع عالم الأسباب لأن الإرادة السببية فى عالم المخلوقات كلّها تعود فى الأصل إلى اللّه تعالى، فإنه هو الذى وهب الإنسان القدرة والقوّة والعقل والإختيار والإرادة، وبما أن هذه الامور جميعاً من اللّه تعالى إذن يصحّ نسبتها جميعاً إليه رغم أن الإنسان لا يتجرد من المسؤولية وحرية الإنتخاب فى دائرة الفكر والعقيدة والممارسة. ولأجل توضيح المطلب أكثر نضرب لذلك مثالًا: عندما يدفع الأب بعض المال لولده لينفقه فى مصارفه ومعيشته فالأب من جهة يمكنه فى أى لحظة أن يأخذ هذا المال باعتباره ماله وملكه رغم أن الإبن إذا اشترى بهذا المال شيئاً فإن المسؤولية تقع عليه لا على الأب. والنتيجة هى أن التوحيد الأفعالى لا يتنافى مع اختيار الإنسان وإرادته ولا ينبغى أن نتصور أن ذلك يدخلنا فى دائرة الشرك.

هل ينسجم التوسل مع التوحيد؟

هل ينسجم التوسل مع التوحيد؟ آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۹۹ سؤال: لماذا يتصور الوهابيون أن التوسل هو نوع من الشرك؟ وكيف يتقاطع التوسل مع أحد مراتب التوحيد المتقدّمة؟ وهل أن التوسل يتنافى مع توحيد الذات، أو مع توحيد الصفات؟ بلا شكّ أن التوسل لا يتنافى إطلاقاً مع توحيد الذات والصفات، ولكن هل يثير التوسل مشكلة فى دائرة العبادات والتوحيد الأفعالى؟ إذا كان الجواب بالإيجاب من قبل الوهابيين فينبغى القول بأنهم وقعوا فى اشتباه كبير لأن الشيعة عندما يتوسلون بالنبى أو الأئمّة المعصومين أو القرآن الكريم لا يرون أن ذلك من العبادة لهؤلاء إطلاقاً كما هو الحال فى عبادة المشركين للأصنام والأوثان وتصورهم أنها شفعاء لهم عند اللَّه، بل نحن نطلب من هؤلاء الأولياء أن يتوسطوا لنا بما لديهم من جاه ومقام عند اللَّه تعالى لحلِّ مشاكلنا واستجابة دعائنا، وعلى هذا الأساس فإنّ الفرق بين التوسل وبين عبادة المشركين واضح جدّاً، والشخص الذى يتصور أن توسل الشيعة إنما هو مثل عبادة المشركين للأوثان فى الحقيقة هو إنسان بعيد عن الإنصاف وجادة الصواب. مضافاً إلى ذلك أن التوسل بالخشب والحجر لا يعود على الإنسان إطلاقاً بالنفع والضرر، وهذا المعنى لا- يقبل القياس بالتوسل بالإمام والنبى والقرآن والتقرّب بهم إلى اللَّه تعالى، والنتيجة هى أن التوسل لا يتنافى مع توحيد الذات ولا توحيد الصفات ولا التوحيد فى العبادة. إذن فما هو مقصود الوهابيين من قولهم بأن التوسل شرك؟ وما هى المرتبة من مراتب التوحيد التى يرون أنها تتنافى مع التوسل؟ الجواب: الظاهر أن مقصود الوهابيين من أن التوسل شرك هو أنه يتنافى مع التوحيد الأفعالى، لأن الشخص الذى يتوسل بالنبى أو الإمام ويطلب منه حلّ مشكلته فإنه يرى أن غير اللَّه تعالى له تأثير فى عالم الخلق، ونعلم أن التأثير منحصر باللَّه تعالى ولو أن الإنسان اعتقد بأن غير اللَّه يمكنه أن يؤثر فى عالم الوجود فهو نحو من أنحاء الشرك. والجواب على هذا الكلام هو أن الشيعة لا يرون للنبى والإمام والقرآن تأثيراً فى عالم الخلقة فى عرض اللَّه تعالى، بل فى طول القدرة الإلهية، ولا تكون قدرتهم مؤثرة إلّابإذن اللَّه ومشيئته، وهذا المعنى لا يتنافى إطلاقاً مع التوحيد الأفعالى، نعم إذا قلنا إنّ النبى أو الإمام يؤثر فى عالم الخلقة بالإستقلال «نعوذ باللَّه» فهذا هو الشرك، ولكن لا أحد يقول بهذا المعنى، آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۰۰ فعندما نقول أن النبى الأكرم صلى الله عليه و آله يشفع لنا عند اللَّه ويتوسط فى حلِّ مشكلاتنا ليكون اللَّه تعالى هو الذى يحلّ هذه المشكلة أو يشافى المريض أو يرزق الفقير فإنّ ذلك ليس من الشرك بل هو عين التوحيد. وبما أن هذا المعنى انعكس فى دائرة المفاهيم القرآنية بوضوح فينبغى القول بأن هؤلاء الوهابيين لا يقبلون بالقرآن أيضاً، لأن الآية ۴۹ من سورة آل عمران تردّهم ردّاً قاطعاً وتبطل إدعاءاتهم الفارغة واتهاماتهم الباطلة وذلك فى قوله تعالى: «أَنِّى قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ». فنرى أن عيسى عليه السلام يخاطب بنى إسرائيل ويقول باننى بعثت رسولًا إليكم من قبل اللَّه تعالى ومعى معجزة، ثمّ يذكر ثلاث معجزات: ۱- «أَنِّى أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللَّهِ». وهكذا نرى أن المسيح عليه السلام يقول بأننى أصنع لكم طيراً من طين ثمّ أنفخ فيه الحياة والروح فيتحول هذا التمثال الطينى إلى طائر حى بإذن اللَّه، أى إننى لا أستطيع التأثير فى هذه الأشياء فى عرض قدرة اللَّه ومشيئته بل إن قدرتى وتأثيرى إنّما هى بإذن اللَّه وليست مهمتى سوى أن أنفخ فى هذا التمثال ليتحول إلى طائر فيه حياة وشعور بإذن اللَّه. ۲- «وَ أُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَ الْأَبْرَصَ وَ أُحْيِ الْمَوْتى بِإِذْنِ اللَّهِ». المعجزة الاخرى لعيس بن مريم عليه السلام هى شفاء المرضى المزمنين والأعمى والأبرص وإحياء الموتى، وطبعاً كلّ هذه الأعمال إنّما أقوم بها بمشيئة اللَّه وإذنه ولا تتصوروا أننى إله أو ابن إله فلست سوى وسيلة لتحقيق هذه الأغراض، والمصدر الحقيقى هو اللَّه تعالى، فإحياء الموتى وشفاء المرضى كلّها صادرة من ساحته المقدسة. ۳- «وَ أُنَبِّئُكُمْ بِما تَأْكُلُونَ وَ ما تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ». العلامة الثالثة لنبوّة عيسى ابن مريم انه كان يخبرهم بما لديهم من أطعمة وأغذية فى بيوتهم ويخبرهم بما يأكلون من طعام وشراب كلُّ ذلك بتعليم اللَّه تعالى. وهذه الآية الشريفة تمثل ردّاً حاسماً على من ينكر الولاية التكوينية أو ينكر مشروعية التوسل ويتصور بأن ذلك يتنافى مع التوحيد الأفعالى، وعليه فإذا نسبنا هذه الأفعال إلى غير اللَّه تعالى واعتقدنا بأن الإنسان يمكنه أن يؤثّر فى عالم الأسباب والمسببات بإذن اللَّه آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۰۱ ومشيئته فإن هذا المعنى لا يتنافى مع التوحيد إطلاقاً.

التوسل فى القرآن

التوسل فى القرآن ومضافاً إلى ما تقدّم فهناك آيات قرآنية عديدة تذكر مسألة التوسل بصراحة وإليك بعض النماذج والأمثلة على ذلك: ۱- نقرأ فى الآية ۹۷ من سورة يوسف قوله تعالى: «قالُوا يا أَبانَا اسْتَغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا إِنَّا كُنَّا خاطِئِينَ». عندما وصل خبر يوسف وأنه فى كامل الصحّة والعافية إلى أبيه واخوته تحرّك الأخوة لجبران خطئهم واشتباههم من موقع التوبة والإستغفار وجاءوا إلى أبيهم وتوسطوا إليه ليستغفر لهم اللّه تعالى وجعلوه واسطتهم إلى اللّه تعالى ليغفر لهم شنيع فعلتهم، فأجابهم يعقوب بقوله: «سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّى إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ». «۱» وطبقاً لهذه الآية الشريفة فإنّ أبناء يعقوب المذنبين توسلوا إلى أبيهم النبى وطلبوا منه أن يتوسط لهم إلى اللّه تعالى ليغفر لهم ويعفو عنهم، وعليه فلا إشكال فى أن نتوسل بنبى الإسلام صلى الله عليه و آله أو الأئمّة المعصومين عليهم السلام أو القرآن الكريم أو المقدسات الاخرى ونجعلها واسطتنا إلى اللّه تعالى لطلب الفرج واستجابة الدعاء وأمثال ذلك. ۲- ونقرأ فى الآية ۶۴ من سورة النساء: «وَ ما أَرْسَلْنا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَ لَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَ اسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً». إنّ اللّه تعالى فى هذه الآية الشريفة يعلّم الناس طريق التوسل، وفى مقابل هاتين الآيتين آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۰۲ من القرآن الكريم نرى أن الوهابيين يحرّمون ويمنعون التوسل، فما هو المسوغ لهم لهذا المنع؟

التوسل بالعظماء والأولياء بعد وفاتهم

التوسل بالعظماء والأولياء بعد وفاتهم إنّ الوهابيين يفتقدون إلى الجواب المنطقى فى مقابل هذه الآيات القرآنية والبراهين العقلية ولذلك اضطروا إلى تعديل مواقفهم من مسألة التوسل وأجازوا التوسل بالنبى فى حياته ومنعوه بعد وفاته. إنّ هؤلاء لم يلتفتوا إلى لوازم هذا الرأى، لأن ذلك يعنى أن الشرك وفقاً لهذه العقيدة مباح فى حياة النبى ولكنه حرام بعد وفاته، وبعبارة اخرى أن لازم ذلك أن يكون الشرك على نحوين: ۱- الشرك المباح، ۲- الشرك المحرّم والممنوع. فهل سمعتم عالماً ينطق بمثل هذا الكلام؟ هل سمعتم أحد المسلمين يقول بأن الشرك مباح فى بعض الأحيان؟ إنّ بطلان الشرك بمثابة قانون عقلى كلّى لا يقبل الإستثناء، ولكنّ الوهابيين هم طائفة متخلّفة فكرياً وعلمياً دون سائر المذاهب الإسلامية حيث لا يمكن قياسهم بعلماء دمشق ولا بعلماء الأزهر ولا بعلماء الشيعة وفضلاء الحوزات العلمية. مضافاً إلى ذلك نقول: كيف اختلف الحال بين وجود النبى على قيد الحياة وبعد الوفاة؟ فرغم أن بدن النبى قد مات ودفن فى التراب ولكن بدون شكّ أن روحه بعد خروجها من البدن الشريف ستكون أقوى على مستوى التأثير والإدراك. والقرآن الكريم يقرر الحياة البرزخية للشهداء ويقول فى الآية ۱۶۹ من سورة آل عمران: «وَ لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتاً بَلْ أَحْياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ». فعندما يكون الشهداء أحياءاً بعد موتهم ويتناولون الطعام عند ربّهم كما تقول الآية التى بعدها أنهم يشهدون أعمال أحبتهم ورفقاءهم فى هذه الحياة الدنيا، فهل أن النبى الأكرم صلى الله عليه و آله الذى يتمتع بمقام أسمى بكثير من مقام الشهداء لا تكون له حياة برزخية؟ بلا شكّ أن النبى يعيش الحياة البرزخية فى أعلى المستويات، ولذلك نرى أن المسلمين فى ختام كلّ صلاة يسلمون عليه ويقولون: آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۰۳ «السَّلامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِىُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَ بَرَكاتُهُ». فلو لم يكن النبى حيّاً فلماذا هذا السلام، وعلى من يكون، وماذا يعنى؟ النتيجة هى أن التوسل بالأولياء جائز فى حال حياتهم وبعد موتهم، ولا فرق هناك بين موت هؤلاء وحياتهم فى هذه المسألة.

التوسل فى الروايات

التوسل فى الروايات لقد ورد التوسل فى روايات الفريقين الشيعة والسنّة بشكل واسع، ونشير هنا إلى بعض هذه الروايات الواردة فى مصادر أهل السنّة: ۱- ينقل البيهقى أحد علماء أهل السنّة عن أنس «الخادم الخاصّ للنبى الأكرم صلى الله عليه و آله» قوله: جاء رجل من الأعراب إلى رسول اللّه صلى الله عليه و آله وأنشد يقول: اتَيْناكَ وَالْعُذْراءُ يُدْمِى لِبانَها وَقَدْ شَغَلَتْ امُّ الصَّبِىَّ عَنِ الطِّفْلِ وَلَيْسَ لَنا

الّا اَلَيْكَ فِرارُنا وَايْنَ فِرارُ الْخَلْقِ الّا الَى الرُّسُلِ فعنـدما سـمع النبى صـلى الله عليه و آله بحال هـذا الرجل المؤلمـة تأثّر كثيراً وتوجّه إلى المسـجد وهو يجرّ بردائه من شدّة الهمّ والحزن، فصعد المنبر ورفع يديه للدعاء، وما زال يدعو حتّى نزل المطر ونجى الناس من القحط «۱». فطبقاً لهذه الرواية فإنّ ذلك الأعرابى توسل فى زمان حياة النبى صـلى الله عليه و آله به، ولم يمنعه رسول اللَّه صلى الله عليه و آله من ذلك أو ينهاه. ۲- ويورد البخارى فى كتابه رواية فى هذا المجال، وهى أن الناس أصيبوا بالقحط فى أيّام رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فجاؤوا إليه يشـكون إليه حالهم، فـدعا رسول اللَّه صـلى الله عليه و آله فنزل المطر، فقال النبى صـلى الله عليه و آله: آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۰۴ «لَوْ كانَ أَبُو طالِبٍ حَيّاً لَقَرَّتْ عَيْناهُ» «۱». وهذه الجملة من كلام النبى صـلى الله عليه و آله إشارة إلى ما كان من النبى قبل البعثـة من دعاء أبى طالب لنزول المطر وكان النبى يومـذاك رضـيعاً، فأخذه أبوطالب وأقسم على اللَّه تعالى بحقّ هذا الطفل إلّامـا أنزلت علينـا المطر. فاسـتجيب دعـاؤه ونجـا النـاس من الهلاـك والقحـط، ثمّ إن أبا طالب أنشـد أبياتاً من الشـعر مطلعها: وَابْيَضُ يُسْتَسْقَى الْغَمامُ بِوَجْهِهِ ثَمالُ الْيَتامى عِصْمَةٌ لِلْأَرامِلِ «۲» والخلاصة أن الناس طبقاً لهذه الرواية كانوا قبل البعثة وبعدها يتوسلون إلى اللَّه تعالى بالنبىّ الكريم صـلى الله عليه و آله ولن يتحرك النبى الأكرم لمنعهم من هـذا العمل بل إنه أثنى عليه بحيث إنه طلب من البعض أن يقرأوا أشـعار أبى طالب التى قالها بمناسـبة واقعـة الإستسـقاء فتكفل الإمام على عليه السـلام بهذه المهمة. ۳- قال السمهودى أحد كبار علماء أهل السـنّة فى كتابه «وفاء الوفاء» عن مالك أحـد أئمّة المذاهب الأربعة لأهل السـنّة: ناظر أبو جعفر أميرالمؤمنين مالكاً فى مسـجد الرسول صـلى الله عليه و آله فقـال مالـك: يا أميرالمؤمنين لا ترفع صوتك فى المسـجد فإن اللَّه تعالى أدب قوماً فقال: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاـ تَرْفَعُوا أَصْواتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَ لاـ تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمالُكُمْ وَ أَنْتُمْ لا تَشْـعُرُونَ» «۳»، ومـدح قومـاً فقـال: «إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْواتَهُمْ عِنْـدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولئِـكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ أَجْرٌ عَظِيمٌ» «۴»، وذمّ قومـاً فقـال: «إِنَّ الَّذِينَ يُنادُونَـكَ مِنْ وَراءِ الْحُجُراتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ» «۵». فقال منصور: هـذا كان فى حياته لا بعـد مماته. آيات الولايـة فى القرآن، ص: ۲۰۵ فقـال مالـك: «حُرْمَتُهُ مَيِّتاً كَحُرْمَتِهِ حَيّاً». «۱» وطبقـاً لهـذا الكلاـم فإن احترام النبى واجب فى حال حيـاته وبعـد مماته والتوسل به جائز أيضاً على أيّـة حال. ۴- وقـد ذكر «ابن حجر» من علماء أهل السـنّة المعروفين والإنسان المتعصـب جـدّاً فى كتابه «الصواعق المحرقة» اعترافات مهمة لصالح الشـيعة، ومن تلك الإعترافات ما أورده من شـعر الإمام الشافعى حيث يقول: آلُ النَّبِيِّ ذَريعَتى وَهُمْ اِلَيْهِ وَسيلَتِى ارْجُو بِهِمْ اعْطى غَداً بِيَدِ الْيُمْنى صَحيفَتِى «۲» النتيجة: أن التوسل بأولياء الدين والمقدّسات كالقرآن الكريم لا تتنافى إطلاقاً مع التوحيد الأفعالى، وقد ورد التمجيد والترغيب فى القرآن والروايات الشريفة للمسلمين لمثل هذا العمل.

لا تجوز العبادة لغير اللَّه

لاـ تجوز العبادة لغير اللَّه سؤال: لقـد قلتم أن العبادة خاصّـة باللَّه تعالى ولا ينبغى عبادة غير اللَّه لأن ذلك يحسب من الشـرك فى حين أننا نجـد فى بعض الآيات القرآنيـة أنها تتحدّث عن السـجود لغير اللَّه تعالى من قبيل: ۱- ما ورد فى قصـة آدم وحواء عنـدما خلق اللَّه آدم وأمر الملائكة بالسجود له: «فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ». «۳» فلو كانت العبادة لغير اللَّه تعالى شرك فلماذا ورد الأمر فى هذه الآية الشريفة بالسجود لآدم؟ ۲- وفى سورة يوسف عنـدما تحرك الاخوة مع الوالدين من الصـحراء متوجهين إلى مصـر بعد أن علموا بحياة يوسف، حيث يحدّثنا القرآن الكريم عن اللحظة التى التقى فيها آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۰۶ هؤلاء بالنبى يوسف وقال: «وَ رَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَ خَرُّوا لَهُ سُـجَّداً». «۱» فطبقاً لهـذه الآيـة الشـريفة فإنّ أبناء يعقوب سـجدوا ليوسف، فلو كان السـجود لغير اللَّه شركاً، فكيف نفسـر ما ورد فى هـذه الآيـة الشـريفة؟ ۳- عنـدما ورد بنو إسـرائيل بيت المقـدّس فإنّ الآيـة تـذكر هـذه الواقعة وأن بنى إسـرائيل سجدوا عند ورودهم المعبد فى بيت المقدّس كما نقرأ ذلك فى الآية ۵۸ من سورة البقرة: «وَ إِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْها حَيْثُ شِـئْتُمْ رَغَداً وَ ادْخُلُوا الْبابَ سُـجَّداً وَ قُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطاياكُمْ وَ سَـنَزِيدُ الْمُحْسِـنِينَ». والخلاصة أن هذه الآيات الثلاث تتحـدّث عن السـجود لغير اللَّه فكيف يتناغم ذلك مع التوحيد فى العبادة؟ الجواب: تقدم أن حرمة الشـرك وعدم جواز السـجود لغير

اللَّه واختصاص العبادة باللَّه تعالى إنّما هو قانون كلّى لا يقبل الإستثناء، فالشرك لا يمكن أن يتواءم مع التوحيد فى أى مرتبة من مراتبه، وعليه فإنّ السجود الوارد فى الآيات المذكورة لا- يعنى العبادة بل هو سجود الشكر والتعظيم للَّه تعالى على نعمه ومواهبه العظيمة. عندما سجد الملائكة لآدم ففى الحقيقة أنهم سجدوا للَّه تعالى الذى خلق مثل هذا المخلوق العظيم، إذن فالسجود فى الواقع كان للَّه تعالى ولكن بسبب خلق آدم. وهكذا فى اخوة يوسف فإنهم سجدوا شكراً للَّه تعالى لأجل النعمة العظيمة التى أولاها اللَّه تعالى لأخيهم يوسف، ولأجل نجاتهم من الحياة الصعبة والشاقّة فى صحراء كنعان ورؤيتهم أخيهم بعد سنوات من الفراق وبالتالى انتقالهم إلى مصر ليعيشوا حياة طيبة ومرفهة وكريمة، فلأجل ذلك سجدوا شكراً للَّه تعالى، كما هو الحال فى بنى إسرائيل الذين سجدوا للَّه تعالى لا لمسجد بيت المقدّس. عندما يقوم المسلمون والحجاج بأداء صلاة الجماعة حول الكعبة ويسجدون للَّه تعالى فى صلاتهم هذه أمام بيت اللَّه الحرام، فهل معنى هذا أنهم سجدوا للكعبة، أو أن أحداً من آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۰۷ المسلمين لا يسجد للكعبة بل يسجد للَّه تعالى ويعبده وحده ولكن فى مقابل الكعبة؟ وعلى هذا الأساس فإنّ السجود فى جميع الموارد هو للَّه تعالى، وفى الحقيقة هو مصداق بارز لعبادة اللَّه رغم أن الدوافع قد تكون متفاوتة ومختلفة، والنتيجة هى أن الآيات الثلاثة المذكورة آنفاً لا تعدُّ استثناءاً من القاعدة الكليّة فى توحيد العبادة. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۰۹

الفصل الثالث آيات الفضائل الخاصّة بالإمام علىّ عليه السلام

آية ليلة المبيت

اشارة

آية ليلة المبيت ۱ [سورة البقرة (۲): آية ۲۰۷] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ (۱) الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ (۲) الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ (۳) مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (۴) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (۵) اهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ (۶) صِراطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَ لا الضَّالِّينَ (۷) «سورة البقرة/ الآية ۲۰۷»

أبعاد البحث

أبعاد البحث هذه الآية الشريفة المعروفة بآية «ليلة المبيت» تعتبر إحدى أهم الآيات الواردة فى فضائل أميرالمؤمنين عليه السلام، وهى الفضيلة العظيمة التى لم تتحقق لأحد من المسلمين غير الإمام على عليه السلام حيث تشير الآية الشريفة أعلاه إلى ما قام به الإمام على فى ليلة هجرة النبى صلى الله عليه و آله إلى المدينة ومنامه فى فراشه كما سيأتى توضيحه لاحقاً.

شأن النزول

شأن النزول يرى كثير من علماء الشيعة وأهل السنّة أن الآية مورد البحث نزلت فى حقِّ علىّ بن أبى طالب عليه السلام، حيث ذكروا هذا الموضوع فى كتبهم إلى درجة أن هذه الواقعة قد وصلت إلى حدّ التواتر، أى أنها من الكثرة بحيث لا يمكن إنكارها. وخلاصة قصة ليلة المبيت كما يلى: عندما أحسّ أعداء الإسلام ومشركوا مكّة المعاندون بخطر الإسلام والدعوة السماوية بدأوا يتحركون على مستوى التآمر والتخطيط لقمع هذا الدين الجديد فى المهد وطرحوا آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۱۲ ثلاث خطط خطرة لمواجهة دعوة النبى الأكرم صلى الله عليه و آله، فقالوا: «إما أن نقتل هذا النبى، أو نلقيه فى السجن بحيث لا- يتمكن أىُّ شخص من رؤيته والحديث معه، أو نقوم بإبعاده عن أرض الحجاز» «۱». إنّ الشواهد التاريخية تشير إلى أنهم اختاروا الرأى الأوّل الذى هو أخطر الثلاثة، واختاروا من أجل تجسيد هذه الفكرة على أرض الواقع الخارجى أربعين شخصاً من مختلف قبائل العرب يتصفون بالشجاعة

والمهارة ليقوموا بمحاصرة بيت النبوّة ليلًا ثمّ يتمكنوا من قتل النبى الأكرم صلى الله عليه و آله، وهكذا صنع هؤلاء الأشخاص وجاءوا ليلًا وأحاطوا ببيت النبوّة ثمّ تسلّقوا الجدار أو نفذوا من كوة فيه وانتظروا حتّى تحين الفرصة المناسبة لقتل النبى. ولكنّ اللَّه تعالى أخبر نبيَّه الكريم بواسطة الوحى بمؤامرة المشركين فعزم النبى صلى الله عليه و آله على الخروج من مكّة، ولكنه لتحقيق هذا الهدف والتخلّص من هذه المؤامرة الشيطانية ينبغى أن يقوم بأمرين: الأوّل: أن يقوم بالتوجّه إلى خارج مكّة وفى الطريق المعاكس لطريق المدينة، أى أنه بدلًا من أن يتوجّه شمالًا نحو المدينة فإنّه تحرك إلى الجنوب منها لكى لا يلتفت الأعداء إلى خروجه من مكّة وهجرته إلى المدينة وليمنعهم من ملاحقته. الثانى: لابدّ وأن يجد الشخص المناسب لينام فى مكانه لإيهام الأعداء بعدم خروج النبى من البيت فيؤخرهم عن ملاحقته والقبض عليه. ولهذا الغرض قال لعلى ابن أبى طالب عليه السلام: «اتشح ببردى الأخضر ونم على فراشى». فقال الإمام على عليه السلام: إذا نمت على فراشك فهل ستنجو من الخطر وتصل إلى المدينة بسلام؟ «۲» فقال النبىّ: نعم يا علىّ، فسجد الإمام على عليه السلام شكراً للَّه تعالى، ويقال أنها أول سجدة شكر كانت فى الإسلام. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۱۳ وبعد أن وضع النبى الأكرم صلى الله عليه و آله عليّاً فى فراشه خرج من مكّة متستّراً وتحرّك إلى جهة الجنوب على عكس مسير المدينة حتّى وصل إلى غار ثور، وبعد أن يأس الأعداء من العثور عليه تحرّك إلى المدينة ووصل إليها بسلام. لاشكّ أن ليلة المبيت كانت ليلة حسّاسة ومهمة جدّاً ومصيرية بالنسبة إلى الإسلام والمسلمين وكان بطل هذه الليلة هو أميرالمؤمنين عليه السلام وعندما كان النبى متوجّهاً إلى المدينة أوحى اللَّه تعالى إليه بهذه الآية محل البحث حيث تحدّثت هذه الآية عن إيثار وتضحية الإمام على عليه السلام العظيمة.

اعترافات علماء أهل السنّة

اعترافات علماء أهل السنّة رأينا آنفاً ما ورد فى شأن نزول هذه الآية الشريفة ولا يختص ذلك بعلماء الشيعة بل نقله الكثير من علماء أهل السنّة، ومنهم: «الطبرى» «۱»، «ابن هشام» «۲»، «الحلبى» «۳»، «اليعقوبى» «۴» (وكلّهم من مشاهير مؤرّخى أهل السنّة) و «أحمد» «۵» من فقهاء أهل السنّة و «ابن الجوزى» «۶»، و «ابن الصبّاغ المالكى» «۷». والملفت للنظر ما أورده «أبو جعفر الإسكافى» الشارح المشهور لنهج البلاغة لابن أبى الحديد المعتزلى، حيث قال فى هذا الصدد: قد ثبت بالتّواتر حديث الفراش ... ولا يجحده إلّامجنون أو غير مخالط لأهل الملّة ... وقد روى المفسّرون كلّهم: إنّ قول اللَّه تعالى: ومن النّاس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات اللَّه انزلت فى علىّ عليه السلام ليلة المبيت على الفراش «۸». آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۱۴ والنتيجة هى أن جميع علماء الإسلام من الشيعة والسنّة متفّقون على أن آية ليلة المبيت نزلت فى شأن أميرالمؤمنين عليه السلام وما قام به من تضحية وإيثار عظيم.

الشرح والتفسير: التجارة الرابحة

الشرح والتفسير: التجارة الرابحة «وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِى نَفْسَهُ ابْتِغاءَ مَرْضاتِ اللَّهِ» فبعض الناس يضحّون بأنفسهم فى سبيل مرضات اللَّه والتقرّب إليه، وكما تقدّم أن علىّ بن أبى طالب قام بهذا العمل العظيم وباع نفسه فى تلك الليلة ابتغاء مرضات اللَّه وكان المشترى هو اللَّه تعالى، وقيمة هذه البضاعة هو رضا اللَّه تعالى. «وَ اللَّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبادِ» فهل يمكن أن يتصور مفهوم اللطف والرأفة أعلى من كون اللَّه تعالى هو الذى يشترى روح الإنسان بأغلى ثمن؟

المعاملة مع اللَّه

المعاملة مع اللَّه هناك ثلاث آيات فى القرآن الكريم تتحدّث عن المعاملة مع اللَّه تعالى ولابأس بالإشارة إليها وإجراء مقارنة بين مضامينها: الآية الاولى: ما ورد فى سورة التوبة الآية ۱۱۱: «إِنَّ اللَّهَ اشْتَرى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَ أَمْوالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقاتِلُونَ فِى

سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَ يُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْراةِ وَ الْإِنْجِيلِ وَ الْقُرْآنِ وَ مَنْ أَوْفى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بايَعْتُمْ بِهِ وَ ذلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ». فى هذه المعاملة والتجارة العظيمة نرى أن اللّه تعالى من جهة هو المشترى، والمؤمنون والمجاهدون هم البائع، والبضاعة الموضوعة للتجارة هى نفوس المؤمنين وأرواحهم، والثمن هو الجنّة، واللطيف فى الأمر أن سند أو وثيقة هذه المعاملة مكتوبة فى ثلاث كتب سماوية معتبرة (القرآن والإنجيل والتوراة)، وهذه المعاملة المباركة تحدّثت عنها هذه الآية الشريفة بأنها «فوز عظيم» وباركت للبائعين على هذه الصفقة، والحقيقة أن هذه المعاملة والتجارة آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۱۵ عظيمة جدّاً، لأن المشترى فيها يشترى ما يتعلّق به وما هو ملكه بأغلى الأثمان من البائع، ألا تعتبر هذه المعاملة من قبيل «الفوز العظيم»، ألا تستحق التبريك والتهنئة؟ الآية الثانية: ما ورد فى الآيات ۱۰- ۱۳ من سورة الصف من موضوع تجارة اخرى بين اللّه وعباده حيث نقرأ فى هذه الآيات الأربع: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلى تِجارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذابٍ أَلِيمٍ* تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ تُجاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ* يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَ يُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ وَ مَساكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ* وَ أُخْرى تُحِبُّونَها نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَ فَتْحٌ قَرِيبٌ وَ بَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ» فى هذه المعاملة المربحة نجد أيضاً أن البائع هو المؤمنين، والمشترى هو اللّه تعالى، والبضاعة أو المبيع هو نفس روح الإنسان المؤمن، وقيمتها غفران الذنوب ودخول الجنّة، المساكن الطيبة فيها، النصر القريب (فتح مكّة)، وهكذا نرى أن اللّه تعالى يعبّر عن هذه المعاملة والتجارة الكبيرة بعبارة «الفوز العظيم» ويبارك ويهنىء هؤلاء المتاجرون. الآية الثالثة: ما ورد فى سورة البقرة الآية ۱۰۷ (الآية محل البحث)، وكما رأينا أن البائع هو علىّ بن أبى طالب عليه السلام والمشترى هو اللّه تعالى، والبضاعة فى هذه المعاملة هو روح علىّ بن أبى طالب عليه السلام، والثمن هو رضا اللّه تعالى.

المقارنة بين المعاملات الثلاث

المقارنة بين المعاملات الثلاث رأينا أن الآيات الكريمة تتحدّث عن ثلاث معاملات وردت فى سورة التوبة، الصف، البقرة، وقد تقدّم شرحاً لما ورد فيها ونجد أوجه للتشابه فيما بينها من قبيل أن اللّه تعالى فى كلّ هذه المعاملات الثلاث هو المشترى، والبائع هم المؤمنون، والبضاعة مورد المعاملة هى أرواح المؤمنين وأنفسهم، ولكن هنا تفاوت فى قيمة هذه الأجناس فى كلٍّ واحدة منها، فتارة يشترى اللّه تعالى نفوس المؤمنين فى مقابل الجنّة، واخرى يشتريها بثمن أعلى، فمضافاً إلى الجنّة هناك المساكن الطيبة وغفران الذنوب والنصر الدنيوى، ولكن فى المعاملة الثالثة وهى الآية محل البحث (آية ليلة المبيت) نرى أعلى الأثمان والقيم ألا وهو رضا اللّه تعالى، آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۱۶ وبديهى أن رضا اللّه تعالى لا يمكن قياسه مع الجنّة وأمثالها من المواهب الاخروية، واللطيف أن هذا الثمن متناسب جدّاً مع روحية الإمام على عليه السلام حيث نقرأ فى كلماته الجذّابة يخاطب اللّه تعالى ويقول: «إلهى ما عبدتك خوفاً من نارك، ولا طمعاً فى جنّتك ولكنى وجدتك أهلًا للعبادة فعبدتك». «۱»

مقارنة اخرى

مقارنة اخرى بالرغم من أن الإمام على عليه السلام كان يواجه خطراً كبيراً فى ليلة المبيت ولكنه نام على فراش النبى صلى الله عليه و آله وهو مسرور ولم يسمح للخوف أن يتسرب إلى نفسه، وفى الصباح الباكر عندما هجم الأعداء على بيت النبى صلى الله عليه و آله ورأوا بكامل الدهشة أن خطتهم قد أجهضت وأن النائم فى الفراش هو علىّ بن أبى طالب، فما كان منهم إلّاأن خاطبوا الإمام على بكلمات موهنة، فأجابهم من موقع الدفاع عن الدين والنبى بكلمات جميلة جدّاً تعكس شجاعة أميرالمؤمنين وعقله الكبير وبأسه الشديد وسوف يأتى لاحقاً ما ورد فى هذا الصدد إن شاء اللّه. وأما أبو بكر فقد خرج مع النبى الأكرم صلى الله عليه و آله وتخلص من الخطر ولجأ إلى غار ثور، وعندما سمع صوت أقدام الأعداء الذين خرجوا من مكّة فى أثر النبى، اصفر لونه وملأ الخوف والرعب قلبه

ووجوده بحيث يمكن إدراك ذلك بنظرة بسيطة إلى وجهه، ولهذا بدأ النبى صلى الله عليه و آله بتسليته ليزيل بعض الوحشة والخوف الذى سيطر عليه، وعليك أن تدرك مضمون هذه الحادثة من هذا المختصر.

جمال التعبير فى آية ليلة المبيت

جمال التعبير فى آية ليلة المبيت نقرأ فى آيات سورة التوبة وسورة الصف قوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ اشْتَرى» و «هَلْ أَدُلُّكُمْ آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۱۷ عَلى تِجارَةٍ» ففى هذه العبارات نفهم أن اللَّه تعالى هو المشترى، وهو الذى يرغّب البائعين إلى بيع متاعهم وبضاعتهم، ولكننا نقرأ فى آية ليلة المبيت «وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِى نَفْسَهُ» ومعنى هذه العبارة أن البائع هنا يتقدّم بعرض بضاعته ويبتدأ بالمعاملة. ومن الواضح أن التعبير الأدبى فى هذه الآية الشريفة أروع وألطف، لأن الشخص الذى يقدم نفسه على طبق الإخلاص ويعرضها للبيع لا يجد فى نفسه رغبة إلّابعد ترغيب المشترى رغم أن عمله هذا لا يخلو من التقدير بلاشك. مضافاً إلى ذلك فإنّ الآية محل البحث تبدأ بكلمة «مِنْ» التبعيضية فى قوله «وَمِنَ النّاسِ» أى أن هذا العمل العظيم لا يتمكن من أداءه إلّابعض الناس فى حين أن الآيتين السابقتين تطرح مسألة المعاملة مع اللَّه والمعاوضة بالجنّة والنجاة من النار فى إطار عام وشامل «اشْتَرى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ».

إرتباط آية ليلة المبيت مع الآيات التى قبلها

إرتباط آية ليلة المبيت مع الآيات التى قبلها إذا دققنا النظر فى الآيات الثلاث قبل آية ليلة المبيت أدركنا عظمة عمل الإمام على عليه السلام ومقامه الرفيع عند رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وفى ذلك يقول تعالى: «وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِى الْحَياةِ الدُّنْيا». أى أن بعض المنافقين الذين يتمتّعون بظاهر جميل وخادع عندما يرونك يظهرون المحبّة والتملق ويتحدّثون بشكل تشعر فيه بالإعجاب فى حين أن باطنهم شىء آخر. «وَ يُشْهِدُ اللَّهَ عَلى ما فِى قَلْبِهِ وَ هُوَ أَلَدُّ الْخِصامِ». فإن اللَّه تعالى عالم بما يخفى هؤلاء المنافقين المخادعين رغم أنهم يشهدون اللَّه على ما فى قلوبهم، هؤلاء الأشخاص ذوو الظاهر الأنيق والكلام الجميل هم ألدّ «۱» أعداء الإسلام وهم منافقون، وتشير هذه الآيات إلى «الاخنس بن شريق» المنافق المعروف الذى يظهر من كلامه غير ما يبطن بحيث إنّ ظاهره وكلامه يجذب كلَّ مخاطب إليه لحسن بيانه وجمال آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۱۸ مظهره حيث كان يتظاهر بالقداسة والإيمان والتقوى ولكنه فى الواقع شخصية منحطّة وسافلة ولا يعتقد باللَّه ولا برسوله إطلاقاً «۱». وفى الآية التى تليها يشير اللَّه تعالى إلى واقع هذا الشخص «الأخنس» ونفاقه فى حركة الحياة والواقع الإجتماعى: «وَ إِذا تَوَلَّى سَعى فِى الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيها وَ يُهْلِكَ الْحَرْثَ وَ النَّسْلَ وَ اللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسادَ». فمن علامات نفاق الأخنس وسائر المنافقين هو أنهم عندما يخرجون من مجلسك يتحركون فى حياتهم الفردية والإجتماعية من موقع الإفساد فى الأرض وإهلاك الحرث والنسل رغم علمهم بأن اللَّه تعالى لا يحبُّ هذه الأعمال القبيحة «۲»، وطبعاً هناك احتمال أن كلمة «تولّى» تعنى الولاية والحكومة، أى أن هؤلاء الأشخاص إذا استلموا زمام الامور وتولّوا أمر الحكومة والسلطة أفسدوا فى الأرض وزرعوا بذور النزاعات والفساد والإنحطاط وعملوا على تخريب المزارع وإهلاك الأنعام. وقد ورد أنّ «الأخنس» جاء إلى منطقة فى بلاد الإسلام وشرع فى الإفساد وتخريب مزارع المسلمين فى تلك المنطقة وقتل أغنامهم وحيواناتهم «۳»، ولكنه عندما جاء إلى النبى الأكرم صلى الله عليه و آله شرع بالتملّق والتحدّث بكلمات معسولة خادعة. «وَ إِذا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَ لَبِئْسَ الْمِهادُ». وعندما يسعى المؤمن فى نصيحة هؤلاء الأشخاص وتحذيرهم من مغبّة هذه الأعمال ويحثّهم على تقوى اللَّه تعالى واجتناب الأعمال الإجرامية، والخلاصة عندما يتحرّك على مستوى أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر فإن هؤلاء المنافقين ليس فقط لا يستمعون إلى آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۱۹ النصيحة بل يزدادون عناداً وغروراً وتعصّباً ويصرّون على أعمالهم الدنيئة من موقع العناد والتكبّر، ومن الواضح أن مصير هؤلاء الأشخاص لا يكون سوى جهنم. والخلاصة أن القرآن الكريم يصوّر لنا فى هذه الآيات الثلاث عناد أعداء الإسلام وسلوكياتهم المنحرفة، وعندما نضع هذه الآيات إلى

جانب آية ليلة المبيت فلابدّ أن يتحول الكلام إلى استعراض أحبّ الأشخاص إلى اللّه وأكثرهم إيماناً وانشداداً للإسلام والمسلمين، وعليه فإنّ الإمام على الذى نزلت فى حقّة آية ليلة المبيت وقدّم نفسه على طبق الإخلاص فداءاً للنبى هو أحبّ الأشخاص إلى النبى الأكرم صلى الله عليه و آله وبلا شكّ إنّ علاقة النبى صلى الله عليه و آله بالأشخاص لا تكون إلّاعلى أساس إيمانهم وحبّهم للّه تعالى لا على أساس العواطف الساذجة والميول الدنيوية.

ارتباط آية ليلة المبيت بولاية أميرالمؤمنين عليه السلام

ارتباط آية ليلة المبيت بولاية أميرالمؤمنين عليه السلام سؤال: ما هى علاقة الآية الشريفة «ليلة المبيت» مع إمامة وخلافة أميرالمؤمنين عليه السلام بعنوانه أوّل خليفة بعد رسول اللّه وإمام المسلمين؟ وبعبارة اخرى إنه على فرض قبول أهل السنّة بأن الآية أعلاه نزلت فى شأن على بن أبى طالب، ولكن كيف يمكن إثبات أن هذه الآية تدلُّ على خلافة وإمامة أميرالمؤمنين عليه السلام بعد رسول اللّه صلى الله عليه و آله مباشرة؟ الجواب: رأينا فى الأبحاث المتقدّمة أن الإمام على عليه السلام يعتبر أشجع المسلمين وأكثرهم تضحية وإيثاراً وأخلصهم للّه تعالى، ومن جهة اخرى نعلم أن إمام المسلمين وخليفة رسول اللّه يجب أن يكون أعلم الناس وأشجعهم وأكثرهم إيماناً وإيثاراً، وعلى هذا الأساس فإنه إذا كانت مسألة الإمامة والخلافة انتصابية، أى أن اللّه تعالى هو الذى ينصب الخليفة بعد رسول اللّه صلى الله عليه و آله فإنه مع وجود الإمام على عليه السلام الذى يحوز على الشرائط المذكورة للإمامة، فلا معنى لأن يختار اللّه شخصاً آخر غيره ويعمل على خلاف مقتضيات الحكمة الإلهية، وإذا كانت هذه المسألة انتخابية (كما يعتقد الاخوة من أهل السنّة) فإنّ مقتضى العقل هو أن لا يختار المسلمون شخصاً آخر غير من تتوفر فيه هذه الصفات، وعليه فإنّ انتخاب غير الإمام على عليه السلام يكون على خلاف مقتضيات العقل والشرع. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۲۰

الجواب عن بعض الشبهات

اشارة

الجواب عن بعض الشبهات وقد نرى من البعض أنهم يسعون فى تفسير الآية الشريفة بعيداً عن المفهوم منها والمدلول الحقيقى لها وذلك لما تحمل هذه الآية الشريفة من مضامين تتعلق بمسألة الخلافة والإمامة، حتّى لا يتمكن أحد من الإستدلال بها على خلافة أميرالمؤمنين عليه السلام، وهنا نستعرض بعض الشبهات وعلامات الإستفهام ونجيب عنها:

۱- آية ليلة المبيت تتعلق بالآمرين بالمعروف

۱- آية ليلة المبيت تتعلق بالآمرين بالمعروف العلّامة الطبرسى وهو المفسّر الشيعى المعروف نقل رواية مرسلة عن أهل السنّة تتحدّث عن هذه الآية الشريفة وأنها نزلت فى شأن من قتل فى طريق الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر «۱» وعليه فإنّ الآية محل البحث لا ترتبط بشكل أو بآخر بخلافة أميرالمؤمنين وإمامته. الجواب: إن سياق آية ليلة المبيت يدلُّ على أن الآية المذكورة ليست واردة فى شأن الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، لأنه طبقاً لما تقدّم من الشرح والتفسير أن هناك خطر كبير يهدد الشخص مورد نظر الآية، وهو الخطر الذى يصل إلى حدّ الموت والقتل، ومثل هذا الخطر قلّما يتفق للآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، وعليه فإن سياق الآية الشريفة يوحى إلى أنها لا ترتبط بمسألة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، مضافاً إلى أن الرواية المذكورة مرسلة وليست بحجّة.

۲- إنّ الآیة مورد البحث واردة فی شأن أبی ذرّ

۲- إنّ الآیة مورد البحث واردة فی شأن أبی ذرّ ویری البعض أن الآیة الشریفة واردة فی شأن أبی ذرّ الغفاری «۲» الصحابی المعروف للنبی الأکرم صلی الله علیه و آله ولا ترتبط بمسألة إمامة أمیرالمؤمنین علیه السلام وخلافته. آیات الولایة فی القرآن، ص: ۲۲۱ الجواب: إنّ هذا الرأی بعید عن الصواب ومجانب للواقع، لأن الشواهد التاریخیة تدلُّ علی أن أبا ذرّ الغفاری لم یتعرض لحادثة مهمة تهدد حیاته بالخطر فی عصر النبی الأکرم صلی الله علیه و آله، وعلیه لا یمکن التصدیق بأن هذه الآیة الشریفة نازلة فی حقّه رغم أن شخصیة أبی ذرّ وخدماته العظیمة وخاصّة بعد رحلة النبی الأکرم صلی الله علیه و آله وفی عصر السکوت والإرهاب لا غبار علیها ولا یمکن إنکارها.

۳- إنّ الآیة الشریفة تتعلّق بجمیع المهاجرین والأنصار

۳- إنّ الآیة الشریفة تتعلّق بجمیع المهاجرین والأنصار وذهب البعض إلی أن آیة لیلة المبیت تتعلّق بجمیع المهاجرین والأنصار «۱»، أی أن جمیع المسلمین فی زمان النبی الأکرم صلی الله علیه و آله وحین نزول هذه الآیة کانوا مشمولین لمضمونها، وعلیه فإنّ الآیة محل البحث لا تختص بالإمام علی ابن أبی طالب علیه السلام «۲». الجواب: إنّ بطلان هذا الکلام من أوضح الواضحات لأن الآیة الشریفة تصرّح بأن هذا الإفتخار والکرامة یختصّ ببعض المسلمین وغیر شاملة لجمیع أفراد المجتمع الإسلامی، وعلیه لا یمکن إدعاء أن جمیع المهاجرین والأنصار مشمولین لآیة لیلة المبیت

۴- هل یعلم الإمام علی علیه السلام بموته أو حیاته؟

۴- هل یعلم الإمام علی علیه السلام بموته أو حیاته؟ سؤال: هل إنّ الإمام علی علیه السلام کان عالماً بعاقبة هذا العمل؟ وهل إنه کان یعلم بأنه سوف ینجو من هذا الخطر الکبیر ویبقی حیّاً بعد هذه الواقعة أم لا؟ إذا کان یعلم أن المشرکین لا یتمکنون من قتله وانه سیبقی علی قید الحیاة فإن مبیته فی فراش النبی لا یمثّل قیمة وافتخار کبیر، وإن لم یکن یعلم فسیکون لهذا العمل قیمة کبیرة ولکنّ الإشکال یردُ من جهة اخری، وهو أن الأئمّة یعلمون الغیب فکیف لم یعلم الإمام علی علیه السلام بعاقبة هذا العمل؟ آیات الولایة فی القرآن، ص: ۲۲۲ الجواب: طبقاً لتحقیقات العلماء وتصریح بعض الروایات أن علوم الأئمّة بالنسبة إلی الغیب والمستقبل هی من العلوم الإرادیة، أی أنهم لو أرادوا أن یعلموا لعلموا، وإن لم یریدوا ذلک لا یعلمونه «۱»، فمن الممکن فی هذه الواقعة إنّ الإمام علی علیه السلام لم تتعلق إرادته بمعرفة عاقبة هذا العمل ونهایته، ولذلک کان احتمال الخطر مرتسماً فی ذهنه، ومع ذلک کان مستعداً للتضحیة والإیثار العظیم، وعلی هذا الأساس فإن الواقعة المذکورة تعدّ افتخاراً کبیراً لأمیرالمؤمنین علیه السلام ولا تتنافی مع علم الغیب للأئمّة، والإلتفات إلی هذه النکتة بإمکانه أن یزیل الکثیر من الشبهات والإشکالات حول علم الأئمّة للغیب. سؤال: لقد قلت «إنّ الإمام علی علیه السلام لم تتعلق إرادته بأن یعلم مصیره ولذلک فإنّ احتمال الخطر موجود ومع ذلک بات الإمام علی علیه السلام علی فراش النبی صلی الله علیه و آله وکان ذلک فضیلة کبیرة ومنقبة عظیمة له» فی حین أنه قد ورد فی بعض الروایات إنّ الإمام کان مطّلعاً علی أنه سوف لا تصیبه مصیبة وسوف لا یواجه مشکلة فی هذه العمل وقد ضمن له النبی الأکرم صلی الله علیه و آله السلامة والنجاة من الخطر «۲»، وعلیه فکیف تعدّ آیة لیلة المبیت فضیلة ومنقبة لأمیرالمؤمنین علیه السلام؟ الجواب: یمکننا الجواب علی هذا الإشکال بصورتین: الف: إنّ هذه الروایة مرسلة ولا سند لها وقد أوردها العلّامة الأمینی بصورة مرسلة عن تفسیر الثعلبی «۳»، وبما إنها تفتقد إلی السند فلا یمکن الإعتماد علیها «۴». ب: هناک ثلاث شروط لقبول الروایة: الأوّل هی أن یکون سند الروایة معتبر، الثانی: آیات الولایة فی القرآن، ص: ۲۲۳ أن لا تکون الروایة مخالفة لآیات القرآن الکریم، الثالث: أن تکون مقبولة لدی علماء الدین، والروایة المذکورة

مضافاً إلى ضعف سندها فهى غير مقبولة ومخالفة للقرآن الكريم، لأن اللّه تعالى ذكر هذا العمل لأميرالمؤمنين فى آية ليلة المبيت من موقع المدح والثناء والتمجيد وعبّر عنه بأنه معاملة مع اللّه تعالى فى حين أن الرواية المذكورة على فرض اعتبار سندها فإنّ عمل أميرالمؤمنين عليه السلام وفقاً لهذه الرواية ليست له قيمة وأهميّة خاصّة بل هو بمثابة أمر عادى، وعليه لا يمكن الإعتماد على هذه الرواية المخالفة لآية من آيات القرآن الكريم بحيث يمكن من خلالها تهميش هذا العمل العظيم الذى قام به أميرالمؤمنين عليه السلام (فتدبّر).

۵- من هو المخاطب للنبى الأكرم صلى الله عليه و آله؟

۵- من هو المخاطب للنبى الأكرم صلى الله عليه و آله؟ سؤال: ويرى البعض أن رسول اللّه صلى الله عليه و آله عندما أراد أن يضع شخصاً مكانه فى الفراش فى تلك الليلة قال للمسلمين: أيكم مستعد لأن يبيت فى فراشى فى هذه الليلة؟ ولم يتقدّم أحد سوى على بن أبى طالب عليه السلام حيث أظهر موافقته على استقبال هذا الخطر. فهل هذا المطلب صحيح، أو أن النبى الأكرم صلى الله عليه و آله تحدّث فى هذا المورد إلى الإمام على عليه السلام خاصّة؟ الجواب: نحن لم نر فى الكتب المعتبرة أن الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله طرح هذا الموضوع بين أصحابه، مضافاً إلى أن هذا المطلب لا ينسجم مع العقل، لأن هذا الموضوع لو سمعه جميع الأصحاب فسوف يفتضح الأمر ويصل الخبر إلى أعداء الإسلام الذين كانوا يتآمرون على حياة النبى صلى الله عليه و آله وبالتالى سيتحركون للتصدى لهذا العمل وإجهاضه، ولهذا نعتقد بأن هذه الخطّة والفكرة تمّت بسريّة كاملة، ولم يعلم بها سوى النبى الأكرم صلى الله عليه و آله والإمام على عليه السلام وبعض الأشخاص الآخرين، وأما سائر المسلمين فكانوا لا يعلمون بها.

بقى هنا امور

۱- أشعار حسّان ابن ثابت فى وصف الواقعة

۱- أشعار حسّان ابن ثابت فى وصف الواقعة كان حسّان ابن ثابت «۱» من الشعراء المعاصرين للنبى الأكرم صلى الله عليه و آله وله علاقة خاصّة فى آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۲۴ الخليفة الحقيقى للنبى فقد أنشد قصائد رائعة فى فضائل أميرالمؤمنين عليه السلام وخاصّة فى واقعة غدير خم التاريخية وبعض أبياتها يتعلق بحادثة ليلة المبيت كما وردت فى كتب المؤرّخين: مَنْ ذا بِخاتَمِهِ تَصَدَّقَ راكِعاً وَاسَرَّها فِى نَفْسِهِ إسْراراً مَنْ كانَ باتَ عَلى فِراشِ مُحَمَّدٍ وَمُحَمَّدٌ اسْرى يَؤُمُّ الْغارا مَنْ كانَ فِى الْقُرْآنِ سُمّىَ مُؤْمِناً فِى تِسْعِ آياتٍ «۱» تُلينَ غَزاراً «۲» والخلاصة إنّ حادثة ليلة المبيت كانت معروفة ومشهورة إلى درجة أنها انعكست فى قصائد شعراء العرب.

۲- مصير الإمام على عليه السلام فى تلك الليلة

۲- مصير الإمام على عليه السلام فى تلك الليلة بعد أن عقد أعداء الإسلام العزم على مؤامرتهم فى القضاء على النبى صلى الله عليه و آله قرروا أن يهجموا على بيته ليلًا وينفذون مؤامرتهم، ولكن أحد قادة المشركين «أبوجهل أو أبو لهب» منعهم من هذا العمل وقال: لا تهجموا عليه ليلًا لأن من المحتمل أن تكون فى البيت زوجته وأطفاله وسيصيبهم الخوف والرعب وهم أبرياء «۳». آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۲۵ ولهذا السبب أخّروا هجومهم إلى بواكر الصباح، وعندما حانت اللحظة المناسبة وهجموا على بيت النبى صلى الله عليه و آله وهم يقصدون قتله، قام الإمام على عليه السلام من الفراش قبل أن يصلوا إليه وصاح بهم: ماذا تريدون؟ وعندما تفاجأ المشركون بهذا الأمر ورأوا على ابن أبى طالب فى فراش النبى أخذتهم الدهشة وقالوا: يا علىّ نحن نريد محمّداً فأين هو؟ فأجابهم:

هل أودعتموه عندى حتّى تطلبوه منى؟ فتحيّروا فى جوابه وماذا يصنعون به، هل يقتلونه أو يتركونه؟ فقال أبو جهل: لنترك هذا الشاب المغامر فقد خدعه محمّد وأنامه فى فراشه لينجو بنفسه. فلمّا سمع الإمام على عليه السلام بهذه الكلمات الموهنة له ولرسول اللّه قال بمنتهى الشجاعة والجرأة: أَلى تَقُولُ هذا يا ابا جَهْل! إن اللّه قَدْ اعْطانِى مِنَ الْعَقْلِ ما لَوْ قُسِّمَ عَلى جَميعِ حُمَقاءِ الدُّنْيا وَ مَجانينِها لَصاروُا بِهِ عُقلاءَ، وَمِنَ الْقُوَّةِ ما لَوْ قُسِّمَ عَلى جَميعِ ضُعَفاءِ الدُّنْيا لَصاروُا بِهِ اقْوياءَ، وَمِنَ الشُّجاعَةِ ما لَوْ قُسِّمَ عَلَى جَميعِ جُبَناءِ الدُّنْيا لَصاروُا بِهِ شَجْعاناً. «۱» فأنا قد عرفت نبى الإسلام صلى الله عليه و آله وآمنت بالإسلام عن معرفة ولذلك تقدّمت إلى هذا العمل بكلِّ إخلاص وإيمان، وبعد أن حدثت بينهما مشادّة خرج أعداء الإسلام من بيت النبوّة خجلين وآيسين وخرج الإمام على عليه السلام من هذه الواقعة مرفوع الرأس ومسروراً لأدائه المهمة الرسالية.

۳- اللّه تعالى يباهى بإيثار أميرالمؤمنين عليه السلام

۳- اللّه تعالى يباهى بإيثار أميرالمؤمنين عليه السلام لقد أورد «الثعلبى» وهو أحد مفسّرى أهل السنّة المعروفين للآية مورد البحث، رواية جميلة وجذّابة حول حادثة ليلة المبيت نذكرها هنا كما رواها هو: آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۲۶ «لما عزم النبى صلى الله عليه و آله على الهجرة إلى المدينة، ترك على بن أبى طالب فى مكّة ليؤدى الديون التى عليه والأمانات إلى أهلها، وأمره ليلة خرج إلى الغار وقد أحاط المشركون بالدار، أن ينام على فراشه، وقال له: اتشح ببردى الأخضر ونم على فراشى فإنه لا يصل منهم إليك مكروه إن شاء اللّه، ففعل ذلك على عليه السلام فأوحى اللّه تعالى إلى جبرئيل وميكائيل أنى آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من الآخر، فأيكما يؤثر صاحبه بالحياة؟ فاختار كلاهما الحياة، فأوحى اللّه تعالى إليهما: أفلا كنتما مثل على؟ آخيت بينه وبين محمّد فبات على فراشه يفديه بنفسه ويؤثره بالحياة، أهبطا إلى الأرض فاحفظاه من عدوّه، فنزلا فكان جبرئيل عند رأسه وميكائيل عند رجليه ينادى: بَخٍّ بَخٍّ لَكَ يَابْنَ ابِى طالِبٍ، مَنْ مِثْلُكَ؟ وَقَدْ باهَى اللّهُ بِكَ مَلائِكَةَ السَّماواتِ وَفَاخَرَ بِكَ». «۱» فهل يتصور مقام أعلى من هذا المقام؟! ومن هنا ندرك أن الشيعة عندما يعظّمون أهل هذا البيت ويتبعون أميرالمؤمنين عليه السلام فإن ذلك لا يعنى التعصّب الأعمى على مستوى الحساسيّة المذهبية بل بسبب مقاماته المعنوية السامية وفضائله الكثيرة.

توصية الآية

كلّ شىء فى سبيل نيل رضا اللّه

كلّ شىء فى سبيل نيل رضا اللّه بالرغم من أن الآية الشريفة كما أشرنا سابقاً، نزلت فى ليلة هجرة النبى صلى الله عليه و آله وفى شأن الإمام على عليه السلام، ولكنها كسائر الآيات القرآنية تتضمن حكماً كلياً وعاماً، فمن حيث إن هذه الآية تقع فى مقابل الآية السابقة «وَمِنَ النّاس مَنْ يُعْجِبُكَ ...» فيتضح جيداً أن هذه الطائفة من الناس التى تشير إليها هذه الآية محل البحث تقع فى مقابل الطائفة السابقة، ويتمتع أفرادها بصفات وخصائص تقع فى النقطة المقابلة لصفات اولئك وخصائصهم، آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۲۷ فاولئك أفراد يتسمون بالأنانية والغرور والعناد والتكبّر ويتعاملون مع الناس بلغة النفاق والرياء ويتظاهرون أنهم إنما يريدون الإصلاح ويتحركون فى خطّ الإيمان ظاهراً ولكنّ سلوكهم وأفعالهم ليس فيها سوى الإفساد فى الأرض وهلاك الحرث والنسل، ولكن هذه الطائفة فى آية ليلة المبيت لا يتعاملون مع أحدٍ سوى اللّه تعالى ولا يبخلون بشىءٍ فى سبيله ولا يطلبون سوى رضاه ولا يرون العزّة والكرامة إلّاتحت ظلّه وعنايته، ولذلك فإنّ أمر الدين والدنيا يتقوّم بتضحية هؤلاء وحركتهم الإصلاحية فى خطّ الرسالة والمسؤولية والحقّ والحقيقة «۱». إنّ توصية هذه الآية الشريفة لجميع المسلمين هو أن يخرجوا من أجواء الطائفة الاولى ويدخلوا فى أجواء الطائفة الثانية ... وطبعاً ليس هذا بالأمر الهيّن. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۲۹

آية سقاية الحاج

اشارة

آية سقاية الحاج ۲ [سورة التوبة (۹): الآيات ۱۹ الى ۲۲] ثانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الـدُّنْيا خِزْيٌ وَ نُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ عَذابَ الْحَرِيقِ (۹) «سورة التوبة/ الآيات ۱۹- ۲۲

أبعاد البحث

أبعاد البحث فى هذه الآية الشريفة التى تعرف بين المفسّرين بآية «سقاية الحاج» نواجه فضيلة اخرى من فضائل الإمام على عليه السلام حيث تفضى إلى إثبات إمامته وخلافته بعد رسول اللّه، وتبيّن أن الأشخاص الذين يرون أن سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام تساوى الإيمان باللّه والهجرة والجهاد فى سبيله، بعيدون عن طريق الصواب، وسيأتى تفصيل ذلك فى طيّات البحث.

شأن النزول

شأن النزول إنّ آية «سقاية الحاج» تخبرنا عن حادثة وقعت فى عصر الرسالة ولا تهدف إلى بيان آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۳۰ قانون كلّى فى ذلك، أى أن هذه الحادثة والمقارنة المذكورة فى الآية الشريفة وقعت عملًا فى الواقع الخارجى، فلآية الشريفة شأن نزول خاصّ ولهذا ذكر لها موارد عديدة فى شأن نزولها وخلاصة ما ورد فى شأن النزول المعروف لها هو: إنّ العبّاس ابن عبدالمطلب وشيبة قعدا يفتخران فى المسجد الحرام فقال العبّاس لشيبة: أنا أشرف منك، أنا عمّ رسول اللّه ووصى أبيه وساقى الحجيج «۱». فقال شيبة: أنا أشرف منك أنا أمين اللّه على بيته وخازنه «۲»، أفلا إعتمنك كما إعتمننى؟ فاطلع عليهما علىّ ابن أبى طالب عليه السلام فأخبراه بما قالا فقال على: أنا أشرف منكما، أنا أوّل من آمن وهاجر «وعليه فإنه لا افتخار فى سقاية الحاج أو عمارة المسجد الحرام» بل الفخر بالإيمان باللّه والهجرة فى خطّ الإيمان به والجهاد فى سبيله. فلما سمع العبّاس ذلك انطلق إلى رسول اللّه صلى الله عليه و آله وذكر له ما جرى بينه وبين الإمام على عليه السلام وشكاه عنده على أساس أن الإمام على عليه السلام قد ادحض حجّته وأهمل مقامه ومنزلته. فأرسل النبى الأكرم صلى الله عليه و آله شخصاً فى طلب الإمام على فعندما حضر بين يديه سأله النبى عن الواقعة وقال له: ماذا قلت لعمّك العبّاس حتّى أغضبته؟ فقال علىّ عليه السلام: لم أقل سوى الحقّ ولكن عمّى غضب من كلام الحقّ، ثمّ بيّن لرسول آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۳۱ اللّه صلى الله عليه و آله المحادثة التى جرت بينهم وأضاف إننى لم أكن فى مقام التظاهر بالفخر والتعريف بنفسى بل أردت أن أقول أن سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام لا تعتبر أرقى افتخار يناله الإنسان بل هناك مقامات أعلى وافتخارات أكبر من ذلك، وهنا نزلت الآية الشريفة محل البحث وأيّدت كلام الإمام على عليه السلام «۱». وقد ورد شأن النزول هذا فى اثنى عشر كتاباً على الأقل معروفاً لدى أهل السنّة تتحدّث عن تفسير القرآن، أو التاريخ الإسلامى، أو الروايات الشريفة فمن ذلك: ۱- أسباب النزول لمؤلفه العلّامة الواحدى «۲». ۲- تفسير العلّامة خازن البغدادى «۳». ۳- تفسير العلّامة القرطبى «۴». ۴- تفسير الفخر الرازى «۵». ۵- الدرّ المنثور للعلّامة السيوطى «۶». ۶- تفسير أبو البركات النّسفى «۷». ۷- الفصول المهمّة للصبّاغ المالكى «۸». ۸- كفاية الطالب للگنجى الشافعى «۹». ۹- تاريخ الخطيب البغدادى «۱۰». آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۳۲ ۱۰- مناقب ابن المغازلى «۱». ۱۱- تاريخ ابن العساكر «۲». ۱۲- ربيع الأبرار للزمخشرى «۳». وعلى هذا الأساس فإن شأن النزول المذكور لا يدانيه شك ولا ريب.

ملاحظة مهمّة!

ملاحظة مهمّة! بلا شكّ كان العبّاس ابن عبدالمطلب عند نزول آية سقاية الحاج مؤمناً مجاهداً وهكذا الحال مع «شيبة» فقد كان مؤمناً وله سوابق جهادية، إذن فكيف افتخر الإمام على عليه السلام بإيمانه وجهاده عليهما والحال أنهما يتصفان بصفة الإيمان والجهاد أيضاً؟ وجواب هذا السؤال هو أن الإمام على عليه السلام أراد أن يقول لهما أنا أوّل شخص آمنت باللّه وبرسوله من الرجال وأوّل شخص هاجر إلى المدينة بعد هجرة النبى الكريم صلى الله عليه و آله، وأوّل مجاهد فى سبيل اللّه ورسوله، وبهذا فقد سبقهما فى الإسلام والهجرة والجهاد، وهذه الفضيلة منحصرة فى علىّ بن أبى طالب.

الشرح والتفسير: الإيمان باللّه، أفضل الامور!

الشرح والتفسير: الإيمان باللّه، أفضل الامور! «أَ جَعَلْتُمْ سِقايَةَ الْحاجِّ وَ عِمارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ جاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ». من هذا السياق للآية الشريفة يتّضح جيّداً وقوع مثل هذه المقارنة بين سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام من جهة، وبين الإيمان باللّه والجهاد فى سبيله من جهة اخرى، ولكن اللّه تعالى قرّر أنّ هذه المقارنة غير صحيحة وغير سليمة فإنّ الإيمان باللّه واليوم الآخر آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۳۳ والجهاد فى سبيل اللّه لا يقارن مع سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام لأن الإيمان والجهاد بلا شكّ أعلى وأفضل من السقاية والعمارة. «وَ اللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ» ولعلّ هذا التعبير يشير إلى أن المقارنة المذكورة ليست فقط غير صحيحة بل هى نوع من الظلم للشخص الذى سبق الناس فى الإيمان باللّه واليوم الآخر والجهاد فى سبيله. «الَّذِينَ آمَنُوا وَ هاجَرُوا وَ جاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَ أُولئِكَ هُمُ الْفائِزُونَ» فهؤلاء الذين تحركوا بهدف حفظ إيمانهم ونشر الدين والرسالة السماوية من موقع الهجرة وضحّوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل اللّه وإعلاء كلمته هم أفضل عند اللّه وأعظم درجة. وبعد أن يردّ اللّه تعالى فى الآية الاولى أصل المقارنة المذكورة يعبّر عنها بأنها نوع من الظلم ويصرّح فى هذه الآية بأن الإيمان والهجرة والجهاد أهم وأعظم من السقاية والعمارة. «يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَ رِضْوانٍ» فبعد أن يردّ على المقارنة المذكورة ويصرح بأن الإيمان والجهاد والهجرة أفضل وأعظم يشير فى الآيتين التاليتين إلى عاقبة أهل الإيمان والجهاد والهجرة ويبشّرهم بما يلى: ۱- إنّ اللّه تعالى يبشّر هؤلاء بأنهم مشمولين برحمته ومرتبة القرب منه. ۲- البشارة الاخرى هى أن اللّه تعالى قد رضى عنهم، وما أعظم النعمة فى أن يعلم الإنسان بأن محبوبه ومعبوده راضٍ عنه! ۳- «وَ جَنَّاتٍ لَهُمْ فِيها نَعِيمٌ مُقِيمٌ* خالِدِينَ فِيها أَبَداً» وليست البشارة بجنّة واحدة بل ورد التعبير بجنّات ونِعم ومواهب خالدة فى ذلك العالم، ومعلوم أن أحد معايب النِعم الدنيوية هى أنها معرّضة للزوال والفناء ولكنّ النِعم والمواهب الاخروية خالدة وباقية أبداً. «أَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ» فهل أن هذه الجملة بشارة إلى نعمة اخرى قد أعدّها اللّه تعالى لأهل الإيمان والجهاد والهجرة مضافاً إلى رحمة اللّه ورضوانه والجنّات الخالدة، وهى النعمة التى لا يمكن للإنسان أن يتصورها ولا يقدر على وصفها ولذلك أجملت الآية بيانها، أو أنها إشارة إلى النِعم والمواهب المذكورة آنفاً وهى تأكيد لها. كلا الإحتمالين واردان فى مفهوم الآية الشريفة. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۳۴

إرتباط آية سقاية الحاج مع الإمامة

إرتباط آية سقاية الحاج مع الإمامة بما أن الإمام على عليه السلام يتمتع بفضيلة السبقة إلى الإيمان والجهاد وليس أحد من المسلمين غيره يتمتع بهذه الفضيلة، فعليه يكون الإمام على عليه السلام أفضل المسلمين، ومن الواضح أن اللّه تعالى إذا أراد نصب خليفة لرسوله فإنه لا يتجاوز الأفضل فيختار المفضول بل وحتّى الفاضل، لأن اللّه تعالى حكيم وتقديم المفضول على الفاضل والفاضل على الأفضل يخالف مقتضى الحكمة الإلهية، ولو كانت مسألة الخلافة انتخابية فإنّ عقلاء الناس لا يتوجهون ويختارون الفاضل أو المفضول مع وجود الأفضل، وعليه فإنّ هذه الآية الشريفة يمكنها أن تكون دليلًا لإثبات إمامة أميرالمؤمنين.

اعتراف أحد علماء السنّة

اعتراف أحد علماء السنّة وقد ذكر أحد علماء السنّة أنه: «أنتم الشيعة يمكنكم إثبات جميع اصول الدين التى تعتقدون بها بواسطة الروايات الموجودة فى كتبنا، لأن كتبنا ومصادرنا الروائية مليئة بالروايات التى تؤيد عقائدكم وآراءكم». ثمّ أضاف يقول: «إنّ قدماءنا كانوا سطحيين وساذجين حيث كانوا ينقلون أيّة رواية تصل إليهم فى كتبهم» «۱». ونحن نتعجب من هذا التناقض، لأنهم يذكرون بالنسبة إلى كتبهم ومصادرهم وخاصّة «الصحاح الستة» على مستوى التعريف والثناء والمدح: «إنّ روايات هذه الكتب منتخبة بدقّة كبيرة وجميع الروايات المذكورة فيها معتبرة لأنه أحياناً يتمّ انتخاب عدد قليل من الروايات من بين ألف رواية» «۲». آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۳۵ ألا يتناقض هذا الكلام مع كلام ذلك العالم السنّى المذكور آنفاً؟ إنّ هذه الأشكال من التناقض هى نتيجة نوعية التفكير لدى الإنسان الذى يؤمن أوّلًا ثمّ يتوجه نحو الآيات والروايات الشريفة ويحاول إسقاط عقائده عليها، ولو أن الإنسان حضر مقابل الآيات والروايات وجلس متتلمذاً عندها ومستوحياً من مضامينها ومرتوياً من منهلها فإنه سوف لا يواجه مثل هذا التناقض العجيب.

توصية الآية

اشارة

الإتّباع العملى لأولياء الدين إنّ بيان فضائل ومناقب الأئمّة الأطهار عليهم السلام وخصوصيّاتهم الأخلاقية والإجتماعية والسياسية أمر جيّد وضرورى ولكنه لا يكفى فى مقام الإعتقاد والإيمان بل ينبغى على الإنسان أن يجعلهم اسوة وقدوة له فى ممارساته وسلوكياته فى حركة الحياة والواقع الإجتماعى، وفى الآيات مورد البحث نقرأ ثلاثة امور بعنوان أنها أركان الدين، وأن الإمام على عليه السلام قد بلغ ما بلغ من المرتبة السامية بسبب حركته فى خطّ هذه الأركان الثلاثة وهى: الإيمان، الهجرة، الجهاد فى سبيل اللّه بالمال والنفس. فإذا أردنا الإقتداء بالإمام على عليه السلام وبأولياء الدين فلابدّ من تجسيد هذه الاصول الثلاثة فى حياتنا العملية وإحيائها فى أعماق وجودنا وقلوبنا. ومن أجل تقوية الإيمان فى وجودنا هناك طريقان: الأوّل: مطالعة ودراسة الشىء الذى نؤمن به، مثلًا لأجل تقوية إيماننا باللّه وتعميقه فى قلوبنا لابدّ من النظر والتفكّر فى أسرار عالم الخلقة والسعى إلى زيادة الآفاق العلمية فى أسرار الكون وآيات الكتاب السماوى كما يحثّنا القرآن دائماً على ذلك، والخلاصة هى أن تعميق الإيمان بأى شىء يحتاج إلى دراسة ذلك الشىء والإنفتاح الفكرى على تفاصيله. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۳۶ الثانى: هو طريق بناء الذات وتهذيب النفس وتطهير القلب من شوائب التعلّقات الدنيوية، لأن الإيمان نور يشرق على قلب الإنسان، وكلّما كانت مرآة القلب صافية وشفافة انعكس النور عليها بصورة أفضل، فلو كان القلب ملوثاً بالخطايا والذنوب فإنّ مرآة القلب لا تعكس نور الإيمان حينئذٍ بصورة جيّدة. وأما بالنسبة إلى الهجرة فقد يتصور البعض أن هذا الأصل المهم فى أجواء الدين السماوى خاصٌّ بالمسلمين فى صدر الإسلام، وبعد هجرة المسلمين إلى المدينة انتهى عهد الهجرة فى حين أن روايات أهل البيت عليهم السلام تقرر خلاف هذا المطلب، حيث نقرأ فى الرواية الواردة عن الإمام على عليه السلام قوله: «الْهِجْرَةُ قائِمَةٌ عَلى حَدِّها الْاوَّل». «۱» وتأسيساً على هذا فإنّ الهجرة مستمرّة كالإيمان والجهاد إلى يوم القيامة، والواجب على المسلمين أن يهاجروا فى مختلف الظروف والأحوال، وطبعاً ففى الكثير من الحالات يختلف شكل الهجرة، ولذلك نقرأ قول الإمام على عليه السلام: «يَقُولُ الرَّجُلُ هاجَرْتُ وَلَمْ يُهاجِرْ، انَّمَا الْمُهاجِرُ مَنْ هاجَرَ السَّيِّئاتِ وَلَمْ يَأْتِ بِها» «۲». أجل، فالمهاجر الحقيقى هو الشخص الذى ترك القبائح والرذائل والذنوب وتحرّك فى خطّ الطاعة والعبودية والتقوى وهاجر من السيئات إلى الحسنات والأعمال الصالحة، والمهاجر الواقعى هو الشخص الذى يهجر أصدقاء السوء ورفاق مجالس البطالين والملوثين بالذنوب ويبتعد عنهم، الهجرة من المال الحرام، من المقام الحرام، من الذنوب، واجبة ولازمة، وبديهى أن هذا النمط من الهجرة لا يختصّ

بالمسلمين فى أوائل البعثة بل هو وظيفة جميع المسلمين إلى يوم القيامة. وأمّا الأصل الثالث وهو الجهاد بالنفس والمال فذلك أيضاً مورد الإبتلاء فى كلّ عصر وزمان، فالجهاد بالنفس والمال لا يقبل التعطيل والنسخ وخاصّة مع وجود الأعداء الحاقدين الذين يعبّر عنهم القرآن الكريم «قَدْ بَدَتِ الْبَغْضاءُ مِنْ أَفْواهِهِمْ» «۳»، الأعداء آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۳۷ الذين لا يلتزمون بأى مبدأ إنسانى وأصل أخلاقى ومستعدون لإرتكاب كلّ جناية وجريمة فى سبيل المحافظة على منافعهم اللامشروعة، ففى مقابل مثل هذا العدو الخطر ينبغى على المسلمين أن يكونوا مستعدين دائماً للتصدى له والجهاد ضده وأن يكونوا دائماً فى حيوية ونشاط وحماسة، ولهذا السبب فنحن نعتقد بأن الأشخاص الذين يتحركون على مستوى تضعيف أو إماتة روحية الشجاعة والجهاد والتصدى للظالمين فى نفوس المسلمين بذريعة الألعاب الملوّثة أو حتّى التسليات الدنيوية الرخيصة فإنّ هؤلاء يقومون بخيانة كبيرة لبلدهم ولأنفسهم ولدينهم. ربّنا، زد فى حرارة نور الإيمان فى قلوبنا حتّى نتمكن بنور الإيمان أن نهاجر من أجواء الذنوب الظلمانية وننقذ أنفسنا والآخرين بسلاح الجهاد فى سبيل اللّه.

الإتّباع العملى لأولياء الدين

بحثان

۱- لماذا لم يرد إسم الإمام على عليه السلام فى القرآن؟

۱- لماذا لم يرد إسم الإمام على عليه السلام فى القرآن؟ سؤال: إذا كان الإمام على عليه السلام هو المنصوب من اللّه لأمر الخلافة بعد رسول اللّه صلى الله عليه و آله مباشرة- كما تعتقدون بذلك وتسعون لإثبات هذا المطلب من خلال الآيات القرآنية- إذن فلماذا لم يرد اسم الإمام على بصراحة فى القرآن الكريم حتّى ننتهى من كلّ هذه الأبحاث والإختلافات؟ الجواب: نظراً إلى أن إسم «على» لم يكن منحصراً بالإمام على عليه السلام كما هو الحال فى «أبو طالب» حيث لم تكن هذه الكنية منحصرة بوالده، بل هناك العديد من الأشخاص بين العرب يسمون باسم «على» و «أبو طالب» وعلى هذا الأساس لو ورد اسم «على» بصراحة فى القرآن الكريم فإن هؤلاء الأشخاص الذين لم يروق لهم قبول هذه الحقيقة سيتحركون بذرائع مختلفة إلى تطبيق هذا الإسم على شخص آخر، ولهذا كان من الأفضل ذكر الصفات والخصائص المنحصرة بالإمام على عليه السلام فى القرآن الكريم وتعريفه للناس من هذا الطريق لكيلا يتم تطبيق هذه الصفات والخصائص على غيره من الأشخاص، ولهذا اختار اللّه تعالى فى القرآن الكريم هذا المنهج والسبيل لإرشاد الناس إلى الإمام على عليه السلام بعنوانه ولىّ آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۳۸ المؤمنين وخليفة رسول اللّه صلى الله عليه و آله بلا فصل، رغم أن الأشخاص الذين فى قلوبهم مرض ويتحركون فى خطّ الإنحراف والزيغ يفسّرون هذه الآيات الكريمة بشكل آخر. سؤال آخر: ورد فى الحديث الشريف عن يونس بن عبدالرحمن قال: قلت لأبى الحسن الرضا عليه السلام: إن قوماً طالبونى باسم أميرالمؤمنين فى كتاب اللّه عزّوجلّ، فقلت لهم: من قوله تعالى: «وَ جَعَلْنا لَهُمْ لِسانَ صِدْقٍ عَلِيًّا» «۱». فقال: «صَدَقْتَ هُوَ هكَذا» «۲». فهل أن هذه الرواية تتفق مع ما ذكرتم من عدم ذكر اسم الإمام على عليه السلام صريحاً فى القرآن الكريم؟ الجواب: بلا شكّ إنّ مفردة «عليّا» الواردة فى الآية الشريفة هذه ليست اسم شخص معيّن (أى ليست اسم علم) بل هى وصف لكلمة «لسان»، وأما الرواية المذكورة فغير معتبرة من حيث السند، لأن أحد رواتها «أحمد بن محمّد السيارى» وهو ضعيف جدّاً، وهو الشخص الذى نقل الكثير من روايات تحريف القرآن، ولهذا فالروايات التى يقع فى سندها هذا الرجل غير مقبولة وغير معتبرة، ويقول العلّامة الاردبيلى فى شرح حاله: «هو رجل ضعيف وفاسد المذهب ورواياته فارغة وغير قابلة للاعتماد» «۳» وعلى هذا الأساس فالرواية أعلاه غير معتبرة.

۲- لماذا لم يقضِ النبى صلى الله عليه و آله على المنافقين؟

۲- لماذا لم یقضِ النبی صلی الله علیه و آله علی المنافقین؟ سؤال: إنّ المنافقین وجّهوا بلا شکّ فی عصر النبی صلی الله علیه و آله وبعد رحلته ضربات قاسیة للدعوة الإسلامیة وللمجتمع الإسلامی وهم الذین تبنوا الإنحراف الذی حصل فی مسألة الخلافة والإمامة، ولا شکّ أن النبی الأکرم صلی الله علیه و آله کان یعرف هؤلاء الأشخاص ویعلم بنفاقهم، ومع الإلتفات إلی هذا المعنی فلماذا لم یتحرک النبی صلی الله علیه و آله فی حال حیاته للقضاء آیات الولایة فی القرآن، ص: ۲۳۹ علیهم لیضمن بذلک سلامة الدعوة الجدیدة والامّة الإسلامیة؟ الجواب: إنّ النبی الأکرم صلی الله علیه و آله أجاب علی هذا السؤال فی حدیث شریف حیث قال: «لولا إنّی أکره أن یقال: إن محمّداً استعان بقوم حتّی إذا ظفر بعدوّه قتلهم، لضربت أعناق قوم کثیر» «۱». ولکن مع الإلتفات إلی هذا الإتّهام الذی یفضی فی الواقع إلی اهتزاز عقیدة الناس بالنبوّة والدین الجدید، فمن أجل أن لا یثور هذا التوهم والتصور فی أذهان الناس فإنّ النبی لم یحرک ساکناً ضد المنافقین بل کان یتحمل آذاهم ویصبر علی مشاکساتهم. آیات الولایة فی القرآن، ص: ۲۴۱

آیة النصرة

اشارة

آیة النصرة ۳ [سورة الأنفال (۸): آیة ۶۲] إِنَّ فِی ذلِکَ لَآیَةً وَ ما کانَ أَکْثَرُهُمْ مُؤْمِنِینَ (۸) «سورة الأنفال/ الآیة ۶۲»

أبعاد البحث

أبعاد البحث هذه الآیة الشریفة التی تسمّی بآیة النصرة هی آیة اخری من آیات فضائل ومناقب أمیرالمؤمنین علیه السلام. سؤال: إنّ موضوع البحث هو الآیات المتعلقة بمسألة الإمامة والخلافة لأمیرالمؤمنین علیه السلام فما هو ارتباط هذه الآیة مع مسألة الإمامة؟ الجواب: إنّ الآیات المستخدمة لإثبات إمامة وخلافة أمیرالمؤمنین علیه السلام بعد رسول اللّه صلی الله علیه و آله علی قسمین: القسم الأوّل: الآیات التی تدلُّ بصراحة ووضوح علی إمامة أمیرالمؤمنین مثل آیة «إکمال الدین» و «آیة الولایة» وأمثال ذلک التی تقدّم الکلام عنها فی الفصل الأوّل. القسم الثانی: الآیات التی لا تدلُّ علی مسألة الإمامة والخلافة بصورة مباشرة بل تتضمن فضائل أمیرالمؤمنین الخاصّة، وبالإمکان مع الإستعانة بمقدمة عقلیة إثبات الإمامة أیضاً بهذه الآیات الکریمة، کما تقدّم نظیر ذلک فی الآیات السابقة وسیأتی أیضاً فی شرح وتفسیر آیة النصرة وسائر الآیات من هذا القبیل. آیات الولایة فی القرآن، ص: ۲۴۲

الشرح والتفسیر: التعبئة الکاملة والإستعداد التام

الشرح والتفسیر: التعبئة الکاملة والإستعداد التام لأجل توضیح مضمون آیة النصرة نری من اللازم الحدیث عن آیات ۶۰- ۶۳ من سورة الأنفال، وهی قوله تعالی: «وَ أَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَ مِنْ رِباطِ الْخَیْلِ». هذه الآیة الشریفة مطلقة وتستوعب جمیع الأمکنة والأزمنة والأدوار التاریخیة فی المجتمعات الإسلامیة، لأنها لا تتحدّث عن أسلحة معیّنة وخاصّة ینتهی مفعولها بانتهاء زمانها وتخرج من حیّز الإستعمال، بل ورد التعبیر بکلمة «قوّة» أی أن المسلمین یجب علیهم التهیؤ دائماً للأعداء والتسلّح بأنواع الأسلحة التی تثیر فیهم القوّة والقدرة علی التصدی لأعداء الإسلام فیجب علیهم أن یتسلحوا بالأسلحة المتطورة ویجهّزوا جیوشهم بالأنظمة العسکریة المتقدمة، وکلمة «قوّة» تشمل مضافاً إلی الأسلحة الأشیاء الاخری التی تستخدم فی الحرب ضد الأعداء من قبیل: أجهزة الإعلام التی تعتبر فی العصر الحاضر سلاحاً فعّالًا یستخدم فی القضاء علی روحیة العدو، کما أن هذه الکلمة تشمل أیضاً الامور الاقتصادیة والأخلاقیة والإجتماعیة کذلک، والخلاصة إنّها تطلق علی کلِّ ما ینفع المسلمین فی جهادهم ضد العدو ویمکّن المسلمین من إجهاض محاولاته الرامیة إلی الإستیلاء علی البلاد الإسلامیة والقضاء علی الإسلام. «تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَ عَدُوَّکُمْ وَ آخَرِینَ مِنْ

دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ یَعْلَمُهُمْ». فی هذا المقطع من الآیة الشریفة یتحدّث القرآن عن الهدف والغایة من تهیئة وسائل القوّة والسلاح للمسلمین، فالهدف من هذا التهیؤ والإستعداد لیس هو قتل الناس وتخریب العالم والإغارة علی المساکین والمحرومین بل الهدف هو الدفاع المشروع فیجب تعبئة جمیع القوی والطاقات وتهیئة جمیع أنواع الأسلحة لکیلا یتجرأ العدو علی الهجوم علی البلد الإسلامی بل لا ـ یدور فی ذهنه أن یهجم یوماً علیکم، لأن الظالمین والجبّارین متی ما وجدوا فرصة للهجوم والغارة علی الضعفاء والدول الفقیرة والضعیفة فإنهم لا یجدون رادعاً أمامهم من العدوان والحرب، والقوّة العسکریة هی العامل الأساس لمنع هؤلاء من آیات الولایة فی القرآن، ص: ۲۴۳ عدوانهم، ولذلک فإنّ رفع المستوی العسکری بإمکانه أن یخیف الأعداء، أی أعداء اللّه وأعداءکم، والعدو الظاهر والعدوّ الخفی والمستور، فالهدف من زیادة القوّة الدفاعیة والقدرة العسکریة یجب أن یکون من منطلق الدفاع المنطقی والمشروع أمام تعدّی الآخرین. «وَ ما تُنْفِقُوا مِنْ شَیْءٍ فِی سَبِیلِ اللَّهِ یُوَفَّ إِلَیْکُمْ وَ أَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ». بلا شک فإنّ تقویة البنیة الدفاعیّة للبلد الإسلامی ورفع مستوی القوّة العسکریة لجیش الإسلام واستخدام مختلف الأسلحة المتطورة ورفع المستوی الفنی، الإقتصادی، الإعلامی، الأخلاقی، الإجتماعی وأمثال ذلک رغم أنه یحتاج إلی رصید مالی ضخم وکبیر ولکن یجب علی المسلمین تأمین هذه النفقات فکلّما ینفق فی هذا السبیل وفی خطّ تقویة الإسلام والبلد الإسلامی فإنّ اللّه تعالی سیعیده إلیکم وسوف لا تتضررون من ذلک حتماً. «وَ إِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَها وَ تَوَکَّلْ عَلَی اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِیعُ الْعَلِیمُ». فرغم أن المسلمین ینبغی علیهم تعبئة جمیع طاقاتهم ورفع مستواهم العسکری والنظامی ولکن إذا أراد العدو یوماً أن یمدّ إلیکم ید الصلح فعلی المسلمین أن یقبلوا بذلک ولا ینبغی علیهم الإصرار علی الحرب، فهذه الآیة الشریفة تعتبر جواباً قاطعاً لبعض الأبواق الإستعماریة التی تصر علی أن الإسلام دین السیف ویدعو إلی الحرب دائماً، فإنّ الإسلام إذا کان دین الحرب فلا معنی لأن یدعو إلی الصلح ویفرض علی المسلمین أن یصافحوا الید التی تمتد إلیهم بالصلح والسلم. ثمّ إنّ اللّه تعالی یحذّر المسلمین: «وَ إِنْ یُرِیدُوا أَنْ یَخْدَعُوکَ فَإِنَّ حَسْبَکَ اللَّهُ هُوَ الَّذِی أَیَّدَکَ بِنَصْرِهِ وَ بِالْمُؤْمِنِینَ». فرغم أن الإسلام یدعو إلی الصلح ویأمر المسلمین کذلک أن یستجیبوا لدعوات الصلح التی تصدر من العدو ولکنه یحذّر المسلمین أن یأخذوا جانب الحیطة والحذر من مکر الأعداء وخدعهم، فحتّی فی حال الصلح یجب علی المسلمین أن یحتفظوا بقوّتهم العسکریة وقدرتهم الدفاعیة بأعلی المستویات لکیلا یطمع فیهم العدو ویستغل هذه الفرصة فی أجواء الصلح ویهاجم المسلمین علی حین غرّة، فقد یکون طلبه للصلح بسبب أنه وجد آیات الولایة فی القرآن، ص: ۲۴۴ نفسه ضعیفاً ویرید أن یجدد قواه ویزید من قدراته العسکریة فیقترح علی المسلمین الصلح الکاذب ویشغلهم مدّة لمحادثات الصلح حتّی یتهیأ من جدید لانزال ضربة قاصمة بالمسلمین، ولکنّ المسلمین إذا تحرکوا فی أجواء الصلح من موقع الحذر والإحتیاط واحتفظوا بقواهم العسکریة فإنهم سیأمنون من کید العدو، الإمام علی علیه السلام یوصی قائده الشجاع مالک الأشتر فی عهده له بأن یستغل أیة فرصة للصلح مع العدو ولکنه یحذّره من مکر الأعداء ویقول: «ولا تدفعنّ صلحاً دعاک إلیه عدوّک وللّه فیه رضی ... ولکن الحذر کلّ الحذر من عدوّک بعد صلحه، فإنّ العدوّ ربّما قارب لیتغفّل فخذ بالحزم، واتّهم فی ذلک حسن الظّن». «۱» ثمّ إنّ اللّه تعالی فی ختام الآیة الشریفة یقول للنبی الکریم صلی الله علیه و آله بأن اللّه تعالی سیکفیک مکرهم فی هذه الصورة فهو الذی أیّدک بنصره وبالمؤمنین: «وَ أَلَّفَ بَیْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ ما فِی الْأَرْضِ جَمِیعاً ما أَلَّفْتَ بَیْنَ قُلُوبِهِمْ وَ لکِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَیْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِیزٌ حَکِیمٌ». فلیس بإمکانک أن تؤلف بین قلوب العرب والقبائل العربیة المتنازعة والمتعادیة بأدوات المال والقوّة وأمثالها فلو أنک أنفقت علیهم جمیع ثروات الأرض لم تتمکن من تألیف قلوبهم ولکنّ اللّه تعالی هو الذی ألّف بینهم، وهذه نعمة عظیمة علیک وعلی المسلمین. إنّ الآیات الأربع المذکورة آنفاً تحتاج إلی أبحاث معمّقة ودراسات کثیرة لاستکشاف مضامینها واستجلاء معانیها ولکننا نکتفی بهذا المقدار ونصرف النظر إلی مباحث اخری.

من هم المؤمنون؟

من هم المؤمنون؟ سؤال: فی حقّ من نزلت آیة النصرة هذه، ومن هو المقصود بالمؤمنین؟ آیات الولایة فی القرآن، ص: ۲۴۵

الجواب: وردت روايات كثيرة فى هذا المجال ذكرها العلّامة الأمينى فى «الغدير» «۱»، وكذلك ذكرها صاحب «احقاق الحقّ» «۲» وهذه الروايات على قسمين: الأوّل: الروايات التى تقول: بأن أوّل ناصر ومعين للنبى الأكرم صلى الله عليه و آله هو الإمام على عليه السلام وهذه الآية الشريفة تشير إلى الإمام على. الثانى: الروايات التى تتحدّث عن نصرة الإمام على عليه السلام للنبى ولكنّها لا تذكر شيئاً عن تطبيق آية النصرة عليه، ونكتفى بذكر رواية واحدة من كلٍّ من هذين القسمين: ۱- ما أورده ابن عساكر صاحب كتاب «تاريخ دمشق» عن أبى هريرة «۳» أنه قال: «مَكْتُوبٌ عَلَى الْعَرْشِ لا الهَ إلّاأَنَا وَحْدِى، لا شَريكَ لى، وَمُحَمَّدٌ عَبْدى «۴» وَرَسُولى، ايَّدْتُهُ بِعَلِيٍّ وَذلِكَ قَوْلُهُ «هُوَ الَّذِى أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَ بِالْمُؤْمِنِينَ»». «۵» وهنا لابدّ من التلميح بثلاث نقاط: أوّلًا: بالرغم من أن أبا هريرة لم يصرّح بنسبة هذه الرواية إلى النبى الأكرم صلى الله عليه و آله ولكن مع الأخذ بنظر الإعتبار جملة «مَكْتُوبٌ عَلَى الْعَرْشِ» يتّضح جيّداً أن أبا هريرة سمعها من النبى لأنه لا يمكنه أن يدّعى هذا بنفسه. ثانياً: إنّ شأن نزول آيات القرآن على نحوين: الأوّل: شأن النزول المنحصر بفرد معيّن مثل آية «إكمال الدين» و «آية الولاية» وأمثالهما من الآيات التى نزلت فى شأن علىّ ابن أبى طالب بالخصوص ولا تستوعب فى أجواءها غيره من المسلمين. الثانى: شأن النزول العامّ والذى لا ينحصر بفرد معيّن ولكن هناك مصداق أكمل لمضمون هذه الآيات الشريفة حيث يرد ذكر هذا المصداق عادةً فى الروايات من قبيل «آية آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۴۶ النصرة» الواردة فى حقّ المسلمين بشكل عامّ ولكنّ الإمام على عليه السلام هو المصداق البارز والكامل لها. ثالثاً: مضافاً إلى ابن عساكر هناك مؤرّخين وعلماء نقلوا فى كتبهم هذه الرواية أيضاً ومنهم: الف) محبّ الدين الطبرى فى «الرياض» «۱». ب) السيوطى فى «الدرّ المنثور» «۲». ج) القندوزى فى «ينابيع المودّة» «۳». د) العلّامة الگنجى فى «كفاية الطالب». «۴» ۲- وقد ذكر العلّامة الأمينى روايات كثيرة بأسناد اخرى أن الإمام على عليه السلام هو أوّل ناصر للنبى صلى الله عليه و آله ولكنّها لا تصرّح بأن المراد من الآية الشريفة هو علىّ بن أبى طالب، ومن جملة هذه الروايات ما ورد عن «أنس بن مالك» عن النبى الأكرم صلى الله عليه و آله أنه قال: «لَمَّا عُرِجَ بِى: رَأَيْتُ عَلى ساقِ العَرْشِ مَكْتُوباً: لا- الهَ إلَّااللَّهُ، محمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، ايَّدْتُهُ بِعَلِيٍّ، نَصَرْتُهُ بِعَلِيٍّ» «۵». الحديث الشريف هذا مذكور فى مختلف كتب أهل السنّة ومنها: ۱- ذخائر العقبى «۶». ۲- مناقب الخوارزمى «۷». ۳- فرائد الحموينى «۸». آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۴۷ ۴- الخصائص الكبرى للسيوطى «۱» وكتب اخرى «۲». امّا ما ذكر فى هذا الحديث «على ساق العرش مكتوباً» فيدلُّ على أهمية هذه المسألة بحيث أنها كتبت على ساق العرش الإلهى وذكرت إلى جانب اسم اللَّه تعالى واسم رسوله اسم على ابن أبى طالب أيضاً، وهذا يدلُّ على أن الإمام على عليه السلام هو المصداق البارز والفرد الكامل لعنوان الناصر، وبديهى أن اللَّه تعالى إذا أراد أن يختار خليفة لرسوله الكريم فإنه يختار من بين المسلمين الأفضل والأكمل منهم لهذا المقام، وإذا أراد المسلمون أن يختاروا شخصاً لهذا المقام فإنّ العقل يحكم بضرورة اختيار مثل هذا الشخص.

توصية الآية

الدفاع عن الإسلام بكلّ القوى

الدفاع عن الإسلام بكلّ القوى رأينا فى الآيات الشريفة المذكورة آنفاً دور الإمام على عليه السلام وأهميته الكبيرة فى نصرة النبى الكريم صلى الله عليه و آله وحماية الرسالة السماوية، إنّ أميرالمؤمنين عليه السلام قد حصل على هذا المقام فى ظلّ تحركه الدائب وسعيه المستمر فى الدفاع عن قائد المسلمين فى أحلك الظروف وأشد الأزمات، وعندما كان الإسلام على شرف الإنهيار والسقوط فإنّ الإمام على عليه السلام كان يبذل كلّ ما اوتى من قوّة للدفاع عن هذا الدين الإلهى، مثلًا فى حرب احد حيث إنهزم جميع المسلمين وتركوا النبى صلى الله عليه و آله لوحده فى ميدان القتال نجد أن الإمام على عليه السلام استمر فى قتال الأعداء ومناجزتهم ولم يكن له علم بحال النبى صلى الله عليه و آله ولكنه كان يعلم أن النبى ما زال فى الميدان وأنه ليس بالإنسان الذى يفر من قتال

العدو، ولهذا ففى حين أنه كان مشغولًا فى قتال الأعداء كان يبحث عن النبى صلى الله عليه و آله فى الميدان فرآه فى أحد الجوانب وقد كسرت ثنيته المباركة وسال الدم من فمه وجبهته، فما كان من الإمام على عليه السلام إلّاأن أخذ يدور حوله ويذبّ الأعداء عنه حتّى تحمّل جراحاً بليغة فى سبيل الدفاع عن النبى صلى الله عليه و آله «۳»، وعلى الشيعة آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۴۸ أيضاً أن يبذلوا كلّ شىء من نفس ومال وأخلاق وحُسن معاشرة ومحبّة وعلم وجميع القابليات والإمكانات التى لديهم فى سبيل الدفاع عن الإسلام لكى يردوا يوم القيامة مرفوعى الرأس ولا يردون عرصات المحشر فى حالة الخجل من النبى صلى الله عليه و آله والإمام على عليه السلام. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۴۹

آية علم الكتاب

اشارة

آية علم الكتاب ۴ [سورة الرعد (۱۳): آية ۴۳] وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ وَ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتابِ (۴۳) «سورة الرعد/ الآية ۴۳»

أبعاد البحث

أبعاد البحث الآية الاخرى من آيات فضائل الإمام على عليه السلام التى يمكن اعتبارها دليلًا على إمامته هى آية «علم الكتاب» حيث تقرر هذه الآية أن النبى الأكرم صلى الله عليه و آله استشهد بشاهدين على صدق ادعائه: أحدهما اللَّه تعالى، والآخر «من عنده علم الكتاب» فكيف تقرر شهادة هذين على صدق دعوى النبى، ومن هو المراد ب «من عنده علم الكتاب»؟ فذلك ما سيأتى تفصيله لاحقاً، ولكن قبل استعراض تفسير الآية نرى أن من الضرورى الإشارة إلى مقدمة:

لا تقبلوا أمراً بدون دليل

لا تقبلوا أمراً بدون دليل إنّ أحد تعليمات القرآن الكريم الأساسية هو أنه يوصى جميع المسلمين بل جميع الناس أن لا يقبلوا شيئاً وفكرة وعقيدة بدون دليل، أجل فإنّ الإسلام يؤكد على قبول العقيدة إذا كانت مقترنة مع الدليل والبرهان. ونقرأ فى القرآن الكريم أربع آيات تشير إلى هذا الموضوع حيث تقول: آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۵۰ «قُلْ هاتُوا بُرْهانَكُمْ» «۱». المخاطَب فى هذه الآيات تارةً هم اليهود والنصارى حيث يأمر اللَّه تعالى نبيّه الكريم بأن يقول لهم أن يأتوا بدليل وبرهان على صدق مدّعياتهم (من قبيل أنه لا يرد أحد غيرهم الجنّة). وتارةً اخرى يكون المخاطب هم المشركون الذين يدّعون ادعاءات زائفة فى شأن الأصنام، فهؤلاء يجب عليهم أن يقدّموا الدليل العقلى على دعواهم وإلّا فلا يقبل منهم ما يقولون. بل إنّ أحد الآيات هذه تشير إلى يوم القيامة أيضاً، فهناك لو أن أحداً إدعى شيئاً يجب أن يكون ادعاؤه مقروناً بالدليل والبرهان. وعلى هذا الأساس يستفاد من الآيات أعلاه أنه لابدّ لكلّ قوم وأتباع كلّ مذهب أن يأتوا بالدليل على أفكارهم وعقائدهم «۲»، وهذه الثقافة القرآنية الراقية إذا تمّ تجسيدها على مستوى الممارسة والعمل فإنّ من شأنها أن تقف حائلًا أمام الخرافات والأفكار الزائفة آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۵۱ والعقائد الواهية وحتّى أمام الشائعات وأنواع التهم والتخرّصات، وفى مثل هذا المجتمع القرآنى لا يمكن لأى فئة مغرضة إيجاد حالة من التشويش والإضطراب فى الذهنية المسلمة ليصطادوا السمك فى الماء العكر ويركبوا أمواج الضلالة والأزمات الإجتماعية وبالتالى يذبحوا الإسلام عند عتبة أغراضهم ومنافعهم الشخصية، وعلى هذا الأساس فإنّ النبى الأكرم صلى الله عليه و آله استشهد لصدق دعواه بدليلين وشاهدين

معتبرين بحيث يقبل شهادتهم كلّ إنسان. ومع الإلتفات إلى هذه المقدمة نشرع فى تفسير الآية الشريفة:

الشرح والتفسير: الشهود على النبوّة

الشرح والتفسير: الشهود على النبوّة «وَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا» وعليه فإنه ينبغى على النبى صلى الله عليه و آله لإثبات صدق دعواه ورسالته أن يأتى بالدليل والبرهان وفقاً لما قرّره القرآن الكريم من قاعدة وقانون فى دائرة الفكر والمعتقدات، ولهذا فإنّ اللَّه تعالى يقول فى سياق الآية الشريفة: «قُلْ كَفى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ وَ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتابِ». فهنا ذكر النبى شاهدين: الأوّل هو اللَّه تعالى، والثانى هو الشخص الذى عنده «علم الكتاب» أى الشخص الذى يعلم بجميع ما فى الكتاب لا بجزء منه، وهذان الشاهدان كافيان لمن كان يتحرك فى طلب الحقّ والحقيقة.

كيفية شهادة اللَّه

كيفية شهادة اللَّه سؤال: إنّ اللَّه تعالى غائب عن الأنظار ولا يستطيع أحد من الناس أن يراه فكيف يشهد بصدق رسالة النبى الأكرم صلى الله عليه و آله وصدق دعواه؟ الجواب: إنّ اللَّه تعالى من خلال المعجزات التى يضعها تحت اختيار النبى صلى الله عليه و آله يمثّل شاهد صدق على رسالة نبى الإسلام لأنه من المحال على اللَّه الحكيم أن يضع أكثر من معجزة بل مئات المعاجز بيد مدّعى النبوّة الكاذب ليضل عباده، فاللَّه تعالى لا يمكن أن يضل عباده بهذه الصورة، وعليه فعندما يضع اللَّه تعالى العديد من المعجزات بيد النبى فإنه يشهد بذلك على صدقه. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۵۲

من هو الذى «عنده علم الكتاب»؟

من هو الذى «عنده علم الكتاب»؟ يذكر العلّامة الطبرسى فى مجمع البيان ثلاث نظريات فى هذا المجال: ۱- أن المراد بقوله «مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتابِ» هو اللَّه تعالى، وفى الحقيقة فهذه الجملة بمثابة عطف تفسيرى على «باللَّه» الذى ورد فى صدر الآية، فكليهما بمعنى واحد، وعليه ففى هذه الآية الشريفة لا يوجد أكثر من شاهد واحد يشهد على صدق إدعاء نبى الإسلام صلى الله عليه و آله وهو اللَّه تعالى «۱». ولكنّ هذه النظرية مردودة، لأن الأصل الأولى فى العطف هو التعدد والجملة المعطوفة تقرر مطلباً جديداً غير المعطوف عليه، والعطف التفسيرى خلاف الأصل، وهذه الحقيقة يذعن لها علماء اللغة والأدب العربى، وعليه فما لم يتوفر لنا دليل معتبر على أن الجملة أعلاه هى عطف تفسيرى، فلابدّ من حملها على معنىً آخر غير المعطوف عليه لئلّا نقع فى إشكالية التكرار، ولذلك فالنظرية الاولى غير مقبولة. ۲- ومنهم من ذهب إلى أن المراد من جملة «مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتابِ» هم اولئك الأشخاص من أهل الذمّة الذين اعتنقوا الإسلام ومنهم «عبداللَّه ابن سلام» «۲» العالم اليهودى، ولكنه كان منصفاً وقد قرأ علامات نبوّة النبى الأكرم صلى الله عليه و آله فى التوراة وعندما رآها منطبقة على محمّد بن عبداللَّه صلى الله عليه و آله وعلم أنه مرسل من اللَّه تعالى آمن به فى حين أنه لو بقى على دين اليهودية كان يحظى بمنزلة كبيرة بينهم وقد يحصل من ذلك الكثير من الأموال والثروات، ولكنه عندما علم بحقيقة الأمر سحق أهواءه النفسية واعتنق الإسلام، ولهذا فإن هذا الشخص هو الذى عنده «علم الكتاب» أى كان يعلم بعلائم النبى فى التوراة ويشهد بذلك، إذن فإن هذه الآية تقرر شاهدين على صدق ادعاء النبى الأكرم صلى الله عليه و آله، وبعبارة اخرى إنّ اللَّه تعالى والكتب السماوية السابقة تشهد بصدق نبوّة نبى الإسلام صلى الله عليه و آله. ولكنّ هذه النظرية أيضاً غير مقبولة، لأن سورة الرعد من السور المكية فى حين أن آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۵۳ عبداللَّه ابن سلام اعتنق الإسلام فى المدينة، وعلى هذا الأساس فإنّ زمان نزول الآية محل البحث قبل إيمان عبداللَّه بن سلام بعدّة سنوات فلا يمكن أن تشير الآية إلى إيمان هذا الشخص وشهادته. ۳- وهى النظرية التى وردت فى الكثير من كتب التفسير والتاريخ والحديث حيث تقرر أن المراد بجملة «من عنده علم الكتاب» هو الإمام على

ابن أبى طالب عليه السلام «۱». يقول أبوسعيد الخدرى من علماء الإسلام وصحابة النبى صلى الله عليه و آله والمقبول لدى أهل السنّة والشيعة: «سألت رسول اللَّه صلى الله عليه و آله عن هذه الآية: الذى عنده علم من الكتاب «۲» قال: ذاك وزير أخى سليمان بن داود عليه السلام، وسألته عن قول اللَّه عزّوجلّ: قل كفى باللَّه شهيداً بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب، قال ذاك أخى على بن أبى طالب» «۳». ويروى هذه الرواية مضافاً إلى أبى سعيد الخدرى: عبداللَّه ابن عبّاس، سلمان، سعيد ابن جبير، محمّد ابن الحنفية، زيد بن على وآخرون أيضاً، ومن جملة من ذكر هذه الرواية فى كتابه: القرطبى «۴»، السيوطى «۵»، العلّامة الدشتكى الشيرازى «۶»، الترمذى «۷» وآخرون، وعليه فإن أفضل تفسير لجملة «من عنده علم الكتاب» هو أن المراد منها الإمام على ابن أبى طالب عليه السلام.

كيف يشهد الإمام على عليه السلام بالنبوّة؟

كيف يشهد الإمام على عليه السلام بالنبوّة؟ سؤال: مع الإلتفات إلى الروايات الكثيرة الواردة فى شأن نزول هذه الآية الشريفة التى آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۵۴ تؤيد أنها واردة فى شأن الإمام على عليه السلام، يثار هنا سؤال آخر وهو: كيف يمكن أن يشهد الإمام على عليه السلام على نبوّة ورسالة النبى محمّد صلى الله عليه و آله؟ وفى مقام الجواب عن هذا السؤال نذكر مثالين على ذلك: ألف) إذا دخل أحد الأشخاص مدينة معيّنة ولم يكن له فيها أىُّ شخص يعرفه، وحينما يحين وقت يتوجه إلى المسجد ليدرك فضيلة صلاة الجماعة وفضيلة الصلاة أوّل الوقت، فمع العلم بأنه لا يعرف أحداً من هذه المدينة كيف يمكنه أن يتثبت من عدالة إمام الجماعة ويقتدى به؟ يقول الفقهاء: إنّ مجرد حضور مجموعة من الأشخاص من أهل الإطلاع والفضل واقتداءهم به يمكنه أن يكون بمثابة الشهادة على عدالة إمام الجماعة، من قبيل أن مئات من رجال الدين والشيوخ يقتدون به فى صلاتهم، فمن هنا يتبيّن لنا عدالة إمام الجماعة من خلال اقتداء المأمومين هؤلاء. ب) إذا رأينا شخصاً من أهل الخبرة والفضل ومورد احترام الناس يأتى إلى استاذ من الأساتذة ويجلس بين يديه ليتعلم ويتتلمذ على يد هذا الاستاذ الذى لا نعرفه إطلاقاً، فمن خلال معرفتنا بعلم وفضل التلميذ ندرك عظمة الاستاذ وعلمه الواسع، وعلى سبيل المثال إذا رأينا الشيخ الأنصارى أو العلّامة الحلّى يدرسان ويتعلمان عند استاذ غير معروف، فمن خلال التلميذ ندرك عظمة الاستاذ. وبالنظر إلى هذين المثالين نجيب على السؤال المذكور: عندما نطالع شخصية الإمام على عليه السلام ونراه متفوقاً فى جميع الصفات الأخلاقية والإنسانية نرى أنّ مثل هذا الإنسان مع عظيم علمه ومعرفته بحيث إنّ الإنسان الذى يقرأ «نهج البلاغة» ويتدبر فيه وفيما يتضمنه من معارف عميقة وعلوم غزيرة لا يصدّق أن هذا الكتاب هو حصيلة ترشحات من فكر إنسان، ولهذا قيل عن نهج البلاغة: «دون كلام الخالق وأعلى من كلام المخلوق». الإمام على مع ذلك القضاء العجيب والمحيّر فى أدق المشكلات والمحاكمات والذى نجح بأفضل وجه فى ردّ حقوق المظلومين ... آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۵۵ الإمام على مع شديد عبادته وتقواه والتزامه الدينى بحيث إنه فى حال الصلاة لا يلتفت إلى شىء آخر سوى اللَّه تعالى ولذلك كانوا فى الموارد التى لا يستطيعون معالجته فى غير الصلاة ينتظرونه ليصلّى حتّى يخرجوا السهام من بدنه الشريف وهو غافل عنها ... الإمام على مع شهامته وشجاعته المحيّرة والتى تضرب بها الأمثال بحيث لم يغلب فى أىِّ حرب وقتال ولم يفر ولا مرّة واحدة من الأعداء ... الإمام على مع التزامه الشديد بالعدالة بحيث لا يمكن لأحد من الناس أن يخرجه عن حدّ العدالة وأخيراً استشهد بسبب هذا الإلتزام والإنضباط الأخلاقى بالعدالة. أجل، فإنّ الإمام على عليه السلام بهذه الصفات والخصائص الاخرى يمثل رمز الإنسان الكامل، وهذا الشخص قد آمن بنبى الإسلام صلى الله عليه و آله وجعل حياته وقفاً لتبليغ هذا الدين واعتبر نفسه عبداً من عبيد محمّد، ألا يتبين لنا من خلال إيمان الإمام على عليه السلام حقانية إدّعاء النبى الأكرم صلى الله عليه و آله والرسالة السماوية؟ وبهذا يكون الإمام على شاهداً آخر على نبوّة نبى الإسلام صلى الله عليه و آله. ونعتقد أن هذا الشاهد على نبوّة النبى محمّد صلى الله عليه و آله إلى درجة من الأهمّية بحيث إنه لو فرضنا أن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله لم يأتِ بأى دليل آخر سوى شهادة على ابن أبى طالب لكفى.

المقارنة بين آصف بن برخيا وعلى بن أبى طالب عليه السلام

المقارنة بين آصف بن برخيا وعلى بن أبى طالب عليه السلام كان آصف بن برخيا وزير النبى سليمان عليه السلام وقد وردت قصته فى سورة النمل وهى: «عندما تحركت ملكة سبأ من اليمن باتجاه النبى سليمان لتسلم على يده خاطب سليمان وزراءه ومشاوريه من الجن والإنس وقال: أيكم يقدر على أن يأتينى بعرش الملكة من اليمن قبل أن تصل إلينا؟ فقال أحد العفاريت من الجنّ: أنا آتيك به ولكنّ ذلك يحتاج إلى مدّة من الزمان قد تصل إلى بضع ساعات وسوف أحضره عندك قبل إتمام هذه الجلسة. والظاهر أن النبى سليمان لم يقبل هذا الإقتراح وأراد حضور العرش بأسرع من هذا الوقت ولهذا قال شخص آخر وكان لديه علم من الكتاب وهو «آصف بن برخيا»: إننى آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۵۶ قادر على إحضاره عندك قبل أن تطرف عينك، فما أن فتح سليمان عينه وإذا به يرى عرش الملكة حاضراً عنده، وحينذاك توجه سليمان بالشكر إلى اللَّه تعالى على هذه النعم والمواهب العظيمة «۱». إن آصف بن برخيا وبسبب اطلاعه على بعض علم الكتاب والإسم الأعظم استطاع أن يقوم بهذا العمل الخارق للعادة، فى حين أنّ الإمام على عليه السلام لديه علم الكتاب أجمع وكذلك الإسم الأعظم فهل يمكن قياس قدرة آصف ابن برخيا بقدرة الإمام على عليه السلام؟ من هذا البحث يمكننا التطرق إلى الولاية التكوينية للأئمّة الأطهار، لأن معنى العلم التكوينى ليس هو أننا نعتقد بأن الإمام على عليه السلام خالق السماوات والأرض «ونعوذ باللَّه» بل يعنى أنّ هؤلاء الأولياء يتصرفون بعالم الوجود بإذن اللَّه تعالى ومشيئته ويشبه تصرفهم عمل آصف ابن برخيا. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۵۷

آية المؤذّن وآية الأذان

اشارة

آية المؤذّن و آية الأذان ۵- ۶ ومن جملة الآيات التى تتعلق بفضائل الإمام على عليه السلام هى الآيات ۴۴ من سورة الأعراف، والآية ۳ من سورة التوبة حيث يقول تعالى فى الآية ۴۴ من سورة الأعراف: ۷/ ۴۴ ويقول فى الآية ۳ من سورة التوبة: [سورة التوبة (۹): آية ۳] رَبَّنا إِنَّكَ جامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعادَ (۹)

أبعاد البحث

أبعاد البحث إنّ كلمة «مؤذّن» وردت فى القرآن الكريم مرّتين حيث تتحدّث عن عالم الآخرة، وقد وردت فى الآية ۴۴ من سورة الأعراف، وفى الآية ۷۰ من سورة يوسف وهكذا كلمة «أذان» وردت مرّة واحدة فى الآية ۳ من سورة التوبة، وكلُّ واحدة من هاتين الآيتين ترتبط بشأن الإمام على عليه السلام. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۵۸ «أذان» فى الإصطلاح يراد به مجموعة الأذكار الخاصّة التى تقال حينما يحين وقت الصلاة لدعوة الناس إلى الصلاة والمسجد ولكن فى اللغة يراد بها مطلق الإعلان، فتارةً يكون الإعلان مقارناً للتهديد، واخرى لإعلان الحرب، وثالثة لإعلان وقت الصلاة، وبتعبير آخر أن «الأذان» تعنى إخبار الناس بالخبر بصورة علانية، إذن فالأذان لا يختصُّ بالإعلان عن وقت الصلاة بل يستوعب معنىً واسعاً.

تفسير الآية ۴۲ من سورة الأعراف

حوار أهل الجنّة وأهل النار

حوار أهل الجنّة وأهل النار ولأجل توضيح معانى ومفاهيم آية المؤذّن نرى من اللازم أن نبدأ بالآيات التى قبلها: «وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ لا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَها أُولئِكَ أَصْحابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيها خالِدُونَ». جملة «لا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَها» جاءت كجملة

معترضة فى الآية أعلاه وتشير إلى نكتة مهمة، وهى أن جميع الأشخاص لا يستوون فى الإيمان والعمل الصالح ولا يصحّ أن يتوقع الإنسان من جميع الناس التساوى فى الإيمان والعمل الصالح، بل كلُّ شخص يُكلّف بمقدار قدرته وإدراكه ولياقته، وبدون شك أن إيمان الإمام على عليه السلام وسلمان وأبى ذرّ ليس بمستوى إيمان سائر الناس، ولذلك فالمتوقع من هؤلاء الأشخاص الأولياء غير ما يتوقع من الأشخاص العاديين، والخلاصة هى أن كلُّ إنسان مؤمن يدخل الجنّة بحسب قابليته وإيمانه وعمله الصالح. «وَ نَزَعْنا ما فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ». فهنا تتحرّك الآية الشريفة لبيان صفات المستحقين للجنّة بعد ورودهم إليها فأوّل ما يواجه المؤمن لدى دخوله الجنّة هى أن اللَّه تعالى يطهر قلبه من أدران الحسد والحقد تماماً ويعود إليها الصفاء والطهر والخلوص، وكلمة «غلّ» تقال لحركة الماء الخفية تحت النباتات، وبما أن عنصر الحسد والحقد يتحرك فى قلب الإنسان بصورة خفية ومستورة فلذا قيل عنه بأنه «غلّ». آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۵۹ سؤال: هل يعقل أنّ أهل الجنّة يعيشون الحسد والحقد ومع ذلك يدخلهم اللَّه الجنّة؟ الجواب: يستفاد من بعض الروايات أن بعض الدرجات الخفيفة للحسد والحقد يمكنها أن تكون لدى المؤمن وما لم يظهرها الإنسان لا تحسب ذنباً ومعصية ولا تتنافى مع الإيمان «۱»، وبهذا فإنّ اللَّه تعالى يطهّر قلوب هؤلاء المؤمنين من أهل الجنّة من هذه الدرجة الضعيفة من الحسد والحقد ليعيشوا فى الجنّة بكامل السعادة والطمأنينة والراحة النفسية. «تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهارُ» إنّ أهل الجنّة يسكنون فى قصور وبيوت تجرى من تحتها الأنهار، أى أن اللَّه تعالى قد بنى لهم هذه القصور والبيوت على الأنهار الجارية، وهذا من جملة النعم الاخروية على أصحاب الجنّة والتى وردت فى الكثير من الآيات الشريفة. «وَ قالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدانا لِهذا وَ ما كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْ لا أَنْ هَدانَا اللَّهُ لَقَدْ جاءَتْ رُسُلُ رَبِّنا بِالْحَقِّ» فعندما يشاهد أهل الجنّة كلُّ هذه النعم العظيمة والألطاف الإلهيّة الجليّة يتوجهون إلى ربّهم من موقع الشكر والثناء ويقولون: الحمد الذى هدانا لهذه النعم والمواهب الكثيرة ولولا عناية اللَّه ورعايته ما كنّا لنهتدى إليها ولا نسلك الطريق إلى الجنّة، وأنّ رسل اللَّه وأنبياءه كانوا يقولون الحقّ، أجل، فإنّ أهل الجنّة يعترفون بأن الهداية التشريعية للأنبياء والأولياء والكتب السماوية وكذلك الهداية التكوينية المنبعثة من الجوانب النفسانية والفطرية المودعة فى وجود الإنسان هى التى أدّت بهم إلى اختيار طريق الجنّة وكسب رضا اللَّه تعالى ونيل ألطافه وعناياته. «وَ نُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوها بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» فبعد أن يشكر أهل الجنّة اللَّه تعالى على عظيم نِعمه التى لا- تحصى يقال لهم أن أدخلوا الجنّة فهى التى ورثتموها بأعمالكم. «وَ نادى أَصْحابُ الْجَنَّةِ أَصْحابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنا ما وَعَدَنا رَبُّنا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ ما وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا» فعندما يستقر أهل الجنّة فى مساكنهم وقصورهم وينظرون إلى ما حولهم بحثاً عن أصدقائهم ومعارفهم لا يجدون أفراداً منهم ويدركون أنهم صاروا من أهل النار وحرموا الورود إلى الجنّة وبذلك يخاطبون أهل النار: آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۶۰ «إننا قد وجدنا ما وعد ربُّنا حقّاً وقد تبيّن لنا صحّة الطريق الذى سلكناه فى الدنيا وأوصلنا هذا الطريق من خلال الإيمان والعمل الصالح إلى الجنّة وحظينا بجميع ما وعد اللَّه تعالى للمؤمنين فهل وجدتم ما وعد ربُّكم حقّاً؟ هل تحققت وعود اللَّه فى حقّكم من العقاب على ما ارتكبتم من الذنوب والجرائم؟ «قالُوا نَعَمْ» وهكذا يجيب أهل النار على هذا السؤال بالإيجاب وأن اللَّه قد أنجز ما وعدهم من العذاب والعقاب الاخروى. سؤال: لماذا يسأل أهل الجنّة هذه الامور من أهل النار؟ الجواب: يحتمل أن سؤالهم كان لغرض تحصيل إطمئنان أكثر وإيمان أعلى بما وعد اللَّه رغم أن أهل الجنّة يؤمنون بجميع ما وعدهم الأنبياء من امور الغيب ويعتقدون به ولكنهم عندما يرون ذلك بامّ أعينهم أو يسمعون من أهل النار تحقّق الوعيد الإلهى بحقّهم فإنّ إيمانهم سيزداد ويتعمق أكثر. الإحتمال الآخر هو أنهم يسألون أهل النار من أجل التهكم والذم والتقريع لهم كما كان أهل النار يلومون المؤمنين فى الدنيا ويذّمونهم ويسخرون منهم على اعتقاداتهم وإيمانهم بالغيب فهذه المساءلة نوع من المقابلة بالمثل. «فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ» كختام للمحاورة المذكورة بين أهل الجنّة وأهل النار لابدّ وأن يكون هناك من يختم هذا الحوار ولذلك ورد النداء الإلهى «أن لعنة اللَّه على الظالمين» وتنتهى بذلك المساءلة ويسدل الستار على هذه المحاورة.

من هو المؤذّن؟

من هو المؤذّن؟ سؤال: من هو المؤذّن فى الآية ۴۴ من سورة الأعراف؟ ومن هو هذا الشخص الذى يختم الحوار المذكور بالنداء الإلهى والذى توحى الآية أن له سلطة على الجنّة والنار والقيامة؟ ومن هو هذا الشخص الذى يسمعه جميع الناس فى ذلك اليوم ويختم بكلامه عملية المحاورة بين أهل الجنّة وأهل النار؟ الجواب: هناك روايات متعددة مذكورة فى مصادر الشيعة وأهل السنّة تؤكد على أن آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۶۱ المؤذّن هو الإمام على عليه السلام، وعلى سبيل المثال نشير إلى نماذج منها: ۱- أورد الحاكم الحسكانى الحنفى من أهل السنّة فى «شواهد التنزيل» عن محمّد ابن الحنفية عن الإمام على عليه السلام أنه قال: «أَنا ذلِكَ الْمُؤَذِّنُ». وروى الحاكم بسنده عن أبى صالح عن ابن عبّاس رضى اللَّه عنهما أنّه قال: قال على رضى الله عنه: فى كتاب اللَّه أسماء لى لا يعرفها الناس منها المؤذن «۱». ۲- وكذلك نقل الحافظ أبو بكر ابن مردويه فى كتاب «المناقب» أن المؤذّن هو علىّ بن أبى طالب عليه السلام «۲». ۳- ونقل الآلوسى أحد المفسّرين المعروفين من أهل السنّة فى تفسير «روح المعانى» عن ابن عبّاس أنه قال: «الْمُؤَذِّنُ عَلِيٌّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ» «۳». ۴- وذكر الشيخ سليمان القندوزى مؤلف كتاب «ينابيع المودّة» فى كتابه هذا أن المراد بالمؤذّن هو علىّ بن أبى طالب «۴». ۵- ونقل هذا المعنى مير محمّد صالح الكشفى الترمذى فى «المناقب» «۵».

هل أنّ مقام المؤذّن يعدّ فضيلة؟

هل أنّ مقام المؤذّن يعدّ فضيلة؟ سؤال: لقد ذهب بعض المثقفين والكتّاب الإسلاميين الذين تورطوا فى شراك التعصّب المذهبى عندما يصل إلى هذه الآية الشريفة والروايات المذكورة فيها ينكر كون مقام المؤذّن فضيلة للإمام على عليه السلام ويقول: «على فرض أن يكون المؤذن هو الإمام على عليه السلام، ولكن هذا آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۶۲ المعنى لا يعدّ افتخاراً له، لأنه لابدّ أن يكون هناك مؤذن يوصل النداء الإلهى للناس فى المحشر، ولا يختلف الحال فيمن يكون هو المؤذن». الجواب: والجواب على هذا الكلام واضح لأن هذا المؤذّن إنما يعلن شيئاً بأمر اللَّه تعالى فهو رسول من اللَّه لإلقاء هذا الكلام على أهل المحشر أى الناطق الرسمى عن اللَّه وهى وظيفة خطيرة وثقيلة، وعليه فإنّ هذا المقام يدلُّ على أهمية ومكانة هذا الشخص بحيث يبين للناس الرسالة الإلهية بصورة جيّدة فى يوم القيامة، ومع الإلتفات إلى محتوى هذه الرسالة وأنها تشمل لعنة اللَّه على الظالمين فلابدّ أن لا يكون هذا المؤذّن من الأفراد الملوثين بالظلم فى الدنيا، وإلّا فلا يوجد أحد يلعن نفسه، ولهذا فإنّ مقام المؤذّن فى ذلك اليوم لا يعدُّ مقاماً عادياً يستطيع أىُّ شخص أن يقوم به، وعليه فإنّ هذا المقام يعدّ فضيلة كبيرة لمن يناله. لماذا يغمض بعض مفسّرى أهل السنّة أبصارهم عن إدراك الحقائق ويمرون على المضامين القرآنية مرور الكرام بهدف الإحتفاظ على عقائدهم الموروثة وأحياناً ينكرون مضامين الوحى من أجل ذلك؟!

تفسير الآية ۳ من سورة التوبة

تفسير الآية ۳ من سورة التوبة أما تفسير «آية الأذان» فى سورة التوبة والتى تعد هى الاخرى من آيات فضائل الإمام على عليه السلام ولها ارتباط وثيق بآية «المؤذّن» السابقة، نرى من اللازم بعض التوضيح حول الآيات الاولى من سورة التوبة: عندما فتحت مكّة فى السنة الثامنة للهجرة وتمّ القضاء على الشرك وعبادة الأوثان وإزالة الأصنام من أرض الوحى ودخل العرب فى الإسلام ورأى مشركو مكّة تعامل النبى صلى الله عليه و آله معهم من موقع المحبّة والعفو والصفح، أدّى ذلك إلى دخول الناس فى الإسلام زرافات ووحدانا، وانتهت هذه السنة بجميع ما وقع بها من حوادث كبيرة، وأراد رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فى السنة التاسعة للهجرة أن يحجّ حجّة الوداع ولكنه بسبب وجود بعض الامور لم يرَ من المناسب أن يحجّ فى تلك السنة وذلك: الف: إنّ بعض المشركين

وعبدة الأوثان كانوا يأتون من البادية لزيارة بيت اللّه الحرام، وعلى الرغم من أن الكعبة قد تمّ تطهيرها من الأصنام والأوثان إلّاأنّ هؤلاء الوثنيين كانوا آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۶۳ يأتون إلى البيت الحرام ويطوفون حوله وينشدون بعض الأشعار والشعارات الجاهلية حين الطواف تخليداً لذكر الأصنام. ب: ما زال بعض الناس يطوفون بالبيت عراة كما كانوا فى السابق لأنهم كانوا يعتقدون أن لباس الطائف الذى يطوف فيه حول البيت يجب عليه أن يتصدّق به إلى الفقير، ولهذا فلو أن الشخص خلع لباسه وطاف عرياناً ثمّ بعد أن ينتهى من الطواف يرتدى لباسه فلا يجب عليه التصدّق به على الفقير، ولذلك فمن لم يكن راغباً فى التصدق بلباسه يقوم بخلع لباسه والطواف عارياً، وأحياناً يكون الطائف بالبيت امرأة، فنتصور كيف يكون حال الطواف مع وجود امرأة عريانة بين الطائفين وكيف تتبدل الأجواء المعنوية والروحية فى ذلك المكان المقدّس إلى أجواء شهوانية وحيوانية؟ فنظراً إلى هذه الامور انصرف رسول اللّه صلى الله عليه و آله عن أداء الحجّ فى السنة التاسعة حتّى نزلت الآيات الاولى من سورة التوبة وأمر النبى الأكرم صلى الله عليه و آله أن يعلن فى مراسم الحجّ فى السنة العاشرة للهجرة لجميع المشركين أربعة امور: ۱- «لا يَحِجَّنَّ الْبَيْتَ مُشْرِكٌ» فبعد السنة العاشرة للهجرة لا يحقُّ لأى مشرك أن يحجّ البيت ولا يحقُّ له دخول المسجد الحرام، هذا البيت الذى بناه بطل التوحيد ومحطم الأصنام فلا يكون مكاناً للأصنام بعد الآن، ولا ينبغى للمشركين والوثنيين أن يطوفوا حول بيت اللّه إلّا أن يتركوا عقائدهم الخرافية جانباً. ۲- «وَلا يَطُوفَنَّ بِالْبَيْتِ عُرْيانٌ» فبعد الآن لا يحقُّ لأى شخص أن يطوف بالكعبة عرياناً ويلوّث تلك الأجواء المعنوية والروحية بهذا العمل الشنيع. ۳- «وَلا يَدْخُلَ الْبَيْتَ الّا مُؤمِنٌ» ففى السابق كان الدخول إلى داخل الكعبة مباحاً للجميع (خلافاً لهذا الزمان حيث لا ينال هذه السعادة إلّابعض الأشخاص القليلين) فكان المسلمون والمشركون يدخلون داخل الكعبة باستمرار وبدون أى مانع ولكن بعد إبلاغ هذا النداء لا يحقُّ لمشرك أن يدخل الكعبة. ۴- «وَمَنْ كانَتْ لَهُ مُدَّةٌ فَهُوَ إلى مُدَّتِهِ وَمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مُدَّةٌ فَمُدَّتُهُ اربَعَةُ اشْهُرٍ» فالمشركون الذين كان لديهم عهد وميثاق مع رسول اللّه على ترك الحرب والقتال ولم آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۶۴ يذكروا مدّة محدودة لعهدهم هذا، فلهم فرصة أربعة أشهر لينضموا إلى الإسلام، وبعد انتهاء هذه المدّة لا يبقى عهد وميثاق بينهم وبين النبى الأكرم صلى الله عليه و آله، وأما من كان له عهد مع رسول اللّه صلى الله عليه و آله لمدّة معيّنة ولم تنتهِ هذه المدّة ولم يرتكب ما يخالف العهد ولم يتحرّك على مستوى معونة أعداء الإسلام فإن عهده محترم إلى نهاية المدّة «۱». وهكذا وجد النبى الأكرم صلى الله عليه و آله نفسه مأموراً بإبلاغ هذه التعليمات والأوامر الإلهية فى أيّام الحجّ من السنة العاشرة للهجرة وإخبار المشركين بها، فاختار النبى لهذه المهمة أبابكر ليقرأ الآيات الاولى من سورة التوبة على المشركين فى أيّام الحجّ، وتوجه أبوبكر نحو مكّة لأداء هذه المهمة ولكن لم يمض سوى القليل حتّى هبط جبرئيل الأمين على رسول اللّه صلى الله عليه و آله وقال له: «إنه لن يؤديها عنك إلّاأنت أو رجل منك» فدعى النبى الأكرم صلى الله عليه و آله الإمام على عليه السلام وقال له: «إلحقه فردّ علىَّ أبابكر وبلّغها أنت» ففعل ذلك الإمام على عليه السلام وأخذها من أبى بكر وأبلغها عامة المشركين فى أيّام الحجّ «۲». ويقول الطبرسى فى هذا المجال: اجمع المفسّرون ونقلة الأخبار انّه لمّا نزلت براءة رفعها رسول اللّه صلى الله عليه و آله إلى أبى بكر، ثمّ أخذها منه ودفعها إلى علىّ بن أبى طالب «۳». وقد أوضحنا بالتفصيل ما ذكره «صاحب مجمع البيان» والمقدار المشترك بين جميع الروايات هو ما ذكرنا وقد أورد صاحب كتاب «احقاق الحقّ» هذا المعنى من أربعين كتاب من كتب أهل السنّة. «۴» آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۶۵

الإختلاف فى الجزئيات

الإختلاف فى الجزئيات وطبعاً الروايات المذكورة تختلف بعض الشىء فى جزئياتها وتفاصيلها، ونشير إلى بعض منها: لقد ورد فى بعض الروايات أن النبى الأكرم صلى الله عليه و آله أركب علياً على ناقته المعروفة ب «العضباء» فوصل على إلى أبى بكر فى مسجد الشجرة على مقربة من مكّة وأحد المواقيت المعروفة لحجّ التمتع والعمرة وأبلغه أمر رسول اللّه، فتألم أبوبكر من ذلك وعاد إلى المدينة وقال لرسول اللّه صلى الله عليه و آله: «انْزَلَ فِيَّ شَىْءٌ؟». فقال له النبى صلى الله عليه و آله: «لا إلّاأنّى امِرْت أنْ ابَلِّغُهُ أنا أو

رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِى» «۱». والخلاصة أنه يستفاد من هذه الروايات أن تغيير الشخص المأمور بإبلاغ هذه الآيات لم يكن من جهة النبى بل إنّ اللّه تعالى هو الذى أمره بذلك، وعلى أيّة حال فإنّ هذه المهمة والمسؤولية قد القيت على عاتق أميرالمؤمنين عليه السلام وبذلك تحرك الإمام نحو أداء هذه المأمورية وأراح النبى من القلق الذى كان يساوره فى مورد الحجّ حيث أشرنا إليه سابقاً وبذلك تهيّأت مقدّمات سفر النبى صلى الله عليه و آله إلى مكّة للإتيان بحجّة الوداع.

الشرح والتفسير: الإنذار الهام للمشركين

الشرح والتفسير: الإنذار الهام للمشركين «بَراءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ» وبذلك تمّ إلغاء جميع العهود التى كانت بين المسلمين والمشركين والتى لم يكن لها مدّة زمنية محددة. «فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَ اعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَ أَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكافِرِينَ». سؤال: لماذا نقض رسول اللّه عهوده مع المشركين، وهل يشمل هذا النقض جميع معاهدات النبى؟ آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۶۶ الجواب: يستفاد من الآيات التالية أن مسألة إلغاء العهود كانت فى موارد العهود التى ليست لها مدّة أو انتهت مدّتها، وكذلك العهود التى لم تنته مدتّها ولكنّ المشركين نقضوا العهد وتعاونوا مع أعداء الإسلام والمسلمين كما حصل فى حرب الأحزاب وأمثالها، وأما العهود التى لم تنته مدّتها ولم يتخلف أصحابها عن مضمون العهد ولم يساعدوا أعداء الإسلام بشىء فإنّ مثل هذه العهود باقية على قوّتها وفاعليتها إلى انتهاء المدّة المقررة كما ورد ذلك فى الآية الرابعة من سورة التوبة لأن العهد محترم جدّاً فى نظر الإسلام حتّى لو كان مع العدو، فلو اقتضت المصلحة أن يكون للمسلمين عهد وميثاق مع الكفّار فيجب أن يحترم المسلمون هذا العهد ويلتزموا به. «وَ أَذانٌ مِنَ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ». بالنسبة إلى «الحجّ الأكبر» وردت تفاسير مختلفة وأفضلها هو أن المراد من الحجّ الأكبر هو «حجّ التمتع» الذى يتضمّن فى مناسكه الوقوف فى عرفات والمشعر الحرام ومنى والهدى ورمى الجمرات وأمثال ذلك، والمراد من الحجّ الأصغر هو «عمرة التمتع» «۱»، وعلى أيّة حال فلابدّ من دراسة هذا الإعلان الإلهى فى حجّ التمتّع للسنة التاسعة للهجرة وماذا كان مضمونه ومحتواه؟ وتستمر الآيات الشريفة بالقول: «أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَ رَسُولُهُ» ولهذا فإنّ جميع المعاهدات ملغيّة بعد إعلان براءة اللّه ورسوله من المشركين، وعلى هذا الأساس فإنّ أمام المشركين والكفّار طريقان لا أكثر: الأوّل هو أن يتوبوا إلى اللّه ويتركوا الشرك ويدخلوا فى الإسلام. «فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ» لأنّ ذلك يؤمن لهم الأمن فى الدنيا والسعادة فى الآخرة من خلال العمل بتعليمات الإسلام وأداء الواجبات وترك المحرمات. الثانى: «وَ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَ بَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذابٍ أَلِيمٍ» ولو أصرّوا على الشرك والحرب مع الحقّ فإنهم لا يستطيعون الخروج من دائرة القدرة الإلهية ومضافاً إلى أن العذاب الإلهى الأليم بانتظارهم. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۶۷

هل تعدّ هذه المهمة فضيلة؟

هل تعدّ هذه المهمة فضيلة؟ سؤال: طبقاً لما تقدّم آنفاً إنّ الإمام على عليه السلام أصبح مأموراً من قبل النبى صلى الله عليه و آله بإبلاغ الآيات الاولى من سورة التوبة إلى المشركين فى أيّام الحجّ، وقد كانت هذه المأمورية بعهدة أبى بكر فى البداية إلّاأن رسول اللّه أخذها منه ودفعها إلى على ابن أبى طالب عليه السلام فهل يعدُّ ذلك فضيلة للإمام على عليه السلام؟ الجواب: إنّ بعض المتعصبين تحركوا على مستوى تهميش هذه الفضيلة والتقليل من أهميّتها فقالوا: إنّ علّة تبديل هذه المأمورية هو ما كان من التقاليد الرسمية والأعراف بين العرب، لأن العرب كانوا عندما يريدون إرسال رسالة إلى شخص معين يقوم صاحب الرسالة نفسه أو يختار واحداً من أهل بيته وأرحامه لأداء هذه الرسالة وايصالها إلى الطرف الآخر، ولهذا عزل النبى الأكرم صلى الله عليه و آله أبابكر وأرسل على عليه السلام مكانه، وعليه فإنّ هذه المأمورية المذكورة لا تعدُّ فضيلة للإمام على عليه السلام «۱». ولكنّ الإنصاف أن هذا الكلام بعيد جدّاً عن الحقيقة لأنه: أوّلًا: من أين ثبت أن التقاليد العربية كانت كذلك؟ وأىُّ كتاب ذكر هذه القضية؟ وهل يمكن إلغاء فضيلة

مهمة لمجرد احتمال غير ثابت؟ ثانياً: على فرض وجود مثل هذا العرف بين العرب فى ذلك الوقت فإنّ تغيير المؤدى لهذه الرسالة المهمة لا يرتبط بتقاليد العرب وأعرافهم لأن النبى الأكرم صلى الله عليه و آله كما ورد فى الروايات المذكورة آنفاً قد تلقى الأمر بذلك من اللَّه تعالى. وعلى هذا الأساس فلا شكّ فى أن هذه المهمة والمأمورية تعدّ فضيلة كبيرة للإمام على عليه السلام، ومع الإلتفات إلى هذا المطلب فلو أن اللَّه تعالى أراد أن ينصب خليفة على المسلمين بعد رسول اللَّه فلابدّ أن يكون هذا الإنسان هو الأفضل وله فضائل أكثر، وإذا أراد الناس انتخاب شخص لهذا الغرض فلابدّ أن يكون هو الأفضل بمقتضى العقل. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۶۸

ارتباط آية الأذان والمؤذّن

ارتباط آية الأذان والمؤذّن إنّ المثوبات والعقوبات فى الآخرة هى فى الحقيقة انعكاس للأعمال الإنسان فى الدنيا، ويتّضح هذا المطلب أكثر بالإلتفات إلى كيفية ارتباط هذه المثوبات والعقوبات الاخروية بأعمال الإنسان فى حركة الحياة الدنيوية. عندما يحشر الإنسان المرابى فى عرصات المحشر فى حالة من الإضطراب فى السلوك وكأنه سكران لا يقدر على الحركة ويترنح ويسقط بين الحين والآخر إلى الأرض كلُّ ذلك يحكى عن سلوكه فى الحياة الدنيا حيث كان بعمله القبيح يتحرك من موقع الإخلال الإقتصادى فى المجتمع وإثارة الأزمات الإجتماعية بعمله وأكله الربا فيزلزل أساس المجتمع الإسلامى ويثير فيه الإرتباك والخلل، إذن فعدم تعادله فى المشى يوم القيامة يحكى عن واقع دنيوى بهذا المعنى بسبب ارتكابه لهذا الذنب الكبير، فهو فى الحقيقة إنعكاس لأعماله فى الدنيا «۱». وإذا كان الظالم فى الآخرة يواجه الظلمات ويسير كالأعمى فى عرصات المحشر فذلك بسبب أنه كان يحوّل الدنيا فى نظر المظلومين إلى ظلام بحيث لا يرون كلّ شىء فى حياتهم الدنيوية يعبّر عن الخير والسعادة والهناء، إذن فالظلمات التى تحيق بالظالم فى الآخرة هى انعكاس ونتيجة للظلمات التى كان يقدمها للمظلوم فى حياته الدنيوية. وإذا قرأنا فى النصوص الدينية أن المؤمن يحشر يوم القيامة ومعه نور بين يديه وفى أيمانه يقوده إلى رضوان اللَّه ومغفرته فإنما ذلك بسبب أن الكثير من الأشخاص قد اهتدوا بنور إيمانه فى الدنيا وسلكوا طرق الحقّ والحقيقة وابتعدوا عن خطّ الباطل والإنحراف. والخلاصة أن جميع المثوبات والعقوبات فى عالم الآخرة هى انعكاس لأعمال الإنسان فى الدنيا. ومع الإلتفات إلى هذا المطلب فإذا كان الإمام على عليه السلام هو المؤذّن للنبى فى دار الدنيا والمبلغ رسالته إلى المشركين فى مكّة وفقاً لما ورد فى الآية الثالثة من سورة التوبة فإنه آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۶۹ سيكون فى الآخرة هو «المؤذّن» الذى يوصل النداء الإلهى إلى أهل النار ويخبرهم بأن اللعنة الإلهية قد شملتهم بسبب ظلمهم الذى ارتكبوه فى الدنيا. إذا كان الإمام على عليه السلام فى الآخرة هو المؤذن والشخص الذى يختم الحوار الدائر بين أهل الجنّة وأهل النار فانّ ذلك بسبب كون كلامه فى الدنيا فصل الخطاب بين الحقّ والباطل وقد أبلغ المشركين الكلام الأخير والإنذار النهائى، فهل هذه فضيلة قليلة؟ هل هناك شخص آخر غير الإمام على من المسلمين أو من أتباع الأديان الإلهية الاخرى يتمتع بمثل هذه الفضيلة؟

الحكمة فى تغيير المأمور بإبلاغ آيات سورة البراءة

الحكمة فى تغيير المأمور بإبلاغ آيات سورة البراءة سؤال: تقدّم أن جميع المفسّرين من الشيعة وأهل السنّة أتفقوا على أن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله أرسل فى البداية أبابكر لإبلاغ آيات سورة التوبة ثمّ عزله ونصب الإمام على مكانه، فهل ندم رسول اللَّه صلى الله عليه و آله على عمله الأوّل بحيث تحرّك على مستوى تغييره وتبديله، أو أن كلا الأمرين كان بتعليم الوحى وبأمر إلهى؟ والخلاصة أنه ما هى الحكمة فى هذا التبديل والتغيير؟ الجواب: وجواب هذا السؤال واضح فإنّ النبى الأكرم صلى الله عليه و آله كان مدركاً لما يفعله فى كلا الحالين وكان هدفه هو إعلام الناس وإخبارهم بالشخص الأفضل وإلفات نظرهم إلى هذه الحقيقة ليخرجوا تصورهم

الساذج عن الأفضل الموهوم وليهديهم ويرشدهم إلى الأفضل الحقيقى والواقعى، ولهذا الغرض قام فى البداية بتسليم هذه المأمورية إلى أبى بكر ثمّ عزله ونصب عليّاً مكانه ليفهم الناس بأن الإمام على عليه السلام أفضل من أبى بكر ومن جميع المسلمين. ولم تكن هذه أوّل مرّة يقوم النبى صلى الله عليه و آله بهذا العمل بل سبق ذلك موارد اخرى من هذا القبيل كلُّها تصب فى هذا الهدف المهم. مثلًا نرى أن النبى صلى الله عليه و آله فى واقعة خيبر قد أعطى الراية إلى أبى بكر ليقود جيش الإسلام ويفتح قلعة خيبر ولكنه استمر به الحال إلى العصر وهو يسعى جاهداً أن يتغلب على العدو ويفتح الحصن ولكنه لم يوفق بذلك، وفى اليوم الثانى سلّم رسول اللَّه صلى الله عليه و آله الراية إلى عمر بن آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۷۰ الخطّاب ولكنه فشل فى هذه المأمورية كصاحبه، وفى الليلة الثالثة قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: «لأعطين الراية غداً لرجل يحبّ اللَّه ورسوله ويحبُّه اللَّه ورسوله كرّار غير فرّار لا يرجع حتّى يفتح اللَّه على يديه». قال له أصحابه: إذا كان مقصودك هو على بن أبى طالب فإنه أرمد. فدعاه النبى صلى الله عليه و آله إليه فلما رآه أرمداً يشكو من عينيه تفل فى عينه فانفتحت وشفى من ذلك المرض فأعطاه رسول اللَّه صلى الله عليه و آله الراية وكان الفتح على يديه. فلماذا أعطى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله الراية فى البداية إلى إثنين من أصحابه ثمّ أعطاها للإمام على عليه السلام؟ الجواب على هذا السؤال واضح فإنّ النبى الأكرم صلى الله عليه و آله يريد أن يبيّن للناس عملًا أفضلية الإمام على عليه السلام. وهكذا فى معركة الأحزاب عندما جاء عمرو بن عبد ود بطل المشركين وعبر الخندق وطلب البراز فلم يبرز له أحد سوى الإمام على عليه السلام، ولكنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله امتنع فى البداية، وفى المرّة الثانية طلب عمرو بن عبد ود البراز فلم يقم له إلّاعلى عليه السلام، ومرة اخرى طلب منه النبى صلى الله عليه و آله أن يجلس. وفى المرّة الثالثة طلب عمرو البراز أيضاً وأخذ يرتجز ويقول: ولقد بحت من النداء فى جمعكم هل من مبارز ... إنكم تقولون بأن قتلاكم يذهبون إلى الجنّة أليس فيكم من يشتاق إلى الجنّة؟ وفى هذه المرّة أيضاً لم يبرز له سوى على ابن أبى طالب عليه السلام. وهنا أذن له رسول اللَّه بالبراز والتوجه إلى ميدان القتال وقد كتب اللَّه النصر على يديه أيضاً واستطاع قتل عمرو بن عبدود العامرى «۱» وهنا نرى أيضاً أن النبى الأكرم صلى الله عليه و آله قام بهذه المناورة لاثبات أفضلية الإمام على عليه السلام على مستوى العمل ليثبت للمسلمين مكانته ومنزلته الإجتماعية. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۷۱

آية المحسنين

اشارة

آية المحسنين ۷ [سورة الزمر (۳۹): الآيات ۳۲ الى ۳۴] إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ (۳) «سورة الزمر/ الآيات ۳۲- ۳۴»

أبعاد البحث

أبعاد البحث تحدّثت هذه الآيات من سورة الزمر عن طائفتين من الناس: الاولى أظلم الناس والثانية أصدق الناس، ثمّ استعرضت عقوبات الظالمين ومثوبات الصادقين، والموضوع المهم الذى يجب دراسته والتأمل فيه فى هذه الآيات هو: من هو أصدق الناس والذى عبّرت عنه الآية الشريفة بالمحسن؟

الشرح والتفسير: أظلم الناس!

الشرح والتفسير: أظلم الناس! «فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَ كَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جاءَهُ» فهنا نرى نحوين من الكذب: ۱- الكذب على اللَّه. ۲- الكذب على رسول اللَّه، ولاشكّ أن جميع أنواع الكذب يُعتبر آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۷۲ رذيلة أخلاقية ومن الذنوب الكبيرة ولكن من الواضح أن الكذب على اللَّه وعلى رسوله أقبح وأخطر أنواع الكذب وقد تترتب عليه إفرازات رهيبة ومعطيات

مشؤومة. سؤال: ما هو الكذب الذى كان المشركون ينسبونه إلى اللَّه ورسوله صلى الله عليه و آله؟ الجواب: إنّ بعض أشكال الكذب للمشركين هو: ألف) إنهم كانوا يرون أن الملائكة بنات اللَّه. ب) كان البعض منهم يعتقدون بأن اللَّه تعالى راض عن عبادة الأوثان ويرون أن الأوثان واسطة بينهم وبين اللَّه تعالى لتشفع لهم عنده. ج) بعض المشركين كانوا يعتقدون بأن للَّه تعالى ولداً ويذهبون إلى أن المسيح ابن اللَّه. د) أحياناً يحرّمون بعض الأشياء ويحللون اخرى وينسبون ذلك إلى اللَّه تعالى كذباً وزوراً. هذه الامور وأمثالها من الأكاذيب كانوا ينسبونها إلى اللَّه عزّوجلّ، وبما أنها تتزامن مع عدم التصديق بالرسالات الإلهية والأنبياء الإلهيين والتحرّك فى حياتهم الدنيوية على مستوى التصدّى للدعوة السماوية ومحاربة أهل الحقّ الذين أرسلهم اللَّه تعالى لهداية البشر فإنّ عملهم هذا يفضى فى النهاية إلى تكذيب الأنبياء وإنكار دعوتهم الإلهية، ولذلك كان هؤلاء الأفراد هم أظلم الناس ليس لأنفسهم فحسب بل ظلم لجميع الناس ولجميع الرسالات السماوية والكتب الإلهية. أمّا ظلمهم لأنفسهم لأنهم أوصدوا أبواب السعادة والفلاح على أنفسهم بتكذيبهم هذا وسلكوا بأقدامهم فى خطّ الضلالة والإنحراف والباطل متجهين إلى جهنم. وأما ظلمهم للناس فذلك لأنهم عملوا على إضلالهم وقادوهم نحو وادى الشقاء والضلالة، فحالهم حال أهل البدع الذين قد تستمر بدعتهم وآثار عملهم القبيح آلاف السنين وأحياناً إلى يوم القيامة بحيث إنهم لا يستطيعون جبران ما صدر منهم وإصلاح الخلل حتّى فى صورة الندم. أما ظلمهم للآيات الإلهية والرسالات السماوية فكما ورد فى الآية الشريفة ۱۰۳ من سورة الأعراف حيث يقول اللَّه تعالى: «ثُمَّ بَعَثْنا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسى بِآياتِنا إِلى فِرْعَوْنَ وَ مَلَائِهِ فَظَلَمُوا بِها فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ». آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۷۳ وطبقاً لصريح هذه الآية الشريفة فإنّ عدم قبول الآيات الإلهية وإنكار الكتب السماوية ومعجزات الأنبياء يعدّ نوعاً من الظلم لهذه الآيات الإلهية لأنّ الإنسان عندما يتحرك لمنع الشىء القابل لهداية الناس من التأثير والفاعلية، ففى الحقيقة إنه يرتكب ظلماً بحقّه، مضافاً إلى أنه ظلم الناس حقّهم فى الإستفادة منه، وعليه فإنّ الأشخاص الذين يعملون على تشويه سمعة الإسلام أو يقومون بالإساءة إلى الإسلام من خلال أعمالهم القبيحة أو يتحركون على مستوى تفسير وتأويل قوانين الإسلام حسب رأيهم وأفكارهم فكلُّ ذلك من أشكال الظلم للإسلام. والخلاصة هى أن أظلم الناس هو الشخص الذى يكذب على اللَّه وعلى رسوله، وعقوبة مثل هذا الشخص شديدة جدّاً كما وردت فى الآية الشريفة: «أَ لَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوىً لِلْكافِرِينَ» فإنّ مصير مثل هذا الإنسان الظالم الذى ظلم نفسه ومجتمعه والآيات الإلهية هو جهنم، فهى مثوى للكافرين، فهنا نرى أن الآية الشريفة لا تصرّح ببيان عاقبة أظلم الناس بل طرحت المسألة على شكل سؤال واستفهام، وهذا بنفسه تعبير دقيق ويحتاج إلى التأمل حيث إنّ مثل هذا المصير ومثل هذه العقوبة لهؤلاء الأشخاص تكون متوقعة لدى جميع الناس. «وَ الَّذِى جاءَ بِالصِّدْقِ وَ صَدَّقَ بِهِ أُولئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ». أما الطائفة الثانية فتقع فى النقطة المقابلة للطائفة الاولى فهم الذين يصدّقون بمن جاء بالنبوّة الصادقة ويصدّقون كذلك برسالتهم فهؤلاء هم المتّقون، فرغم أن الآية الشريفة لا تذكر مفردة «أتقى» ولكننا يمكننا أن نفهم بدليلين أن هاتين الفئتين هم أتقى الناس: أحدهما بقرينة المقابلة مع الطائفة السابقة وهم أظلم الناس، أى أن الآية عندما تجعلهم فى مقابل المكذّبين للَّه ورسوله وفى مقابل أظلم الناس فإنّ هؤلاء المصدّقين باللَّه ورسوله هم أتقى الناس حتماً، والآخر إنّ جملة «هم المتقون» تدلُّ على الحصر، وتعنى أن هؤلاء هم أهل التقوى فقط وهم المتقون الحقيقيون، وعلى هذا الأساس فإنّ المثوبات المقررة لهؤلاء المتقين فى القرآن الكريم تختص بهؤلاء الأشخاص الذين أشارت إليهم هذه الآية الشريفة مضافاً آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۷۴ إلى ما يناله المتقون فى الجنّة من النعم والمواهب العامّة التى ينالها جميع المؤمنين من أهل الجنّة فإنّهم يختصون بمواهب خاصّة ورد ذكرها فى الآية التى بعدها: «لَهُمْ ما يَشاؤُنَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذلِكَ جَزاءُ الْمُحْسِنِينَ». وهكذا نرى أن درجات ومقامات هؤلاء المتقين فى الآخرة إلى درجة من العظمة والسمو بحيث إنهم ينالون من المواهب ما لا يعدُّ ولا يحصى فكلُّ ما يريدون ويطلبون فإنهم سيحصلون عليه، وهذه النعمة لا يمكن أن يتصور فوقها شىء.

من هو «الذى جاء بالصدق» ومن «صدّق به»؟

من هو «الذى جاء بالصدق» ومن «صدّق به»؟ سؤال: ما هو المراد من جملة «الَّذِى جاءَ بِالصِّدْقِ» وجملة «الَّذِى صَدَّقَ بِهِ»؟ الجواب: إنّ المراد من الجملة الاولى هو النبى الأكرم صلى الله عليه و آله، والمراد من الجملة الثانية هو الإمام على عليه السلام، رغم أن الجملة الثانية تشمل جميع المؤمنين برسالة النبى صلى الله عليه و آله الذين آمنوا وصدّقوا برسالته ولكن بلاشكّ أن علىّ بن أبى طالب عليه السلام هو المصداق الأكمل والأتم لهذه العبارة. وقد ورد هذا المعنى فى الكثير من كتب الشيعة وأهل السنّة، ونكتفى بالإشارة إلى بعض منها: ۱- نقل «ابن المغازلى» وهو من أساطين علماء أهل السنّة فى كتابه المعروف ب «المناقب» عن المفسّر المعروف «المجاهد» قوله: «فِى قَوْلِهِ تَعالى: «الَّذِى جاءَ بِالصِّدْقِ»؛ رَسُولُ اللَّهِ وَ «الَّذِى صَدَّقَ به» عَلِيٌّ «۱». ۲- ونقل «ابن عساكر» هذه الرواية أيضاً «۲». ۳- وكذلك العلّامة «الگنجى» فى «كفاية الطالب» نقل هذه الرواية من بعض العلماء «۳». آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۷۵ ۴- وصرّح «القرطبى» بهذا المطلب فى تفسيره «۱». ۵- واختار «أبو حيّان الأندلسى» هذا التفسير أيضاً «۲». ۶- وذهب «السيوطى» فى تفسيره «الدرّ المنثور» إلى هذا الرأى «۳». ۷- وذهب «الترمذى» صاحب كتاب «المناقب المرتضوية» إلى هذا الرأى أيضاً «۴». ۸- «الآلوسى» ذهب فى تفسيره «روح المعانى» إلى اختيار هذا التفسير من بين جملة علماء أهل السنّة «۵».

الفخر الرازى المخالف الوحيد

الفخر الرازى المخالف الوحيد فعلى رغم كلّ هؤلاء المفسّرين والرواة الذين فسّروا الآية الشريفة مورد البحث بالنبى صلى الله عليه و آله والإمام على عليه السلام فإنّ الفخرالرازى رفع لواء المعارضة والمخالفة وزعم: «أن المراد من الجملة الثانية هو أبوبكر لأنه هو الملقّب بالصدّيق». وأجابه القاضى نوراللّه التسترى بجواب قاطع وقال: «لم يرد هذا المطلب الذى ذكره الفخر الرازى فى أى كتاب قبله، ونعلم أن الفخر الرازى لم يكن من أصحاب النبى، إذن فكلامه فى تفسير هذه الآية لا يقوم على أساس متين». وعليه فإنّ بطلان هذا الرأى لا يحتاج إلى زيادة بيان وتوضيح «۶». آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۷۷

آية السابقون الأولون

اشارة

آية السابقون الأولون ۸ [سورة التوبة (۹): آية ۱۰۰] الم (۱) «سورة التوبة/ الآية ۱۰۰»

أبعاد البحث

أبعاد البحث بالرغم من أن الآية الشريفة أعلاه تتحدّث عن ثلاثة طوائف من المؤمنين وتبشّر السابقين من كلِّ طائفة منهم ببشارات عظيمة ولكن من بين السابقين هؤلاء يوجد سابق يقع فى الصف الأوّل، وهو أوّل شخص من السابقين، وطبقاً للروايات الكثيرة التى ستأتى لاحقاً إنّ هذا الشخص الذى حمل راية الصدق ليس هو إلّاعلىّ ابن أبى طالب عليه السلام.

الشرح والتفسير: السابقون فى الإسلام

الشرح والتفسير: السابقون فى الإسلام «وَ السَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهاجِرِينَ وَ الْأَنْصارِ وَ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسانٍ» فى هذه الآية الشريفة يحدّثنا القرآن عن ثلاث طوائف: الطائفة الاولى: «المهاجرون» وهم المسلمون الذين أسلموا فى مكّة المكرمة وواجهوا ضغوطاً كبيرة من المشركين وأعداء الدين، وعندما هاجر النبى صلى الله عليه و آله إلى المدينة هاجروا آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۷۸ معه لإنقاذ أنفسهم من تلكم الضغوط وأشكال الأذى والتعذيب ولغرض تقوية الدين الجديد، فتركوا بيوتهم وأموالهم وأراضيهم وأقوامهم

وقبيلتهم والخلاصة تركوا كلّ شيء وهاجروا إلى المدينة بأيدى خالية، وهناك واجهتهم أخطار كثيرة، فمن جهة خطر المشركين فى مكّة الذين كانوا بصدد الإنتقام منهم وقتلهم، ومن جهة اخرى عدم وجود العمل المناسب وكذلك حالة الغربة وأجواء الوحدة والبعد عن القوم والوطن وأمثال ذلك من الأخطار والتبعات المترتبة على الهجرة، ولكنّ هؤلاء المسلمين الحقيقيين استقبلوا هذه الأخطار وهاجروا إلى المدينة، وقد كان البعض منهم يمر بحالة اقتصادية سيئة للغاية بحيث كانوا ينامون فى «الصفّة» إلى جانب مسجد النبى وهم المعروفون بأصحاب الصفّة حيث كانوا يقضون ليلهم ونهارهم فى ذلك المكان ولم يكن لديهم ممّا يقيم أودهم إلّاالقليل جدّاً ومع ذلك كانوا على استعداد دائم لتقديم الخدمات للإسلام متى حلّت الحاجة إليهم. الطائفة الثانية: «الأنصار» وهم المسلمون الذين دخلوا الإسلام فى المدينة واستجابوا لدعوة الرسول إلى الإسلام ودعوه ليهاجر إليهم وأبدوا استعدادهم لبذل كلِّ إمكاناتهم فى سبيل الإسلام، هؤلاء استقبلوا المهاجرين الذين هاجروا إليهم من مكّة ووضعوا بيوتهم وكلُّ ما يملكون تحت اختيارهم وتعاملوا معهم كاخوة لهم، وطبعاً هؤلاء بذلوا كلَّ جهدهم وآثروا المهاجرين على أنفسهم رغم أن الوضع المالى لبعضهم لم يكن على ما يرام. الطائفة الثالثة: «التابعون» وهم المسلمون الذين جاءوا إلى الدنيا بعد المهاجرين والأنصار وسلكوا مسلكهم وتحركوا مثلهم فى خطّ الإيمان والرسالة، وهؤلاء هم الذين يسمّون ب «التابعين» «۱» أى الذين اتبعوا الطائفتين السابقتين، وعليه فطبقاً لهذا التفسير يكون التابعون هم النسل الثانى للمسلمين ويشمل جميع المسلمين إلى يوم القيامة فى كلِّ عصر ومكان، أى أن المسلمين فى الزمان الحاضر الذين تحركوا فى خطّ نصرة الإسلام والهجرة نحو رضا اللّه تعالى يصدق عليهم عنوان «التابعين» الذين ورد ذكرهم فى هذه الآية آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۷۹ الشريفة، لأنه كما تقدّم سابقاً أنّ الهجرة لا تختصّ بالمسلمين فى أوائل البعثة بل هى ممكنة فى كلِّ زمان ومكان، وتعنى الهجرة من أجواء الذنوب إلى أجواء الطاعة، ومن دائرة الرذائل إلى دائرة الفضائل، ومن الظلمات إلى النور. سؤال: ماذا تعنى مفردة «بإحسان» التى وردت فى الآية الشريفة لوصف «التابعين»؟ الجواب: هنا يوجد احتمالان فى تفسير هذه المفردة: الأوّل: أن لا يكون إتّباع المهاجرين والأنصار بالكلام فقط بل ينبغى أن يتجسّد فى الواقع العملى فى حركة الإنسان، وبعبارة اخرى أن يتّبع المسلم المهاجرين والأنصار بشكل جيّد ودقيق. الإحتمال الثانى: أن يتّبع الإنسان المهاجرين والأنصار فى أعمالهم الحسنة لا فى جميع الأفعال والسلوكيات الاخرى، لأنه كان بين المسلمين الأوائل بعض الأشخاص الذين كانوا يتحركون فى حياتهم الفردية والإجتماعية على خلاف تعليمات النبى صلى الله عليه و آله وأحكام الإسلام. وخلافاً لما يراه أهل السنّة من عدالة وعصمة جميع صحابة النبى «۱» فنحن نعتقد أن الصحابة ليسوا معصومين جميعاً، والآية الشريفة أعلاه يمكنها أن تكون دليلًا جيّداً على آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۸۰ مقولة الشيعة، وعليه فإنّ التابعين يجب أن يتبعوا المهاجرين والأنصار فى الأعمال الحسنة والأفعال الصالحة لا فى جميع الأفعال والأقوال حتّى لو كانت على خلاف مسير الحقّ. «رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ وَ أَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها أَبَداً ذلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ» وهكذا نرى أن اللّه تعالى بعد أن ذكر هذه الطوائف الثلاث من السابقين فى الإسلام أثنى عليهم ومدحهم وبشّرهم بالثواب العظيم المادى والمعنوى. أمّا الثواب المعنوى فهو عبارة عن رضا اللّه تعالى عنهم ورضوانهم عن اللّه تعالى أيضاً، أما رضا اللّه عنهم فواضح لأنهم تحركوا فى خطّ نصرة الإسلام والمسلمين وسلكوا طريق الهجرة والطاعة والعبودية للّه تعالى، وهذه الامور تستوجب رضا اللّه عنهم، والمراد من رضاهم عن اللّه تعالى هو أن اللّه فى عالم البرزخ ويوم القيامة يعطيهم كلَّ ما يريدون ويطلبون ويتحقّق بذلك رضاهم عنه. وأمّا المثوبات المادية لهؤلاء فهى الجنّات التى تتصف بصفتين: أحدهما أن المياه تجرى تحت أشجارها دائماً، والاخرى أن أهل الجنّة يمكثون فيها أبداً فليس هناك خوف من انتهاء النعيم بل هم مخلدون فيها، وبلا شك فإنّ رضا اللّه عنهم ورضاهم عن اللّه تعالى وتمتعهم بالجنّات التى تجرى من تحتها الأنهار تعدّ ثلاث مواهب عظيمة لأهل الجنّة بحيث لا يتصور فوز فوق هذا الفوز.

أوّل رجل مسلم

أوّل رجل مسلم سؤال: يستفاد من الآية ۱۰۰ من سورة التوبة أن السابقين هم ثلاث طوائف ولكنّ السؤال الذى يثار هنا هو: من هو الأسبق من هؤلاء؟ ومن هو أوّل شخص من المسلمين استجاب لدعوة النبى الأكرم صلى الله عليه و آله إلى الإيمان وآمن به؟ الجواب: هناك روايات كثيرة وردت فى ذيل هذه الآية الشريفة تقرر أن أوّل مسلم من الرجال اعتنق الإسلام هو علىّ بن أبى طالب صلى الله عليه و آله، وأوّل امرأة اعتنقت الإسلام هى السيّدة خديجة عليها السلام. وهذا الرأى متفق عليه بين جميع علماء الإسلام من الشيعة وأهل السنّة ويعدّ من آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۸۱ الواضحات لديهم حتّى أن بعض علماء أهل السنّة ادّعوا الإجماع على هذا الرأى ومن ذلك: ۱- يقول ابن عبدالبر العالم السنّى المعروف: اتّفقوا على أن خديجة أوّل من آمن باللّه ورسوله وصدّقته فيما جاء به، ثمّ علىٌّ بعدها «۱». ۲- ويقول أبوجعفر الإسكافى المعتزلى استاذ ابن أبى الحديد المعتزلى الذى توفى فى سنة ۲۴۰ عن أوّل من أسلم واستجاب لدعوة النبى صلى الله عليه و آله: قد روى النّاس كافة افتخار علىّ بن أبى طالب بالسّبق إلى الإسلام «۲». ۳- ويقول الحاكم النيشابورى فى «مستدرك الصحيحين» الذى يعدّ رديفاً لصحيح البخارى وصحيح مسلم: لا أعلم خلافاً بين أصحاب التواريخ أنّ علىّ بن أبى طالب رضى اللّه عنه أوّلهم إسلاماً وإنّما اختلفوا فى بلوغه «۳». ومضافاً إلى ما تقدّم آنفاً من إدعاء الإجماع على أسبقية الإمام على عليه السلام لاعتناق الإسلام يروى العلّامة الأمينى ۲۵ رواية من الأئمّة المعصومين عليهم السلام ويذكر ۶۶ قولًا من أكابر علماء الإسلام والشعراء المتقدمين فى هذا المجال، وقد ذكر بعض علماء الشيعة ۱۰۰ حديثاً من منابع أهل السنّة فى هذا المجال، ويعتبر هذا العدد كثيراً جدّاً «۴». آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۸۲ أجل، إنّ هذه المسألة تعتبر فى المستويات العُليا من الإتقان والإعتبار ولذلك فالشيعة يفتخرون بها، ولابدّ لنا نحن الشيعة أن نفتخر ونقدر هذه النعمة العظيمة نعمة التشيّع علينا والتى تعلّمناها من والدينا وأرشدنا إليها علماؤنا، ولابأس بالإشارة إلى بعض الروايات فى هذا الصدد: ۱- يروى أنس خادم النبى صلى الله عليه و آله أنه: نُبّى النّبى يوم الإثنين وأسلم علىٌّ يوم الثّلثاء. (وفى رواية اخرى) بعث رسول اللّه صلى الله عليه و آله يوم الإثنين وصلّى علىٌّ يوم الثّلثاء «۱»». سؤال: هل أن علىّ بن أبى طالب عليه السلام لم يسجد لصنم قطّ ولم يعتقد بغير التوحيد؟ الجواب: إنّ علىّ ابن أبى طالب وبشهادة التاريخ لم يسجد حتّى لحظة واحدة أمام صنم ولم يختر ديناً غير دين التوحيد «۲»، وعليه فإنّ معنى الرواية أعلاه هى أن الإمام على عليه السلام أسلم بعد يوم واحد من البعثة المباركة ولا ينافى هذا أنه كان قد عانق الإسلام بقلبه قبل ذلك. ۲- ويقول سلمان الفارسى الصحابى المعروف بالنسبة إلى أوّل الناس إسلاماً: أوّل هذه الامّة وروداً على نبيّها الحوض أوّلها إسلاماً علىّ بن أبى طالب «۳». وكما سبق وأن ذكرنا أن المثوبات الاخروية هى إنعكاس لأعمال الإنسان فى الدنيا، وبما آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۸۳ أن الإمام على عليه السلام كان أوّل مسلم فى الدنيا، إذن فهو أوّل شخص يرد الحوض على النبى الأكرم صلى الله عليه و آله يوم القيامة. ۳- ويعترف الخليفة الثانى عمر ابن الخطّاب بهذه الحقيقة كما يروى عبداللّه بن عبّاس الصحابى المعروف وتلميذ أميرالمؤمنين عليه السلام ويقول: كنت أنا ونفر من المسلمين عند عمر بن الخطّاب وتحدّثنا عن أوّل من أسلم، فنقل لنا عمر حديثاً وقال: أمّا علىٌّ فسمعت رسول اللّه يقول: فيه ثلاث خصال لوددت أن تكون لى واحدة منهن، وكانت أحبّ إلىّ ممّا طلعت عليه الشمس كنت أنا وأبوعبيدة وجماعة من أصحابه إذ ضرب النبىّ صلى الله عليه و آله على منكب علىٍّ فقال يا على: «انْتَ أَوَّلُ الْمُؤْمِنينَ إيماناً، وَأَوَّلُ الْمُسْلِمينَ إسْلاماً، وَانْتَ مِنّى بِمَنْزِلَةِ هارُونَ مِنْ مُوسى». «۱» سؤال: هل أن جملة «أوّل المسلمين إسلاماً» عبارة اخرى عن «أوّل المؤمنين إيماناً» أو لها معنى آخر؟ الجواب: إنّ الإيمان يتعلق بالإعتقادات القلبية والباطنية لدى الإنسان، بينما الإسلام هو إبراز هذه الإعتقادات وإظهارها على اللسان، وعليه فإنّ الإمام على عليه السلام كما أنه أوّل من آمن بقلبه برسول اللّه، فكذلك هو أوّل شخص أبرز وأظهر ذلك الإيمان على لسانه.

قيمة الإيمان قبل البلوغ

قيمة الإيمان قبل البلوغ سؤال: هل كان علىّ ابن أبى طالب عليه السلام بالغاً عندما تشرّف بدين الإسلام؟ فلو لم يكن قد وصل سنّ

البلوغ فهل يعتبر إيمانه فى هذه السنّ فضيلة ليقال أنه أوّل المسلمين إسلاماً؟ الجواب: وفى الجواب على هذا السؤال ينبغى تقديم نقطتين: الاولى: إذا لم يكن الإنسان قد وصل إلى سنّ البلوغ ولكنه مع ذلك يعتبر صبيّاً ذكيّاً وعاقلًا ومميّزاً بين الخير والشر والحسن والقبيح، فبنظرنا أن إيمان مثل هذا الشخص مقبول، وليس فقط أنه مقبول على مستوى الإيمان، بل كما يقول الفقهاء أن عبادات هذا الصبى آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۸۴ المميّز صحيحة وصلاته، صومه، حجّه وعمرته وسائر العبادات التى قد يأتى بها مراعياً لجميع الشروط والأركان صحيحة ومقبولة. وبتعبير فقهاء الإسلام إنّ عبادات هذا الشخص شرعيّة لا تمرينية «۱»، وعليه فعندما تكون عبادات الصبى غير البالغ صحيحة وشرعية فإيمانه مقبول بطريق أولى، والنتيجة هى أن إيمان الصبى المميّز قبل البلوغ مقبول. ومضافاً إلى ذلك فنحن نعتقد أن مثل هؤلاء الصبية المراهقين مسؤولون فى مقابل الذنوب والمعاصى ولا يمكن صرف هذه المسؤولية عنهم لمجرد عدم بلوغهم سنّ التكليف وإعطاءهم الضوء الأخضر لأرتكاب الذنوب، ولهذا فلو أنّ الصبى المميّز الذى لم يبلغ سنّ التكليف كان يعلم جيّداً أن قتل إنسان برىء هو عمل قبيح فارتكب هذا العمل وقتل بريئاً فإنه يضمن ديّته وهو مسؤول أمام اللَّه تعالى. النتيجة هى أن الشخص غير البالغ إذا كان عاقلًا ومميّزاً فإنّ إيمانه مقبول، وعليه فإنّ البلوغ ليس شرطاً لقبول الإسلام والإيمان. الثانية: لقد وصل بعض الأنبياء الإلهيين فى سنّ الطفولة إلى مقام النبوّة، فكيف لا يكون البلوغ شرطاً فى مقام النبوّة الذى هو أعلى كثيراً من قبول مجرد الإيمان، ولكنه يكون شرطاً فى قبول الإسلام؟ ونكتفى بذكر مثالين لنيل مقام النبوّة فى مرحلة الطفولة: ۱- النبى يحيى عليه السلام وصل إلى النبوّة فى سنّ الطفولة، وقد ذكر اللَّه تعالى ذلك فى الآية ۱۲ من سورة مريم وقال: «يا يَحْيى خُذِ الْكِتابَ بِقُوَّةٍ وَ آتَيْناهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا». ۲- النبى عيسى عليه السلام أيضاً وصل مرتبة النبوّة فى سنّ الطفولة كما يحدّثنا القرآن الكريم فى الآية ۳۰ من سورة مريم على لسان هذا النبى ويقول: «قالَ إِنِّى عَبْدُ اللَّهِ آتانِيَ الْكِتابَ وَ جَعَلَنِى نَبِيًّا». وعندما يؤكد هذا النبى الكريم على أنه عبداللَّه فمن أجل أن النصارى لا يتخذونه بعد آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۸۵ ذلك إبناً للَّه تعالى، وعندما يقول «جعلنى» ولم يقل «يجعلنى» فإنّما ذلك لأنه نال هذه المرتبة السامية، أى مرتبة النبوّة فى مرحلة الطفولة. وقد ورد عن بعض الأنبياء أنهم نالوا هذا المقام أيضاً فى مرتبة الطفولة «۱». والخلاصة أنه عندما لا يشترط فى النبوّة سنّ خاصّ وهى ذلك المقام الرفيع فبطريق أولى لا يشترط فى الإيمان وقبول الإسلام سنٌّ خاصّ كالبلوغ. الثالثة: إنّ النبى الأكرم صلى الله عليه و آله كان مأموراً فى أوّل البعثة ولمدّة ثلاث سنوات أن يدعو عشيرته الأقربين ويعرض الإسلام عليهم، أى بعد أن دعاهم إلى الإسلام فى هذه السنوات الثلاث بصورة خفية وسريّة «۲» وآمن أفراد قلائل به، امر النبى الأكرم صلى الله عليه و آله بتبليغ الرسالة بصورة علنية، ولذلك أمر النبى عليّاً عليه السلام أن يهيّئ مقدمات الضيافة لقومه وأمره أن يهيّئ طعاماً مناسباً بمعونة غيره من المسلمين ودعا رؤساء قومه وعشيرته إلى ذلك المجلس، فحضر الضيوف وتناولوا الطعام وبعد الإنتهاء من تناول الطعام قام النبى الأكرم صلى الله عليه و آله وعرض دينه الجديد عليهم وأخبرهم بأنه رسول من اللَّه تعالى إليهم ثمّ قال: «أيّكم يؤازرنى على هذا الأمر ويكون أخى ووصيّى وخليفتى من بعدى» فأحجموا كلّهم ولم يستجب أحد لطلبه غير على عليه السلام وكرر النبى دعوته لهم ثلاثاً وفى كلّ مرّة لم يستجب له غير على عليه السلام فقال النبى صلى الله عليه و آله لهم: «انَّ هذَا اخِى وَوَصِيّى وَخَليفَتى عَلَيْكُمْ فَاسْمَعُوا لَهُ وَاطيعُوهُ». «۳» وطبقاً لنظر ورأى من يعتقد بأن علىّ بن أبى طالب كان له من العمر عندما أسلم عشر آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۸۶ سنوات ولهذا فإنّ إيمانه غير معتبر وليس له قيمة، فهذا يعنى أن الإمام كان له من العمر فى هذه الواقعة ثلاثة عشر سنة، فلو لم تكن قيمة لإيمان علىّ بن أبى طالب فى هذا السنّ إذن فلماذا قال فى حقّه النبى الأكرم صلى الله عليه و آله هذه العبارات الجذّابة واعتبره خليفة له؟! إنّ من يشك فى هذه الفضيلة فهو فى الحقيقة يشك فى اعتبار قول النبى صلى الله عليه و آله وفعله، ولو قيل أن مثل هذا الكلام يكون له اعتبار فيما لو كان الإمام له من العمر ثلاثة عشر سنة، فيجب أن نقبل هذه الحقيقة وهى أن إيمان على حتّى لو كان فى سنّ العاشرة من العمر فهو ذو قيمة واعتبار. الرابعة: ومضافاً إلى ما تقدّم لا نرى أن مسألة عدم بلوغ الإمام على عليه السلام فى هذه الواقعة حقيقة مسلّمة وقطعية، بل هناك اختلاف بين علماء الإسلام فى هذه المسألة، كما ذكر صاحب مستدرك الصحيحين مشيراً إلى هذا المطلب فى الأبحاث السابقة، ولابأس باستعراض بعض نظرات

وآراء علماء الإسلام فى هذه المسألة: الف: يقول ابن عبدالبر فى كتاب «الإستيعاب» المجلد ۲، الصفحة ۴۷۱: أوّل من أسلم بعد خديجة عليّ بن أبى طالب وهو ابن خمس عشر سنة أو ستّ عشر سنة «۱». ب: ويذكر صاحب كتاب «اسد الغابة فى معرفة الصحابة» فى المجلد ۴، الصفحة ۱۷ ثلاث نظريات فى هذا المجال، وطبقاً لإحدى هذه النظريات أن عمر الإمام فى ذلك الوقت كان خمسة عشر سنة. ج: ويتعرض العلّامة المجلسى أيضاً إلى هذه المسألة وينقل سبعة أقوال حولها «۲». وعلى هذا الأساس فإنّ عدم بلوغ الإمام على عليه السلام حين تشرّفه بالإسلام لا يعتبر مسألة قطعية ومسلّمة بل هناك اختلاف فى وجهات النظر بين علماء الإسلام. والخلاصة هى أن الروايات الكثيرة والمتواترة تشهد على أن الإمام على عليه السلام أوّل رجل آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۸۷ اعتنق الإسلام وآمن بالرسول صلى الله عليه و آله وبذل النصرة وعلى فرض قبول عدم بلوغه فى ذلك الوقت فإن ذلك لا يقلل شيئاً من هذه الفضيلة.

أوّل المؤمنين، امتياز كبير

أوّل المؤمنين، امتياز كبير ولعلّ البعض يتصور بأن «أوّل المؤمنين» لا يعدُّ امتيازاً وفضيلةً لأميرالمؤمنين ولا يختلف الحال بين من سبق الناس إلى الإيمان وبين من التحق بالإسلام بعده، ولكنّ الإنصاف هو وجود تفاوت كبير وبون شاسع بينهما، ولأجل توضيح هذا المطلب نستعرض قصة «سحرة فرعون»: يذكر القرآن الكريم أن فرعون أمر بأن يجمعوا له جميع السحرة من سائر بلاد مصر لمواجهة النبى موسى عليه السلام، وفى اليوم الموعود أحضرهم جميعاً وبذل لهم الوعود الكثيرة ومنها أن يكونوا من المقرّبين إلى البلاط الفرعونى «قال نعم و إنكم إذن لمن المقرّبين» «۱». وقد هيّأ فرعون جميع مستلزمات النصر والغلبة فى ذلك اليوم بحيث كان مطمئناً إلى انتصاره فى مواجهة موسى وهارون وحلّ ذلك اليوم، وألقى السحرة فى البداية عِصيّهم وحبالهم وسحروا أعين الناس وانقلبت هذه العصى والحبال إلى أفاعى وثعابين مخيفة. ثمّ إنّ موسى عليه السلام ألقى عصاه بأمر من اللَّه تعالى نحو سحر السحرة فانقلبت العصى إلى ثعبان عظيم وبدأ يلتقم حبالهم وعِصيّهم وحطّم بذلك سحرهم ومكيدتهم، فأدرك السحرة أن هذا الشخص ليس بساحر وأنه مؤيّد من قبل اللَّه تعالى ولذلك سجدوا جميعاً وقالوا: «آمَنَّا بِرَبِّ الْعالَمِينَ» «۲». وكان إيمان هؤلاء السحرة الذين جمعهم فرعون لغرض مواجهة موسى، مؤثراً بشدّة فى تقوية ودعم جبهة الحقّ ويعدّ ضربة قاصمة إلى فرعون والملأ، لأن الناس عندما شاهدوا أن السحرة أنفسهم آمنوا وصدّقوا بموسى وميّزوا بين «المعجزة» وبين «السحر» كان ذلك آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۸۸ دافعاً ومحرّكاً لهم على الإيمان بموسى وبالرسالة السماوية، وعندما شاهد فرعون هذه الظاهرة العجيبة شرع بالحديث مع السحرة من موقع التهديد والإرعاب وقال لهم: «لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَ أَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ» «۱». ولكنّ نور الإيمان جعل من تعذيب فرعون لهؤلاء السحرة سهلًا ويسيراً ولذلك أعلنوا استعدادهم لتقبّل كلّ أشكال التعذيب والقتل على التخلّى عن اعتقادهم وإيمانهم: «إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنا رَبُّنا خَطايانا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ» «۲». ويستفاد من هذه الآيات الشريفة أن «أوّل المؤمنين» يعدّ امتيازاً كبيراً للإنسان بحيث إنه يعتبر كفّارة لجميع الذنوب السابقة، والعلّة فى ذلك واضحة، لأنه ليس كلُّ شخص مستعداً لأن يكون أوّل المؤمنين ويتقبّل الأخطار والأضرار وجميع التبعات والتحدّيات التى يفرضها الواقع المخالف عليه، ولذلك فإنّ ثواب «أوّل المؤمنين» يمتاز عن سائر أشكال المثوبات الاخرى. الإمام على عليه السلام كان أوّل المؤمنين بين المسلمين جميعاً ولذلك يعدُّ امتيازاً خاصّاً وفضيلة مهمّة له حيث يعبر ذلك عن شجاعته وشهامته عندما لبّى نداء النبى الأكرم صلى الله عليه و آله وشخّص الحقّ من الباطل وأن هذه الدعوة هى دعوة إلهيّة، ولذلك لم يتردد لحظة فى الإستجابة لدعوة النبى وحظى بمنزلة «أوّل المؤمنين إيماناً». الإنسان الشيعى ينبغى عليه أن يتحلّى بهذه الخصلة والفضيلة أيضاً وعندما تشيع الفحشاء وتسود المفاسد فى المجتمع عليه أن يكون أوّل من يتقدّم لكسر حاجز الصمت والتصدّى لهذه المفاسد والقبائح على المستوى الفكرى والأخلاقى ويكون أوّل الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، وعلى الإخوان الأعزاء الذين يشتركون فى مجالس الفرح والسرور فيما لو شاهدوا أن المجلس قد تلوّث بالذنوب والمعاصى ولا أحد

من الحاضرين يتصدّى للنهى عنها فلا ينبغى أن يكون حاله كحال بقية الناس، ففى ذلك تكمن الفضيحة آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۸۹ والمشاركة فى الإثم، بل يجب عليه ترك هذا المجلس وأن يتقبّل جميع أشكال اللوم والذمّ من الحاضرين من طيب خاطر وفى سبيل اللَّه. إنّ الشيعى الصادق لأميرالمؤمنين عليه السلام لا ينبغى له أن يخاف ويستوحش من الوحدة فى مسير الحقّ وفى حركته فى خطّ الإمام على، لأنه عليه السلام يقول: «لا تَسْتَوْحِشُوا فِى طَرِيقِ الْهُدى لِقِلَّةِ اهْلِهِ» «۱». والخلاصة أن مقام «أوّل المؤمنين» يحتاج إلى شجاعة أكثر ومعرفة أوسع وقدرة نفسيّة على تحطيم القيود والتقاليد السائدة فى المجتمع المتخلّف وهذه امور قد اجتمعت فى الإمام على عليه السلام. إنّ سحرة فرعون بإيمانهم بالنبى موسى ونيلهم لمرتبة أوّل المؤمنين به فإنهم ليس فقط تخلّصوا من أجواء الظلم والكفر والشرك بل أصبحوا فى صفّ الشهداء، أجل فإنهم فى صباح ذلك اليوم كانوا فى صفّ الفراعنة وأنصار فرعون وفى تلك الليلة أمسوا فى صفّ الشهداء «۲» لأن فرعون جسّد تهديده بقتلهم وصلبهم فكان أن استشهدوا جميعاً فى تلك الليلة. ومن الجدير بالذكر أن إيمان الأشخاص فى المراحل البعدية يعدّ ثمرة لإيمان الأوائل، ولهذا فإنّ القسم الأعظم من أصحاب وأتباع النبى موسى قد أمنوا به بسبب إيمان وشهادة هؤلاء السحرة، وهذه إحدى الآثار الكثيرة لدماء الشهداء.

توصية الآية

معرفة الفضائل مقدّمة للعمل!

معرفة الفضائل مقدّمة للعمل! عندما نتحدّث عن فضائل الإمام على عليه السلام أو سائر أئمّة أهل البيت عليهم السلام فلا ينبغى أن نكتفى بمجرد الكلام والإستماع، بل يجب بعد معرفة هذه الفضائل أن نتحرّك على مستوى آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۹۰ الممارسة والعمل لتجسيد هذه الفضائل والمناقب فى حياتنا وأفعالنا وأقوالنا، وتأسيساً على هذا فإذا رأينا أن الآيات الكريمة تتحدّث عن أميرالمؤمنين عليه السلام من موقع المدح والثناء وأنه «صادق ومصدق» فلابدّ أن يكون الشيعى كذلك أيضاً فى تأييد كلام الحقّ والصدق وأن يبعد عن نفسه المؤثرات العاطفيّة والمزاجيّة، واللطيف أن المؤمن إذا سمع كلام الحقّ حتّى من الشيطان نفسه فعليه أن يستمع له ويصدّق بكلام الحقّ كما أمر اللَّه تعالى نبيه نوح بأن يستمع لكلام الشيطان عندما نصحه حتّى لو كانت النصيحة من الشيطان نفسه «۱». وهنا نلفت نظر المؤمنين الصادقين والمصدّقين إلى حديثين شريفين فى هذا المجال: ۱- قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: لا تَنْظُرُوا الى كَثْرَةِ صَلاتِهِمْ وَصَوْمِهِمْ وَكَثْرَةِ الْحَجِّ وَالْمَعْرُوفِ وَ طَنْتَنَتِهِمْ بِاللَّيْلِ، وَلكِنِ انْظُرُوا إلى صِدْقِ الْحَديثِ وَأداءِ الْامانَةِ. «۲» والخلاصة هى أنه طبقاً لهذا الحديث النبوى الشريف أن الملاك والمعيار فى تقييم الإنسان هو صدقه وأمانته. ۲- قال الإمام على عليه السلام: الْايمانُ انْ تُؤْثِرَ الصِّدْقَ حَيْثُ يَضُرُّكَ عَلَى الْكِذْبِ حَيْثُ يَنْفَعُكَ. «۳» فطبقاً لهذا الحديث الشريف فإنّ مقتضى الإيمان هو ملازمة الصدق والحقّ وأن المؤمن لا يمكن أن يكون كاذباً. نسأل اللَّه تعالى أن يجعلنا من المتحلّين بالإيمان والسائرين على خطى أميرالمؤمنين عليه السلام وأن نقتبس من فضائله ومناقبه وخاصّة فضيلة الصدق والتصديق بالحقّ والحقيقة. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۹۱

آية المحبّة

اشارة

آية المحبّة ۹ [سورة مريم (۱۹): آية ۹۶] أَ يَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ (۳۸) «سورة مريم/ الآية ۹۶»

أبعاد البحث

أبعاد البحث هذه الآية الشريفة وبشهادة كتب أهل السنّة ومصادرهم نزلت فى شأن الإمام على عليه السلام حيث تذكر الروايات الشريفة أن الإمام على عليه السلام هو المصداق الأكمل والأتم لهذه الآية الشريفة، وقد ذكرت لهذه الآية بحوث متنوّعة منها: ارتباط الإيمان والعمل الصالح بالمحبّة فى القلوب، وكذلك آراء ونظريات علماء أهل السنّة فى شأن نزول هذه الآية، ومباحث اخرى أيضاً من هذا القبيل سيأتى تفصيلها لاحقاً.

التوغّل والنفوذ فى القلوب أهم رأس مال القادة

التوغّل والنفوذ فى القلوب أهم رأس مال القادة إنّ أهم رأس مال للقادة السياسيين والإجتماعيين فى مختلف المجتمعات البشرية هو ما يتمتعون به من محبّة فى قلوب الناس، بحيث إنّ المشاريع والاطروحات الإجتماعية المهمّة لا تتحقق بدون وجود هذه العاطفة والإنجذاب نحو القائد فى عرصات المجتمع وعلى مستوى الجمهور. ولهذا فإنّ مشاركة الناس فى الامور الإجتماعية والسياسية والثقافية وحتّى العسكرية آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۹۲ يعدّ أمراً ضرورياً جدّاً فى عملية الإصلاح الإجتماعى أو نجاح الحكومة، ومن أجل تحصيل هذه الغاية فلابدّ من النفوذ إلى قلوب الناس وجذب مودّتهم وكسب حبّهم، وعندما نرى أن النبى الأكرم صلى الله عليه و آله قد نجح فى مدّة قصيرة أن ينشر دعوته السماوية إلى شرق العالم وغربه ويوحّد قلوب المسلمين ويزيل عنهم الأحقاد والتعصّبات القديمة ويشكّل جيشاً موحّداً وقويّاً استطاع بواسطته أن يوصل دعوته الإلهية إلى شتّى بقاع المعمورة فإنّ ذلك كان بسبب أخلاقه السامية ونفوذه العجيب فى قلوب الناس من المسلمين وغير المسلمين كما يحدّثنا القرآن الكريم عن هذه الحقيقة ويقول: «فَبِما رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَ لَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ». «۱» وهكذا بالنسبة إلى النبى إبراهيم عليه السلام عندما هاجر بأمر من اللَّه تعالى إلى مكّة وأسكن زوجته وطفله الرضيع فى أرض قاحلة لا ماء فيها ولا غذاء ومن دون زاد ومتاع إلى جانب بيت اللَّه الحرام، رفع يديه للدعاء وقال: «رَبَّنا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَ ارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَراتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ». «۲» فكان إبراهيم عليه السلام يعلم أن النفوذ إلى القلوب هو أعظم رأس مال للإنسان ولهذا طلب من اللَّه تعالى أن يجعل محبّة أهل بيته فى قلوب الناس. الإمام الخمينى رحمه الله بدوره لم يكن لديه منذ بداية الثورة ولآخر يوم من أيامها سلاحاً مهمّاً من الأسلحة المتعارفة ليواجه بها أعوان الشاه وجيشه المسلّح، ولكنه كان يمتلك سلاحاً أقوى فاعليّة وأمضى قوّة من جميع الأسلحة المتطورة لطاغوت زمانه، وهو المحبّة فى قلوب الناس وتعاطف الجماهير مع دعوته الإلهية، والخلاصة أن عنصر النفوذ فى القلب يعدّ أهم رأس مال للقادة والمصلحين فى سائر المجتمعات البشرية. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۹۳

الشرح والتفسير: إرتباط الإيمان والعمل الصالح بمسألة النفوذ فى القلوب

الشرح والتفسير: إرتباط الإيمان والعمل الصالح بمسألة النفوذ فى القلوب «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمنُ وُدًّا». فى هذه الآية الشريفة نرى ارتباطاً بين الإيمان والعمل الصالح من جهة والنفوذ إلى قلوب الناس من جهة اخرى، حيث يقرر اللَّه تعالى فى هذه الآية الشريفة المحبّة فى قلوب الناس نتيجة الإيمان والعمل الصالح، ومعنى هذه العبارة هى أنه من الممكن أن يتسلط الإنسان بقوّة السلاح والسيف على الناس بأجسادهم وأبدانهم، ولكنه لا يستطيع إطلاقاً أن يتسلط على قلوبهم وأرواحهم ويفتح طريقاً إلى أعماق وجدانهم بالقوّة والقهر. سؤال: إذن ما هى حقيقة العلاقة بين الإيمان والعمل الصالح من جهة وبين النفوذ إلى قلوب الناس والمقبولية العامة فى أوساط المجتمع من جهة اخرى؟ هل يمكننا أيضاً تحصيل هذه النعمة الكبيرة من خلال الإيمان والعمل الصالح؟ الجواب: بالإمكان تصوير هذه العلاقة الثنائية على نحوين: الأوّل: أن يكون هذا الإرتباط المعنوى والإلهى وفقاً لحكمة اللَّه تعالى التكوينية كما هو الحال فى المحبّة التى جعلها اللَّه تعالى لموسى عليه السلام فى قلب فرعون وزوجته فى حال طفولة موسى، حيث إن

فرعون أمر بأن يقتل جميع الأطفال الذكور من بنى إسرائيل فى مصر بهدف القضاء على العدو المحتمل، ولكن اللَّه تعالى قد قذف فى قلبه حبّ موسى وجعله يربّى موسى فى بيته وقصره، ومن هنا أراد اللَّه تعالى أن يظهر قدرته الفائقة لفرعون والفراعنة بأنهم لا يمكنهم التصدّى لإرادة اللَّه ومشيئته ولا يمكن لأى قدرة أن تقف مانعاً وحائلًا دون إرادة اللَّه فيما لو تعلقت بشىء من الأشياء، فمثل هذه العلاقة العاطفية والمحبّة القلبية لا تكون اكتسابية بل هى موهبة من اللَّه تعالى. الثانى: العلائق العاطفية العاديّة القابلة للتحليل المنطقى، فإنّ العمل الحسن والصالح يتمتع بجاذبيّة وحتّى الأشخاص المنحرفين والفاسدين ينجذبون نحو حسن الأعمال وجمالها الأخلاقى. مثلًا «الأمانة» تعتبر من الأعمال الصالحة، والإنسان الأمين يعدّ إنساناً صالحاً ومورد آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۹۴ قبول الناس وحبّهم واحترامهم، فحتّى اللصوص وقطّاع الطرق يحبّون من يتمتع بهذه الفضيلة ويعتمدون عليه على مستوى الإرتباط الإجتماعى وقد يضعون أموالهم المسروقة أمانة ووديعة عنده، وعليه فإنّ العمل الصالح وكذلك الإيمان لهما جاذبية لقلوب الناس، والثمرة المترتبة على ذلك هى النفوذ إلى قلوب الناس، والشخص الذى يرغب فى أن تكون له مكانة ومحبّة فى قلوب الناس يكفى أن يكون إنساناً مؤمناً صالحاً، فإذا أدرك الناس ذلك منه فإنّ قلوبهم ستتجه نحوه ولا حاجة إلى عمل خاص فى هذا السبيل. الطهارة والعفّة هى الاخرى أحد الأعمال الصالحة ذات القيمة الأخلاقية العالية، وهذه الفضيلة إلى درجة من الأهمّية بحيث إنّ الأشخاص الذين يعيشون التلوّث فى الخطيئة يعشقونها فعندما يريدون الزواج وتشكيل اسرة يتوجهون إلى العوائل الشريفة ويخطبون النساء العفيفات ويجتنبون الزواج من الملوّثات، والملفت للنظر أن الإمام على عليه السلام وهو مورد البحث فى هذه الآية قد وصل فى معراجه المعنوى وتكامله الإنسانى إلى أعلى درجة من حيث الإيمان والعمل الصالح من جهة ونفوذه فى قلوب الناس من جهة اخرى.

شأن نزول آية المحبّة

شأن نزول آية المحبّة بالرغم من أن مفهوم الآية الشريفة مورد البحث عام وشامل لكلّ مؤمن يعمل الأعمال الصالحة حيث ينتج هذا الإيمان والعمل الصالح المحبّة فى قلوب الناس، ولكن بلا شك أن المصداق الأكمل والأدق لهذه الآية الشريفة هو أميرالمؤمنين عليه السلام، كما ورد التصريح بذلك فى كتب أهل السنّة المختلفة رغم سعى البعض لإنكار هذه الحقيقة الواضحة. ويقول العلّامة الحلّى فى كتاب «احقاق الحقّ» «۱» فى شأن نزول الآية المذكورة أنها نزلت آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۹۵ فى حقّ على بن أبى طالب عليه السلام، ولكن القاضى روزبهان من علماء أهل السنّة يردّ على كلام العلّامة هذا ويقول: ليس هذه الرواية فى تفسير أهل السنّة، وإن صحت دلّت على وجوب محبّته وهو واجب بالاتّفاق «۱». والملفت للنظر أن المحققين من الشيعة ذكروا فى هامش الكتاب المذكور «احقاق الحقّ» نقلًا عن ۱۷ كتاب من كتب أهل السنّة أن روايات تتعلق بالإمام على عليه السلام فى هذا المورد، من بين هذه الكتب ستة منها من كتب التفسير، فكيف يبرر مثل هذا التناقض فى كلمات علماء أهل السنّة؟ هل أن القاضى روزبهان لم يقرأ هذه الكتب، أو أنه قرأها ولكن حجاب التعصّب والعناد منعه من قبول هذه الروايات؟ وعلى أيّة حال فالكتب المذكورة هى ما يلى: ۱- تفسير الثعلبى «۲». ۲- تفسير الكشّاف لمؤلفه الزمخشرى المفسّر المعروف لدى أهل السنّة «۳». ۳- تفسير العلّامة النيشابورى والذى ورد فى هامش تفسير الطبرى «۴». ۴- السيوطى فى الدرّ المنثور «۵». ۵- العلّامة الشوكانى فى تفسيره «۶». ۶- الآلوسى فى روح المعانى «۷». ونكتفى فى ذكر روايتين من هذه الكتب المذكورة: الف: ما أورده «روح المعانى» أن البراء بن عازب الصحابى المعروف قال: آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۹۶ قالَ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه و آله لِعَلِيٍّ كَرَّمَ اللَّهُ تَعالى وَجْهَهُ: «قُلِ اللّهُمَّ اجْعَلْ لِى عِنْدَكَ عَهْداً وَاجْعَلْ لِى فِى صُدُورِ الْمُؤْمِنِينَ وُدّاً» فَانْزَلَ اللَّهُ سُبْحانَهُ هذِهِ الْآيَةَ. وَكانَ مُحَمَّدُ بْنُ الحنفيّة رضى الله عنه يَقُولُ: لا تَجِدُ مُؤْمِناً الّا وَهُوَ يُحِبُّ عَلِيّاً كَرَّمَ اللَّهُ تَعالى وَجْهَهُ وَاهْلَ بَيْتِهِ «۱». سؤال: ما هو المراد من العهد المذكور فى هذه الرواية؟ الجواب: يحتمل أن يكون هذا العهد هو ما ورد فى آية سابقة قبل هذه الآية محل البحث، أى الآية ۸۷ من سورة مريم حيث ورد فيها: «لا يَمْلِكُونَ الشَّفاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمنِ عَهْداً». وعليه فالمراد من العهد هو الشفاعة، فالنبى الأكرم يقول للإمام على عليه السلام: اطلب من

اللَّه تعالى أن تنال مقام الشفاعة وأن يجعل محبّتك فى قلوب المؤمنين وهى المحبّة التى وردت فى دعاء إبراهيم الخليل واستمرت إلى زمان نبى الإسلام صلى الله عليه و آله وستبقى إلى يوم القيامة. ب: ويذكر العلّامة الشوكانى نقلًا عن الطبرانى عن ابن عبّاس إنه قال: نَزَلَتْ فِي عَلِيِّ بْنِ ابى طَالِبٍ «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ ...» قالَ مَحَبَّةً فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ «۲». وعلى أيّة حال فقد رأينا أن هذه الآية الشريفة تقرر وجود رابطة وثيقة بين الإيمان والعمل الصالح من جهة والمحبّة فى قلوب الناس من جهة اخرى، وطبقاً للروايات الواردة فإنّ المصداق الأكمل لها هو أميرالمؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام.

التفاسير الاخرى للآية مورد البحث

التفاسير الاخرى للآية مورد البحث ومضافاً إلى التفسير المتقدم فهناك تفاسير اخرى للآية المذكورة ومنها: الف) إن المراد من الآية الشريفة ليس هو أن المحبّة توجد فى قلوب المسلمين والمؤمنين آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۹۷ جميعاً اتجاه فرد معيّن أو أفراد بالخصوص، بل المراد أن الإيمان والعمل الصالح يورثان المحبّة فى قلوب جميع المؤمنين بالنسبة إلى بعضهم البعض، وبعبارة اخرى إنّ المحبّة فى قلوب المؤمنين متوجهه لجميع المؤمنين لا إلى فرد بالخصوص. ب) إنّ هذه الآية الشريفة تشير إلى يوم القيامة فإنّ اللَّه تعالى فى ذلك اليوم يجعل المحبّة فى قلوب المؤمنين بحيث يحبُّ بعضهم بعضاً، وعليه فهذه الآية لا تتعلق بما نحن فيه. ج) إنّ المراد من الآية الشريفة هو الإمام على عليه السلام فقط ولا تشمل أى مؤمن آخر، وما ورد فى العبارة من صيغة الجمع لا يثير مشكلة، لأن صيغة الجمع تأتى أحياناً لغرض الإحترام «۱». ولكن الانصاف أن جميع التفاسير هذه غير متنافية فيما بينها وبالإمكان الجمع فيما بينها فى المفهوم من الآية الشريفة والتى تستوعب جميع المؤمنين الذين يعملون الصالحات رغم أن المصداق الأكمل والأتم هو أميرالمؤمنين عليه السلام، كما هو الحال فى اختلاف الأنوار شدة وضعفاً من قبيل: نور الشمعة، المصباح، القمر، الشمس، ولكن بلا شكّ أن نور الشمس هو المصداق الأكمل والأتم لمفهوم النور.

توصية الآية الشريفة

الشيعة بمثابة السراج المنير

الشيعة بمثابة السراج المنير تقدّم أن قلنا أكثر من مرّة إنه ينبغى على الشيعة وأتباع أميرالمؤمنين عليه السلام السعى لمعرفة فضائل ومناقب الإمام على وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام ولكن بلا شك لا ينبغى الإكتفاء بهذا المقدار بل يجب التحرّك بعد معرفة هذه الفضائل فى خطّ العمل بها وتجسيدها على مستوى الواقع النفسى والإجتماعى والسعى فى طريق النجاة والفلاح وإرشاد الناس إلى هذا الطريق أيضاً، يجب على شيعة الإمام على عليه السلام أن يكونوا قدوة واسوة فى الإيمان والعمل الصالح لكى آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۹۸ يهتدى الناس بنور إيمانهم إلى خطّ الصلاح والتقوى والإنفتاح على اللَّه، وهذا المعنى هو الذى يبعث المحبّة لهم فى قلوب الآخرين وبالتالى يستوجب رضا أهل البيت عليهم السلام عنهم وسرورهم بمثل هؤلاء الأتباع، لا أن يتحرك الشيعة بشكل يبعث على خجل هؤلاء الأولياء من أعمالهم «۱».

مباحث اخرى

۱- نفوذ المحبّة فى قلوب الجميع

۱- نفوذ المحبّة فى قلوب الجميع إنّ ظاهر الآية الشريفة هى أن الإيمان والعمل الصالح لا يستوجبان فقط نفوذ المحبّة فى قلوب

المؤمنين بالنسبة إلى ذلك الشخص بل إنّ شعلة هذه المحبّة تسرى إلى قلوب غير المؤمنين وتعمل على تسخيرها ولهذا فإنّ أعداء الإمام على عليه السلام أيضاً يشعرون بالمحبّة له رغم أن أهواءهم النفسانية لا تسمح لهم بإظهار هذا الحبّ ولكن قد يفلت من كلماتهم هذا الأمر. وهذا ما ورد فى كتب التاريخ مراراً من أن معاوية كان يسأل من بعض شيعة الإمام على عليه السلام عند ملاقاتهم به عن حالات أميرالمؤمنين وأفعاله، وبعد أن يستمع لما يذكرونه من ثناء ومدح لأميرالمؤمنين يؤيدهم فى ذلك «۲». وأما عمرو بن العاص وهو الرجل الثانى من قادة العصيان والتمرد والإنحراف والذى يعدّ الشريك الأوّل لجرائم معاوية بل إنّ معاوية كان يأتى بالدرجة الثانية فى المكر والحيلة والإفساد بعد عمرو بن العاص، هذا الشخص يقول فى قصيدته المعروفة باسم «الجلجليّة» «۳» آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۹۹ يعترف فيها بالجرائم التى ارتكبت فى زمن معاوية وكذلك فى فضائل الإمام على عليه السلام ويقول: مُعاوِيَةُ الْحالَ لا تَجْهَل وَعَنْ سُبُلِ الْحَقِ لا تَعْدِل وَكِدْتُ لَهُمْ انْ اقامُوا الرُّماحَ عَلَيْهَا الْمَصاحِفَ فِى الْقَسْطَل نَسيتَ مُحاوَرَةَ الْاشعَرى وَنَحْنُ عَلى دُومَةِ الْجَنْدَل؟ خَلَعْتُ الْخِلافَةَ مِنْ حَيْدَرٍ كَخَلْعِ النَّعالِ مِنْ الْارْجُل وألبستها فيك بعد الأياس كلبس الخواتيم بالأنمل وكم قد سمعنا من الْمُصْطَفى وَصَايَا مُخَصَّصَةً فِى عَلِيٍّ؟ وَفِى يَوْمِ خُمٍّ رَقى مِنْبراً يُبَلِّغُ والرَّكْبُ لَمْ يَرْجُل وَفِى كَفِّهِ كَفِّهِ مُعْلِناً يُنادِى بِامْرِ الْعَزيزِ الْعَلِيّ وَقالَ فَمَنْ كُنْتُ مَوْلىً لَهُ فَهذا لَهُ الْيَوْمَ نِعْمَ الْوَلِيّ وَانّا وَما كَانَ مِنْ فِعْلِنا لَفِى النّارِ فِى الدَّرْكِ الْاسْفَلِ «۱»

۲- مفهوم العمل الصالح فى القرآن

۲- مفهوم العمل الصالح فى القرآن إنّ العمل الصالح فى نظر الإسلام فى دائرة المفاهيم القرآنية أمر مهم جدّاً بحيث إنّ سبعين آية من آيات القرآن الكريم بحثت هذا المعنى والمفهوم، والعمل الصالح له مفهوم واسع وشامل لكلِّ عمل يصبُّ فى دائرة رضا اللَّه تعالى، وقد ورد فى الحديث النبوى الشريف ما يوضح سعة دائرة هذا المفهوم للعمل الصالح: الْايمانُ بِضْعَةٌ وَسَبْعُونَ (سِتُّونَ خ ل) شُعْبَةً أَعْلاها شَهادَةُ انْ لا الهَ الَّا اللَّهُ وادْناها اماطَةُ الْأذى عَنِ الطَّريقِ «۲». آيات الولاية فى القرآن، ص: ۳۰۰ هذه الرواية الشريفة مضافاً إلى أنها تشير إلى سعة دائرة العمل الصالح فإنها تقرر هذه الحقيقة وهى أن الإسلام يهتم بأدنى وأصغر مسائل الحياة الفردية والإجتماعية للمسلمين ويوصى المسلمين بالإهتمام حتّى بالامور الجزئية. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۳۰۱

آية السابقون

اشارة

آية السابقون ۱۰ [سورة الواقعة (۵۶): الآيات ۱۰ الى ۱۲] ثُمَّ نُكِسُوا عَلى رُؤُسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ ما هؤُلاءِ يَنْطِقُونَ (۶۵) «سورة الواقعة/ الآيات ۱۰- ۱۲

أبعاد البحث

أبعاد البحث هذه الآيات الشريفة تستعرض فضيلة اخرى من فضائل الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام أيضاً والتى اعترف بها علماء السنّة بصورة واسعة، فنقرأ فى هذه الآيات الشريفة التى تتحدّث عن طوائف ثلاث من الناس يوم القيامة، تعليمات راقية ومطالب مهمة تتعلق بمسيرة الإنسان فى حركة الحياة الدنيوية، وسيأتى تفصيل البحث لاحقاً.

مضمون سورة الواقعة

مضمون سورة الواقعة إنّ سورة الواقعة كسائر سور القرآن الكريم تتضمن مفاهيم عميقة ومواضيع مثيرة للغاية، والأصل والمحور فى

مواضيع آيات هذه السورة المباركة هو الحديث عن المعاد والحياة الاخروية، فالآيات الاولى من هذه السورة تستعرض علائم وآثار يوم القيامة حيث يبدأ هذا اليوم بانقلاب كبير فى عالم الوجود كما هو الحال فى الإنقلاب والإنفجار الذى حدث فى بداية ظهور الأرض والمجرّات والسماوات، وعليه فإنّ الدنيا بدأت بإنفجار مهيب وستنتهى أيضاً كذلك، فعندما تقوم القيامة تهتزّ الأرض بشدّة وتتحطم الجبال آيات الولاية فى القرآن، ص: ۳۰۲ العظيمة وتتلاشى فى الفضاء نتيجة اصطدامها فيما بينها فى الفضاء بحيث تتحول إلى غبار منثور، وبعد ذلك يقوم اللَّه تعالى بخلق عالم الآخرة على خرائب وأطلال عالم الدنيا ويخلق أرضاً وسماءاً جديدة، وفى ذلك اليوم تدبُّ الحياة فى الأموات ويبعثون من قبورهم مرّة ثانية ويكونون على ثلاث طوائف: ۱- «أصحاب الميمنة» وهم السعداء والمفلحون فى ذلك اليوم. ۲- «أصحاب المشئمة» «۱» وهم الأشخاص الذين يواجهون الشقاء والمصير السيىء وتقدّم إليهم صحيفة أعمالهم بيدهم الشمال. ۳- «السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ» وهذه الطائفة من الناس هم أسعد حظاً من الطائفة الاولى وهم الذين ينالون وسام مقام القرب من اللَّه تعالى بحيث لا يدانيهم فى هذا المقام والمنزلة أحد من المؤمنين. وبهذا التقسيم القرآنى لطوائف الناس فى ذلك اليوم تشرع الآيات الكريمة باستعراض أنواع المثوبات والعقوبات المقرّرة لأفراد هذه الطوائف الثلاث، المثوبات التى تثير الوجد والفرح فى قلوب المؤمنين، والعقوبات الرهيبة التى تثير الفزع والخوف لدى كلّ إنسان. وتتحدّث الآيات ۱۱ إلى ۲۶ عن المثوبات المقرّرة للسابقين والمقرّبين، وهى المثوبات غير القابلة للتصور أحياناً، وتتحدّث الآيات ۲۷ إلى ۴۰ عن مثوبات أصحاب اليمين، ومن الآية ۴۱ فما بعد يتحدّث القرآن الكريم عن عقوبات أصحاب الشمال بصورة مفصلة.

الشرح والتفسير: من هم السابقون؟

الشرح والتفسير: من هم السابقون؟ آيات الولاية فى القرآن، ص: ۳۰۳ «وَ السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ* أُولئِكَ الْمُقَرَّبُونَ» وهم الذين ينبغى أن يكونوا اسوة وقدوة لجميع أفراد البشر فى حركتهم المعنوية وسيرهم التكاملى فى خطّ الإيمان والرسالة. سؤال: من هم هؤلاء السابقون الذين ينالون مقام القرب من اللَّه تعالى؟ الجواب: لقد ذكرت تفاسير مختلفة للمقصود من هذه العبارة: ۱- السابقون فى الإيمان. ۲- السابقون فى الجهاد. ۳- السابقون فى العبادة والصلاة اليومية. ۴- السابقون فى التوبة. ۵- السابقون فى طاعة اللَّه. ۶- السابقون فى دخول الجنّة. ۷- السابقون فى الهجرة. ۸- السابقون فى أعمال الخير. وهناك تفاسير اخرى أيضاً «۱». ولكننا نرى عدم وجود منافاة بين هذه التفاسير المذكورة للآية الشريفة، وعليه فلا ينبغى أن نقيّد الآية بأحد الموارد المذكورة بل نرى أن المفهوم منها يستوعب جميع ما ورد لها من هذه التفاسير، وعلى أيّة حال فالسابقون يتّسمون بفضائل جمّة ويختصّون بخصائص مهمّة ترتفع بهم فى عالم الملكوت، وأسمى مقام لهم هو مقام القرب الإلهى، وبلاشك أن اللذّة التى يعيشها هؤلاء السابقين فى هذا المقام العظيم ترتفع عن كلّ لذّة اخرى. «فِى جَنَّاتِ النَّعِيمِ» وهذا التعبير بصيغة الجمع يشمل كافة النِعم المادية والمعنوية فى الجنّة، وقد يشير أيضاً إلى أن بساتين الجنّة هى محل النعيم الحقيقى لا غير خلافاً لبساتين الدنيا التى قد تكون سبباً للتعب والشقاء، وهكذا بالنسبة إلى حال المقرّبين وتفاوت مقامهم آيات الولاية فى القرآن، ص: ۳۰۴ فى الآخرة بالنسبة إلى الدنيا لأنّ مقامهم الدنيوى كان مقترناً مع تحمل المسؤوليات والأتعاب والمشاكل فى حين أن مقامهم الاخروى هو التنعم الخالص بالمواهب الإلهية فى الجنّة. فهل تليق هذه المواهب والمثوبات الإلهية لغير السابقين؟ نسألك اللّهمّ بلطفك وكرمك أن تحشرنا مع هذه الطائفة وتجعلنا من المقرّبين عندك.

الإمام على عليه السلام المصداق الأتم والأكمل للسابقين

الإمام على عليه السلام المصداق الأتم والأكمل للسابقين كما تقدّم آنفاً فإنّ مفهوم الآية الشريفة شامل وعام فى دائرة السابقين ويستوعب فى مضمونه جميع الأشخاص الذين سبقوا الآخرين فى الإيمان والجهاد والصلاة والتوبة والمسير فى خطّ الطاعة والعبودية والدخول إلى الجنّة وأمثال ذلك، ولكن طبقاً لما ورد فى الروايات الشريفة أن الإمام على عليه السلام هو أسبق السابقين فى هذه

الموارد والمصداق الأتم والأكمل لهذه الآية الشريفة، وهنا نلفت النظر إلى بعض ما ورد فى هذه الروايات: الف) ما ورد عن المفسّر والراوى المعروف ابن عبّاس المقبول لدى السنّة والشيعة أنه قال: سابِقُ هذِهِ الْاُمَّةِ عَلِيُّ بْنُ أبى طَالِبٍ «۱». ب) وقال ابن عبّاس أيضاً فى رواية اخرى: يُوشَعُ بْنُ نُونْ سَبَقَ إلى مُوسى، وَمُؤْمِنُ آلِ ياسين سَبَقَ الى عيسى، وَعَلِيُّ بْنُ ابى طالِبٍ سَبَقَ إلى مُحَمَّدٍ «۲». ج) عندما أراد رسول اللَّه صلى الله عليه و آله إجراء عقد الزواج بين الإمام على عليه السلام وابنته فاطمة الزهراء عليها السلام قال مخاطباً لإبنته: زَوَّجْتُكِ بِأَوَّلِ مَنْ آمَنَ بِى وَعَرَفَنِى وَساعَدَنِى «۳». آيات الولاية فى القرآن، ص: ۳۰۵ أجل، فطبقاً لهذه الروايات والروايات الاخرى التى لم نذكرها هنا رعاية للاختصار فإنّ الإمام على عليه السلام هو أسبق السابقين من جميع المسلمين، فهل من اللائق مع وجود مثل هذا الإمام اختيار شخص آخر لخلافة النبى؟ وما أجمل ما قاله الشاعر العربى: اَلَيْسَ اوَّلُ مَنْ صَلّى بِقِبْلَتِهِمْ وَاعْلَمُ النّاسِ بِالْقُرْآنِ وَالسُّنَنِ «۱» إذن فلماذا مع وجود علىّ بن أبى طالب عليه السلام واعترافهم بأفضليته وأسبقيته يتم اختيار شخص آخر وترجيحه عليه؟ الروايات المذكورة آنفاً وردت فى منابع متعددة لدى أهل السنّة ونكتفى هنا بذكر ۱۰ مصادر ومنابع منها: ۱- إبن المغازلى فى المسند «۲». ۲- السبط ابن الجوزى فى التذكرة «۳». ۳- ابن كثير الدمشقى «۴». ۴- محيى الدين الطبرى فى الرياض النضرة «۵». ۵- السيوطى فى الدرّ المنثور «۶». ۶- ابن حجر فى الصواعق المحرقة «۷». ۷- العلّامة الشوكانى فى فتح القدير «۸». آيات الولاية فى القرآن، ص: ۳۰۶ ۸- مير محمّد صالح الترمذى فى المناقب المرتضوية «۱». ۹- الآلوسى فى روح المعانى «۲». ۱۰- القندوزى فى ينابيع المودّة «۳». ومع الإلتفات إلى كثرة هذه الروايات الواردة فى شأن الإمام على عليه السلام فى ذيل الآية الشريفة فهل يعقل أن اللَّه تعالى يختار شخصاً آخر للخلافة مع وجود الإمام على عليه السلام وفضائله الكثيرة؟

تفسير السابقين على لسان النبى صلى الله عليه و آله

تفسير السابقين على لسان النبى صلى الله عليه و آله وقد ورد فى الحديث النبوى الشريف أن النبى الأكرم صلى الله عليه و آله قال: «السّابِقُونَ إلى ظِلِّ الْعَرْشِ طُوبى لَهُمْ». قيلَ: يا رَسُولَ اللَّهِ وَمَنْ هُمْ؟ قال: ۱- «الَّذِينَ يَقْبَلُونَ الْحَقَّ إذَا سَمِعُوهُ» إنّ السابقين يتّصفون بأنهم يذعنون للحقّ أياً كان ومن أى شخص سمعوه حتّى لو كان من عدو أو صبى صغير فلا يجدون فى أنفسهم حرجاً ولا تعصباً أو تكبراً على الحقّ، فعندما يدرك الإنسان خطأه وتتضّح له آفاق الحقيقة فيجب عليه أن يتحرك من موقع الشجاعة والشهامة ويعترف بخطئه ويقبل بالحقّ وليعلم أن ضرر الإعتراف بالخطأ أقلُّ بكثير من ضرر العناد والإصرار على الخطأ وعدم الإعتراف به. ۲- «وَ يَبْذَلُونَهُ إذا سَألُوهُ» فلا يحقُّ للسابقين كتمان الحقّ، لأن كتمان الحقّ من الذنوب الكبيرة، ولذلك لا يقولون أننا قد نتعرض للضرر من قول الحقّ أو قد يتألم والدنا أو والدتنا أو زوجتنا أو صديقنا وجارنا من قول الحقّ، فهم يعلمون أن الواجب يحتم عليهم أن يشهدوا بما يعلمون أنه الحقّ آيات الولاية فى القرآن، ص: ۳۰۷ والصواب كما ذكر اللَّه تعالى ذلك فى الآية الشريفة ۲۸۳ من سورة البقرة وقال: «وَ لا تَكْتُمُوا الشَّهادَةَ وَ مَنْ يَكْتُمْها فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَ اللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ». ۳- «وَيَحكُمُونَ لِلنّاسِ كَحُكْمِهِمْ لِانْفُسِهِمْ» «۱». الخصوصيّة الاخرى للسابقين هى أنهم يحبّون لغيرهم ما يحبّون لأنفسهم ولا يحكمون لغيرهم إلّابما يرونه صلاحاً لأنفسهم، وبعبارة اخرى أنهم يرون منافعهم ومنافع الآخرين بعين واحدة، وبلاشك إنّ هذه المرتبة الأخلاقية لا تتيسر لكلِّ شخص وليس من اليسير أن ينظر الإنسان لمصالح الآخرين كما يرآها لنفسه ويذعن للحقّ من دون أن تتدخل فى ذهنه عناصر الأنانية، وبذلك ينال مرتبة السابقين. إذا عمل الإنسان المعاصر بهذه التعليمات النبوية الثلاث فإنّ العالم سوف يتبدل إلى جنّة، ولكن مع الأسف فإنّ تعامل دعاة حقوق الإنسان مع الشعوب الاخرى من موقع الإنتهازية والرياء حوّل المجتمع البشرى إلى كيانات مهزوزة وبدّل العالم إلى جهنم محرقة ولم يبق من حقوق الإنسان فى أذهان البشر سوى أوهام خاوية وتوهيمات زائفة، فعندما يسمع أبناء البشر إدعاءات هؤلاء المدّعين والمنادين لحقوق الإنسان يتبادر إلى أذهانهم مفاهيم جديدة وهى «حفظ منافع السلطات الإستكبارية بأى قيمة وبأى شكل كان». آيات الولاية فى القرآن، ص: ۳۰۹

آية اذُن واعية

اشارة

آية اذُن واعية ۱۱ [سورة الحاقة (۶۹): الآيات ۱۱ الى ۱۲] حَتَّى إِذا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَ مَأْجُوجُ وَ هُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ (۹۶) «سورة الحاقة/ الآيات ۱۱ و ۱۲»

أبعاد البحث

أبعاد البحث هذه الآية الشريفة «آية اذن واعية» من الآيات الاخرى التى تتحدّث عن فضائل أميرالمؤمنين عليه السلام، وطبقاً للروايات الواردة فى ذيل هذه الآية الشريفة فإنّ النبى الأكرم صلى الله عليه و آله قد دعا اللَّه تعالى أن يكون على ابن أبى طالب من جملة الأشخاص الذين يتمتعون بالاذن الواعية وقد استجاب اللَّه تعالى له هذا الدعاء، وسيأتى شرح وتفصيل هذه الروايات وتفسير الآية مورد البحث والمفهوم من عبارة «اذن واعية» فى البحوث اللاحقة.

الشرح والتفسير: قصة الأنبياء

الشرح والتفسير: قصة الأنبياء لقد بحث القرآن الكريم قصص الأنبياء فى هذه السورة «سورة الحاقة» بل فى غيرها من السور القرآنية الكريمة من زوايا مختلفة ومتنوعة. سؤال: لماذا تطرّق القرآن الكريم لبيان تاريخ الامم والأقوام السالفة واستعرض قصص الأنبياء السابقين، فهل أن القرآن كتاب تاريخ؟ آيات الولاية فى القرآن، ص: ۳۱۰ الجواب: القرآن كتاب لتهذيب الإنسان، والتاريخ البشرى له دور مهم فى تعليم وتربية الإنسان فى حركة حياته الفردية والإجتماعية، والخلاصة أن الإنسان يعيش التجربة والحوادث المتنوعة فى هذه الحياة وما أحسن أن يستفيد الإنسان من تجارب الآخرين على مستوى العبرة والسلوك العملى لا أن يتمنّى كما يقول بعض الشعراء أن يعيش ويحيى مرتين ويجعل إحدى الحياتين لممارسة التجارب والثانية للاستفادة من تلكم التجارب الماضية. يقول تبارك وتعالى فى الآية ۱۱۱ من سورة يوسف: «لَقَدْ كانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبابِ». ويشير أيضاً فى بداية سورة الحاقة إلى قصص الأنبياء والسابقين مع أقوامهم حيث سنتعرض هنا إلى شرح وتفسير هذه الآيات المباركة: «وَ جاءَ فِرْعَوْنُ وَ مَنْ قَبْلَهُ وَ الْمُؤْتَفِكاتُ بِالْخاطِئَةِ». إنّ فرعون والأقوام التى سبقته أى قوم شعيب، عاد، ثمود وأقوام اخرى وكذلك المدن المؤتفكة أى المنقلبة والمدمَّرة بسبب تلوّث أهلها بالخطيئة والذنوب الكبيرة، «المؤتفكات» جمع «مؤتفكة» وتشير إلى قصة قوم لوط عندما نزل عليهم العذاب الإلهى وأصابهم الزلزال المهيب ودمر بيوتهم ومنازلهم بحيث إنّ الرائى لها يحسبها قد انقلبت رأساً على عقب وبعد الزلزال نزل عليهم مطر من الشهب والأحجار الموسومة ودمّر ما تبقّى من آثارهم، والسبب فى نزول هذا العذاب هو ممارستهم الخطيئة والإصرار على الذنوب حيث أشارت الآية إلى هذا المعنى «بالخاطئة». «فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رابِيَةً». إنّ الأقوام السالفة تحرّكوا فى سلوكياتهم مقابل دعوة الأنبياء من موقع العناد والإبتعاد عن الحقّ ولذلك أنزل عليهم اللَّه تعالى العذاب الشديد، والتعبير بقوله «ربّهم» إشارة إلى أنّ اللَّه تعالى أراد تهذيبهم وصلاحهم بإرساله الأنبياء إليهم ولكنّ بعض الناس أصرّوا على معتقداتهم الزائفة ولم يستجيبوا لدعوات الأنبياء وتعاليمهم الإلهية والصادرة من ولى أمرهم ومربّيهم ولذلك استحقوا العذاب والعقاب الشديد. «إِنَّا لَمَّا طَغَى الْماءُ حَمَلْناكُمْ فِي الْجارِيَةِ». آيات الولاية فى القرآن، ص: ۳۱۱ وتشير هذه الآية إلى قصة نوح عندما أمطرت السماء بأمر اللَّه تعالى بماء منهمر وتفجّرت الأرض بالعيون الفوّارة وجرى السيل المهيب بحيث لم يستغرق سوى مدّة قليلة حتّى عمّ الماء أرض المعمورة ولم تسلم من الطوفان حتّى الجبال ولذلك أمر اللَّه تعالى نوح ومن معه من المؤمنين بركوب السفينة لينقذوا أنفسهم من الغرق، ولكن الوثنيين والمشركين ومنهم ابن نوح الذين أصرّوا على سلوك خطّ الباطل والشرك والإنحراف غرقوا جميعاً فى هذا الطوفان، هؤلاء كانوا يسخرون يوماً

من النبى نوح عليه السلام لصنعه السفينة بعيداً عن البحر بل اتهموه بالجنون أيضاً وعندما حدث الطوفان وأمطرت السماء ذلك المطر العجيب وجدوا أنفسهم فى معرض العقاب الإلهى وهلكوا جميعاً بسوء أفعالهم. «لِنَجْعَلَها لَكُمْ تَذْكِرَةً وَ تَعِيَها أُذُنٌ واعِيَةٌ». فالقرآن الكريم يشير هنا إلى أن استعراض قصص الأقوام السالفة والأنبياء الإلهيين ليس بهدف بيان وقائع تاريخية محضة بل الهدف والغاية من ذلك هو كسب العبرة واستيحاء التجارب من أحداث التاريخ الغابر والإستفادة منها لممارسات الحاضر ولا يتدبّر فى هذه الامور ويستفيد منها إلّامن كانت له اذن واعية ونفس متذكرة لتحفظ هذه الحوادث والقصص التاريخية، «وعى» بمعنى حفظ الشىء فى القلب وفى المصطلح الجديد تطلق هذه الكلمة «الوعى» على من يتعامل مع الأحداث بذهنية متحركة وفكر جيّد، وعليه فعبارة «اذنٌ واعية» تعنى الشخصية التى تستوعب الحدث وتحفظه لتستفيد منه على مستوى التطبيق والممارسة ولا تتركه فى طيّات النسيان كما هو الحال فى المثال المعروف «يسمع من هذه الاذن ويخرجه من اذنه الاخرى» فالإنسان الواعى لا يتعامل مع مستجدات الواقع بهذه الصورة بل يسمع بكلا اذنيه ويحفظ ما سمعه فى قلبه ليكون صاحب الاذن الواعية، والعين البصيرة، والقلب السليم، والعقل المتفكّر.

من هو صاحب الاذن الواعية؟

من هو صاحب الاذن الواعية؟ بالرغم من أن الآية الشريفة لها مفهوم واسع وشامل لجميع الأفراد الذين يتّسمون بهذه السمة «الاذن الواعية» ولكن طبقاً لما ورد فى الروايات الكثيرة فى تفسير هذه الآية فإنّ آيات الولاية فى القرآن، ص: ۳۱۲ المصداق الأتم والأكمل للُاذن الواعية هو الإمام على عليه السلام. وقد ورد فى بعض الروايات أنه عندما نزلت هذه الآية الشريفة قال النبى الأكرم صلى الله عليه و آله مخاطباً للإمام على عليه السلام: «سَأَلْتُ اللَّهَ انْ يَجْعَلَها اذُنَکَ يا عَلِيٌّ». ويقول الإمام على عليه السلام: بعد هذه الواقعة كنت إذا سمعت شيئاً من النبى أحفظه ولا أنساه. وقد ورد فى روايات اخرى أيضاً أن النبى الأكرم صلى الله عليه و آله دعا بهذا الدعاء أوّلًا ثمّ نزلت الآية الشريفة. أما الرواية المذكورة آنفاً فقد وردت فى مصادر متعددة لأهل السنّة وكنموذج على ذلك نشير إلى بعضها: ۱- القرطبى فى الجامع لأحكام القرآن «۱». ۲- العلّامة المتقى الهندى فى منتخب كنز العمّال «۲». ۳- العلّامة الآلوسى فى روح المعانى «۳». ۴- العلّامة الواحدى النيشابورى فى أسباب النزول «۴». ۵- أبو نعيم الاصفهانى فى حلية الأولياء «۵». ۶- الطبرى فى تفسيره «۶». ۷- الزمخشرى فى الكشّاف «۷». ۸- الثعلبى فى تفسيره «۸». آيات الولاية فى القرآن، ص: ۳۱۳ ۹- العلّامة الاندلسى المغربى فى البحر المحيط «۱». ۱۰- الگنجى فى كفاية الطالب «۲». ورغم أن الفخر الرازى يتحرك فى مباحث الإمامة والولاية من موقع التعصّب الكبير إلّا أنه نقل حديثاً طريفاً ذيل الآية الشريفة، فبعد أن ذكر دعاء النبى للإمام على عليه السلام حول نزول هذه الآية قال نقلًا عن أميرالمؤمنين: «فَما نَسيتُ بَعْدَ ذلِکَ وَما كَانَ لِي انْ انْساهُ» «۳». أى أن قلب الإمام على أصبح خزانة الوحى الإلهى ومركز الكلمات النبويّة بعد دعاء النبى الأكرم صلى الله عليه و آله له.

التناقض فى كلام الشيخ روزبهان

التناقض فى كلام الشيخ روزبهان وقد ذكر الشيخ روزبهان فى ردّه على العلّامة الحلّى عندما وصل إلى هذه الآية الشريفة وقال: لمّا نزلت هذه الآية، قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله لعلى عليه السلام سألت اللَّه تعالى أن يجعلها اذنک، قال على: «فَما نَسيتُ بَعْدَ هذَا شَيئاً». وهذا يدلُّ على علمه وحفظه وفضيلته. وذكر الشيخ روزبهان بعد نقله لهذا الحديث الشريف: إنّ هذه الرواية تدلُّ على علم الإمام على وحافظته القوية وفضيلته السامية. ولكنه بعد أن ذكر الرواية الشريفة وما عقّب عليها من عبارات فى ذيلها فى مدح على قال: ولكنّ هذه الامور لا تدلُّ على إمامته وخلافته بعد الرسول مباشرة «۴». والجواب على هذا الكلام واضح، لأن أحد دعائم الإمامة وأركانها هو العلم والمعرفة، وبما أن الإمام هو خليفة الرسول فيجب أن يستوعب الشريعة وتعليمات النبى الأكرم صلى الله عليه و آله آيات الولاية فى القرآن، ص: ۳۱۴ كاملًا ويكون بالتالى حلّالًا لمشكلات الناس ومن البديهى أن اللازم للإمامة والخلافة هو أن يكون

الخليفة بمستوىً كبير ومرتبة عالية من العلم والمعرفة ليكون مستحقاً للخلافة وأهلًا لقيادة الامّة إلى ساحل النجاة، ولذلك نقول إنّ عليّ ابن أبى طالب وباعترافكم أعلم وأفضل من جميع من يدعى الخلافة بعد رسول اللَّه، فأىُّ عاقل يبيح لنفسه أن يختار شخصاً آخر للخلافة مع وجود مثل هذه الشخصية العظيمة؟ وعلى هذا الأساس فكيف تدلُّ هذه الآية الشريفة على علم الإمام على عليه السلام وتقواه العظيمة ولا تدلُّ على خلافته وإمامته؟ أليس هذا من التناقض؟

ملاحظة ظريفة من الفخر الرازى

ملاحظة ظريفة من الفخر الرازى الفخر الرازى فى تفسيره لكلمة «اذنٌ واعية» يطرح هذا السؤال: لماذا وردت «اذنٌ واعية» بصورة المفرد والنكرة ولم ترد بصيغة الجمع والمعرفة؟ ثمّ يجيب على هذا السؤال بثلاث امور: ۱- «للايذان بأنّ الوعاة فيهم قلّة» فإنّ اللَّه تعالى يريد بهذا التعبير إفهام المخاطبين بأن أصحاب الاذن الواعية قليلون وغير معروفين بين الناس. ۲- «لتوبيخه الناس بقلّة من يعى منهم» فأراد اللَّه تعالى بهذه العبارة توبيخ الناس وذمّهم على قلّة من يأخذ الامور من موقع الوعى والفهم السليم. ۳- «للدّلالة على أنّ الاذن الواحدة إذا وعت وعقلت عن اللَّه فهى السّواد الأعظم عند اللَّه وأنّ ما سواه لا يلتفت إليهم» «۱» فصاحب الاذن الواعية يعادل جمع غفير من الناس فى واقع الأمر. ومع الإلتفات إلى هذا البيان وكذلك ما ورد فى الروايات من أن المراد بالاذن الواعية هو على بن أبى طالب عليه السلام، تكون النتيجة أنّ مصداق هذه الآية الشريفة هو أميرالمؤمنين عليه السلام وهذا المطلب يؤيد ما ورد فى شأن النزول ومن دعاء النبى الأكرم صلى الله عليه و آله للإمام على عليه السلام. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۳۱۵

على مع الحقّ والحقّ مع على

على مع الحقّ والحقّ مع على ومن أجل توضيح الأبعاد المختلفة من شخصية الإمام على عليه السلام وامتيازات وخصائص خليفة رسول اللَّه صلى الله عليه و آله بالحقّ نلفت نظر القارئ الكريم إلى ثلاث روايات وردت فى مصادر أهل السنّة: ۱- ينقل الطبرانى عن امّ سلمة زوجة الرسول عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله أنه قال: عَلِيٌّ مَعَ القُرْآنِ وَالْقُرْآنُ مَعَ عَلِيٍّ لا يَفْتَرِقانِ حَتّى يَرِدا عَلَىَّ الْحَوْضَ «۱». سؤال: عندما يقول النبى «على مع القرآن والقرآن مع على» فماذا يقصد بذلك؟ هل يقصد أن الإمام على كان يحمل معه القرآن دائماً، أو أن مراده هو أنه عليه السلام حافظ للقرآن، أو مراده شىء آخر؟ الجواب: إنّ مراده من هذه الجملة هو أن تفسير القرآن والعلم بآياته ومعارفه موجود لدى علىّ بن أبى طالب عليه السلام ولا يفترق عنه وكذلك العمل بمضامينه ودستوراته فإنها تتجسد فى سلوكيات أميرالمؤمنين فهو العالم والعامل بالقرآن الكريم، فالعلم فى القرآن والعمل به لا ينفكّان عن الإمام على عليه السلام، وهذا فى الحقيقة امتياز كبير وفضيلة عظيمة لم ترد فى حقّ أى واحد من أصحاب النبى صلى الله عليه و آله.

دعاء النبى صلى الله عليه و آله فى حقّ على عليه السلام

على عليه السلام أفضل القضاة!

على عليه السلام أفضل القضاة! ۳- جاء شخص إلى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وقال: عن الصادق عن أبيه عليهما السلام: إنّ ثوراً قتل حماراً على عهد النبى صلى الله عليه و آله فرفع ذلك إليه وهو فى أناس من أصحابه فيهم أبوبكر وعمر، فقال: يا أبابكر اقضِ بينهم، فقال: يا رسول اللَّه بهيمة قتلت بهيمة ما عليهما شىء. فقال صلى الله عليه و آله: يا عمر اقض بينهم. فقال مثل قول صاحبه. فقال: يا على اقض بينهم. فقال: نعم يا رسول اللَّه، إن كان الثور دخل على الحمار فى مستراحه ضمن أصحاب الثور، وإن كان الحمار دخل على الثور فى مستراحه فلا ضمان عليهم. فرفع النبى صلى الله عليه و آله يده إلى السماء فقال: الحمد للَّه الذى جعل منى من يقضى

بقضاء النبيين «۱». فقال النبى الأكرم صلى الله عليه و آله تأييداً لقضاء الإمام على عليه السلام فى هذا المورد: «اقْضاكُمْ عَلِيٌّ» «۲». إن قضاء الإمام على عليه السلام فى هذه الواقعة هو المصداق لما ورد فى فقه الشيعة كقاعدة كلية وهى «عندما يكون السبب أقوى من المباشر فالسبب ضامن» وفى القصة المذكورة آنفاً كانت البقرة هى المباشرة للقتل وصاحب البقرة الذى تركها حرة ولم يربطها هو المسبب للقتل، وبما أن السبب أقوى لمكان العقل والشعور وليس للحيوان ذلك العقل والشعور ولهذا فالسبب هو الضامن «۳». آيات الولاية فى القرآن، ص: ۳۱۷ وطبقاً لما تقدّم فصاحب «الاذن الواعية» هو الإمام على عليه السلام الذى لا يفترق عن القرآن الكريم وأعلم المسلمين بأمر القضاء وأفضل الصحابة وأعرفهم بكتاب اللّه، ومع الأخذ بنظر الإعتبار ما تقدّم فإن اللّه تعالى إذا أراد أن ينصب شخصاً للخلافة والإمامة بعد النبى الأكرم صلى الله عليه و آله فهل يعقل أن ينصب شخصاً آخر لهذا المقام غير الإمام على عليه السلام؟ ولو قلنا بأن هذا المقام يتم باختيار الناس فهل يقرر العقلاء وأصحاب الفكر مع وجود الإمام على عليه السلام بكلّ هذه الفضائل والصفات السامية، انتخاب غيره لهذه المهمة؟ نرى أن من اللازم أن نتوجه مرّة اخرى إلى اللّه تعالى ونرفع أيدينا بالشكر والثناء من صميم القلب على هذه النعمة العظيمة وهى أن وفقنا لاتباع مثل هذا الإنسان الكامل والعظيم وجعلنا من شيعة الإمام على عليه السلام وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام ونشكر كذلك آباءنا وامهاتنا الذين عرّفونا بالإمام على عليه السلام وعملوا على تربيتنا بحبّ هذا الإنسان العظيم وولايته ونشكر أيضاً جميع المعلمين والأساتذة والعلماء على طول التاريخ على ما تحمّلوا من أتعاب ومشقّات لكى يرفعوا لواء الولاية فى هذا البلد الإسلامى العريق «ايران» ونطلب من اللّه تعالى أيضاً: إلهنا، أرزقنا العشق والمودّة الدائمة لهذا الإمام العزيز واحيى قلوبنا وأرواحنا بهذه الولاية والمحبّة واجعل نسلنا وذريتنا إلى يوم القيامة من شيعة الإمام على عليه السلام الحقيقيين. ربّنا، اغثنا فى اللحظات الحرجة وساعات الإحتضار ومواقف المحشر والقيامة بالإمام على وأهل بيته الطاهرين. إلهنا وفّقنا إلى أن نكون فى أعمالنا وأقوالنا من أتباع أهل البيت عليهم السلام بحيث ننال بذلك رضاك والمنزلة عندك. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۳۱۹

آية صالح المؤمنين

اشارة

آية صالح المؤمنين ۱۲ [سورة التحريم (۶۶): آية ۴] وَ لَوْ أَنَّا كَتَبْنا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيارِكُمْ ما فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَ لَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا ما يُوعَظُونَ بِهِ لَكانَ خَيْراً لَهُمْ وَ أَشَدَّ تَثْبِيتاً (۶۶) «سورة التحريم/ الآية ۴»

أبعاد البحث

أبعاد البحث الآية الشريفة المذكورة آنفاً هى الآية المعروفة بآية «صالح المؤمنين» وهى من جملة الآيات التى تدلُّ باعتراف الشيعة وأهل السنّة على فضيلة اخرى من فضائل الإمام على عليه السلام الكثيرة، والحديث عن دلالة هذه الآية على فضيلة أميرالمؤمنين عليه السلام وارتباطها بمسألة الولاية والإمامة سيأتى فى الأبحاث اللاحقة بالتفصيل.

شأن النزول

شأن النزول هذه الآية هى الآية الرابعة من آيات سورة التحريم، وقد وردت روايات عديدة فى أسباب نزول هذه السورة فى كتب الحديث والتفسير والتاريخ عن الشيعة والسنّة انتخبنا أشهر تلك الروايات وأنسبها وهى: كان رسول اللّه يذهب أحياناً إلى زوجته (زينب بنت جحش) فتبقيه فى بيتها حتّى «تأتى إليه بعسل كانت قد هيّأته له صلى الله عليه و آله ولكن لمّا سمعت عائشة بذلك شقّ

عليها الأمر، ولـذا قالت: إنّها قـد اتّفقت مع «حفصة» إحدى «أزواج الرسول» على أن يسألا الرسول بمجرّد أن آيات الولاية فى القرآن، ص: ۳۲۰ يقترب من أى منهما بأنّه هل تناول صمغ «المغافير» «۱» وفعلًا سألت حفصة الرسول صلى الله عليه و آله هذا السؤال يوماً وردّ الرسول بـأنّه لم يتناول صـمغ «المغافير» ولكنه تناول عسـلًا عنـد زينب بنت جحش، ولهـذا أقسم بأنّه سوف لن يتناول ذلك العسل مرّة اخرى، (خوفاً من أن تكون زنابير العسل هـذا قـد تغذّت على شـجر صـمغ «المغافير») وحذّرها أن تنقل ذلك إلى أحد (لكى لا يشـيع بين النـاس أنّ الرسول قـد حرّم على نفسه طعامـاً حلالًا فيقتـدون بالرسول ويحرّمونه أو ما يشـبهه على أنفسـهم، أو خوفاً من أن تسـمع زينب وينكسـر قلبها وتتألّم لـذلك). لكنها أفشت السـرّ فتبيّن أخيراً أنّ القصة كانت مدروسة ومعدّة فتألّم الرسول صـلى الله عليه و آله لذلك كثيراً فنزلت عليه الآيات السابقة لتوضّح الأمر وتنهى من أن يتكرر ذلك مرة اخرى فى بيت رسول اللَّه صلى الله عليه و آله «۲». وجاء فى بعض الروايات أنّ الرسول ابتعد عن زوجاته لمدّة شهر بعد هذا الحادث «۳»، انتشرت على أثرها شائعة أنّ الرسول عازم على طلاق زوجاته، الأمر الذى أدّى إلى كثرة المخاوف بينهنّ «۴» وندمن بعدها على فعلتهن.

الشرح والتفسير: أصحاب وأنصار النبى صلى الله عليه و آله

الشرح والتفسير: أصحاب وأنصار النبى صلى الله عليه و آله نرى من اللازم فى تفسير الآية مورد البحث إلقاء نظرة إجمالية على الآيات السابقـة لهـا لتوضـيح المراد منها. بلا شك أن شخصـية كبيرة مثل شخصـية النبى الأكرم صـلى الله عليه و آله لا تتعلق بـذاته وشخصـه آيات الولاية فى القرآن، ص: ۳۲۱ كواحد من الناس بل تتعلق بجميع أفراد المجتمع الإسلامى والمجتمع البشرى أيضاً، وعليه فلو واجه مؤامرة فى بيته ومن أقرب الناس إليه فإنّ هـذه المؤامرة رغم كونها خاصّـة ومحـدودة بـدائرة صـغيرة إلّاأن ذلك لا يعنى أن نمرُّ عليها مرور الكرام ومن موقع عـدم الإهتمام فإنّ حيثيـة النبوّة وهـذا المقام العظيم لا ينبغى أن يكون «والعياذ باللَّه» العوبـة بيد هذا وذاك، فلو فُرض أن واجه النبى مثل هذه الحال فلابدّ أن يتعامل مع هذا الموقف بجديّة وقاطعيّة لئلّا يسـرى الأمر إلى موارد اخرى. الآيات الاولى من سورة التحريم فى الحقيقـة تتضـمن أمراً قاطعاً من اللَّه تعالى لنبيّه الكريم أن يتّخـذ موقفاً صارماً من هـذه الحادثـة، ومن أجل حفظ كرامـة النبى وحيثيته تقول الآيـة: «يـا أَيُّهَـا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مـا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضاتَ أَزْواجِكَ». ومعلوم أن هـذا التحريم لم يكن تحريماً شـرعياً بل كما سـيأتى توضـيحه فى الآيات اللاحقة أنه كان بمثابة قَسَم من النبى الكريم صـلى الله عليه و آله، ونعلم أن القسم على ترك بعض المباحات لا يعدُّ من الذنوب، وعليه فإنّ جملة «لِمَ تحرّم» لم ترد بعنوان عتاب وتوبيخ بل هو نوع من الشفقة واللطف، كما يقال لمن يتعب نفسه كثيراً فى خدمـة الآخرين ومن دون أن يعود عليه إلّا بالنفع القليل: لماذا تتعب نفسك كثيراً وتعمل كلّ هذه الأعمـال ولا تنتفع منها إلّاالقليل؟ «وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ»، ثمّ إنّ اللَّه تعالى يختم الآيـة الشـريفة بالغفران والرحمـة للزوجات اللواتى سـبّبن وقوع هذه الحادثة فيما لو صدقن فى التوبة إلى اللَّه تعالى، أو هى إشارة إلى أنّ الأفضل للنبى الكريم صـلى الله عليه و آله أن لا يقسـم مثل هذا القسم بحيث يحتمل أن يتسبب فى إقدام بعض زوجاته على مستوى الجرأة والجسارة. وتضيف الآية التالية «قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمانِكُمْ» وبهـذا جعل اللَّه تعالى كفّارة القسم ليتحرر الإنسان من قَسَـمه ولا يتورط فى الذنب فى الموارد التى يكون ترك العمل مرجوحاً «من قبيل الآيـة مورد البحث» فى هـذه الصورة يجوز حنث اليمين ولكن لأجل حفظ حرمة اليمين فالأفضل دفع كفّارة. «وَ اللَّهُ مَوْلاكُمْ وَ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ» وهو الذى بيّن لكم طريق النجاة والتخلّص من آيات الولاية فى القرآن، ص: ۳۲۲ هذه الأيمان وفتح لكم أبواب حلّ المشـكل بحكمته، ويستفاد من الروايات الشريفة أن النبى الأكرم صلى الله عليه و آله بعد نزول هذه الآية أعتق رقبة وتحرر من القسم الذى حرّم بواسطته ما كان حلالًا له. وتتحرّك الآية التى بعدها على مستوى شـرح وبيان الواقعة بتفصيل أكثر وتقول: «وَ إِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلى بَعْضِ أَزْواجِهِ حَدِيثاً فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَ أَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَ أَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ». فهنـا تتحـدّث الآيـة الشـريفة عن حديث النبى صـلى الله عليه و آله لبعض أزواجه فى سرّ معيّن ولكنّ هذه الزوجة لم تحفظ السرّ بل أفشته وأعلنت عنه، ولكن ماذا كان هذا السـرّ ومن هى الزوجة التى تحدّث النبى معها وأطلعها على هذا السرّ فسوف يأتى فى بحث شأن النزول لاحقاً. ويتّضح من مجموع

هذه الآيات القرآنية أنّ بعض نساء النبى صلى الله عليه و آله مضافاً إلى توجيه الإساءة إليه بكلامهنّ فإنّهنّ لم يحفظنّ السرّ معه والذى يعتبر أهم العناصر فى العلاقات الزوجية بأن تكون الزوجة وفيّة لزوجها وتحفظ أسراره، ولكننا نرى خلاف ذلك فى بيت النبوّة، ومع ذلك فنلاحظ أن سلوك النبى الأكرم صلى الله عليه و آله مع كلّ هذه التعقيدات والمواقف السلبية من بعض زوجاته إلّاأنه لم يكن مستعداً للكشف عن جميع السرّ الذى أفشته زوجته ويوّبخها على ذلك بل اكتفى بالإشارة إلى بعضه فقط «عرّف بعضه وأعرض عن بعض» ولذا ورد فى الحديث الشريف عن أميرالمؤمنين عليه السلام أنه قال: ما اسْتَقْصى كَريمٌ قَطُّ لَانَّ اللَّهَ يَقُولُ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَاعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ «۱». ثمّ تتوجه الآية بالخطاب إلى الزوجتين مورد البحث وتقول: «إِنْ تَتُوبا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُما» فلو انتهيتما من إساءة النبى عليه السلام وتبتما إلى اللَّه فإنّ ذلك يعود عليكما بالنفع لأنّ قلوبكما قد انحرفت بهذا العمل عن خطّ الحقّ وتلوثت بالذنب. والمراد بهاتين الزوجتين كما صرّح به المفسّرين من الشيعة والسنّة: «حفصة» بنت عمر آيات الولاية فى القرآن، ص: ۳۲۳ بن الخطّاب و «عائشة» بنت أبى بكر «۱»، وبما أن مثل هذه الحالات السلبية تعتبر ظاهرة خطيرة فى بيت النبوّة فيما لو تكررت فى المستقبل فإنّ اللَّه تعالى يحذّرهما فى هذه الآية من الإستمرار فى سلوك هذا الطريق الشائن ويقول: «وَ إِنْ تَظاهَرا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلاهُ وَ جِبْرِيلُ وَ صالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمَلائِكَةُ بَعْدَ ذلِكَ ظَهِيرٌ». وهذا التعبير يشير إلى هذه الحقيقة وهى أن هذه الواقعة قد أضرّت بالنبى الأكرم صلى الله عليه و آله كثيراً وآلمت قلبه الطاهر إلى درجة أن اللَّه تعالى يهبُّ للدفاع عنه، ورغم أن القدرة الإلهية كافية فى عملية الدفاع عن النبى إلّاأن القرآن الكريم أضاف إليها حماية جبرئيل والمؤمنين الصالحين والملائكة فى دفاعهم عن رسول اللَّه.

من هو صالح المؤمنين؟

من هو صالح المؤمنين؟ إنّ ما يلفت النظر فى الآية المذكورة ويقع فى البحث هو أنه: ما المراد من عبارة «صالح المؤمنين»؟ هل يقصد بها شخص معيّن، أو أن هذا التعبير شامل لجميع المؤمنين الصالحين؟ بلاشك أن «صالح المؤمنين» له معنى شامل وعام بحسب الظاهر حيث يستوعب جميع المؤمنين الصالحين والمتقين رغم أن كلمة «صالح» قد وردت فى هذه الجملة بصيغة المفرد لا الجمع، ولكن بما أنها استعملت بمعنى الجنس فيستفاد منها المفهوم العام، ولكن لاشكّ أن مفهوم «صالح المؤمنين» له مصداق أتمّ وأكمل، ويستفاد من خلال الروايات المتعددة أن هذا المصداق الأكمل والفرد الأتم هو «أميرالمؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام» وهذا المعنى ذكره الكثير من علماء أهل السنّة فى كتبهم ومن ذلك: ۱- العلّامة الثعلبى «۲». آيات الولاية فى القرآن، ص: ۳۲۴ ۲- العلّامة الگنجى فى كفاية الطالب «۱». ۳- أبوحيان الأندلسى «۲». ۴- السبط ابن الجوزى «۳». ۵- السيوطى فى الدرّ المنثور «۴». ۶- الآلوسى فى روح المعانى «۵». ۷- الحاكم الحسكانى فى شواهد التنزيل «۶». ۸- العلّامة البرسويى فى روح البيان «۷». ۹- ابن حجر فى الصواعق «۸». ۱۰- علاء الدين المتقى فى كنز العمّال «۹». وقد ذكر الحاكم الحسكانى الحنفى فى ذيل هذه الآية الشريفة «ثمانية عشر رواية» من طرق مختلفة تؤكد على أن المراد بكلمة «صالح المؤمنين» هو على بن أبى طالب، ونكتفى هنا بذكر ثلاث روايات منها: ۱- تقول اسماء بنت عميس إنّنى سمعت رسول اللَّه صلى الله عليه و آله يقول: صالِحُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبى طالِبٍ «۱۰». ۲- وينقل ابن عبّاس عن النبى الأكرم صلى الله عليه و آله أنه قال عن أميرالمؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام: آيات الولاية فى القرآن، ص: ۳۲۵ هُوَ صالِحُ الْمُؤْمِنِينَ «۱». ۳- ويقول عمّار ابن ياسر إننى سمعت على بن أبى طالب عليه السلام يقول: دعانى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وقال: أَلا ابَشِّرُكَ؟ قُلْتُ: بَلى يا رَسُولَ اللَّهِ وَما زِلْتَ مُبَشِّراً بِالْخَيْرِ! قالَ: قَدْ انْزَلَ اللَّهُ فيكَ قُرْآناً. قُلْتُ: وَما هُوَ يا رَسُولَ اللَّهِ؟ قالَ: قُرِنْتَ بِجَبْرَئيلِ ثُمَّ قَرَأَ: وَجبرِيلُ وَصالِحُ الْمُؤْمِنِينَ ... «۲» وخلاصة الكلام أن الروايات الواردة فى هذا المورد كثيرة وقد ذكر المفسّر المعروف «البحرانى» فى تفسيره «البرهان» بعد أن ذكر رواية فى هذا المجال عن محمّد بن عبّاس أنه نقل ۵۲ حديثاً ورواية حول هذا الموضوع من طرق الشيعة وأهل السنّة ثمّ نقل بعض هذه الأحاديث. والنتيجة هى أن الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام يعتبر أفضل ناصر ومعين لرسول اللَّه صلى الله عليه و آله بعد اللَّه تعالى وجبرئيل الأمين، وعليه فمن يكون مؤهلًا لمقام الخلافة والإمامة بعد رسول اللَّه صلى الله

عليه و آله غيره؟ ألا تعتبر هـذه الروايات دليلًا على أن على بن أبى طالب عليه السـلام أفضل أفراد الامّـة وأعلاهم شأناً بعـد رسول اللّه صلى الله عليه و آله؟ وإذا كان هكـذا وأراد اللّه تعالى أن ينصب شـخصاً لمقام الخلافـة والإمامة بعد النبى الأكرم فهل تسـمح الحكمة الإلهيـة بأن يختار اللّه تعالى شـخصاً آخر غيره لهـذا المقام؟ وإذا أراد الناس والعقلاء أن يختاروا لهم شـخصاً لحيازة هـذا المقام المهم فهل يسمح العقل السليم أن يختاروا شخصاً غير من كان أفضل ناصر ومعين لنبى الإسلام بعد اللّه وجبرئيل؟ أجل، فإنّ الإمام على عليه السـلام كان يعيش النصـرة الدائمـة للنبى الأكرم صـلى الله عليه و آله فى جميع المواقف والأحداث والميادين وأنه الأولى بحيازة مقام الخلافة بعد النبى الأكرم صلى الله عليه و آله.

توصية الآية

توصية الآية آيات الولاية فى القرآن، ص: ۳۲۶ نستوحى من عبارة «صالح المؤمنين» أن الآية الشريفة توصى الجميع بالإيمان والصلاح والخير، وتوصـى جميع أتبـاع أميرالمؤمنين أن لا- يتوقفوا على عتبـة «قبول الإسـلام» بـل يتحركوا من موقع تعميق الإيمـان باللّه وباليوم الآـخر وأن يمتـد هـذا الإيمان إلى أعماق وجـدانهم وقلوبهم ويتجسـد على مسـتوى الجوارح وممارسـة الأعمال الصالحـة ليكونوا من صالح المؤمنين. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۳۲۷

آية الإنذار والهداية

اشارة

آية الإنذار والهداية ۱۳ [سورة الرعد (۱۳): آية ۷] يا بَنِى آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْـجِدٍ وَ كُلُوا وَ اشْـرَبُوا وَ لا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (۳۱) «سورة الرعد/ الآية ۷»

أبعاد البحث

أبعاد البحث هـذه الآيـة الشـريفة أيضاً من الآيات المتعلّقة بولاية وإمامة أميرالمؤمنين عليه السـلام حيث بحث فيها العلماء والمفسّـرون أبحاثاً متنوعـة، ويسـتفاد من الروايات أنها تدلُّ مضافاً إلى ولاية أميرالمؤمنين عليه السـلام ولاية وإمامة جميع الأئمّة المعصومين عليهم السلام كما سيأتى تفصيل ذلك فى الأبحاث القادمة.

الشرح والتفسير: ذرائع مختلفة

الشـرح والتفسـير: ذرائع مختلفـة «وَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ» والظاهر من هذه الآية الشـريفة أن الكفّار طلبوا هذه المرّة أمراً منطقياً لأـنّ كـلّ نبى لابـدّ له لإثبـات حقانيّته وأنه مرسل من اللّه تعالى من معجزة يثبت فيها هـذا الإدعاء، وهنا طلب الكفّار معجزة من نبى الإسلام صلى الله عليه و آله، ويجيبهم اللّه تعالى على طلبهم المعقول هذا بقوله: «إِنَّما أَنْتَ مُنْذِرٌ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ». آيات الولاية فى القرآن، ص: ۳۲۸

تناسب صدر الآية وذيلها

تناسب صدر الآية وذيلها سؤال: هل هناك تناسب وانسجام بين صدر الآية الشريفة وذيلها؟ وهل أن الجواب على طلب المشركين من النبى بأن يأتيهم بآية ومعجزة هو «إنّما أنت منذر ...»؟ الجواب: لأجل العثور على الترابط بين صدر الآية وذيلها لابدّ من مراجعة الآيات

الاخرى التى تتحدّث عن طلب الكفّار للمعجزة من النبى الكريم صلى الله عليه و آله. ويحدّثنا القرآن الكريم فى الآيات ۹۰- ۹۳ من سورة الإسراء على لسان المشركين: «وَ قالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ» هنا يقول الكفّار بإننا لن نؤمن لما تقول حتّى تأتينا بمعجزة، ثمّ طلبوا منه سبع معاجز كما نريد ونشتهى، أى أن المعجزات التى تأتى بها من دون أن تكون مطابقة لميلنا ورغبتنا فلا فائدة فيها، بل لابدّ أن تكون المعجزة حسب رغبتنا وميلنا «۱». ويستفاد من ظاهر الآية أنهم ذكروا سبع معاجز فى دائرة طلبهم وتوقعهم من النبى، والظاهر أن هذا الطلب صدر من أشخاص متعددين كلُّ واحد منهم طلب معجزة معيّنة: ۱- «حَتَّى تَفْجُرَ لَنا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعاً» فأوّل معجزة طلبوها من النبى الأكرم صلى الله عليه و آله هو أن يفجر لهم فى أرض الحجاز وصحراءها المحرقة عيناً تفيض بالماء الزلال وتفور بالمياة العذبة ليشرب منها الناس ودوابهم ويسقون مزارعهم. ۲- «أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَ عِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهارَ خِلالَها تَفْجِيراً» وهذه المعجزة أيضاً لها بعد فى إحياء الأراضى الميّتة وعمران المنطقة من خلال إيجاد بساتين مليئة بأشجار العنب والنخيل وتجرى من خلالها المياه. ۳- «أَوْ تُسْقِطَ السَّماءَ كَما زَعَمْتَ عَلَيْنا كِسَفاً» وهنا نرى طلباً غير معقول وهو أنهم أرادوا من النبى أن يدعو اللَّه تعالى لإنزال العذاب عليهم على شكل مطر من الأحجار السماوية لهلاكهم، وهذا الطلب إذا تحقّق فإنهم سيؤمنون ويذعنون لدعوة النبى. ۴- «أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَ الْمَلائِكَةِ قَبِيلًا» وهكذا نرى إنّ الإنسان عندما يصل به العناد واللجاجة إلى أعلى المراتب لا يلتفت إلى ما يقول، فهؤلاء لم يقولوا: إذهب بنا إلى اللَّه آيات الولاية فى القرآن، ص: ۳۲۹ والملائكة بل طلبوا من النبى صلى الله عليه و آله أن يأتى إليهم باللَّه والملائكة ويحضرهم عندهم. ۵- «أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ» والطلب الخامس لإثبات النبوّة أنهم أرادوا أن يبنى النبى لنفسه قصراً مجللًا بالذهب والزخارف والنقوش، لأن سكّان مكّة كانوا فقراء غالباً فلو أنك كنت تملك مثل هذا القصر العظيم والجذّاب فهذا يدلُّ على أنك مرسل من اللَّه تعالى. ۶- «أَوْ تَرْقى فِي السَّماءِ» والذريعة السادسة هى أنهم طلبوا من النبى لإثبات صدق دعواه أن يطير فى السماء أمام أعينهم ليذعنوا للحقّ ويؤمنوا بدعوته. ۷- «وَ لَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنا كِتاباً نَقْرَؤُهُ» وتمادى بعض الكفّار فى عنادهم ولجاجتهم وطلبوا من النبى مضافاً إلى طيرانه فى السماء أمام أعينهم عليه أن يأتيهم بكتاب من اللَّه إليهم ليقرؤوه. وكما ترون أن هذه المعاجز السبعة المذكورة فى الآية الشريفة تتعلّق بعضها بعمران وإحياء الأرض، وبعض آخر تتضمن الهلاك والموت لهؤلاء المعاندين والمغرورين، والقسم الثالث يتضمن أعمال غير معقولة وغير منطقية، والقسم الرابع لا يتعدّى أن يكون مجرد ذريعة واهية وليس طلباً حقيقياً. لو كان الأنبياء يتحرّكون فى تعاملهم مع أقوامهم من موقع القبول لكلِّ مقترحاتهم والإتيان بالمعجزات كما يرغبون فإنّ بعض الجهلاء والمعاندين والمتذرّعين سيطلبون كلّ يوم معجزة من نبيّهم وسيكون الدين الإلهى ملعبة بأيديهم، ولهذا فإن اللَّه تعالى كان يعطى لكلِّ نبى من الأنبياء معجزة أو معجزات عديدة لبيان حقّانيته وإثبات رسالته ولا يهتم لمطالبات مثل هؤلاء الأشخاص اللجوجين. ومع الإلتفات إلى هذا المقدمة المطوّلة نعود إلى الآية الشريفة حيث تقول الآية «وَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ». وفى الجواب على هذا الطلب المعقول حسب الظاهر يمكن القول: إنّ نبى الإسلام قد أتى بالمعجزة من اللَّه تعالى بحيث عجز الجن والإنس عن الإتيان بمثلها كما تصرّح الآية ۸۸ من هذه السورة: «قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ عَلى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَ لَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً». آيات الولاية فى القرآن، ص: ۳۳۰ فعندما جاء النبى صلى الله عليه و آله لهم بمعجزة من اللَّه تعالى لن يتمكنوا من الإتيان بمثلها مضافاً إلى معجزات اخرى، فلا معنى لطلبهم معجزة اخرى من النبى الكريم، ولذلك أمر اللَّه تعالى أن يقول فى جوابهم: «إِنَّما أَنْتَ مُنْذِرٌ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ» فمسؤوليتك هى الإنذار والتحذير وليست الإتيان بالآية والمعجزة فإننا نحن الذين نقرر شكل المعجزة وكيفيتها، ولكلِّ قومٍ شخص يهديهم إلى الحقّ. وعلى هذا الأساس يتّضح التناسب والإنسجام بين صدر الآية وذيلها.

من هو المنذر والهادى؟

اشارة

من هو المنذر والهادى؟ ولغرض توضيح معنى هاتين المفردتين يمكننا البحث فى هذا الموضوع من طريقين:

الأوّل: تفسير الآية بدون ملاحظة الروايات

الأوّل: تفسير الآية بدون ملاحظة الروايات فهل تعنى هذه الآية الشريفة أن النبى الأكرم صلى الله عليه و آله هو «المنذر» وهو «الهادى»؟ أو أنه منذر فقط والهادى شخص آخر؟ وهنا توجد ثلاث نظريات فى تفسير هاتين الكلمتين: ۱- يرى البعض أن هاتين الكلمتين تعودان كلاهما إلى النبى الأكرم صلى الله عليه و آله، فهو المنذر وهو الهادى فى نفس الوقت. ولكن الإنصاف إن هذا القول مجانب للصواب ولا ينسجم مع ظاهر الآية ولا يتناسب مع أجواء الفصاحة والبلاغة فى اللغة العربية، لأنّ هاتين الكلمتين لو كانتا تعودان على شخص واحد فمقتضى الفصاحة والبلاغة أن تقول الآية: «أَنْتَ مُنْذِرٌ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ» لا أن تكون كلمة «هادٍ» فى جملة مستقلة ومنفصلة عن الجملة الاولى، وعليه فإنّ الظاهر من الآية أن تكون كلمة «هادٍ» متعلّقة بشخص آخر غير نبى الإسلام صلى الله عليه و آله حيث ينبغى استكشافه من خلال القرائن والشواهد الاخرى. ۲- وذهب آخرون إلى أن «المنذر» يعود إلى النبى الأكرم صلى الله عليه و آله بينما «الهادى» يعود إلى اللَّه تعالى، فالنبى هو المنذر للناس، واللَّه تعالى هو الهادى لكلِّ قوم إلى الصراط المستقيم وطريق الحقّ. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۳۳۱ ولكن يمكن أن يقال فى مقام الجواب أن هذه النظرية أيضاً لا تنسجم مع ظاهر الآية الشريفة لأن كلمة «هادٍ» وردت فى هذه الآية «نكرة» فى حين أن اللَّه تعالى هو أعرف المعارف وأجلى ما يكون عن الخفاء والتنكير، مضافاً إلى أن ظاهر الآية يدلُّ على وجود «هادٍ» لكلِّ قوم من الأقوام السالفة لا أن الهادى لجميع الأقوام هو شخص واحد، وعليه فإنّ هذا التفسير لا يتناسب مع أجواء الآية الشريفة. ۳- هو أن يقال بأن الهادى شخص آخر غير اللَّه تعالى وغير نبيّه الكريم، فهل يمكن أن يكون المقصود بهذه الكلمة هم العلماء من كلِّ قوم وطائفة؟ كلا، لا يمكن أن يكون المقصود هو العالم من كلِّ قوم، لأن كلمة «هادٍ» وردت نكرة كما تقدّم، والنكرة تدلُّ على الوحدة، أى أن لكلِّ قوم وطائفة هادٍ واحد من الناس، فمن هو هذا الشخص الهادى للُامّة الإسلامية؟ ومع الأخذ بنظر الإعتبار مجموع ما تقدّم من أبحاث فى تفسير هذه الآية يمكن القول فى شرح معناها والمراد منها كما يلى: «أيُّها النبى: أنت المنذر والمؤسس للرسالة الإسلامية والدين الإسلامى ولكلِّ دين هناك شخص بمثابة الحافظ والحارس لهذا الدين والذى يأخذ بعهدته هداية الناس إلى اللَّه تعالى وسوقهم إلى الحقّ». ومن جهة اخرى فإنّ اتحاد السياق يقتضى أن يكون تعيين هذا الهادى ونصبه من قبل اللَّه تعالى، كما أن المنذر وهو النبى الأكرم صلى الله عليه و آله معيّن ومنصوب من اللَّه تعالى. وعلى هذا الأساس فإنّ الهادى لا يقصد به اللَّه تعالى أو النبى أو علماء الامّة بل يجب أن يكون شخصاً آخر معيّناً ومنصوباً من قبل اللَّه تعالى. ومن جهة ثالثة فإنّ الشخص الوحيد الذى ورد فى حقّه نصٌّ صريح من رسول اللَّه صلى الله عليه و آله على ولايته وإمامته هو الإمام على عليه السلام ولا يوجد نصٌّ فى هذا الشأن لغيره من الصحابة، وحتّى أن علماء أهل السنّة لم يدّعوا مثل هذا الإدعاء، وعليه فلو قلنا أنّ «المنذر» هو رسول اللَّه و «الهادى والإمام» هو الإمام على عليه السلام المنصوب لهذا المقام من قبل اللَّه تعالى وبواسطة نبيّه الكريم فإنّ هذا المعنى يتناسب مع أجواء الآية الشريفة. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۳۳۲

الطريق الثانى: تفسير الآية بملاحظة الروايات الشريفة

الطريق الثانى: تفسير الآية بملاحظة الروايات الشريفة وهناك روايات عديدة ناظرة إلى بيان المراد من هذه الآية الشريفة حيث نشير هنا إلى خمسة نماذج منها، ثلاثة منها من مصادر وكتب أهل السنّة ورواية واحدة من مصادر الشيعة، أما الرواية الخامسة فمذكورة فى كتب الفريقين. ۱- يقول ابن عبّاس الراوى والمفسّر المعروف: لَمّا نَزَلَتْ «أَنْتَ مُنْذِرٌ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ» وَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه و آله يَدَهُ عَلَى صَدْرِهِ، فَقالَ: أَنَا الْمُنْذِرُ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ، وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ عَلَى مِنْكَبِ عَلِيٍّ، فَقالَ: أَنْتَ الْهادِى يا عَلِيّ، بِكَ يَهْتَدِى الْمُهْتَدُونَ

مِنْ بَعْدِی «۱». هذه الروایة الشریفة مذکورة فی مصادر أهل السنّة وهی صریحة علی أن المقصود ب «الهادی» هو علی ابن أبی طالب علیه السلام. ۲- وجاء فی کتاب «شواهد التنزیل» «۲» و «الدرّ المنثور» عن أبی برزة الأسلمی أنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلی الله علیه و آله یَقُولُ: «إِنَّما أَنْتَ مُنْذِرٌ» وَضَعَ یَدَهُ عَلی صَدْرِ نَفْسِهِ، ثُمَّ وَضَعَها عَلی صَدْرِ عَلِیٍّ وَیَقُولُ «لِکُلِّ قَوْمٍ هادٍ» «۳». وهذه الروایة أیضاً مذکورة فی کتابین من الکتب المعتبرة لدی أهل السنّة، وقد رواها شخص آخر غیر ابن عبّاس ونجد أنها تصرّح بأن «الهادی» هو علی بن أبی طالب علیه السلام. ۳- وجاء فی کتاب «مستدرک الصحیحین» المعروف لدی علماء أهل السنّة، روایة فی تفسیر الآیة المذکورة عن الإمام علی علیه السلام نفسه: عَنْ عَلِیٍّ: «إِنَّما أَنْتَ مُنْذِرٌ وَ لِکُلِّ قَوْمٍ هادٍ» قالَ عَلِیٌّ: رَسُولُ اللَّهِ صلی الله علیه و آله الْمُنْذِرُ وَأَنَا الْهادِی «۴». وطبقاً لهذه الروایة المذکورة فی کتاب آخر من کتب ومصادر أهل السنّة المعروفة أن الإمام علی علیه السلام هو الهادی. آیات الولایة فی القرآن، ص: ۳۳۳ سؤال: من المعلوم فی علم الدرایة والحدیث أن الراوی لو روی حدیثاً یتضمن مدحه والثناء علیه فإنّ هذه الروایة لا تکون مقبولة، فکیف یمکن الإستدلال بالروایة المذکورة آنفاً علی المطلوب والحال أن الراوی هو الإمام علی علیه السلام نفسه؟ الجواب: إنّ هذا الکلام صحیح بالنسبة إلی غیر المعصومین، ولکن بالنسبة إلی المعصومین الذین لا یتصور فی حقّهم الخطأ والذنب فغیر صادق، والإمام علی علیه السلام باعتقاد جمیع الشیعة معصوم، وکذلک یری أهل السنّة أن الأحادیث والروایات الواردة عن جمیع الصحابة وأحدهما الإمام علی علیه السلام، حجّة ودلیلًا شرعیاً، وعلیه فالإشکال المذکور مردود وغیر وارد لدی کلا الفریقین. ۴- ما ورد فی مصادر الفریقین العامّة والخاصّة من حدیث الإسراء حیث رواه أهل السنّة عن ابن عبّاس «۱» ورواه علماء الشیعة عن ابن مسعود، ویروی هذان عن رسول اللَّه صلی الله علیه و آله هذه الروایة، حیث قال رسول اللَّه صلی الله علیه و آله: لَمّا اسْرِیَ بی الَی السَّماءِ لَمْ یَکُنْ بَیْنِی و بَیْنَ رَبّی مَلَکٌ مُقَرَّبٌ وَ لا نَبِیٌّ مُرْسَلٌ وَ لا حاجَةٌ سَأَلْتُ إلّا أَعْطانِی خَیْراً مِنْها فَوَقَعَ فِی مَسامِعی «إِنَّما أَنْتَ مُنْذِرٌ وَ لِکُلِّ قَوْمٍ هادٍ» فَقُلْتُ: إلهی أَنَا الْمُنْذِرُ، فَمَنِ الْهادِی؟ فَقالَ: یا مُحَمَّد ذاکَ عَلِیُّ بْنُ أَبی طالِبٍ غایَةُ الْمُهْتَدِینَ، إمامُ الْمُتَّقِینَ، قائِدُ الْغُرِّ الْمُحَجَّلِینَ «۲»؛ وَمَن یَهْدِی مِنْ امَّتِکَ بِرَحْمَتِی إلَی الْجَنَّةِ «۳». هذه الروایة الجذّابة والشیقة تبیّن بجلاء تطبیق الآیة محل البحث علی النبی الأکرم صلی الله علیه و آله والإمام علی علیه السلام فی السماء. آیات الولایة فی القرآن، ص: ۳۳۴

توصیات آیة الولایة والإنذار

اشارة

توصیات آیة الولایة والإنذار هذه الآیة الشریفة لا تقتصر علی بیان بعض البحوث الإعتقادیة والتاریخیة، بل تتضمن توصیتان لجمیع المسلمین والشیعة فی عصرنا الحاضر وتفتح لهم أبواب الحیاة الکریمة والعقیدة السلیمة فی هذا الزمان وجمیع الأزمنة وبإمکانها فیما لو جسّدها الإنسان علی مستوی الممارسة والعمل أن تحلّ کثیراً من مشکلاته فی حرکة الحیاة:

۱- التعصّب هو الحجاب والمانع!

۱- التعصّب هو الحجاب والمانع! یستفاد من المقطع الأوّل لهذه الآیة الشریفة أن الإنسان لا یمکنه أن یصل بأدوات التعصّب واللجاجة إلی أی مرتبة من مراتب المعرفة والکمال الإنسانی، فلو أراد الإنسان أن یدرک الحقّ والحقیقة فینبغی علیه أن یتحرّک فی خطّ الحقّ من موقع التسلیم والإذعان لا- من موقع التفسیر بالرأی وتحکیم الآراء المسبقة وإتّباع الأهواء النفسیة، ولهذا نری أن الآیات القرآنیة والروایات الشریفة قد نهت بشدّة عن «الجدال بالباطل» وحذّرت من عاقبة إتّباع هذا الطریق المنحرف للوصول إلی الحقّ، حیث یقول القرآن الکریم فی الآیة الثالثة من سورة الحجّ: «وَ مِنَ النّاسِ مَنْ یُجادِلُ فِی اللَّهِ بِغَیْرِ عِلْمٍ وَ یَتَّبِعُ کُلَّ شَیْطانٍ مَرِیدٍ». فالمجادلة بالباطل فی هذه الآیة الشریفة قد جعلت ردیفاً لإتباع الشیطان المرید، وهذا یعنی أن الإنسان إذا صار فی خطّ الجدل والمراء وتعامل فی حواره مع

الآخرين بلغة التعصّب والإبتعاد عن المنطق فإنه يكون قرين «الشيطان المريد». ونقرأ فى الروايات الإسلامية ما يؤكد هذا المضمون من أن أحد الحجب والموانع المهمة للإيمان والوصول إلى مرتبة اليقين هو الجدال بالباطل والمناقشة مع الطرف المخالف بلغة الإتهام وعدم التمسك بالبرهان المنطقى والعقلانى، فقد ورد عن النبى الأكرم صلى الله عليه و آله قوله: «ما ضَلَّ قَوْمٌ إلّا أَوْتَقُوا الْجِدالَ» «۱». آيات الولاية فى القرآن، ص: ۳۳۵ فطبقاً لهذه الرواية الشريفة أن العامل الوحيد للضلالة والإبتعاد عن الحقّ هو البحث غير المنطقى والجدال من موقع الخصومة والتعصّب المذهبى. سؤال: لماذا كانت جميع أسباب وعوامل الضلالة والزيغ تمتد بجذورها إلى الجدال بالباطل؟ الجواب: لأن الإنسان لو وجد فى نفسه إذعاناً وتسليماً للحقّ فإنّ الدعاة إلى الحقّ كثيرون فى هذه الدنيا وبإمكان الإنسان أن يجد طريق الهداية والإيمان الصحيح بيسر وسهولة، وقد ورد أن الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام فى جوابه لهارون الرشيد عندما طلب منه الموعظة والنصيحة قال: «ما مِنْ شَيءٍ تَراهُ عَيْناكَ إلّاوَفِيهِ مَوْعِظَةٌ» «۱». أى أن جميع ما فى الأرض من كائنات ومخلوقات وظواهر طبيعية هى فى الحقيقة موعظة لمن فتح قلبه على اللّه والحقّ، فالسماء بكلِّ ما تحوى مجرّات عظيمة وشموس منيرة ما هى إلّا موعظة، ظاهرة الزمان والمكان موعظة، الحوادث المفرحة والمرّة موعظة، أجل فكلّ هذه الامور تكون موعظة بشرط أن يتمتع الإنسان باذنٌ واعية وعينٌ بصيرة وفؤاد حىّ. وتأسيساً على هذا فإنّ الحقّ لا يخفى على طلّاب الحقّ وعشّاق الحقيقة، ومن وقع فى وادى الضلالة والإنحراف فإنه يعانى من مشكلة فى واقعه النفسانى قبل كلِّ شىء وبالتالى يعيش مرض الجدال بالباطل. وقد أتّضح ممّا تقدّم أنه لا تفاوت بين المباحث والمواضيع الدينية والأخلاقية والسياسية وأمثال ذلك، فمثلًا ما نقرأه فى الصحف والإعلام حول المسائل السياسية يتدخل فيه هذا العنصر بالذات، أى أن كلُّ طرف من الأطراف المتنازعة لا يريد أن يذعن ويسلّم للحقّ بل يريد أن يحكّم رأيه ويفرض نظره على الآخرين بعيداً عن معايير الحقِّ والإنصاف، وإلّا فإنّ تشخيص الحقّ فى المسائل السياسية لا يكون مشكلًا وعسيراً أيضاً، ولكن عندما تتدخل المسألة فى إطار التعصّب المذهبى والمنافع الشخصية والحزبية فإنّ آيات الولاية فى القرآن، ص: ۳۳۶ الإنسان يبتعد عن أجواء الحقّ وسيختفى نور الحقّ بغشاوة سميكة من ظلمات الأهواء النفسانية. ونقرأ فى رواية اخرى عن أميرالمؤمنين ومولى المتقين أنه قال: «الْجَدَلُ فِى الدِّينِ يُفْسِدُ الْيَقِينَ» «۱». لأن الإنسان عندما يعيش حالة الجدل الدائم مع الآخرين فتدريجياً يطرح رغباته وميوله وأفكاره الشخصية المستوحاة من الأهواء النفسية فى لباس الدين والمذهب ويتصور أن هذا الرأى ما هو إلّاقراءة سليمة للدين وللمفاهيم القرآنية. والخلاصة أنه ورد النهى الشديد والأكيد فى الآيات والروايات الشريفة عن الجدل بالباطل، وأما الجدل بالحقّ والحوار المنطقى والهادف والذى يقوم على أساس الأدلّة والبراهين العقليّة ويكون الهدف منه هو إيضاح الحقيقة واستجلاء كوامن الحقّ من دون أن تكون رغبة لدى الطرفين فى الإستعلاء والغلبة والتفوق على الخصم فإنّ مثل هذا الجدال والحوار ليس فقط لا إشكال فيه بل هو مأمور به من قبل اللّه تعالى، حيث نقرأ فى الآية ۱۲۵ من سورة النحل قوله: «وَ جادِلْهُمْ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ».

۲- الإقتداء بالهادى

۲- الإقتداء بالهادى والتوصية الثانية للآية الشريفة والتى تستفاد من المقطع الثانى لها هى أن المسلمين لو أرادوا الهداية إلى اللّه تعالى والسير فى خطّ التقوى والإيمان فلابدّ أن يتّخذوا الإمام على عليه السلام قدوة وعلى أساس من كونه «هادياً» للمسلمين. الإمام على عليه السلام فى أخلاقه وسلوكياته وأقواله وكتبه المشحونة بالمعارف العالية والمفاهيم السامية وكلماته القصار المليئة بالموعظة والحكمة، وتاريخ حياته الملىء بالدروس والعبر، وآداب معاشرته وأخلاقه الجذّابة مع الآخرين، ومديريته القوية والرصينة، آيات الولاية فى القرآن، ص: ۳۳۷ واسلوب تعامله وتفاعله مع الأحداث والأشخاص والأقوام من الداخل والخارج، وأخيراً إرشاداته وتعليماته الإنسانية كلُّها يمكن أن تكون اسوة وقدوة لجميع المسلمين فى حركتهم الدنيوية وسلوكهم المعنوى فى خطّ التكامل الأخلاقى والإلهى. ونحن الذين ندّعى الولاية لهذا الإمام العظيم وندّعى أننا من أتباعه فما هو مقدار الفاصلة بين حياتنا وتعاملنا وأفكارنا مع حياة ذلك الإمام وأفكاره وأخلاقه؟ لنرى طعام الإمام على عليه السلام كم كان زهيداً وبسيطاً، ولباسه فى أوج اقتداره

وحكومته كم كان رخيصاً وساذجاً، فهل أن زخارف الدنيا وتجملاتها استطاعت أن تقيّد الإمام على عليه السلام وهو فى أعلى مواقع القدرة بحبائلها وأن تؤسره بأسلاكها، بل نقرأ فى التواريخ أن تشييع الإمام ومراسم تكفينه ودفنه كانت بسيطة للغاية، ولكن مع الأسف أنّ بعض من يدّعى أنه شيعة على عليه السلام يعيش فى عالم الزخارف الدنيوية البرّاقة وقد أصبح أسيراً لاحابيلها الموهومة، بل إنّ المراسم التى تجرى لهم بعد وفاتهم من بذل الطعام ومجالس الفاتحة والعزاء مليئة بالمظاهر البرّاقة ومشحونة بعناصر الهوى والفخفخة بحيث لا نجد شبهاً بينها وبين مجالس العزاء الحقيقية بل قد تنفق فى هذه المجالس ملايين الدنانير من دون أن تكون الدوافع سليمة والغايات إلهية. وقد سمعت قبل مدّة خبراً قد يكون مفرحاً من جهة ومثيراً للقلق من جهة اخرى، وهو: «مات أحد الأشخاص فقرر أولياء الميت وأبناؤه أن ينفقوا مصارف مجلس العزاء ومراسم الفاتحة على الامور الخيرية، فجلسوا لمحاسبة نفقات مجلس العزاء هذا فتبيّن أنه قد يصل إلى خمسة ملايين تومان، فقرّر هؤلاء الأبناء أن ينفقوا هذا المبلغ على البنات من العوائل الفقيرة لكى يأمّنوا لهم جهاز العرس وأثاث البيت الزوجى بدلًا من صرفه على مجلس العزاء والفاتحة، فكان هذا المبلغ يكفى لتجهيز عشرة بنات، أى يكفى لتكوين عشر عوائل جديدة ومحتاجة». هذا الخبر هو مقلق ومثير للتشويش من جهة المبالغ الطائلة التى تصرف على مجالس العزاء هذه، ومن جهة اخرى مفرح ومثير للإرتياح والإنبساط بأن يقوم أولياء الميت وورثته بخطوة مهمة مستوحاة من العقل والوجدان ويقرّروا إنفاق ذلك المبلغ الكبير على امور خيرية وإنسانية. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۳۳۸ ما المانع من أن يقوم المسلم بإنفاق مثل هذه المبالغ الكبيرة على امور إنسانية وموارد خيرية بدلًا من بذلها لمظاهر خاوية وتشريفات زائفة؟ عزيزى القارئ: إنّ توفير مقدّمات الزواج للشباب المحتاجين ليست وظيفة وتكليف الوالدين فقط بل هو تكليف عام لجميع المسلمين كما تقول الآية الشريفة: «وَ أَنْكِحُوا الْأَيامى مِنْكُمْ وَ الصَّالِحِينَ مِنْ عِبادِكُمْ وَ إِمائِكُمْ» «۱». فهذه الوظيفة فى الحقيقة تتعلق بجميع أفراد المجتمع، ولا يقتصر الحال على مسألة الزواج بل سائر المشكلات والمعضلات التى تواجه الشباب والفتيات فى مجتمعاتنا الإسلامية حيث ينبغى أن نمدُّ لهم يد العون ونسعى فى حلّ مشاكلهم والتخفيف من آلامهم وهمومهم فى حركة الحياة من قبيل مشكلة «العطالة» التى تمثل العامل المهم لكثير من المفاسد الإجتماعية، وكذلك مشكلة «المسكن» ومشكلة «التحصيل الدراسى» وأمثال ذلك. ينبغى علينا وبالإلهام من سيرة أميرالمؤمنين عليه السلام أن نتحرر من قيود وأسر التشريفات والظواهر البرّاقة والإبتعاد عن منزلقات الزخارف الدنيوية ونعيش البساطة والطهارة والنقاء فى الحياة الفردية والإجتماعية بل يجب على الحكومة الإسلامية مضافاً إلى توفير المناخ المناسب لمثل هذه السلوكيات والقيم الأخلاقية والثقافية لجميع أفراد المجتمع أن يقوم المسؤولون أنفسهم بالعمل بهذا المبدأ المقدّس لكى يمكنهم فى حال إصلاح هذه الأزمة الإجتماعية والإدارية، إصلاح قسم مهم من الفساد الإقتصادى والتخلف الإجتماعى الذى تعانى منه البلدان الإسلامية وبالتالى يتسنّى للمسلمين التخلص من التبعية للأجنبى والإستعمار الذى لا يفكر إلّافى مصالحه الشخصية ومنافعه المادية، ونستطيع إن شاء اللَّه ببركة ذلك الإمام الهمام أن نحفظ عزّة وكرامة الامّة الإسلامية ونحلّ مشكلاتها. نسأل اللَّه تعالى أن يوفقنا لاستماع قول الحقّ ويرزقنا اذناً واعية لفهم هذه التعليمات المهمة الواردة فى دائرة المفاهيم القرآنية ثمّ يوفقنا لتجسيد هذه المفاهيم على مستوى العمل والتطبيق والإستفادة من ثمراتها الكثيرة وبركاتها العميمة إنه أرحم الراحمين ... آمين يا ربّ العالمين. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۳۳۹

آية خير البريّة

اشارة

آية خير البريّة ۱۴ [سورة البينة (۹۸): الآيات ۷ الى ۸] قاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَ يُخْزِهِمْ وَ يَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَ يَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ (۱۴) «سورة البيّنة/ الآية ۷ و ۸»

أبعاد البحث

أبعاد البحث هـذه الآيـة الشـريفة أيضاً من الآيات التى تتعلّق بموضوع الإمامة والخلافة، وتدلُّ بدقائق عباراتها الظريفة على أحقيّة مقام الإمامـة والخلافـة للإمام على عليه السـلام، ولا يوجـد فيها اختلاف على مستوى السـياق والمـدلول «خلافاً للآيات السابقة» وأما كيفية الإستدلال بهذه الآية لإثبات الولاية والإمامة فيحتاج إلى دقّة وتدبّر خاصّ كما سيأتى بيانه لاحقاً.

الشرح والتفسير: أفضل المخلوقات وشرّها

الشـرح والتفسـير: أفضل المخلوقات وشـرّها من أجل إيضاح المراد من الآية الشـريفة «آية خير البريّة» واسـتجلاء المفهوم منها نرى من الضـرورى أن نشـرع بشـرح الآيـة السادسة من سورة البيّنة: «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ وَ الْمُشْـرِكِينَ فِى نارِ جَهَنَّمَ خالِدِينَ فِيها». آيـات الولايـة فى القرآن، ص: ۳۴۰ أى أن أهـل الكتاب من اليهود والنصارى الـذين لم يقبلوا بالإسـلام وكـذلك المشـركون وعبادة الأوثان يشتركون فى العاقبة و المصير الاخروى فجميعهم يردون جهنم خالدين فيها. «أُولئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ». وهذا هو السبب فى أنهم مخلّدون فى نار جهنم، وكأن هذه الجملة وردت فى مقام الدليل لبيان سـبب خلود هؤلاء فى نار جهنم «۱». ويستفاد من الآيات السابقة لهـذه الآيـة الشـريفة أن هؤلاء ليسوا من الكفرة العاديين بل هم طائفـة من الكفّار الـذين فهموا الرسالة الإلهية واتّضـحت لديهم الحجّة والبيّنـة وعلموا بحقّانيّـة الإسـلام والرسالـة السـماوية ولكنّهم مع ذلـك أصـرّوا على عنـادهم ولجاجتهم وانطلقوا فى عـداءهم مع الحقّ والعـدل من موقع الخصومـة والعدالـة، وعليه فإنّ هـذه الآيـة لا تشـمل كلُّ الكفّار والمشـركين وأهل الكتاب حتّى لو تحرّكوا فى خطّ الباطل والكفر من موقع الجهل والغفلة، فالخطأ الذى ينطلق من موقع الغفلة والإندفاع العفوى ليس كالخطأ الذى ينطلق من موقع التمرّد والجحود مع وعى الموقف ووضوح الرؤيـة. وبعـد أن ذكرت الآيـة الشـريفة شـرّ المخلوقـات تحرّكت الآيـة الـتى بعـدها لبيـان أفضـل المخلوقـات وقالت: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ أُولئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ». فقـد ذكرت هـذه الآيـة الشـريفة لأفضل مخلوقات اللّه ثلاث صفات وخصوصيات: ۱- «الَّذِينَ آمَنُوا» فالخصوصـية الاـولى لهؤلاـء هى إيمانهم باللّه تعالى والنبى الأكرم صـلى الله عليه و آله ويوم القيامة، وعليه فإنّ المشركين وجميع الأشخاص الذين لا يدينون بدين الإسلام خارجون عن هذه الدائرة ولا يتّصفون بهذه الصفة الكريمـة. آيات الولايـة فى القرآن، ص: ۳۴۱ ۲- «وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ» الخصوصـية الثانيـة للأشـخاص الذين هم «خير البريّة» هو أنهم يتحرّكون فى واقعهم الإجتماعى من موقع العمل الصالـح الذى يسـتوحى مقوّماته من الإيمان والإعتقاد فى عالم القلب والروح. «العمل الصالح» «۱» يتضـمن معنىً عاماً وشاملًا، وقـد ورد فى الروايات الشـريفة أن أدنى مرتبة له هو «اماطَةُ الْأذى عَن الطَّريقِ» وأعلى مرتبة له هو اعتنـاق دين الحقّ والشـهادة بالتوحيـد «وأعْلاهـا شَـهادَةُ انْ لا الهِ إلّااللّه» «۲». والخلاصـة أن الصـفة الثانيـة لهؤلاء هى أنهم يعملون الأعمال الصالحة. ۳- «ذلِـكَ لِمَنْ خَشِـيَ رَبَّهُ» الخصوصـية الثالثـة لهؤلاء الأشـخاص هى أنهم يتمتعون بمقام «الخشـية» من اللّه تعالى، فمضافاً للإيمان والعمل الصالح فإنهم يعيشون حالة الخشـية والخضوع والإذعان للحقّ تعالى والتسـليم لأوامره وتعليماته. سؤال: هل أن «الخشـية» هى شـىء آخر غير الإيمان والعمل الصالـح؟ الجواب: نعم، إنّ الخشـية مرتبة أعلى من الإيمان والعمل الصالح، والظاهر أنها تعنى الإحساس بالمسؤوليـة، فتارةً يعيش الإنسان الإيمان والعمل الصالـح ولكن ذلك لا يعنى أنه يتحلّى بعنصـر الإحساس بالمسؤولية ولا يكون إيمانه وعمله الصالـح مسترفـداً من إحساسه بالمسؤولية بل بسبب العادة والتربية وأجواء الاسـرة والمحيط الإجتماعى، وتارةً اخرى يتحرّك الإنسـان فى إيمـانه وعملـه الصالـح على أسـاس مـن أحسـاسه بالمسؤوليـة، فمثـل هـذا الإنسـان يتعامـل مـع الأحـداث والأشـخاص والمواقف المختلفـة من منطلق إحساسه بالمسؤولية ويكون سـلوكه وممارساته فى حركة الحياة الفردية والإجتماعية قائمة على هذا الدافع النفسانى والوجدانى. والنتيجة هى أن «خير البريّة» هم الذين يتمتعون بثلاث صفات: الإيمان، العمل الصالح، الإحساس بالمسؤوليـة. آيات الولايـة فى القرآن، ص: ۳۴۲ وبعـد ان تنتهى الآيـة الشـريفة من تعريف «خير البريّة» وتبيين صـفاتهم وخصائصـهم تتعرض كـذلك لبيان أجرهم وثوابهم عند اللّه وتقول: «جَزاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ». إنّ ثواب «خير البريّة»

فى الدار الآخرة يتضمن الثواب المادى والمعنوى على السواء، لأن الإنسان مركّب من جسم وروح، فجسمه يطلب الثواب المادى، وروحه تشتاق إلى الثواب المعنوى. أما الثواب المادى لهؤلاء الصالحين فهو عبارة عن الجنّة الخالدة والبساتين اليانعة التى تجرى من تحت أشجارها الأنهار «۱» والمياة العذبة بصورة دائمة. البساتين على نحوين: ۱- البساتين التى تردُّ إليها المياه من خارجها ويتمُّ سقى أشجارها بالماء بين كلِّ حين وآخر وعلى فواصل زمنيّة معيّنة، فالمياه لا تجرى دائماً فى جداولها وسواقيها. ۲- البساتين التى تتوفر فيها المياه بصورة دائمة وتجرى فى سواقيها وبين أشجارها، وبلاشك أن مثل هذه البساتين تنعم أشجارها بطراوة خاصّة ومشهد جذّاب ولا يخشى عليها الجفاف والذبول، فبساتين الجنّة التى تقدّم وصفها فى الآية الشريفة هى من النوع الثانى، فهى خضراء يانعة دائماً. «خالِدِينَ فِيها أَبَداً» فكما أن الكفّار والمشركين وأهل الكتاب الذين وقفوا من الرسالة الإلهية موقف المعاند والعدو مخلدون فى نار جهنم، وكذلك المؤمنون الذين يعيشون الإحساس بالمسؤولية ويترجمون إيمانهم وإحساسهم هذا على مستوى الممارسة والأعمال الصالحة هم مخلدون فى الجنّة أيضاً. «رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ» وتشير هذه الجملة إلى الثواب المعنوى لهؤلاء المؤمنين، وهو أن اللَّه تعالى ينعم عليهم بالمواهب الاخروية العظيمة إلى درجة أنهم يعيشون الرضا والسرور الفائق، ومن جهة اخرى فإنّ لطف اللَّه تعالى ورحمته بهؤلاء يبلغ إلى الحدّ الذى يرضى اللَّه عزّوجلّ عنهم. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۳۴۳ فما أعظم هذا المقام الشامخ، وما أعظم هذه المرتبة السامية التى لا تتصور فوقها مرتبة فى عالم الكمال والنعمة والسعادة. والنتيجة التى نستخلصها من هذه الآيات الشريفة الثلاث أنها ذكرت خصوصيّات «شرُّ البريّة» وعقوباتهم فى الدار الآخرة، وكذلك صفات وخصوصيّات «خير البريّة» وأجرهم وثوابهم عند اللَّه فى يوم القيامة.

خير البريّة فى الروايات

خير البريّة فى الروايات سؤال: هل أن المفهوم من هذه الآية الشريفة عام أو خاصّ؟ وبعبارة اخرى: هل أنّ «خير البريّة» يشمل جميع المؤمنين الذين يعملون الصالحات، أو يتحدد بفئة خاصّة منهم؟ الجواب: ومن أجل التوصل إلى جواب هذا السؤال نرى من اللازم الرجوع إلى الروايات الواردة فى شأن نزول هذه الآيات الكريمة: طبقاً للروايات الكثيرة الواردة فى مصادر وكتب الشيعة وأهل السنّة أن النبى الأكرم صلى الله عليه و آله ذكر فى تفسير «خير البريّة» أنهم: علىّ وشيعته، وقد وردت هذه الروايات فى كتب مختلفة، منها: ۱- «شواهد التنزيل» لمؤلفه الحاكم الحسكانى «۱». ۲- «الصواعق المحرقة» تأليف ابن حجر الهيثمى «۲» ۳- «الدرّ المنثور» للسيوطى «۳». ۴- «نور الأبصار» لمحمّد الشبلنجى «۴». آيات الولاية فى القرآن، ص: ۳۴۴ ۵- «تفسير الطبرى» «۱». ۶- «روح المعانى» للآلوسى «۲». ۷- «المناقب» للخوارزمى «۳». ۸- «فتح الغدير» للعلّامة الشوكانى «۴». وقد أورد صاحب كتاب «شواهد التنزيل» فى كتابه هذا أكثر من عشرين رواية فى ذيل آية خير البريّة، وقد اخترنا منها ثلاث روايات كنموذج لتقرير المطلوب، وهى كالتالى: الف) يقول جابر بن عبداللَّه الأنصارى الصحابى المعروف: كنت جالساً مع رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وجماعة من أصحابه عند الكعبة، وإذا بعلىّ قد ظهر لنا من بعيد، فلمّا رآه رسول اللَّه صلى الله عليه و آله قال لأصحابه: «قَدْ أَتاكُمْ أَخى، ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَى الْكَعْبَةِ، فَقالَ وَرَبِّ هذِهِ الْبُنْيَةِ! إِنَّ هذا وَشِيعَتَهُ هُمُ الفائزونَ يَوْمَ الْقيامَةِ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنا بِوَجْهِهِ، فَقالَ: أَما وَاللَّهِ إِنَّهُ أَوَّلُكُمْ إيماناً باللَّهِ، وَاقْوَمُكُمْ بأمر اللَّهِ وَأَوفاكُم بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَقْضاكُمْ بِحُكْمِ اللَّهِ وَأَقْسَمُكُمْ بِالسَّوِيَّةِ وَأَعْدَلُكُمْ فِى الرَّعيَّةِ وَأَعْظَمُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ مَزِيَّةً. قالَ جابِرُ فَأَنْزَلَ اللَّه: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ... خَيْرُ الْبَرِيَّةِ» فَكانَ عَلِيٌّ إِذا أَقْبَلَ قالَ أَصْحابُ مُحَمَّدٍ: قَدْ أَتاكُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ بَعْدَ رَسُول اللَّهِ» «۵». ويستفاد من العبارة الواردة فى ذيل هذه الرواية الشريفة أنها كانت مشهورة بين المسلمين فى صدر الإسلام، وعليه فإنّ الرواة لها لا يقتصرون على ابن عبّاس وجابر بن عبداللَّه وأبو برزة. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۳۴۵ ب) ويقول جابر فى رواية اخرى: أنه عندما نزلت آية خير البريّة، التفت النبى الأكرم صلى الله عليه و آله إلى على بن أبى طالب عليه السلام وقال: «هُمْ أَنْتَ وَشِيعَتُكَ، تَرِدُ عَلَىَّ وَشِيعَتُكَ رَاضِينَ مَرْضِيِّينَ» «۱». ج) يقول أبو برزة الأسلمى: عندما نزلت آية خير البريّة قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله لعلى بن أبى طالب: «هُمْ أَنْتَ وَشِيعَتُكَ يا عَلِيّ،

وَميعادُ ما بَيْنى وَبَينكَ الْحَوْضُ» «۲». د) ويروى ابن عساكر فى شرح هذه الآية الشريفة «آية خير البريّة» عن عائشة رواية طريفة، (ورغم أن عائشة لم تكن على علاقة جيّدة مع على بن أبى طالب وقد قامت بوجهه فى حرب الجمل) قال: «وفى رواية لعائشة عن عطاء قال سألت عائشة عن على فقالت: ذاك خير البشر لا يشك فيه إلّاكافر» «۳». والنتيجة أنه طبقاً للروايات الكثيرة الواردة فى تفسير آية خير البريّة أن المراد من «خير البريّة» هو على بن أبى طالب عليه السلام. سؤال: ويطرح الآلوسى فى روح المعانى سؤالًا بهذه الصورة: إذا كان المراد من خير البريّة هو على بن أبى طالب عليه السلام فهل أنه أعلى مقاماً من رسول اللَّه صلى الله عليه و آله؟ لأنّ كلمة «خيرالبريّة» فى الآية الشريفة وردت بشكل مطلق، ومفهومها أن المصداق لها هو أفضل من جميع الناس. الجواب: لو تدبرنا فى مضمون الآية الشريفة لأتضح الجواب عن هذا السؤال، لأنه كما تقدّم أن أحد الشروط التى لابدّ أن تتوفر فى «خير البريّة» هو الإيمان، أى الإيمان باللَّه والرسول وسائر مبادئ وأحكام الإسلام، وعليه فإنّ الإمام على من جهة اعتقاده وإيمانه العميق باللَّه تعالى ورسوله الكريم هو خير البريّة، فكيف يمكن أن يكون الإمام على آيات الولاية فى القرآن، ص: ۳۴۶ وبسبب اعتقاده وإيمانه برسول اللَّه هو خير البريّة وفى نفس الوقت يكون أعلى مرتبة من رسول اللَّه صلى الله عليه و آله نفسه؟ ولهذا السبب ورد فى رواية جابر بن عبداللَّه الأنصارى المذكورة فى منابع أهل السنّة أنّ علىّ بن أبى طالب خير البريّة بعد رسول اللَّه. سؤال آخر: ما هى العلاقة بين الآية الشريفة وبين مسألة الإمامة والخلافة لأميرالمؤمنين عليه السلام؟ وعلى فرض أن يقبل أهل السنّة بأن على بن أبى طالب هو خير البريّة كما ورد فى رواياتهم، ولكن كيف يمكن الإستدلال بهذه الآية على إمامته وخلافته بعد رسول اللَّه صلى الله عليه و آله؟ الجواب: بالنسبة إلى طريقة تعيين الخليفة بعد النبى هناك اختلاف بين الشيعة وأهل السنّة، فالشيعة يرون أن الخليفة والإمام بعد رسول اللَّه يجب أن يكون منصوباً ومعيّناً من قبل اللَّه تعالى «۱»، إذن فتعيين الخليفة فى نظر الشيعة هو أمر انتصابى لا انتخابى، ولكنّ أهل السنّة يرون أن تعيين الخليفة بعد النبى هو أمر انتخابى ويجب أن يختاره الناس إماماً وزعيماً لهم، فإذا حظى بموافقة الناس وانتخابهم له صار خليفة لرسول اللَّه. وطبعاً إنّ هذا الإختلاف فى مفهوم وطريقة تعيين الخليفة لا يؤثر فى المفهوم من الآية الشريفة لأنه لو كانت الخلافة انتخابية أو انتصابية فإنّ الإمام على هو الوحيد اللائق لهذا المقام، لأنه لو كانت انتصابية كما يعتقد الشيعة فمع وجود الإمام على الذى هو خير البريّة وأفضل مخلوقات عالم الوجود فإنّ اللَّه الحكيم لا يختار شخصاً آخر غيره لهذا المقام وإلّا لكان منافياً لمقتضيات الحكمة الإلهية، ولو كانت المسألة انتخابية فهل يعقل مع وجود أفضل الناس وأعلمهم أن يختار العقلاء شخصاً آخر لهذا المقام؟ من الواضح أن ما يعتذر به البعض من أنّ المسلمين فى ذلك الزمان لم يكونوا يعرفون الأفضل والأعلم هو عذر غير مقبول مع وجود كل هذه الروايات الكثيرة التى مرّت سابقاً ومع اشتهار مقام الإمام على عليه السلام ومناقبه وفضائله بعنوان إنه «خير البريّة». آيات الولاية فى القرآن، ص: ۳۴۷ ومع الإلتفات إلى ما تقدّم يتّضح جيّداً ارتباط الآية الشريفة مع مسألة الولاية والإمامة. السؤال الثالث: إنّ الأفضل عادةً يكون شخصاً واحداً لا أكثر، وعليه كيف يكون الإمام على وشيعته هم الأفضل؟ الجواب: إنّ مقام أفضل الخلق له مراتب، فيمكن أن يكون أحد الأشخاص على رأس الهرم فى سلسلة الأفاضل، وهناك أشخاص آخرون يقعون فى المراتب التى تلى هذه المرتبة، وهناك طائفة ثالثة أدنى منها وهكذا، وعليه فإنّ الإمام على يقف على رأس الهرم فى الأفضلية ويأتى شيعته فى المراحل الدانية. والنتيجة لجميع هذه الأبحاث أن «خير البريّة» ومن يحوى الصفات الثلاثة: الإيمان، العمل الصالح والإحساس بالمسؤولية، هم على وشيعته.

توصيات آية خير البريّة

اشارة

توصيات آية خير البريّة إنّ هذه الآية الشريفة والروايات الواردة فى تفسيرها تتضمن توصيات مختلفة، منها:

۱- نظام القيم فى الإسلام

۱- نظام القيم فى الإسلام إنّ قيمة كلُّ دين أو مذهب تكمن فى منظومة القيم لذلك الدين أو المذهب، وببيان أوضح: إنّ كلُّ دين أو مدرسة فكرية وفلسفية تدور حول محور أساسى، وذلك المحور يكون بمثابة النظام القيمى والمعيار الذى ترسل فيه معالم ذلك الدين والمدرسة الفكرية، وكمثال على ذلك: الف: ذكرت الآيات الكريمة فى حديثها عن منظومة القيم الأخلاقية للمجتمع الفرعونى الطاغوتى كما ورد ذلك فى الآية ۵۱ من سورة الزخرف على لسان فرعون: «وَ نادى فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِ قالَ يا قَوْمِ أَ لَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَ هذِهِ الْأَنْهارُ تَجْرِى مِنْ تَحْتِى أَ فَلا تُبْصِرُونَ». هنا نرى أن فرعون يفتخر بتسلطه على مصر واستلامه زمام الامور فى حكومة مصر، آيات الولاية فى القرآن، ص: ۳۴۸ تلك الحكومة المستبدة والديكتاتورية، وهذا السياق القرآنى يعبّر فى الحقيقة عن نظام القيم فى حكومة فرعون، وعلى هذا الأساس فالإنسان الجيّد فى نظر فرعون والفراعنة هو الحاكم والمتسلط على الناس حتّى لو كان متوغلًا فى الفساد والجريمة والظلم، أما الإنسان السافل والساقط فهو من يعيش بعيداً عن أجواء السلطة والحكومة حتّى ولو كان من الناحية الأخلاقية يتّصف بأفضل الصفات والفضائل الأخلاقية، ولهذا اعترض فرعون على موسى ودعواه النبوّة والرسالة من اللَّه تعالى وقال: «فَلَوْ لا- أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جاءَ مَعَهُ الْمَلائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ» «۱» (ليؤيدوا كلامه من كونه مرسل من اللَّه تعالى). أى أن موسى عليه السلام وطبقاً لرؤية الفراعنة ونظامهم الأخلاقى كان يعيش بعيداً عن أجواء القدرة والثروة والحكومة إذن فلا يستحق مقام النبوّة والرسالة. والنتيجة هى أن المعيار الأخلاقى فى النظام الفرعونى هو القدرة والثروة والزينة. ب: وهناك بعض الأنظمة الأخلاقية فى بعض المجتمعات والمذاهب الاخرى تعتبر أن كثرة الأموال والأولاد والثروة هى المعيار، كما ورد فى الآية الشريفة ۳۵ من سورة سبأ: «وَ قالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوالًا وَ أَوْلاداً وَ ما نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ». فهؤلاء يعيشون بنظام من القيم الأخلاقية التى تدور حول محور القوى الإنسانية والإقتصادية، وطبقاً لهذه العقيدة وهذه الرؤية فإنّ الإنسان الجيّد والمحترم هو من يتمتع بأموال كثيرة وثروة طائلة وأبناء كثيرين وخاصّة إذا كان هؤلاء الأبناء ذكور كما هو حال العرب فى زمن الجاهلية حيث كانت العائلة السعيدة هى التى يتوفر فيها كثرة فى الأولاد الذكور، لأن ذلك يمنحهم القدرة على القتال والغارة وعمليّات السلب والنهب أو ينتفع الأب من معونتهم فى أعماله الشخصية والإجتماعية. والخلاصة أن مثل هذا النظام الأخلاقى يعتمد بالدرجة الاولى على مبدأ القوّة البشرية والكثرة فى الأموال والأولاد. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۳۴۹ وأمّا بالنسبة إلى الرؤية الإسلامية ومنظومة القيم فى دائرة المفاهيم القرآنية فإنها تختلف عمّا تقدّم من النظم والمعايير الثقافية، فكلُّ ذلك لا يعدّ فى نظر الإسلام معياراً وقيمةً ذات أهميّة على مستوى حياة الإنسان الأخلاقية والمعنوية رغم أنها قد تنفع أحياناً فى كونها وسيلة وأداة للتوصل بها إلى الأهداف المقدسة والغايات الدينية فتكون مطلوبة وإيجابية حينئذٍ. القرآن الكريم يردُّ على ما ذكرناه آنفاً من النظام القيمى للطائفة الأخيرة ويقول: «وَ ما أَمْوالُكُمْ وَ لا أَوْلادُكُمْ بِالَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنا زُلْفى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَ عَمِلَ صالِحاً فَأُولئِكَ لَهُمْ جَزاءُ الضِّعْفِ بِما عَمِلُوا وَ هُمْ فِى الْغُرُفاتِ آمِنُونَ» «۱». فهذه الآية الشريفة وضمن رفضها للنظام الأخلاقى الذى يستوحى مقوماته من القوّة البشرية والإقتصادية تطرح النظام الأخلاقى والمعيار القيمى فى دائرة المفاهيم الإسلامية وتذكر «الإيمان» و «العمل الصالح» كمفردات معيارية للنظام الأخلاقى فى الإسلام، لأن هذه الامور هى التى توصل الإنسان إلى معراج الكمال المعنوى وتقوده فى حركته الصاعدة نحو اللَّه تعالى لا المال والأولاد والامور الدنيوية الاخرى. ويقول تبارك وتعالى فى الآية ۱۳ من سورة الحجرات ضمن اعتبار التقوى محور آخر من محاور النظام الأخلاقى فى الإسلام ويخاطب الناس كافة: «يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْناكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَ أُنْثى وَ جَعَلْناكُمْ شُعُوباً وَ قَبائِلَ لِتَعارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ». عندما جاء الإسلام بنظام أخلاقى جديد يقوم على الإيمان والعمل الصالح والتقوى فإنه استبدل القيم الجاهلية القديمة بهذه القيم السماوية والإنسانية وخلق بذلك تحولًا عظيماً فى هيكلية المجتمع البشرى وقدّم إلى البشرية أشخاصاً مثل «أبى ذرّ» و «سلمان» و «ميثم التمّار» بدلًا من «أبى جهل» و «أبى لهب» و «أبى سفيان». إنّ آية «خير البريّة» تقرر إنّ منظومة القيم فى الإسلام تقوم على أساس «الإيمان» و آيات الولاية

فى القرآن، ص: ۳۵۰ «العمل الصالح» و «الإحساس بالمسؤولية» وتقرر بأن أفضل الناس هم الذين يتميّزون بهذه السمات الأخلاقية والدينية الثلاث، ولكننا نرى مع الأسف فى عالمنا المعاصر أن قيم الجاهلية عادت لتحكم من جديد فالإنسان الأفضل هو الذى يمتلك دولارات أكثر أو يتمتع بقدرة اقتصادية أعظم أو يمتلك قوّة عسكرية أكبر، ولكن كلّ هذه الامور لا تعدّ معياراً أساسياً فى منظومة القيم والمفاهيم الإنسانية.

۲- تاريخ ظهور الشيعة

۲- تاريخ ظهور الشيعة يتصور البعض أو يلقّن نفسه بهذا المفهوم الزائف عن الشيعة، وهو أن الشيعة ظهرت إلى الوجود كمذهب وتيار إسلامى منذ زمن الصفويين أو بعد ذلك وليس لهم امتداد تاريخى فى القرون السابقة. ولكن يتضح بطلان هذا التصور بمجرّد إلقاء نظرة عابرة على ما ورد فى الروايات الإسلامية وكتابات المؤرّخين ومن ذلك ما ورد فى الروايات الشريفة فى ذيل آية «خير البريّة» والتى تقدّم ذكرها وأن كلمة «الشيعة» ذكرت لأوّل مرّة على لسان الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله وأراد منها أتباع على بن أبى طالب عليه السلام، وعلى هذا الأساس فإنّ تاريخ ظهور الشيعة يتزامن مع تاريخ ظهور الإسلام وقد سبق ظهور هذا المذهب جميع المذاهب الإسلامية الاخرى. ومع الأخذ بنظر الإعتبار هذا الأمر يتّضح جيّداً أن بعض الأشخاص الذين يتحركون من موقع الغفلة أو التغافل أو العناد على مستوى اتهام الشيعة والتعريض بهم بما تقدّم، هم بعيدون عن الحقّ والصواب ومشمولون لقول الشاعر: وَإن كُنْتَ لا تَدْرى فَتِلْكَ مُصِيبَةٌ وَإنْ كُنْتَ تَدْرى فَالْمُصِيبَةُ أَعْظَمُ أى أن بعض العلماء من الفرق الإسلامية إذا لم يكونوا يعلمون بهذه الأحاديث والروايات وغير مطّلعين عليها فهذه مصيبة (بحيث إنّ الإنسان الذى يدّعى العلم يجهل هذه الروايات). وإذا كانوا مطّلعين عليها ولكنهم ينكرونها ويتغافلون عنها من موقع العناد والتعصّب فمصيبتهم أعظم وأكبر. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۳۵۱ إلهنا أحفظنا من التورط فى منزلقات التعصّب الأعمى وأبعدنا عن آثاره المشؤومة وعواقبه الوخيمة.

(جديد ۳)

۳- ماذا تعنى كلمة الشيعة؟ سؤال: إنّ الروايات الواردة فى هذا البحث تصف شيعة الإمام على عليه السلام كأنهم أفضل من خلق اللّه تعالى، ومع الإلتفات إلى هذا المقام السامى للشيعة، نريد أن نعرف من هم هؤلاء الشيعة؟ الجواب: وفى المقام الجواب على هذا السؤال لابدّ من استعراض معنى كلمة «الشيعة» والبحث فيها من ثلاث جهات: ففى البداية نبحث المعنى اللغوى لهذه الكلمة، ثمّ موارد استعمالها فى القرآن الكريم، فى الثالثة نستعرض بعض الروايات التى تتعرض لوصف الشيعة الحقيقيين. الف: الشيعة فى اللغة: إنّ هذه الكلمة «الشيعة» تعنى فى اللغة «الإنتشار مع القدرة»، فالشىء الذى يمتد وينتشر فى مناطق مختلفة مع القدرة والقوّة يطلق عليه «شيعة» والنتيجة أن الشيعة فى اللغة تطلق على الفئة والجماعة المنتشرة والقوية فى نفس الوقت. ب: الشيعة فى القرآن: وردت هذه الكلمة فى القرآن الكريم فى أربعة موارد، أحداها ما ورد فى شأن النبى إبراهيم عليه السلام فى سورة الصافات، الآية ۸۳ و ۸۴: «وَ إِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْراهِيمَ* إِذْ جاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ». هذه الآية الشريفة وصفت إبراهيم بأنه من شيعة النبى نوح عليه السلام، أى أنه استمرار لخطّ النبى نوح عليه السلام، والآية الثانية ترسم معالم التوفيق الذى ناله إبراهيم فى هذا المجال حيث توجه إلى خالقه وربّه بقلب سليم «۱» من أدران الشرك وتلوثات الخطايا. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۳۵۲ والآية الاخرى التى وردت فيها كلمة الشيعة هى الآية ۱۵ من سورة القصص حيث تتعرض هذه الآية إلى قصة موسى عليه السلام وتقول: «وَ دَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِها فَوَجَدَ فِيها رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلانِ هذا مِنْ شِيعَتِهِ وَ هذا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغاثَهُ الَّذِى مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِى مِنْ عَدُوِّهِ ...». كلمة «شيعة» فى هذه الآية الشريفة اطلقت على أتباع النبى موسى عليه السلام ويمكننا أن نستوحى من هذا التعبير أن النبى موسى كان قد شكّل جماعة له قبل النبوّة

وربّاهم على طريق الحقّ والإيمان. والنتيجة هى أن كلمة شيعة فى الآيات أعلاه وردت فى حقِّ بعض الأنبياء وأتباعهم. ج: الشيعة فى الروايات: لقد وردت كلمة «شيعة» فى الروايات الشريفة بشكل واسع ومستفيض، ونكتفى هنا بذكر ثلاث نماذج منها: ۱- ما ورد فى خطاب الإمام على لأحد أصحابه ويدعى «نوف البكالى» قال: «أَتَدْرى يا نَوْفُ مَنْ شيعَتِى؟» فقال نوف: لا وَاللَّه. فشرع الإمام يبين له أوصاف الشيعة الحقيقيين ومن ذلك أنه قال: «رُهْبانٌ بِاللَّيْلِ وَاسْدٌ بِالنَّهار» «۱» فيعيشون فى الليل الشوق والمناجاة والتبتل إلى اللَّه تعالى، وفى النهار يتحركون فى دفاعهم عن الإسلام وخدمة المسلمين من موقع الإخلاص والشجاعة الفائقة ولا تأخذهم فى ذلك لومة لائم. ۲- وورد فى رواية اخرى فى أوصاف الشيعة: «إِنَّما شَيعَتُنا أَصْحابُ الْاَرْبَعَةِ الأَعْيُنِ؛ عَيْنانِ فِى الرَّأْسِ وَعَينانِ فِى الْقَلْبِ» «۲» أى أن الشيعى ينبغى أن يكون شخصاً قوياً، شجاعاً، واعياً، يقظاً، فاهماً وعالماً لا أن آيات الولاية فى القرآن، ص: ۳۵۳ يكون ساذجاً وسطحياً ويتعامل مع الأحداث من موقع الهويمات والأوهام الهشة والمطلقات الخاوية. ۳- وقال شخص للإمام الباقر عليه السلام: «الحمد للَّه على كثرة شيعتكم». فنظر إليه الإمام نظرة ذات مغزى وقال له: إنما تقوله عن شيعتنا: هَلْ يَعْطِفُ الْغَنىُّ عَلَى الْفَقيرِ؟ وَ يَتَجاوَزُ الْمُحْسِنُ عَنِ الْمُسِىءِ وَ يَتَواسَوْنَ؟ قُلتُ: لا. قالَ: لِيْسَ هؤُلاءِ الشِّيعَةُ، الشِّيعَةُ مَنْ يَفْعَلُ هَكَذا «۱». أجل، فإنَّ الشخص الشيعى يجب أن يكون قائم الليل يقظ وعامل فى النهار ويتعامل مع الواقع والأحداث بمنطق العقل والفهم السليم ويساعد الفقراء والمساكين ويعفو عن المسيئين ويشارك الناس فى همومهم ويواسيهم فى غمومهم. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۳۵۵

آية الحكمة

اشارة

آية الحكمة ۱۵ [سورة البقرة (۲): آية ۲۶۹] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ (۱) الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ (۲) الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ (۳) مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (۴) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (۵) اهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ (۶) صِراطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَ لا الضَّالِّينَ (۷) «سورة البقرة/ الآية ۲۶۹»

أبعاد البحث

أبعاد البحث بلاشك إنّ الإسلام له دور هام وأساسى فى ترويج العلم وتشويق الناس إلى سلوك طريق المعرفة أكثر من جميع الأديان الإلهية والشرائع السماوية، ولذلك فلو قيل عن الإسلام بأنه دين العلم والمعرفة فلايعدُّ هذا الكلام جزافاً، والآية مورد البحث من جملة الآيات التى عبّرت عن «الحكمة والمعرفة» بأنها «خير كثير»، أما ما هى علاقة الآية الشريفة بفضائل أميرالمؤمنين عليه السلام؟ فسيأتى فى الأبحاث اللاحقة ونسأل اللَّه تعالى أن يجعلنا من جملة هؤلاء الأشخاص الذين رزقوا الحكمة وأدركوا حقائق الامور، آمين يا ربّ العالمين.

الشرح والتفسير: الحكمة هى الخير الكثير!

الشرح والتفسير: الحكمة هى الخير الكثير! «يُؤْتِى الْحِكْمَةَ مَنْ يَشاءُ» ذكروا للحكمة معانى كثيرة من قبيل: «أن الحكمة عبارة عن معرفة أسرار عالم الوجود» و «العلم بحقائق القرآن» و «الوصول إلى الحقّ على مستوى آيات الولاية فى القرآن، ص: ۳۵۶ القول والعمل» وأخيراً «الحكمة هى معرفة اللَّه» «۱» ويمكن جمع هذه المعانى كلّها بمعنى ومفهوم واسع. وبما أن القرآن الكريم تحدّث فى الآية السابقة (الآية ۲۶۸ من سورة البقرة) أن اللَّه تعالى وعد أن يبارك على الإنفاق وأن يغفر لمن ينفق فى سبيل اللَّه وحذّره من وسوسة الشيطان وتخويفه من الفقر، ففى هذه الآية الشريفة أشار إلى هذه الحقيقة القرآنية وهى أن «الحكمة» هى الأداة والوسيلة للتمييز بين

«الإلهى» و «الشيطانى» وبذلك يستطيع الإنسان أن يتخلص من وساوس الشيطان ويبعد نفسه عن الوقوع فى مصائده وفخاخه. وأما فى عبارة «من يشاء» فلا تتضمن أن اللَّه تعالى يرزق الحكمة والمعرفة بدون مبرر وبطريقة عشوائية بل إنّ مشيئة اللَّه وإرادته مقرونة دائماً مع الحكمة، أى أنه لا يعطى الحكمة لمن لا يستحق ولا يليق بها، بل يؤتى الحكمة ويروى عطش الإنسان لها فيما لو كان الإنسان قابلًا لها ومستعداً لتقبلها. «وَ مَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً». وبالرغم من أن اللَّه تعالى هو الذى يؤتى الحكمة لعباده إلّاأن هذه الآية لم تذكر الفاعل لهذا العطاء، بل اقتصرت على القول «ومن يؤتَ الحكمة» وهذا التعبير يشير إلى أن الحكمة والمعرفة بذاتها حسنة وجيّدة من أى مكان حصل عليها الإنسان فلا يختلف حالها فى الحسن باختلاف مصدرها، والملفت للنظر أن الآية الشريفة تقرر هذه الحقيقة، وهى أن كلّ من رزق العلم والمعرفة والحكمة فقد رزق الخير الكثير لا «الخير المطلق» لأنّ الخير المطلق أو السعادة المطلقة لا تكمن فى العلم والحكمة فقط بل إنّ العلم والحكمة هى أحد أدوات الخير والسعادة. «وَ ما يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبابِ» «تذّكر» يعنى حفظ العلوم والمعارف فى واقع النفس والروح و «الألباب» جمع «لُب» وبما أن لُب الشىء هو أهم جزء من أجزائه وأفضل أقسامه ولذلك اطلق على العقل كلمة «لُب» لأنه أفضل أجزاء الإنسان، فالآية الشريفة تقول: إنّ آيات الولاية فى القرآن، ص: ۳۵۷ أصحاب العقل والمعرفة هم فقط الذين يدركون هذه الحقائق، ويتذكرونها وينتفعون منها، ورغم أن جميع الناس يتمتعون بالعقل «سوى المجانين» ولكنّ اولوا الألباب لا يقال لجميع العقلاء بل المراد الأشخاص الذين يستخدمون عقولهم ويتحركون فى سلوكهم العملى من موقع الإستفادة من نور العقل وضياء الحكمة ويتدبّرون فى امورهم.

الإمام على عليه السلام صاحب الحكمة

الإمام على عليه السلام صاحب الحكمة إنّ آية الحكمة هذه تدلُّ على أن «كلُّ من رُزق الحكمة فقد رُزق الخير العميم والكثير» ولكنها ساكتة عن مصداق هذا المفهوم العام ولا تقرر من هو هذا الشخص فى الواقع الخارجى، ولكن الروايات العديدة المذكورة فى طرق الشيعة وأهل السنّة ذكرت بأن الإمام على بن أبى طالب عليه السلام هو المصداق لها وهو الذى يتمتع بالحكمة الإلهية، وهنا نستعرض بعض هذه الروايات: ۱- ذكر «الحاكم الحسكانى» العالم السنّى المعروف نقلًا عن «ربيع بن خيثم» أنه ذكر على عليه السلام عنده فقال: لَمْ ارَهُمْ يَجِدُونَ عَلَيْهِ فِي حُكْمِهِ وَاللَّهُ تَعالى يَقُولُ: «وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ اوتِيَ خَيْراً كَثيراً» «۱». ۲- ويقول ابن عبّاس: قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: مَنْ أرادَ أنْ يَنْظُرَ إلى إبْراهِيمَ فِي حِلْمِهِ وَإلَى نُوحٍ فِي حِكْمَتِهِ وَالى يُوسُفَ فِي إجْتماعِهِ فَلْيَنْظُرْ إلى عَلِيِّ بْن ابى طالِبٍ «۲». ونفس هذه الرواية وردت بشكل آخر عن «ابن الحمراء» حيث يقول: كنّا عند رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فجاء على بن أبى طالب عليه السلام فقال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: مَنْ سَرَّهُ انْ يَنْظُرَ إلى آدَمَ فِي عِلْمِهِ وَنُوحٍ فِي فَهْمِهِ وَإبْراهيمَ فِي خُلَّتِهِ فَلْيَنْظُرْ إلى عَلِيِّ بْنِ أبى طالِبٍ «۳». آيات الولاية فى القرآن، ص: ۳۵۸ ۳- وفى رواية اخرى عن ابن عبّاس يقول: «كنت عند رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فسئل عن على، فقال: قُسِّمَتِ الْحِكْمَةُ عَشْرَةَ أَجْزاءَ، فَاعْطِيَ عَلِيٌّ تِسْعَةَ اجْزاءَ وَاعْطِيَ النّاسُ جُزْءاً وَاحِداً» «۱». هذه المضامين الواردة فى الروايات الشريفة توضح بصورة جيّدة أن الشخص الذى رُزق الحكمة والمعرفة فى الامّة الإسلامية بعد رسول اللَّه هو على بن أبى طالب عليه السلام وأنه لا يصل إليه أحد من الصحابة فى العلم والمعرفة، وبما أن أهم ركن من أركان الإمامة هو العلم والحكمة والمعرفة فإنّ أجدر الناس لهذا المقام بعد رسول اللَّه صلى الله عليه و آله هو على بن أبى طالب عليه السلام.

سعة علم الإمام على عليه السلام وحكمته

۱- المرجعية العلمية للإمام على عليه السلام

۱- المرجعية العلمية للإمام على عليه السلام يقول أنس ابن مالك خادم رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: إنّ رسول اللَّه قال لعلى بن

أبی طالب علیه السلام: «انْتَ تَبیّنُ لِاُمَّتِی ما اخْتَلَفُوا فِیهِ بَعْدِی» «۲». وأحد وظائف الإمامة والولایة المهمة هی حفظ حریم القرآن وخزانة العلوم النبویة ونقلها بصورة صحیحة إلی العلماء والفقهاء وشرح ما أشکل علیهم من مفاهیم وأحکام آیات الولایة فی القرآن، ص: ۳۵۹ إلهیة، وتتّضح أهمیة هذا الدور والوظیفة للإمامة فیما لو علمنا أن الکثیر من الامم والبلدان التی حققت انتصارات علی امم اخری کبیرة ولکنها عجزت فی نفس الوقت عن التصدّی للثقافة الأجنبیة وبالتالی لم تستطع حفظ ثقافتها ودینها وغلبت أخیراً علی أمرها کما هو الحال فی هجوم المغول علی البلاد الإسلامیة وانتصارهم فی میادین القتال والحرب علی المسلمین إلّاأنهم سرعان ما غُلبوا فی مقابل القرآن والإسلام واعتنقوا بذلک الإسلام بل أصبحوا من المدافعین عنه والمروّجین له. الإمام علی علیه السلام اهتم بعد رحیل رسول اللَّه صلی الله علیه و آله بهذا الأمر المهم جدّاً «الثقافة الإسلامیة» وشرع بجمع القرآن وأقسم علی أن لا یرتدی رداءه ویخرج من البیت قبل إتمام هذه المهمة إلّا أن یکون خروجه للصلاة «۱»، ثمّ شرع بتعلیم وتفسیر القرآن الکریم فی ناسخه ومنسوخه، ومحکمه ومتشابهه، وظاهره وباطنه، إلی أولاده وتلامیذه کالإمام الحسن والحسین علیهما السلام وابن عبّاس وابن مسعود وأمثالهم کما تعلّمها من رسول اللَّه صلی الله علیه و آله ولیکون ذلک حصناً ثقافیاً لِلاُمّة الإسلامیة أمام الغزو الثقافی والعقائدی الذی قد یتعرض له علماء الإسلام فی ظلّ الفتوحات الکثیرة واختلاط الحضارات والثقافات السائدة بین الأقوام البشریة حینذاک ولیأمن حاجة المسلمین الفقهیة والحقوقیة من هذه المعارف الإلهیة ویبیّن الاصول العقائدیة والأحکام الفقهیة وغیرها من المسائل الثقافیة بأفضل وجه وأحسن صورة للمسلمین.

۲- الإمام علی علیه السلام باب مدینة العلم

۲- الإمام علی علیه السلام باب مدینة العلم وقد ورد فی صحیح الترمذی أن النبی الأکرم صلی الله علیه و آله قال: «انَا دارُ الْحِکْمَةِ وَعَلِیٌّ بابُها» «۲». ومن المسلّم أن کلُّ من أراد الدخول فی الدار فعلیه أن یردها من بابها کما ورد فی الآیة الشریفة ۱۸۹ من سورة البقرة «وَ أْتُوا الْبُیُوتَ مِنْ أَبْوابِها» وعلیه فکلُّ من أراد العلم آیات الولایة فی القرآن، ص: ۳۶۰ والمعرفة والوصول إلی خزائن الحکمة لدی النبی الأکرم صلی الله علیه و آله فعلیه أن یبدأ مساره من الإمام علی علیه السلام فهو مفتاح هذه الخزائن ویطلب منه العلم والمعرفة.

۳- الإمام علی علیه السلام وتفسیر القرآن

۴- الإمام علی علیه السلام واضع علم النحو

۴- الإمام علی علیه السلام واضع علم النحو لقد أمر الإمام علی علیه السلام لغرض صیانة القرآن من التحریف اللغوی والأدبی أبا الأسود الدؤلی أن یکتب قواعد علم النحو کما علّمه اصوله ومبادئه، ثمّ إنّ أبا الأسود الدؤلی وبالإستفادة من علم النحو هذا عمل علی إعراب القرآن الکریم «۳».

۵- الإمام علی علیه السلام وعلم الکلام۵- الإمام علی علیه السلام وعلم الکلام

۵- الإمام علی علیه السلام وعلم الکلام یقول ابن أبی الحدید فی مقدمة شرح نهج البلاغة: إنّ علم الکلام هو أشرف العلوم وقد اقتبسه العلماء من الإمام علی علیه السلام «۴». ویقول الأربلی فی کشف الغمّة إنّ أئمّة الکلام یعنی الأشاعرة، المعتزلة، الشیعة والخوارج، آیات الولایة فی القرآن، ص: ۳۶۱ کلُّهم ینتسبون إلی ذلک الإمام «۱».

۶- الإمام على عليه السلام وعلم الفقه

۶- الإمام على عليه السلام وعلم الفقه مضافاً إلى فقهاء الإمامية الذين أخذوا فقههم من الإمام على عليه السلام نرى أن أحمد ابن حنبل أخذ فقهه من الشافعى، والشافعى أخذ فقهه من محمّد بن الحسن ومالك، ومحمّد بن الحسن تعلم الفقه من أبى حنيفة، وتعلّم كلٌّ من مالك وأبو حنيفة الفقه على يد الإمام الصادق عليه السلام، وفقه الإمام الصادق عليه السلام ينتهى إلى جدّه على بن أبى طالب عليه السلام «۲».

۷- الإمام على عليه السلام وعلم الباطن

۷- الإمام على عليه السلام وعلم الباطن يقول الدكتور أبو الوفاء الغنيمى التفتازانى استاذ جامعة القاهرة وشيخ الطريقة فى مقدّمته على كتاب «وسائل الشيعة»: «إنّ المشايخ وأصحاب الطريقة كالرفاعى، البدوى، الدسوقى، الگيلانى وهم من أجلّة علماء أهل السنّة يصلون بطريقتهم إلى أئمّة أهل البيت عليهم السلام ومنهم إلى الإمام على عليه السلام ومنهم إلى النبى الأكرم صلى الله عليه و آله لأنّ النبى صلى الله عليه و آله قال: «انا مدينة العلم وعلىّ بابها» «۳» وهذه الحقيقة لدى العرفاء والتى تسمّى بعلم المكاشفة وعلم الباطن لم يملكها أحد سوى الإمام على عليه السلام «۴»، وهناك شواهد كثيرة فى أكثر كتب أهل السنّة على اختصاص الإمام على عليه السلام بهذا العلم، وكمثال على ذلك نرى أن عمر بن الخطّاب عندما أراد استلام الحجر قال: اقبلك وإنّى لأعلم أنك حجر لا تضرُّ ولا تنفع ولكن كان رسول اللَّه بك حفياً، ولولا أننى رأيت رسول اللَّه يقبلك ما قبلتك. فقال له الإمام على عليه السلام: بلى، واللَّه إنه ليضرّ وينفع، قال: وبمَ قلت ذلك يا أباالحسن؟ قال: بكتاب اللَّه تعالى. قال: أشهد أنك لذو علم بكتاب اللَّه تعالى، فأين ذلك من الكتاب؟ قال: قول اللَّه عزّوجلّ: «وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِى آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَ أَشْهَدَهُمْ عَلى أَنْفُسِهِمْ أَ لَسْتُ بِرَبِّكُمْ قالُوا بَلى شَهِدْنا» ... فلمّا أقروا له بالربوبية كتب أسماءهم فى رقّ آيات الولاية فى القرآن، ص: ۳۶۲ وأودعه هذا الحجر ثمّ قال له: اشهد لمن وافاك بالموافاة يوم القيامة ... فقال عمر: لا عشتُ فى امّة لست فيها يا أباالحسن (بتلخيص).

۸- الإمام على عليه السلام وخلافة النبى صلى الله عليه و آله

۸- الإمام على عليه السلام وخلافة النبى صلى الله عليه و آله لقد اتّضحت من خلال الأبحاث السابقة للقارىء الكريم هذه الحقيقة، وهى: أن الشخص الذى يعترف الجميع (الموافقون والمخالفون والأصدقاء والأعداء) أنه أعلم الناس وأفضلهم بعد رسول اللَّه صلى الله عليه و آله هو اللائق لمقام الخلافة والإمامة بعد النبى الأكرم صلى الله عليه و آله لا غير، ولهذا ورد أن النبى الأكرم صلى الله عليه و آله ذكر فى خطبته الغرّاء فى غدير خمّ هذين المطلبين (المرجعيّة العلميّة والخلافة) وقال: «مَعاشِرَ النّاسِ! هذا اخِى وَوَصِيّى وَواعِى عِلْمِى وَخَليفَتِى» «۱». والتأمّل والتفكّر بهذه الخصوصيات الأربع المذكورة فى هذا الحديث الشريف تبيّن حقائق كثيرة لطلّاب الحقيقة: ۱- «أخى»: فلو أن الإنسان أراد إظهار احترامه وتقديره لمن يكبره فى السنّ فإنه يعبّر عنه بكلمة «أبى» وعندما يريد إظهار المحبّة والعاطفة بالنسبة إلى من هو أصغر منه سنّاً فيقول عنه «ابنى» وعندما يريد إظهار العلاقة والمحبّة لمن يكون رديفه فى السنّ فإنه يعبّر عنه بأنه «أخى» لأن الاخوة المعنوية تعنى الإرتباط الروحى القريب بين شخصين على أساس المساواة، وعليه فإنّ عبارة «أخى» فى الحديث الشريف تتضمن حقيقة كبيرة، وهى أن الإمام على عليه السلام فى واقعه وشخصيته يساوى النبى صلى الله عليه و آله أو أن شخصيته تقترب إلى حدٍّ كبير إلى شخصية الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله، وبعبارة اخرى إنّ كلمة «أخى» تتضمن المفهوم والمعنى الذى ورد فى آية المباهلة «أنفسنا وأنفسكم». ۲- «وصيّى»: طبقاً لعقيدة أهل السنّة فإنّ الأنبياء لا يورثون، وعليه فإنّ الإمام على عليه السلام لا يكون وصيّاً لرسول اللَّه صلى الله عليه و آله فى مجال الأموال والثروة، ونعلم أن النبى لم يخلف من ذريته عند

وفاته سوى فاطمة الزهراء عليها السلام ولذلك لا معنى لأن يكون الإمام على عليه السلام آيات الولاية فى القرآن، ص: ۳۶۳ وصيّاً على أبنائه وذريته، وعلى هذا الأساس فإنّ الإمام على عليه السلام وصى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فى المسائل المتعلقة بالدين، أجل إنّ النبى الأكرم صلى الله عليه و آله ولغرض تكميل واستمرار الدعوة السماوية والدين الإلهى جعل من الإمام على عليه السلام وصيّاً له على هذا الأمر. ۳- «واعى علمى»: «وعى» على وزن «سعى» ويراد بها كما ذكر أهل اللغة: حفظ الشىء فى القلب، أى أن يتفكر الإنسان فى شىء معين ويحفظه فى قلبه ويجعله نبراساً له ومصباحاً يضىء طريق حياته، وعليه فإن الإمام على عليه السلام قد وعى جميع العلوم النبوية والمعارف الإلهية وجعلها تحت اختيار المسلمين ليستضيئوا بنورها ويسلكوا فى خطّ الهدى والعقيدة والرسالة بضوءها. فهل يصحّ مع وجود مثل هذه الشخصية الممتازة أن نقلد امور الخلافة وزمام تدبير الامّة بيد شخص آخر؟ ۴- «وخليفتى على من آمن بى»: وفى الحقيقة إنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فى هذه الجملة- التى تعتبر نتيجة منطقية للجملات الثلاث المتقدمة- لم يدع ذريعة واحدة للمخالفين، وأعلن بصريح العبارة للعالم أجمع استخلافه للإمام على عليه السلام من بعده، فلم يكتف صلى الله عليه و آله بكلمة «خليفتى» لئلّا يقول أهل البدع والأهواء «إن مراد النبى هو الوصاية على الأهل والأولاد لا الخلافة على المسلمين»، فقد بيّن النبى صلى الله عليه و آله بصريح العبارة وبأفضل بيان خلافة وإمامة الإمام على عليه السلام وأولاده على جميع المسلمين إلى قيام القيامة. النتيجة: انه بالرغم من أن الضرورى هو التأكيد على مرجعيّة أهل البيت عليهم السلام العلميّة وعلى رأسهم الإمام على عليه السلام، إلّاأنّ فصل مسألة الإمامة عن الخلافة أمر خطير وخطأ كبير ويترتب عليه لوازم سلبية كثيرة لا يلتزم بها أحد. «وآخر دعوانا أن الحمد للَّه ربّ العالمين» انتهى

تعريف المركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱). قالَ الإمامُ علىّ بْنُ موسَى الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فى تلخيص بحار الأنوار، للعلّامة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشَّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷). مؤسّس مُجتمَع "القائميّة الثّقافيّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذى – "رَحِمَهُ اللهُ – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذى قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَيت النبىّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علىّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فى سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم. مركز "القائميّة "للتحرِّى الحاسوبىّ– بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإمامىّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجى الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالاتٍ شتّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة... الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثَّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشَّباب و عموم الناس إلى التَّحَرِّى الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة –فى المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت– عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلّاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِج العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشُّبُهات المنتشرة فى الجامعة، و... - مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التى يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ – فى آكناف البلد - و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فى أنحاء العالَم - مِن جِهةٍ اُخرَى. - من الأنشطة الواسعة للمركز: الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبيّة، قابلة للتشغيل فى الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّـلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكـة و... الأماكن الدينيّـة، السـياحيّة و... د) إبداع الموقع الانترنتى" القائميّة "www.Ghaemiyeh.com و عـدّة مَواقِعَ اُخـرَ ه) إنتـاج المُنتَجـات العرضـيّة، الخَطابـات و... للعرض فى القنوات القمريّة و) الإطلاق و الـدَّعم العلمىّ لنظام إجابـة الأسـئلة الشـرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴) ز) ترسـيم النظـام التلقائىّ و اليـدوىّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصـيرة SMS ح) التعـاون الفخرىّ مع عشـراتِ مراكزَ طبيعيّـة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّـة كمسـجد جَمكرانَ و... ط) إقامـة المؤتمَرات، و تنفيذ مشـروع" مـا قبـلَ المدرسـة "الخـاصّ بالأطفال و الأحـداث المُشارِكين فى الجلسـة ى) إقامـة دورات تعليميّـة عموميّـة و دورات تربية المربّى (حضـوراً و افتراضـاً) طيلـة السَّنَة المكتـب الرّئيسـىّ: إيران/أصـبهان/ شـارع"مسـجد سـيّد/ "مـا بيـنَ شـارع"پنـج رَمَضـان" ومُفترَق"وفائى/"بنايـة"القائميّة "تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريـة القمريّة) رقـم التسـجيل: ۲۳۷۳ الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶ الموقـع: www.ghaemiyeh.com البريـد الالـكترونى: Info@ghaemiyeh.com المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com الهـاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱) الفـاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱) مكتـب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱) التّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹ امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱) ملاحَظة هامّة: الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَـعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِى الحجمَ المتزايـد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلـك، يرجو مِن جـانب سـماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعـالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفّقَ الكـلَّ توفيقـاً متزائـداً لِإعانتهم – فى حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ ولىّ التوفيق.

مرکز القائمیة اصفهان للبحوث والدراسات الکمبیوتریة
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹